النفحات السلفية

شرح الأحاديث القدسية

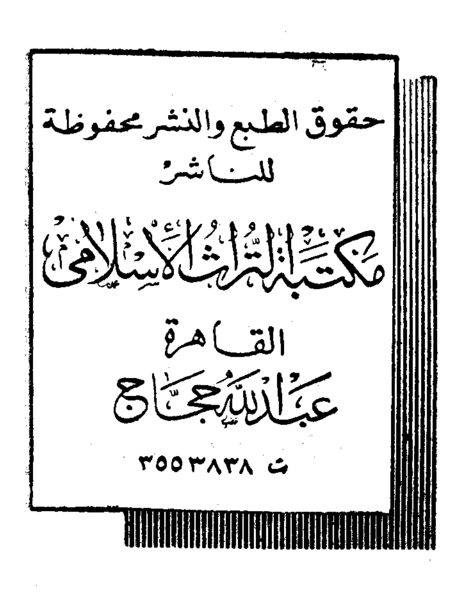
على الاتحافات السنية للمناوي

شرح

محمد منير الدمشقي

مكتبة التراث الإسلامي

١٤ صفية زغلول القاهرة ت ٣٥٥٣٨٢٨



حقوق الطبع والنشر محفوظة
للناشر
مكتبة التراث الإسلامي
القاهرة
عبد الله حجاج
ت ٣٥٥٣٨٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح :

الحمد لله الذى شرح قلوب أحبائه بأحاديثه القدسية ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه الناطق بالحكمة وجوامع الكلم الكلية ، وآله وصحبه الباذلين جهدهم فى نشر العلوم والمشاريع الشرعية والعرفية .

أما بعد: فيقول أفقر الورى إلى ربه الغنى محمد منير بن عبده أغا الدمشقى الأزهرى : طلب منى جماعة من طلبة العلم فى المعاهد الدينية أن أختار لهم كتاباً فى الأحاديث القدسية وأنشره كى ينتفعوا به مع بيان مخرج الحديث : فنقبت عن ذلك مدة فعثرت على رسالة للشيخ الولى المحدث عبد الرءوف المناوى الحدادى والد محمد تاج الدين فى دار الكتب المصرية فندبت أحد علماء الأزهر إلىنقلها عن أصلها ، وبعد أن تم ذلك قابلتها وصححتها ولما وجدت فيها بعض أحاديث يحتاج إلى شرح وإيضاح علقت عليه بقدر الحاجة الماسة لذلك، وأرجو الله أن يوفقنى إلى نشر الكتب النافعة التى تنهض بالأمة وتذكرها بسلفها وما كانوا عليه من المجد والعز والسيطرة على غالب ممالك المعمورة .

وأذكر هنا تعريف الحديث القدسى والفرق بينه وبين الحديث النبوى وبينه وبين القرآن الحكيم ليكون القارىء على بصيرة منها .

وأقول : الحديث القدسى هو ما أخبر الله تعالى به نبيه بإلهام أو منام فأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن ذلك المعنى بعبارة من نفسه ، والحديث النبوى ما يضاف إلى النبى ﷺ لفظاً ومعنى فيقال حديث نبوى ولا يقال له حديث قدسى ، والقرآن هو اللفظ المنزل على محمد ﷺ

للإعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته ، وفرق الفقهاء بينها بأن القرآن معجز وكونه معجزة باقية على ممر الدهور محفوظة من التغيير والتبديل ، وحرمة مسه للمحدث وتلاوته لنحو الجنب وروايته عند الإمام أحمد وكراهته عند الشافعية ، وتسمية الجملة منه آية وسورة ، ويعطى قارئه بكل حرف عشر حسنات ، وأن الصلاة لاتكون إلا بالقرآن، وأن جاحد القرآن يكفر بخلاف جاحد الحديث القدسى والنبوى ، وأنه لابد فيه من كون جبريل عليه السلام واسطة بين النبي ﷺ وبين الله تعالى بخلاف الحديث القدسى ، وغير ذلك مما هو مذكور فى محاله ، والله أعلم .

وقال ملا على القارى عليه رحمة البارى : الحديث القدسى ما يرويه صدر الرواة وبدر الثقات عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات عن الله تبارك وتعالى تارة بواسطة جبرائيل عليه السلام وتارة بالوحى والإلهام والمنام مفوضاً إليه التعبير بأى عبارة شاء من أنواع الكلام .

(تنبيه) وجد فى خطبة هذه الرسالة أنها لمحمد المدعو تاج الدين بن المناوى الحدادى ، وفى طرة الرسالة — جمع الحقير الفقير الراجى فضل ربه القدير محمد المدعو تاج الدين المناوى الحدادى — وفى فهرس دار الكتب المصرية محمد تاج الدين بن على بن زين العابدين — وفى كشف الظنون هو للشيخ محمد المعروف بعبد الرءوف المناوى الحدادى المتوفى سنة ١٠٣٥ . أوله « الحمد لله الذى نزل أهل الحديث أعلى منازل الشرف » إلخ. وهذا كله خلاف الحقيقة ، والصواب — على ما يظهر من ترجمة الحافظ عبد الرءوف بن تاج العارفين بن على بن زين العابدين الحدادى ثم المناوى القاهرى — إنه لعبد الرءوف إلا أنه لم يكمله بل تركه مسودة فجاء ولده محمد المدعو تاج الدين

وأكمله بعد أن بيضه ونسبه إلى نفسه لأن والده عبد الرءوف عجز فى آخر عمره بسبب الأمراض من تكميل كثير من مؤلفاته — على ما جاء فى كتاب خلاصة الأثر — فكان ولده محمد تاج الدين يستملى منه التأليف ويسطرها لذلك نسب ولده محمد تاج الدين هذه الرسالة لنفسه فى خطبتها وهذا ما اهتديت إليه بعد بحث عميق . والله هو الهادى للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نزل أهل الحديث أعلى منازل التشريف . والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الشريف العفيف ، وآله وصحبه المعصومين فى المقال عن التبديل والتحريف .

وبعد: فيقول العبد الضعيف ، الراجى عفو ربه الرءوف اللطيف محمد المدعو تاج الدين بن المناوى الحدادى ، كفاه الله شر المناوىء والمعادى: هذا كتاب أوردت فيه ما وقفت عليه من الأحاديث القدسية الواردة على لسان خير البرية مرتباً له على حروف المعجم ، سائلا الله أن يغفر لى ما ارتكبته من الزلل ويرحم ، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير ، وسميته «الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية » .

١ – قَالَ اللهُ تعَالَى : « ابْنَ آدمَ أَنْزَلْتُ عَلَيْك سَبْعَ آيَاتٍ ثَلَاثٌ لِى وَثَلَاثٌ لَكَ وَوَاحِدَةٌ بَيْنِى وَبَيْنَكَ فَأَمَّا الَّتِى لِى فَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمينَ . الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ . وَالَّتِى بَيْنِى وَبَيْنَكَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ مِنْكَ العِبَادَةُ وَعَلَىَّ العَوْنُ . وَأَمَّا الَّتِى لَكَ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ »

(١) رواه الطبرانى فى معجمه الأوسط عن أبى كعب .

ش : خاطب الله عباده بخطاب عام شامل المؤمن والكافر الذكر والأنثى الحر والعبد بقوله « ابن آدم » أى أن الله سبحانه وتعالى أنزل سبع آيات ثلاثا مختصة بالله تعالى أولها الحمد لله ، الحمد والثناء على الحقيقة لا يكون إلا لله جل اسمه وتنزهت صفاته ، فكل فرد من أفراد الحمد إنما هو لله سبحانه وتعالى حقيقة لأن النعم منه وإليه ، والثانية الرحمن الرحيم يعنى أن هذين الوصفين هما من خواص أسمائه ونعوت جلاله فهو جل جلاله الرحمن أى المنعم بجلائل النعم الرحيم أى المنعم بدقائقها .

قال أبو على الفارسى : الرحمن اسم عام فى جميع أنواع الرحمة يختص به تعالى ، والرحيم إنما هو فى جهة المؤمنين قال الله تعالى : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾ . والثالثة مالك يوم الدين أى مالك يوم الحساب والجزاء يوم يدين الله العباد بأعمالهم ويجازى كل عامل بما عمله واكتسبه ، وواحدة مشتركة بين الرب تعالت أسماؤه وبين العبد ، وهى إياك نعبد وإياك نستعين ، أى لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك فنخصك بالعبادة والاستعانة فى جميع الأمور ، لا نفعل عبادة إلا لذاتك وعظمة جلالك ، فكل عبادة لغيرك أو فيها غيرك شرك ومردودة على صاحبها ، والاستعانة والالتجاء والمعونة لا تكون إلا بك جل اسمك وعز ثناؤك ومنك فمن استعان بغيرك أو أشرك معك غيرك فقد أشرك وجحد نعماءك وضل سواء الطريق ، منك العبادة وعلى العون أى فعلى العبد المخلوق القيام بالعبادة التى أمره الله جل ذكره بها وحضه عليها ومنه طلبها ومن الله جل جلاله المعونة والتسديد والقدرة عليها وتسهيلها والتوفيق لها والتيسير لفعلها والمحافظة عليها ، وأما التى هى خاصة بالعبد فاهدنا الصراط المستقيم إلخ بأن يدعو الله سبحانه فى السراء والضراء بأن يهديه إلى دين الحق الواضح لا اعوجاج فيه والصراط السوى الذى هو دين الإسلام الدين الخالص الدين المشتمل على سعادة الدارين ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين ، غير المغضوب عليهم الذين فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه ولا صراط الضالين الذين فقدوا العلم فهم هائمون فى الضلالة لا يهتدون إلى الحق . اللهم أصلح حال الأمة الإسلامية واهدهم للتمسك بالكتاب الحكيم وسنة من هو بالمؤمنين رحيم .

٢ – « ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِى أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ » .

ش : أمر من الله تعالى لعباده أن يفرغوا قلوبهم إلى عبادته تعالى لا يشغلوها بالسوى فتملأ صدورهم غنى فلا ينظروا إلى الدنيا وزهرتها ولا إلى ما فى أيدى الناس ، بل الدنيا بأيديهم دون قلوبهم يأخذون الزاد للآخرة كمثل المسافر ليس له من سفره إلا المرور إلى مقصده ، وهذه طريقة السلف الصالح والقرون الأول ، ويسد فقره بأن لا يحتاج إلى أحد ، وتشبع نفسه وتزهد فى الدنيا ، وإن لم يفعل ما أمره به من ذلك ملأ الله صدره شغلا بأن يكون همه الدنيا لا يشبع من حطامها لانهماكه فيها وشرهه ، ولم يسد فقره بل يكون دائماً محتاجاً فيها ظاهر الفقر وإن كان لديه مال كثير . فأسأل الله السلامة من الدنيا والميل إليها .

---

(٢) رواه الترمذى والبيهقى عن أبى هريرة .

٣ - « ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِى بَعْدَ الفَجْرِ وَبَعْدَ العَصْرِ سَاعةً أَكْفِكَ مَا بَيْنَهُمَا » .

٤ - « ابْنَ آدَمَ اكْفِنِى أَوَّلَ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكَعاتٍ أَكْفِكَ بِهِنَّ آخِرَ يَوْمِكَ » .

٥ - « ابْنَ آدَمَ صَلِّ لِى أَرْبَعَ رَكَعَات مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ » .

٦ - « ابْنَ آدَمَ عِنْدَكَ مَا يَكْفِيكَ وَأَنْتَ تَطْلُبُ مَا يُطْغِيكَ ، لَا بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ وَلَا مِنْ كَثِيرٍ تَشْبَعُ ، إِذَا أَصْبَحْتَ مُعَافًى فِى جَسَدِكَ آمِنًا فِى سِرْبِكَ عِنْدَكَ قُوتُ يَوْمِكَ فَعَلَى الدُّنْيَا العَفَاءُ » .

ش : أى ياابن آدم عندك ما يسد حاجتك على وجه الكفاف وأنت تحاول أخذ ما يطغيك ويحملك على الظلم ومجاوزة الحدود الشرعية والحقوق المرعية. ياابن آدم لا بقليل من الرزق تقنع أى ترضى وتكتفى بما قسم لك ، ولا من

---

(٣) رواه مسلم فى الزهد وأبو نعيم عن أبى هريرة .
(٤) رواه الإمام أحمد وأبو يعلى عن عقبة بن عامر الجهنى.
(٥) رواه أحمد عن أبى مرة الطائفى .
(٦) رواه ابن عدى والبيهقى عن ابن عمر .

كثير تشبع ، بل لاتزال شرها نهما تتطلع لما فى أيدى الناس . يابن آدم إذا أصبحت أى دخلت فى وقت الصباح والحال أنك مُعافىً أى سالماً من الآلام والآثام فى جسدك وبدنك آمناً فى سربك — بكسر وسكون أى نفسك — أو بفتح وسكون — مذهبك وملكك عندك قوت يومك وهو ما يقوم بكفايتك فى يومك وليلتك أو ما يسد الرمق فعلى الدنيا العفاء — بفتح العين المهملة — أى الهلاك والدروس وذهاب الأثر .

قال الزمخشرى : ومنه قولهم عليه العفاء إذا دعا عليه ليعفو أثره ، والمعنى إذا كنت كذلك فقد جمع الله لك ما تحتاجه من الدنيا فدع عنك ما عداه واشتغل بما يقربك إلى الله ، قال الغزالى : ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث مع أنه وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله فيها ، ومر سليمان عليه السلام على بلبل بشجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : الله ونبيه أعلم . قال يقول : أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ، وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا ، وقال صالح بن جناح لابنه : إذا مر بك يوم وليلة وقد سلم فيهما دينك ومالك وبدنك وعيالك فأكثر الشكر لله ، فكم من مسلوب دينه ومنزوع ملكه ومهتوك ستره ذلك اليوم وأنت فى عافية ، ومن هنا نشأ زهد الزاهدين فاستراحت قلوبهم بالزهد واكتفوا بالورع عن الكد ، وتفرغت قلوبهم وأعمالهم لبذل الجد فى سبيل الحمد ، وميز القريب من البعيد والشقى من السعيد والسادة من العبيد . وهذا هو المهيع الذى قبض بسطة وجوه القلوب فلم يبق للعاقل حظ فيما زاد على كسرة تكسر شهوته وسترة توارى عورته وما زاد متجر إن أنفقه ربحه وإن ادخره خسره . وفيه حجة لمن فضل الفقر على الغنى . وقد أفاد مطلع الحديث أن الصحة نعمة عظيم وقعها جزيل نفعها بل هى أجل النعم على الإطلاق ، وفى إشعاره إعلام بأن العالم ينبغى له أن لا يغفل عن وعظ الناس

إذ الإنسان لما جبل عليه من الغفلات لابد له من ترغيب يشده وترهيب يرده ومواعظ ترققه وأعمال تصدقه وإخلاص يحققه لترتفع أستار الغفلة عن عيون القلوب ، وتكتسب الأخلاق الفاضلة لتصقل الصدأ عن مرائى النفوس . ولقد هز القلوب بحسن هذا النظم وبلاغة تناسبه وبراعة ربطه وحسن انسجامه، إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . أفاده المؤلف فى فتح القدير ، والحديث فيه مقال .

٧ — « أَحَبُّ مَا تَعَبَّدَنِى بِهِ عَبْدِى النُّصْحُ لِى » .

٨ — « أَحَبُّ عِبَادِى إِلَىَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْراً » .

٩ — « إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِىَ الْمُؤْمِنَ فَصَبَرَ فَلَمْ يَشْكُنِى إِلَى عُوَّادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ إِسَارِى ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْماً خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ وَدَماً خَيْراً مِنْ دَمِهِ ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ » .

ش : الابتلاء الاختبار والامتحان والتجربة، قال القتيبى : يقال من الخير أبليته أبليه إبلاء ومن الشر بلوته أبلوه بلاء ، والمعروف أن الابتلاء يكون فى الخير والشر معاً من غير فرق بين فعليهما ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ والعواد الزوار ، وكل من أتاك مرة بعد أخرى فهو عائد وإن اشتهر ذلك فى عيادة المريض ، والمعنى — والله أعلم — أن العبد المؤمن إذا ابتلاه الله بإحدى بلايا الدنيا فليصبر وليحتسب الله فى أجره، وإذا اجتمع بأحد

---

(٧) رواه أحمد عن أبى أمامة الباهلى والحكيم وأبو نعيم .

(٨) رواه أحمد والحكيم وأبو نعيم عن أبى أمامة والترمذى عن أبى هريرة .

(٩) رواه الحاكم عن أبى هريرة .

من أصدقائه وأوليائه فلا يظهر له الجزع والضجر والألم وأنه أصيب بكذا وكذا، لأن هذا شكوى من الله إلى عباده وهذا لا يليق، بل يبدى الفرح والسرور لأن أكثر الابتلاء يكون للعظماء المقربين والأتقياء المصلحين ليثبتوا ويصبروا فيكونوا قدوة وأسوة لغيرهم من الضعفاء ومرضى القلوب. فإذا فعل ذلك أطلق من إسار التقليد والتكليف ، وغفر له ذنوبه وكفر عنه سيئاته فكان مع النبيين والشهداء والصالحين ، اللهم اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين .

١٠ ــ « إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِى بِحَبِيبَتَيْهِ ثُمَّ صَبَرَ عَوَّضْتُهُ عَنْهُمَا الْجَنَّةَ » .يعنى عينيه .

ش : حبيبتيه تثنية حبيبة ، والمراد بهما عيناه وأطلق عليهما ذلك لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه وأنفعهما ، وليس الابتلاء بالعمى لسخط بل لدفع مكروه يكون بالبصر ولتكفير ذنوبه وليبلغه إلى درجة لم يكن يبلغها بعمله .

وسبب الحديث ما أخرجه البيهقى عن أنس أيضاً بلفظ : « قال : مر بنا ابن أم مكتوم فسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أحدثكم بما حدثنى جبريل إن الله يقول حق علىَّ من أخذت كريمتيه أن ليس له جزاء إلا الجنة » ، ورواه البيهقى أيضاً عن أنس بلفظ : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى جبريل عن رب العالمين أنه قال : « جزاء من أخذت كريمتيه الخلود فى دارى والنظر إلى وجهى » وعبر هنا بكريمتيه لكرمهما عند الإنسان لما فيهما من المنافع ، ولذلك نفى المولى جل ذكره الحرج عمن فقدهما ، ومما يناسب المقام قول حبر الأمة عبد الله بن العباس رضى الله عنهما لما عمى فى آخر عمره :

---

(١٠) رواه أحمد عن أنس والطبرانى عن جرير .

إن يأخذ الله من عيني نورهما في فؤادى وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذى دخل وفى فمى صارم كالسيف مشهور

١١ - « إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا فَحَمِدَنِي عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ فَأَجْرُوا لَهُ مَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ » .

ش : فى الحديث دلالة على أن العمل الذى يعمله المبتلى قبل ابتلائه مكتوب له ومدخر عند الله ثوابه لا ينقطع بابتلائه كقيام الليل والأوراد وغير ذلك مما كان يعتاده قبل أن يحل به الابتلاء ، فسبحانك يا رب من خالق كريم وإله بعبادك رءوف رحيم .

١٢ - إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ العَبْدُ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وإِذَا أَتَى إِلَيَّ مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » .

ش : هذا الحديث يدل على أن الله سبحانه وتعالى يتصف بالتقرب والهرولة وللعلماء فى ذلك مذهبان ، مذهب أهل الرعيل الأول من لدن الصحابة إلى آخر القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية ، وهو أن الله تعالى وتبارك متصف بجميع ما ورد فى الكتاب الحكيم وما جاء فى السنة الصحيحة السمحة التى ليلها كنهارها وعلى الخلق أن تؤمن بذلك وتقر بلسانها وتعتقد بجنانها أن الرب تعالت أسماؤه

---

(١١) وهو صحيح رواه أحمد والطبرانى فى المعاجم الثلاثة عن أبى الأشعث الصنعانى .
(١٢) رواه البخارى عن أنس وأبى هريرة ، وأبو عوانة والطبرى عن سلمان .

وتنزهت صفاته يتصف بها اتصاف رب خالق ليس كمثله شيء وليس كمثلها شيء ، ولا شك ولا ريب أن ما اتصف به خالقنا ورازقنا يغاير ما اتصف به العبد المخلوق المربوب ، لأن الله تعالى قد أطلق كثيراً من الأوصاف على ذاته المقدسة فى القرآن المجيد التى ليس كمثلها شيء ، وأطلقها نفسها على عبده المخلوق الضعيف — راجع كتاب التوحيد لابن خزيمة تجد ما يسرك ويذهب مااختلج فى ضميرك — وإنى لأعجب كل العجب من بعض علمائنا المتقدمين وأساطين المحققين كيف يفرون كل الفرار عند ما يسمعون مثل هذه الألفاظ وأنها تسند إلى الله جل ذكره وتعالت أسماؤه حقيقة ، ويجتهدون لتأويلها طاقتهم ويوردون تشكيكات واحتمالات توقع العامى فى أمر دينه وتذهب به المذاهب وتصرفه عما فطره عليه. وماذا عليهم لو وافقوا علماء السلف فى ذلك ووصفوا الله بما وصف به نفسه فى محكم تنزيله وعلى لسان رسوله وحبيبه محمد سيد الأولين والآخرين ، وعليه كان الصحابة أجمعون حقيقة لا مجازاً ، وقالوا عند ذكر كل صفة من صفات الرب الحكيم ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ، وليس كذلك فى جانب صفات المخلوق الحادث فإن صفاته لها مثل وتتغير وتتفاوت ويطرأ عليها ما يضعفها أو يزيدها قوة إلى غير ذلك مما نشاهده ونراه.

وهاك جملة من كلام المؤولين لذلك تحامياً من الوقوع فى التشبيه على ظنهم وفراراً من اعتقاد أن الرب يتصف بصفات هى تشبه صفات العبيد على زعمهم ، فرحم الله المتقدمين وغفر ما للمتأخرين .

قال الحافظ خاتمة المتأخرين ابن حجر العسقلانى فى كتابه — فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى — عند الكلام على هذا الحديث فى باب ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه : قال ابن بطال : وصف سبحانه نفسه بأنه يتقرب إلى عبده ووصف العبد بالتقرب إليه ووصفه بالإتيان والهرولة كل ذلك يحتمل الحقيقة والمجاز فحملها على الحقيقة يقتضى قطع المسافات

وتدانى الأجسام وذلك فى حقه تعالى محال ، فلما استحالت تعين المجاز لشهرته فى كلام العرب ، فيكون وصف العبد بالتقرب إليه شبراً وذراعاً وإتيانه ومشيه معناه التقرب إليه بطاعته وأداء مفترضاته ونوافله ويكون تقربه سبحانه من عبده وإتيانه والمشى عبارة عن إثابته على طاعته وتقربه من رحمته ، ويكون قوله أتيته هرولة أى أتاه ثوابى مسرعاً ، ونقل عن الطبرى أنه إنما مثل القليل من الطاعة بالشبر منه والضعف من الكرامة والثواب بالذراع فجعل ذلك دليلا على مبلغ كرامته لمن أدمن على طاعته أن ثواب عمله له على عمله الضعف وأن الكرامة مجاوزة حده إلى ما يثيبه الله تعالى ، وقال ابن التين : القرب هنا نظير ما تقدم فى قوله تعالى : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ فإن المراد به قرب الرتبة وتوفير الكرامة ، والهرولة كناية عن سرعة الرحمة إليه ورضا الله عن العبد وتضعيف الأجر ، قال : والهرولة ضرب من المشى السريع وهى دون العدو . وقال صاحب المشارق : المراد بما جاء فى هذا الحديث سرعة قبول توبة الله للعبد أو تيسير طاعته وتقويته عليها وتمام هدايته وتوفيقه والله أعلم بمراده . وقال الراغب : قرب العبد من الله التخصيص بكثير من الصفات التى يصح أن يوصف الله بها وإن لم تكن على الحد الذى يوصف به الله تعالى نحو الحكمة والعلم والحلم والرحمة وغيرها . وذلك يحصل بإزالة القاذورات المعنوية من الجهل والطيش والغضب وغيرها بقدر طاقة البشر ، وهو قرب روحانى لا بدنى وهو المراد بقوله « إذا تقرب العبد منى شبراً تقربت منه ذراعاً » اهـ وهنا كلام كثير للعلماء المتأخرين كالفخر الرازى وإمام الحرمين وأضرابهما .

وأغرب من ذلك أنى لازمت شيخاً جليلا كان يدعو إلى السنة ومذهب السلف وينفر من البدع وكان حريصاً على ذلك سالكاً مهيع التقشف ولباس

الصوف وله تلاميذ وأصحاب فى مصر وغيرها كثيرون ولهم هيئات وسمات وكل يدعو إلى ما يدعو إليه ذلك الشيخ ، ولكن من الأسف عندما قرب أجله وحانت منيته ألف كتاباً فى التوحيد هدم فيه ما كان بناه مدة حياته ورجع فيه مذهب الخلف ، وادعى أن السلف أولوا ولم يبينوا وأما الخلف فأولوا وبينوا إلى غير ذلك مما زحزح مركزه من قلوب خواص أصحابه وسقط من أعينهم وكسد سوق الكتاب فرحمه الله وغفر له .

١٣ ـ إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِى مُؤْمِنًا فَحَمِدَنِى وَصَبَرَ عَلَى مَا ابتَلَيْتُهُ فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِه ذَلِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ منَ الخَطَايَا ، وَيَقُولُ الرَّبُّ للحَفَظَةِ إِنِّى قَيَّدْتُ عَبْدِى هَذَا وَابْتَلَيْتُهُ فَأَجْرُوا عَلَيْهِ مَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الأَجْرِ » .

ش : قوله « مؤمناً » قيد فى ذلك لأن من اتصف بالإيمان عمل بأحكامه من صلاة وصيام وحج وزكاة إلخ . ولا جدال فى أن من كان كذلك وابتلى بأشياء منعته من أداء نوافله وأوراده لجدير باستحقاق الثواب حين كان صحيحاً سليماً .

---

(١٣) وهو صحيح رواه أحمد وأبو يعلى وحميد بن زنجويه وأبو نعيم وابن عساكر عن شداد بن أوس .

١٤ — « إِذَا وَجَّهْتُ إِلَى عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِى مُصِيبَةً فِى بَدَنِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِصَبْرٍ جَمِيل اسْتَحَيْتُ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ أَنْصِبَ لَهُ مِيزَاناً أَوْ أَنْشر لَهُ دِيوَاناً » .

ش : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصبر الجميل . قال : صبر لا شكوى فيه ، وقال : من بث فلم يصبر ، والاستحياء صفة من صفات الرب جل ذكره وفيه الكلام السابق ، والديوان هو ما يكتب فيه أعمال العبد .

١٥ — إِذَا ذَكَرَنِى عَبْدِى خَالِياً ذَكَرْتُهُ خَالِياً وإِذَا ذَكَرَنِى فِى مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِى مَلَإٍ خَيْرٍ مِنَ المَلَإِ الَّذِى ذَكَرَنِى فِيهِ ».

ش : قوله خالياً أى منفرداً ليس معه أحد إما سراً فى نفسه أو جهراً ، والملأ — مهموز — جمعه أملاء الجماعة . وقد جاء تفسيره فى كثير من كتب اللغة كالنهاية وغيره : أشراف القوم ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم ، وعلله بعضهم بقوله : سموا بذلك لملاءتهم بما يلتمس عندهم من المعروف وجودة الرأى أو لأنهم يملئون العيون أبهة والصدور هيبة ، والأنسب بالمقام هنا أن يفسر بالأعم ، ولا يخفى على العاقل ما فى هذا الحديث من اعتناء الرب تباركت أسماؤه وتنزهت صفاته بعبده المؤمن الذاكر . اللهم اجعلنا من الذاكرين الله فى السر والجهر .

---

(١٤) رواه القضاعى والديلمى والحكيم الترمذى عن أنس .
(١٥) رواه الطبرانى عن ابن عباس .

١٦ - « إِذَا بَلَغَ عَبْدِى أَرْبَعِينَ سَنَةً عَافَيْتُهُ مِنَ البَلَايَا الثَّلَاثِ مِنَ الجُنُونِ وَالجُذَامِ وَالبَرَصِ ، وَإِذَا بَلَغَ خَمْسِينَ سَنَةً حَاسَبْتُهُ حِسَاباً يَسِيراً وإِذَا بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً حَبَّبْتُ إِلَيْهِ الإِنَابَةَ ، وإِذَا بَلَغَ سَبْعِينَ سنةً أَحْبَبْتُهُ الْمَلَائِكَةَ وإِذَا بَلَغَ ثَمَانِينَ كَتَبْتُ حَسَنَاتِهِ وَأَلْقَيْتُ سَيِّئَاتِهِ وَإِذَا بَلَغَ تِسْعِينَ قَالَتِ المَلَائِكَةُ : أَسِيرُ اللهِ فِى أَرْضِهِ فَغَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَشَفَعَ فَإِذَا بَلَغَ أَرْذَلَ العُمْرِ كَتَبَ اللهُ لَهُ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِى صِحَّتِهِ مِنَ الخَيْرِ وَإِنْ عَمِلَ سَيِّئَةً لَمْ تُكْتَبْ » .

ش : قوله عبدى الإضافة إضافة تشريف والمراد بالعبد العبد الصالح المتقى المتبع المأمورات المجتنب المنهيات ، والجذام علة رديئة تنتشر فى البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء وهيئتها ، والبرص بياض يظهر فى ظاهر البدن يشوه هيئة الإنسان ، وهما داءان عافانا الله وإياك منهما ، وأرذل العمر ما إذا بلغ الهرم حتى يعود كهيئته فى حال صباه لا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً وهو سن الخرف والعته ، نسأل الله السلامة منه ، فى الحديث ترغيب من الله تعالى إلى عباده أن يواظبوا على الطاعات ويجتهدوا فى الأعمال المرضية من حين نشأتهم فيحفظوا من البلايا والأمراض فى حال كبرهم .

---

(١٦) رواه الترمذى عن عثمان بن عفان .

١٧ - «إِذَا أَحَبَّ عَبْدِى لِقَائِى أَحْبَبْتُ لقَاءَه وإِذَا كَرِهَ لِقَائِى كَرِهْتُ لِقَاءَهُ» .

ش : فيه إثبات صفة المحبة لله تعالى، وكذلك الكراهة وفيهما ما تقدم من الاختلاف بين العلماء فى ذلك من إبقائهما على حقيقتهما مع التنزيه أو تأويلهما بأن المحبة إرادة الخير للعبد وهدايته إليه وإنعامه عليه ، وكذلك يقال فى الكراهة ، والأسلم التفويض كما هو مذهب السلف ، وفيه ترغيب المؤمن بأن يحب الموت لأنه لقاء الله فيلاحظ العبد لقاء الله فيجتهد فى الطاعات ويكثر من النوافل ليكون أبيض الوجه نقى العمل ذا صفات حميدة فيستحق الإنعام وإن كان كل ذلك بفضل الله وإحسانه .

١٨ - «إِذَا قَبَضْتُ كَرِيمَةَ عَبْدِى وَهُوَ بِهَا ضَنِينٌ فَحَمِدَنِى عَلَى ذَلِكَ لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الجَنَّةِ»

١٩ - «إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَىْ عَبْدِى فِى الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدِى إِلَّا الْجَنَّةَ إِذَا حَمِدَنِى عَلَيْهِمَا» .

---

(١٧) رواه مالك والبخارى والنسائى عن أبى هريرة .
(١٨) رواه الطبرانى وابن حبان وأبو نعيم عن العرباض بن سارية .
(١٩) رواه الترمذى عن أنس .

٢٠ – « إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ عَبْدِى فَصَبَرَ واحْتَسَبَ لَمْ أَرَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الجَنَّةِ » .

ش : تقدم شرح الحديث وعبر هنا فى الحديث الأول بالكريمة بالإفراد وفى الثانى بالتثنية – كريمتى – وفى الثالث كذلك ، الكريمة العين – وعبر عنها بذلك لأنها أكرم الأعضاء وأنفعها للانسان ، وقوله ضنين أى بخيل . ففيه حث على الصبر إذا بلى الإنسان بمصائب الدنيا لأن كل شىء بحسبه من الأجر والثواب .

٢١ – « إِذَا هَمَّ عَبْدِى بِحَسَنَة وَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَشْرَ حَسَنَات إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةِ وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْه فَإِنْ عَمِلها كَتَبْتُهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً » .

٢٢ – « إِذَا هَمَّ عَبْدِى بِسَيِّئَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ سَيِّئَةً فَإِنْ تَابَ مِنْهَا فَامْحُوهَا عَنْهُ . وَإِذَا هَمَّ عَبْدِى بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْف » .

---

(٢٠) رواه البخارى عن أنس وأحمد عن أبى أمامة .

(٢١) رواه الشيخان والترمذى وابن حبان عن أبى هريرة .

(٢٢) رواه ابن حبان عن أبى الدرداء .

٢٣ – « إِذَا هَمَّ عَبْدِى بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً ، وإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً فَإِذَا عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْراً » .

ش: الهم ترجيح قصد الفعل ، تقول هممت بكذا أى قصدته بهمتى وهو فوق مجرد خطور الشىء بالقلب ، قال ابن فارس: الهم ما هممت به. وهممت بالشىء هماً من باب قتل إذا أردته ولم تفعله ، ووقع لمسلم – فى رواية همام عن أبى هريرة بلفظ « إذا تحدث » وهو محمول على حديث النفس لتوافق الروايات الأخرى ، قال الحافظ ابن حجر : ولكن ليس قيداً فى كتابة الحسنة بل بمجرد الإرادة تكتب الحسنة ، نعم ورد مايدل على أن مطلق الهم والإرادة لا يكفى فعند أحمد وصححه ابن حبان والحاكم من حديث خريم بن فاتك رفعه « ومن هم بحسنة يعلم الله أنه قد أشعر بها قلبه وحرص عليها » وقد تمسك به ابن حبان فقال بعد إيراد حديث الباب فى صحيحه: المراد بالهم هنا العزم، ثم قال : ويحتمل أن الله يكتب الحسنة بمجرد الهم بها وإن لم يعزم عليها زيادة فى الفضل . وقوله : « ولم يعملها» يتناول نفى عمل الجوارح وأما عمل القلب فيحتمل نفيه أيضاً إن كانت الحسنة تكتب بمجرد الهم كما فى معظم الأحاديث لا إن قيدت بالتصميم كما فى حديث خريم ، ويؤيد الأول حديث أبى ذر عند مسلم « إن الكف عن الشر صدقة » وقوله فى الحديث الأول « كتبتها له حسنة » أى لمن هم بالحسنة ولم يعملها ، وفى رواية البخارى حسنة كاملة ، ومعنى قوله « كتبتها » أمر الملائكة الحفظة بكتابتها بدليل ما فى الحديث الثانى والثالث وما فى رواية البخارى عن أبى هريرة فى كتاب التوحيد بلفظ « إذا

---

(٢٣) رواه الشيخان عن أبى الدرداء .

أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها » وفيه دليل على أن الملك يطلع على ما فى قلب الآدمى إما باطلاع الله إياه أو بأن يخلق له علماً يدرك به ذلك ، ويؤيد الأول ما أخرجه ابن أبى الدنيا عن أبى عمران الجونى « قال ينادى الملك اكتب لفلان كذا وكذا فيقول يا رب إنه لم يعمله فيقول إنه نواه » وقيل بل يجد الملك للهم بالسيئة رائحة خبيثة وبالحسنة رائحة طيبة ، وأخرج ذلك الطبرى عن ابن معشر المدنى ، وجاء مثله عن سفيان بن عيينة ، ورأيت فى شرح مغلطاى أنه ورد مرفوعاً ، قال الطوفى : إنما كتبت الحسنة بمجرد الإرادة لأن إرادة الخير من عمل القلب ، واستشكل بأنه إذا كان كذلك فكيف لاتتضاعف لعموم قوله تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ وأجيب بحمل الآية على عمل الجوارح والحديث على الهم المجرد ، واستشكل أيضاً بأن عمل القلب إذا اعتبر فى حصول الحسنة فكيف لم يعتبر فى حصول السيئة ، وأجيب بأن ترك السيئة التى وقع الهم بها يكفرها لأنه قد نسخ قصده السيئة وخالف هواه ، ثم إن ظاهر الحديث حصول الحسنة بمجرد الترك سواء كان ذلك لمانع أم لا ، ويتجه أن يقال : يتفاوت عظم الحسنة بحسب المانع ، فإن كان خارجياً مع بقاء قصد الذى هم بفعل الحسنة فهى عظيمة القدر ، ولا سيما إن قارنها ندم على تفويتها واستمرت النية على فعلها عند القدرة ، وإن كان الترك من الذى هم من قبل نفسه فهى دون ذلك إلا إن قارنها قصد الإعراض عنها جملة والرغبة عن فعلها ولا سيما إن وقع العمل فى عكسها كأن يريد أن يتصدق بدرهم مثلا فصرفه بعينه فى معصية فالذى يظهر فى الأخير أن لا تكتب له حسنة أصلا ، وأما ما قبله فعلى الاحتمال ، أفاده الحافظ ابن حجر فى فتحه .

والضعف فى اللغة المثل وضعفاه مثلاه وأضعافه أمثاله ، قال الخليل : التضعيف أن يزاد على أصل الشىء فيجعل مثليه وأكثر ، وكذلك الإضعاف

والمضاعفة ، وقال الأزهرى : الضعف فى كلام العرب المثل ، هذا هو الأصل ثم استعمل الضعف فى المثل وما زاد وليس للزيادة حد .

قال الحافظ : والتحقيق أنه اسم يقع على العدد بشرط أن يكون معه عدد آخر فإذا قيل ضعف العشرة فهم أن المراد عشرون ومن ذلك لو أقر بأن له عندى ضعف درهم لزمه درهمان أو ضعفى درهم لزمه ثلاثة .

وقوله : « وإذا هم بسيئة » إلخ ظاهره إطلاق كتابة الحسنة بمجرد الترك وقد جاء مقيداً فى صحيح البخارى من حديث الأعرج عن أبى هريرة ولفظه « إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها وإن تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة » ؛ ونقل القاضى عياض عن بعض العلماء أنه حمل حديث ابن عباس على عمومه ثم صوب حمل مطلقه على ما قيد فى حديث أبى هريرة ، قال الحافظ ابن حجر قلت : ويحتمل أن تكون حسنة من ترك بغير استحضار ما قيد به دون حسنة الآخر لما تقدم أن ترك المعصية كف عن الشر والكف عن الشر خير ، ويحتمل أيضاً أن يكتب لمن هم بالمعصية ثم تركها حسنة مجردة فإن تركها من مخافة ربه سبحانه كتبت حسنة مضاعفة . وقال الخطابى : محل كتابة الحسنة على الترك أن يكون التارك قد قدر على الفعل ثم تركه لأن الإنسان لا يسمى تاركاً إلا مع القدرة ، ويدخل فيه من حال بينه وبين حرصه على الفعل مانع كأن يمشى إلى امرأة ليزنى بها مثلا فيجد الباب مغلقاً ويتعسر فتحه ومثله من تمكن من الزنا مثلا فلم ينتشر أو طرقه ما يخاف من أذاه عاجلا ، ووقع فى حديث أبى كبشة الأنمارى ما قد يعارض ظاهر حديث الباب وهو ما أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى وصححه بلفظ « إنما الدنيا لأربعة » فذكر الحديث وفيه « وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علماً فهو يعمل فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه

ولا يصل فيه رحمه ولا يرى لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنـــازل ، ورجل لم يرزقه الله مالا ولا علماً فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهما فى الوزر سواء » فقيل: الجمع بين الحديثين بالتنزيل على حالتين فتحمل الحالة الأولى على من هم بالمعصية هماً مجرداً من غير تصميم والحالة الثانية على من صمم على ذلك وأصر عليه ، وهو موافق لما ذهب إليه الباقلانى وغيره ، قال المازرى : ذهب ابن الباقلانى — يعنى ومن تبعه — إلى أن من عزم على المعصية بقلبه ووطن عليها نفسه أنه يأثم ، وحمل الأحاديث الواردة فى العفو عمن هم بسيئة ولم يعملها على الخاطر الذى يمر بالقلب ولا يستقر . قال المازرى ، وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ونقل ذلك عن نص الشافعى ويؤيده قوله فى حديث أبى هريرة فيما أخرجه مسلم من طريق همام عنه بلفظ « فأنا أغفرها له ما لم يعملها » فإن الظاهر أن المراد بالعمل هنا عمل الجارحة بالمعصية المهموم به ، وتعقبه عياض بأن عامة السلف وأهل العلم على ما قال ابن الباقلانى لاتفاقهم على المؤاخذة بأعمال القلوب لكنهم قالوا أن العزم على السيئة يكتب سيئة مجردة لا السيئة التى هم أن يعملها كمن يأمر بتحصيل معصية ثم لا يفعلها بعد حصولها فإنه يأثم بالأمر المذكور لا بالمعصية ، ومما يدل على ذلك حديث « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار ، قيل هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » والذى يظهر أنه من هذا الجنس وهو أنه يعاقب على عزمه بمقدار ما يستحقه ولا يعاقب عقاب من باشر القتل حساً ، وهنا قسم آخر وهو أن من فعل المعصية ولم يتب منها ثم هم أن يعود إليها فإنه يعاقب على الإصرار كما جزم به ابن المبارك وغيره فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ولم يصروا على مافعلوا ﴾ ويؤيده أن الإصرار معصية اتفاقاً ، فمن عزم على المعصية وصمم عليها كتبت عليه سيئة فإذا عملها كتبت عليه معصية ثانية ، قال النووى : وهذا ظاهر حسن لا مزيد عليه وقد

تظاهرت نصوص الشريعة بالمؤاخذة على عزم القلب المستقر كقوله تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة ﴾ الآية ، وقوله ﴿ اجتنبوا كثيراً من الظن ﴾ وغير ذلك .

وقال ابن الجوزى : إذا حدث نفسه بالمعصية لم يؤاخذ فإن عزم وصمم زاد على حديث النفس وهو من عمل القلب . قال : والدليل على التفريق بين الهم والعزم أن من كان فى الصلاة فوقع فى خاطره أن يقطعها لم تنقطع فإن صمم على قطعها بطلت ، وأجيب عن القول الأول بأن المؤاخذة على أعمال القلوب المستقلة بالمعصية لا تستلزم المؤاخذة على عمل القلب بقصد معصية الجارحة إذا لم يعمل المقصود للفرق بين ما هو بالقصد وما هو بالوسيلة ، وقسم بعضهم ما يقع فى النفس أقساماً يظهر منها الجواب عن الثانى أضعفها أن يخطر له ثم يذهب فى الحال ، وهذا من الوسوسة وهى معفو عنها وهو دون التردد . وفوقه أن يتردد فيه فيهم به ثم ينفر عنه فيتركه ثم يهم به ثم يترك كذلك ولا يستمر على قصده وهذا هو التردد فيعفى عنه أيضاً ، وفوقه أن يميل إليه ولا ينفر عنه لكن بل لا يصمم على فعله وهذا هو الهم فيعفى عنه أيضاً ، وفوقه أن يميل إليه ولا ينفر عنه بل يصمم فهذا هو العزم وهو منتهى الهم وهو على قسمين : القسم الأول أن يكون من أعمال القلوب صرفاً كالشك فى الوحدانية أو النبوة أو البعث فهذا كفر ويعاقب عليه جزماً ودونه المعصية التى لا تصل إلى الكفر كمن يحب ما يبغض الله ويبغض ما يحبه الله ، ويحب للمسلم الأذى بغير موجب لذلك فهذا يأثم ويلتحق به الكبر والعجب والبغى والمكر والحسد ، وفى بعض هذا خلاف . فعن الحسن البصرى أن سوء الظن بالمسلم وحسده معفو عنه وحملوه على ما يقع فى النفس مما لا يقدر على دفعه لكن من يقع له ذلك مأمور بمجاهدة النفس على تركه . والقسم الثانى : أن يكون من أعمال الجوارح كالزنا والسرقة فهو الذى وقع فيه النزاع فذهبت طائفة إلى عدم المؤاخذة

بذلك أصلا ، ونقل عن نص الشافعي ويؤيده ما وقع فى حديث خريم بن فاتك المنبه عليه قبل فإنه حيث ذكر الهم بالحسنة قال علم الله أنه أشعرها قلبه وحرص عليها، وحيث ذكر الهم بالسيئة لم يقيد بشيء بل قال فيه ومن هم بسيئة لم تكتب عليه والمقام مقام الفضل فلا يليق التحجير فيه ، وذهب كثير من العلماء إلى المؤاخذة بالعزم المصمم ، وسأل ابن المبارك سفيان الثورى: أيؤاخذ العبد بما يهم به ؟ قال إذا جزم بذلك ، واستدل كثير منهم بقوله تعالى : ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ وحملوا حديث أبى هريرة الصحيح المرفوع « إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم » على الخطرات كما تقدم .

ثم افترق هؤلاء فقالت طائفة : يعاقب عليه صاحبه فى الدنيا خاصة بنحو الهم والغم . وقالت طائفة بل يعاقب عليه يوم القيامة لكن بالعتاب لا بالعذاب وهذا قول ابن جريج والربيع بن أنس وطائفة ونسب ذلك إلى ابن عباس أيضاً واستدلوا بحديث النجوى الماضى شرحه فى باب ستر المؤمن على نفسه من كتاب الأدب واستثنى جماعة ممن ذهب إلى عدم مؤاخذة من وقع منه الهم بالمعصية ما يقع فى الحرم المكى ولو لم يصمم لقوله تعالى : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ ذكره السدى فى تفسيره عن مرة عن ابن مسعود ، وأخرجه أحمد من طريقه مرفوعاً ومنهم من رجحه موقوفاً ويؤيد ذلك أن الحرم يجب اعتقاد تعظيمه فمن هم بالمعصية فيه خالف الواجب بانتهاك حرمته. وتعقب هذا البحث بأن تعظيم الله آكد من تعظيم الحرم ومع ذلك فمن هم بمعصيته لا يؤاخذه فكيف يؤاخذه بما دونه ، ويمكن أن يجاب عن هذا بأن انتهاك حرمة الحرم بالمعصية تستلزم انتهاك حرمة الله لأن تعظيم الحرم من تعظيم الله فصارت المعصية فى الحرم أشد من المعصية فى غيره وإن اشترك الجميع فى ترك تعظيم الله تعالى . نعم من هم بالمعصية قاصداً الاستخفاف بالحرم عصى ومن هم بمعصية الله قاصداً الاستخفاف بالله كفر ، وإنما المعفو عنه من هم

بمعصية ذاهلا عن قصد الاستخفاف وهذا تفصيل جيد ينبغى أن يستحضر عند شرح حديث « لا يزنى الزانى وهو مؤمن » *

وقال السبكى : الكبير الهاجس لا يؤاخذ به إجماعاً والخاطر وهو جريان ذلك الهاجس وحديث النفس لا يؤاخذ بهما للحديث المشار إليه . والهم — وهو قصد فعل المعصية مع التردد — لا يؤاخذ به لحديث الباب ، والعزم وهو قوة ذلك القصد أو الجزم به ورفع التردد ، قال المحققون يؤاخذ به وقال بعضهم لا ؛ واحتج بقول أهل اللغة : هم بالشىء عزم عليه ؛ وهذا لا يكفى. قال ومن أدلة الأول حديث « إذا التقى المسلمان بسيفيهما » الحديث ، وفيه « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » فعلل بالحرص واحتج بعضهم بأعمال القلوب ولا حجة معه لأنها على قسمين أحدهما لا يتعلق بفعل خارجى وليس البحث فيه ، والثانى يتعلق بالملتقيين عزم كل منهما على قتل صاحبه واقترن بعزمه فعل بعض ما عزم عليه وهو شهر السلاح إشارته به إلى الآخر فهذا الفعل يؤاخذ به سواء حصل القتل أم لا انتهى ، ولا يلزم من قوله : « فالقاتل والمقتول فى النار » أن يكونا فى درجة واحدة من العذاب بالاتفاق . والله أعلم .

٢٤ — « إِذَا اشْتَكَى عَبْدِى فَأَظْهَرَ المَرَضَ مِنْ قَبْلِ ثَلَاث فَقَدْ شَكَانِى » .

شً : الشكوى والشَكاة والشكاية المرض ، والمعنى إذا مرض العبد فأظهر مرضه وأخبر به من يراه أو يزوره قبل ثلاثة أيام فقد شكى مولاه الرحيم إلى عبده الضعيف وأخبر بما يقاسيه من ألم المرض الذى أوجده فيه ربه وخالقه وليس هذا حال المؤمن القوى الإيمان بل حال ضعفاء القلوب. اللهم اجعلنا من عبادك الصابرين فى الضراء والسراء .

---

(٢٤) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى الدرداء .

٢٥ – « أَرْبَعُ خِصَال وَاحِدَةٌ فِيمَا بَيْنِى وبَيْنَكَ وَوَاحِدَةٌ فِيمَا بَيْنَكَ وَبيْنَ عِبَادِى وَوَاحِدَةٌ لِى وَوَاحِدَةٌ لَكَ فَأَمَّا الَّتِى لِى فَتَعْبُدُنِى لَا تُشْرِكُ بِى شَيْئًا وَأَمَّا الَّتِى لَكَ فَمَا عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ جَزَيْتُكَ بِهِ وأَمَّا الَّتِى بَيْنِى وَبَيْنَكَ فَمِنْكَ الدُّعَاءُ وَعَلَىَّ الإِجَابَةُ وأَمَّا الَّتِى بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِبَادِى تَرْضَى لَهُمْ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ » .

ش : فى الحديث أربع خصال الخصلة الأولى تختص بالله جل ذكره أعنى العبادة وهى فى اللغة من الذلة يقال طريق معبد وبعير معبد أى مذلل ، وفى الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف ، قال الراغب الأصفهانى فى مفرداته : العبودية إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى، ولهذا قال : ﴿ أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ ، والعبادة ضربان عبادة بالتسخير وهى الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة وأنها خلق فاعل حكيم وتكون للانسان والحيوانات والنبات ، وعبادة بالاختيار وهى لذوى النطق وهى المأمور بها فى نحو قوله تعالى ﴿ اعبدوا ربكم ﴾ ﴿ واعبدوا الله ﴾ اهـ. ولا يجوز فعلها شرعاً ولا عقلا إلا لله تعالى لأنه المستحق لكونه مولياً لأعظم النعم من الحياة والوجود وتوابعهما لذلك يحرم السجود لغيره سبحانه وتعالى لأن وضع أشرف الأعضاء على أهون الأشياء وهو التراب ومواطئ الأقدام والنعال غاية الخضوع ، وقيل

---

(٢٥) رواه أبو نعيم عن أنس .

لا تستعمل إلا فى الخضوع له سبحانه ، وما ورد من نحو قوله تعالى ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله ﴾ وارد على زعمهم تعريضاً لهم ونداء على غباوتهم ، وتستعمل بمعنى الطاعة ومنه ﴿ أن لا تعبدوا الشيطان ﴾ وبمعنى الدعاء ومنه ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتى ﴾ وبمعنى التوحيد ومنه ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وكلها متقاربة المعنى .

والخصلة الثانية هى مختصة بالعبد وهى استحقاق الأجر وجزاؤه على عمله الصالح يعنى أن الله سبحانه وتعالى يجزى العبد على ما عمل من الخير وأما ما عمل من الشر فأمره موكول إلى ربه وموجده إن شاء حاسبه عليه وعاقبه وإن شاء غفر له وسامحه . سبحانك يا رب ما أحلمك وأرأفك بعبدك المذنب .

والخصلة الثالثة مشتركة بين الله تنزهت صفاته وبين العبد الضعيف وهو أن العبد إذا دعا الله سبحانه وتعالى فى السر والعلن استجاب له ولباه ، وقد ورد فى الدعاء وفضله آثار كثيرة نأتى بنبذة منها ، روى أصحاب السنن الأربع وأخرجه ابن حبان فى صحيحه . وابن أبى شيبة فى مصنفه من حديث النعمان ابن بشير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدعاء هو العبادة » ثم تلا قوله تعالى ﴿ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى ﴾ الآية . وأخرج الترمذى من حديث أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة » وأخرج الترمذى وابن حبان وصححه من حديث سلمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر » ، وأخرج الحاكم فى المستدرك والبزار عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن

البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة » ، ومعنى يعتلجان يتصارعان ويتدافعان ، وأخرج الترمذي وابن حبان من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » وأخرج ابن حبان فى صحيحه من حديث أنس رضى الله عنه « لا تعجزوا من الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد » وأخرج الحاكم فى المستدرك وصححه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه « الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض » والإجابة مشروطة بأن لا يكون فى الدعاء دعوة فيها إثم أو قطيعة رحم ، روى أحمد فى مسنده والبزار وأبو يعلى — قال المنذرى بأسانيد جيدة — وأخرجه أيضاً الحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبى سعيد الخدرى « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له فى الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها — زاد فى المشكاة — قالوا : إذاً نكثر. قال الله أكثر » أى فضله. رواه أحمد ، وأخرج الترمذى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » ، وأخرج أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين من حديث سلمان ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله حيي كريم يستحى إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبين » وفى قوله تعالى : ﴿ ادعونى أستجب لكم ﴾ وما تقدم من الأحاديث دليل على أن دعاء المسلم لا يهمل بل يعطى ما سأله إما معجلا وإما مؤجلا بفضل الله عز وجل .

الخصلة الرابعة مشتركة بين العبد وبين إخوانه الآدميين وهى أن يرضى لأخيه من الخير والطاعات ما يرضى أن يكون مثله له ، ومقابله أن يكره لأخيه من الشر ما يكره لنفسه أن تلقاه ، وهذا معنى ما رواه البخارى ومسلم

عن أبي حمزة أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » قال الإمام محيي الدين النووي رحمه الله تعالى : الأولى أن يحمل ذلك على عموم الأخوة حتى يشمل الكافر والمسلم فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله فى الإسلام كما يحب لأخيه المسلم دوامه على الإسلام ، ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مستحباً ، والحديث محمول على نفى الإيمان الكامل عمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، والمراد بالمحبة إرادة الخير والمنفعة ، ثم المراد المحبة الدينية لا المحبة البشرية ، فإن الطباع البشرية قد تكره حصول الخير وتمييز غيرها عليها والإنسان يجب عليه أن يخالف الطباع البشرية ويدعو لأخيه ويتمنى له ما يحب لنفسه ، والشخص متى لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه كان حسوداً ، فعلى الإنسان أن يعالج نفسه ويحملها على الرضا بالقضاء ويخالفها بالدعاء لعدوه بما يخالف النفس .

وقال أبو الزناد : ظاهر هذا الحديث التساوى وحقيقته التفضيل لأن الإنسان يحب أن يكون أفضل الناس فإذا أحب لأخيه مثله فقد دخل هو فى جملة المفضولين ، ألا ترى أن الإنسان يحب أن ينتصف من حقه ومظلمته فإن أكمل إيمانه وكان لأخيه عنده مظلمة أو حق بادر إلى إنصافه من نفسه وإن كان عليه فيه مشقة ، قال المدنى فى هذا الحديث ؛ أخرجه أبو يعلى الموصلى وأبو نعيم عن أنس وضعف .

٢٦ – « اذْكُرُونِى بِطَاعَتِى أَذْكُرْكُمْ بِمَغْفِرَتِى فَمَنْ ذَكَرَنِى وَهُوَ مُطِيعٌ فَحَقٌّ عَلَىَّ أَنْ أَذْكُرَهُ وَهُوَ مِنِّى بِمَغْفِرَتِى وَمَنْ ذَكَرَنِى وَهُوَ لِى عَاصٍ فَحَقٌّ عَلَىَّ أَنْ أَذْكُرَهُ وَهُوَ لِى بِمَقْتٍ » .

---

(٢٦) رواه الديلمى وابن عساكر عن أبى هند الرازى .

ش : أمر الله تعالى عبيده بأن يذكروه وهم متلبسون بالطاعة ليكون الذكر مقبولا يثاب عليه ويدخر لديه ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ ثم فصل ذلك فى الحديث بأن العبد إذا ذكر خالقه وهو مطيع فحق على الرب تباركت أسماؤه أن يذكره وهو من حزب أولياء الله تعالى وذاكريه بالمغفرة بحيث إذا بدرت منه بادرة أو وقع فى هفوة يغفرها له ويسامحه ، وإذا ذكره العبد وهو عاص فحق على الله جل ذكره أن يذكره وهو — مملوك لله عبده — بمقت ، والمقت فى الأصل أشد البغض ، وهذه من الصفات التى سبق الكلام فيها فى حديث « إذا تقرب » إلخ ص ١٤ فارجع إليه.

٢٧ — اشْتَدَّ غَضَبِى عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ لَهُ نَاصِراً غَيْرِى » .

ش : الغضب صفة من صفات الله جل ذكره التى ليس كمثلها شىء وفيها ما تقدم بين السلف والخلف ، وهو فى وصف المخلوق به ثوران دم القلب إرادة الانتقام ، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد فى قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه » ، وقد قسم فى جانب المخلوق إلى محمود ومذموم ، فالأول ما كان فى جانب الدين والحق ، والثانى ما كان فى خلافه ، والظلم وضع الشىء فى غير موضعه المختص به إما بنقصان أو زيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه ، وهو قبيح عند جميع الملل وعاقبته وخيمة ، وقد ورد فى ذم من اتصف به آيات كثيرة وآثار يكل القلم عن إحصائها ، وهو يتفاوت ضعفاً وقوة ، ولا شك أن ظلم

---

(٢٧) رواه الطبرانى فى الكبير والقضاعى عن على .

من لا يجد أنصاراً أمثاله يغيثونه من مظلمته وينصرونه من ظالمه أقل ممن ظلم من لا يجد ناصراً يأخذ بيده ويمنعه من ظلمه إلا رب الأرباب من يجيب دعوة المظلوم من غير حجاب ، فظلم من هذا حاله أشد جرماً وأكبر إثماً من حاله من ظلم من له حمية أو شوكة أو ملجأ ، والله أعلم .

٢٨ ـ اطْلُبُوا الخَيْرَ عِنْدَ الرُّحَمَاءِ مِنْ أُمَّتِي تَعِيشُوا فِي أَكْنَافِهِم فَإِنَّ فِيهِمْ رَحْمَتِي ، وَلَا تَطْلُبُوه مِنَ القَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ فَإِنَّ فِيهِمْ سَخَطِي » .

ش : الرحماء جمع رحيم وهو مبالغة راحم ، والأكناف جمع كنف بالتحريك الجانب والناحية ، وهذا ترغيب في أن يكون الإنسان رحيماً فيكون له حمى وظل وجانب يلجأ إليه البشر ويحتمون فيه لأن الله سبحانه وتعالى وضع رحمته فيه ، وفيه ذم للقاسية قلوبهم المنزوع منهم الرحمة ، والحال فيهم سخط الله وعقابه ، والمعنى اطلبوا الخير عند الرحماء الرقيقة قلوبهم السهلة عريكتهم فإنكم إن فعلتم ذلك تعشتم في أكنافهم لأن فيهم رحمة الله تعالى وكرمه وجوده ، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم الغليظة أفئدتهم فإنكم لا تنجحوا ولا تحظوا ببغيتكم لأن الله جل ذكره وضع فيهم سخطه وكراهته وشدة غضبه . اللهم اجعلنا من الرحماء الذين يعيشون تحت كنفك وظلك .

٢٩ ـ أَعْدَدْتُ لعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ على قلب بَشَرٍ . »

---

(٢٨) رواه القضاعي عن أبي سعيد .

(٢٩) رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة . والطبراني في الأوسط عن أنس وابن جرير عن أبي سعيد وعن قتادة مرسلا .

ش : أعددت هيأت لعبادى الصالحين شيئاً لم تر العيون مثله ولا سمعت الآذان به ولا خطر على قلب أحد من البشر ، ولا شك أن نعيم الجنة وتحفها شيء لا يمكن للانسان أن يصفه لأنه باق لا يلحقه التغيير والانحلال ولا العطب والاضمحلال ، بخلاف ملذات الدنيا ونعيمها فإنها سريعة الفناء قليل الانتفاع بها ، قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : سبب هذا الحديث أن موسى عليه السلام سأل ربه : من أعظم أهل الجنة منزلة؟ قال : غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » أخرجه مسلم والترمذى من طريق الشعبى : سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « أن موسى سأل ربه » فذكر الحديث بطوله .

٣٠ — « افْتَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ وَعَهِدْتُ عِنْدِى عَهْداً أَنَّهُ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ لِوَقْتِهِنَّ أَدْخَلْتُهُ الجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ فَلَا عَهْدَ لَهُ عِنْدِى » .

ش : العهد الموثق ووضعه لما من شأنه أن يراعى ويتعهد كالقول والقرار واليمين والوصية والضمان والحفظ والزمان والأمر ، يقال : عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره ، ويقال للنار من حيث أنها تراعى بالرجوع إليها ، وللتاريخ لأنه يحفظ ، وقوله : « ومن لم يحافظ عليهن » أى على الصلوات الخمس بأن ضيعها كلها أو بعضها وذلك يصدق على من أخر صلاة واحدة عن وقتها المضروب لها فلا عهد له عند الله فى دخول الجنة ، قال السندى فى تعليقه على سنن ابن ماجه : بل أمره مفوض إلى الله فى تعذيبه أو إدخاله الجنة ، وفى الزوائد : فى إسناده نظر من أجل ضبارة ورويد ، اهـ .

---

(٣٠) رواه ابن ماجة وأبو نعيم عن قتادة .

٣١ — « أَعْدَدْتُ لِعِبَادِى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتَ ولَا أُذُنٌ سَمِعْت وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » .

ش : تقدم شرح مثله قريباً .

٣٢ — « إِنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ضَعُفَتْ عَنْ أَنْ تَسَعَنِى وَوَسعَنِى قَلْبُ المُؤْمِنِ »

ش : هذا إشارة إلى أن المؤمن أفضل من السموات والأرض لأن قلبه أوسع منهما وفيه ما تقدم، والخلاف فى ذلك بين السلف والخلف فعلى الإنسان أن يؤمن بذلك ويسلم .

٣٣ — « إِنَّ الَّذِى قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِى وَآمَنَ بِذَلِكَ النَّجْمِ وإِنَّ الَّذِى يَقُولُ إِنَّ اللهَ سَقَانَا فَقَدْ آمَنَ بِى وَكَفَرَ بِذَلِكَ النَّجْمِ »

ش : النوء النجم إذا مال للمغيب والجمع أنواء ونوآن — بضم الأول — حكاه ابن جنى مثل عبد وعبدان وبطن وبطنان . قال حسان بن ثابت شاعر الإسلام رضى الله عنه :

---

(٣١) رواه ابن جرير عن أنس بلاغاً .

(٣٢) رواه أحمد عن وهب بن منبه .

(٣٣) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أنس ابن مسعود .

ويثرب تعلم أنا بهـــــا　　إذا قحط الغيث نوآنهـــا

وقيل : معنى النوء سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه وهو نجم آخر يقابله من ساعته فى المشرق فى كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة ماخلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوماً فتنقضى جميعها مع انقضاء السنة ، وإنما سمى نوءاً لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع — أى نهض وطلع — وذلك الطلوع هو النوء ، وبعضهم يجعل النوء السقوط كأنه من الأضداد . قال أبو عبيد : ولم يسمع فى النوء أنه السقوط إلا فى هذا الموضع . وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها ، وقال الأصمعى إلى الطالع منها فى سلطانه فتقول مطرنا بنوء كذا .

قال أبو عبيد : الأنواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع فى أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف يسقط منها فى كل ثلاث عشرة ليلة نجم فى المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله فى المشرق من ساعته ، وكلاهما معلوم مسمى وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة وكانت العرب فى الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا : لابد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم فيقولون : مطرنا بنوء الثريا والدبران والسماك .اهـ .

قال شمر : هذه الثمانية والعشرون التى أراد أبو عبيد هى منازل القمر وهى معروفة عند العرب وغيرهم من الفرس والروم والهند ، لم يختلفوا فى أنها ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة فى منزلة منها . ومنه قوله تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل ﴾ قال : وقد رأيتها بالهندية والرومية والفارسية

مترجمة ، قال : وهى بالعربية فيما أخبرنى به ابن الأعرابى : السرطان . والبطين ، والنجم ، والدبران . والهقعة . والهنعة . والذراع . والنثرة . والطرف ، والجبهة . والخراتان . والصرفة . والعواء . والسماك . والغفر . والزبانى . والإكليل . والقلب . والشولة . والنعائم . والبلدة . وسعد الذابح . وسعد بلع . وسعد السعود . وسعد الأخبية ، وفرغ الدلو المقدم ، وفرغ الدلو المؤخر . والحوت ، قال : ولا تستنىء العرب بها كلها إنما تذكر بالأنواء بعضها وهى معروفة فى أشعارهم وكلامهم .

وإنما غلظ الشرع فى ذلك لأن العرب كانت تزعم أن ذلك المطر الذى جاء بسقوط نجم هو فعل النجم ، وكانت تنسب المطر إليها ولا يجعلونه سقياً من الله وإن وافق سقوط ذلك النجم المطر يجعلون النجم هى الفاعلة .

قال أبو إسحق : وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ولم يرد ذلك المعنى ومراده إنا مطرنا فى هذا الوقت ولم يقصد إلى فعل النجم فذلك — والله أعلم — جائز كما جاء عن عمر رضى الله عنه أنه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس : كم بقى من نوء الثريا ؟ فقال : إن العلماء يزعمون أنها تعترض فى الأفق سبعاً بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس ، فإنما أراد عمر رضى الله تعالى عنه كم بقى من الوقت الذى جرت به العادة أنه إذا تم أتى الله بالمطر ؟ والصحيح أنه لا يجوز نسبة ذلك إلى النجم ولو على طريق المجاز فقد صرح ابن مفلح فى الفروع بأنه يحرم قول مطرنا بنوء كذا وجزم فى الإنصاف بتحريمه ولو على طريق المجاز ولم يذكر خلافاً ، قال فى فتح المجيد : وذلك أن القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله تعالى الذى لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شىء فيكون ذلك شركاً أصغر والله أعلم .

٣٤ – « إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِى إِلَىَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا » .

ش : فيه استحباب تعجيل الفطر للصائم رمضان كان أو غيره، وورد فى ذلك أحاديث ، منها ما رواه سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » أخرجه الشيخان فى صحيحيهما وغيرهما، وعن أبى ذر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لاتزال أمتى بخير ما أخروا السحور وعجلوا الفطر » أخرجه أحمد ، وجاء فى سنن أبى داود ما يبين حكمة ذلك فقد روى بسنده عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون » ، ففى هذا إشارة إلى أن هذا الفعل دخل فيه التحريف من أهل الكتاب فبمخالفتهم ورد تحريفهم قيام الملة ، والله أعلم .

٣٥ – « إِنَّ أَوْلِيَائِى مِنْ عِبَادِى وَأَحِبَّائِى مِنْ خَلْقِى الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِى وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ » .

ش : هذا ترغيب فى ذكر الله تعالى وبيان منزلة أولياء الله تعالى وأحبابه أسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم ، ومعنى – والله أعلم – الذين يذكرون بذكرى إن الناس إذا رأوا من كان مستقيماً فى عمله مواظباً على صلواته وصيامه مقبلا على مرضاة ربه ذكروا الله تعالى وقالوا لا إله إلا الله سبحان القادر جل الخالق عز الموفق ، وإذا ذكر الناس الله ذكروهم لمحاسن أوصافهم وجمال صفاتهم وحسن سيرتهم .

---

(٣٤) رواه أحمد والترمذى عن أبى هريرة .

(٣٥) رواه الطبرانى فى الكبير والحكيم وأبو نعيم عن عمرو بن الجموح .

٣٦ - « إِنَّ بُيُوتِي فِى الْأَرْضِ الْمَسَاجِدُ وَإِنَّ زُوَّارِى فِيهَا عُمَّارُهَا » .

ش : البيوت الأماكن التى يصطفيها المولى جل ذكره لتنزلات رحمته وصعود وهبوط ملائكته فى الأرض ، والمساجد جمع مسجد وهو بيت الصلاة ، وإن زوار الله - تنزهت ذاته وتباركت أسماؤه - فى هذه البيوت عمارها الذين يقيمون فيها الصلوات ويحيون فيها السنن ويميتون البدع ويذكرون الله تعالى ويتدارسون العلم أولئك الزوار حقاً .

٣٧ - « إن عَبْداً أَصْحَحْتُ لَهُ بَدَنَهُ وَأَوْسَعْتُ عَلَيْهِ فِى الرِّزْقِ ثُمَّ لَمْ يَفِدْ إِلَىَّ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَعْوَامٍ لَمَحْرُومٌ » .

٣٨ - « إِنَّ عَبْداً أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ وَأَوْسَعْتُ عَلَيْهِ فِى مَعِيشَتِهِ فَمَضَى عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَام لَا يَفِدُ إِلَىَّ لَمَحْرُومٌ » .

ش : الوفد هم القوم يجتمعون ويردون البلاد ، وأحدهم وافد ، وكذلك الذين يقصدون الأمراء لزيارة واسترفاد وانتجاع وغير ذلك ، والمعنى -

---

(٣٦) رواه أبو نعيم عن أبى سعيد الخدرى .
(٣٧) رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو يعلى عن أبى الدرداء .
(٣٨) رواه ابن حبان وأبو يعلى عن سعيد وابن عدى وابن عساكر عن أبى هريرة .

والله أعلم – أن العبد إذا كان صحيح الجسم كثير الرزق فحق عليه أن يتذكر ذلك ويعلم أن هذا من مولاه تفضل منه وإحسان فيقوم ببعض حق الشكر له تبارك وتعالى للزيارة فى بيته – وهو الكعبة – ومن لم يفعل ذلك وتناءى وكسل فهو محروم من نعم الله جل ذكره وإحساناته ، ولا يخفى أن من كان هذا حاله لحقيق بالحرمان ، والله أعلم .

٣٩ – « إِنَّ عَبْدِىَ الْمُؤْمِنَ بِمَنْزِلَةِ كُلِّ خَيْرٍ يَحْمَدُنِى وَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ » .

ش : يعنى أن العبد المؤمن يحمد الله سبحانه وتعالى فى كل حال فى السراء والضراء فهو بمنزلة الخير لا يأتى إلا بنفع وفائدة ، ومع هذا فإن الله جل ذكره ينزع نفس عبده من بين جنبيه ، أى يقبض روحه إليه إذا حان أجله وهو صابر لأمر ربه مستسلم لقضائه، وهذا مثل للعبد الحقيق فإنه لا يرى من مولاه إلا كل خير ولا يفتر عن عبادته فى كل حال لأن حق المولى لا يقدر بزمن ولا عمل لا سيما أن الله جل ذكره الذى أوجد عبده من العدم وألبسه حلة ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾ وأسبغ نعمه عليه ظاهرة وباطنة اللهم وفقنا لطاعتك . وزاد المدنى فى كتابه الإتحافات السنية فى آخر الحديث : ورواه البيهقى فى شعب الإيمان .

٤٠ – « إِنَّ عَبْدِى كُلَّ عَبْدِى الَّذِى يَذْكُرُنِى وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْنَهُ » .

---

(٣٩) رواه أحمد عن أبى هريرة .

(٤٠) رواه الترمذى عن عماره بن دسكرة .

ش : القرن بكسر الأول وسكون ثانيه ــ الكفء والنظير فى الشجاعة والحرب، ويجمع على أقران ، والمعنى أن عبدى الحقيق ، الذى أخلص فى العبادة ولم يغفل عن ذكرى هو من ذكرنى فى ساحة القتال مع قرنه وخصمه لأن هذه الحالة تنسى الإنسان كل شىء حيث يريد أن يخلص من خصمه ويستنقذ روحه من براثن عدوه فهو فى هذه اللحظة إذا ذكر الله سبحانه وتعالى فإنه لا ينساه ولا يغفل عن ذكره فى غيرها فهو عبد يحق له أن يتصف بما فى الحديث من قوله : « إن عبدى كل عبدى » إلخ، والله أعلم، قال المدنى : أخرجه ابن سعد والترمذى وضعفه ، والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان .

٤١ ــ « إِنَّ لِعَبْدِى عَلَىَّ عَهْداً إِنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا أَنْ لَا أُعَذِّبَهُ وَأَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ » .

ش : العهد الموثق وتقدم تفسيره ص٣٥ ، وإقامة الصلاة لوقتها المحافظة عليها فى أوقاتها المشروعة ، وأل فى الصلاة للعهد وهى الصلاة الكاملة المستوفية للأركان والشروط والسنن والمستحبات ، ولا شك أن من أتى بها كذلك يكون عبداً مؤمناً حقاً فيجتنب المنهيات ويفعل المأمورات ويشغل نفسه فى طاعات ربه لأن الله تعالى يقول فى كتابه المنزل على رسوله المكرم ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ ومن كان هذا حاله فإنه حقيق أن لا يعذب بعذاب الله وأن يدخل الجنة بغير حساب، والله أعلم ، وهنا عزا المصنف الحديث إلى الحاكم وظاهره إلى كتابه المستدرك وليس كذلك بل ذكره فى تاريخه كما بينه المدنى فى كتابه .

---

(٤١) رواه الحاكم عن عائشة .

٤٢ - « إِنَّا أَنْزَلْنَا المَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَلَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَانٍ وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمَا ثَالِثٌ وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ »

ش : يعنى أن الله سبحانه وتعالى أنزل المال وأوجده وجعله بين يدى خلقه ليقيموا به شعائر الدين ويظهروا معالم الشرع من صلاة وزكاة وغيرهما لا أن يضعوا ما رزقهم الله من المال فى غير موضعه ويصرفوه فى الملاهى والملذات وفى غير طاعات الله وإحياء سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإن قوام العالم بإحياء قوانين دينهم وسلوك نهج كلياته وإبراز مفروضاته وسننه ومستحباته ، ففى ذلك سعادتهم دنيا وأخرى، ويكون وضع الشىء فى محله المشروع له ، وما تأخرت الأمم وانتشر الفساد فيها إلا بنبذ تعاليم الرسل والأنبياء وطرح ما أتوا به من المحاسن والمشروعات والأخذ بما تسوله لهم أنفسهم من السوء والفحشاء، والانقياد لما تزينه لهم شياطينهم من المعتقدات الباطلة والأعمال الفاسدة . فأرجو الله تعالى أن يوفق الأمم أجمع إلى الأخذ بدين الإسلام، دين العز والقوة والرحمة والرأفة والسلام والأمان والسهل الممكن لكل إنسان .

ولما كان الإنسان بطبعه ميالا إلى حب المال شرهاً طمعاً لا يشبع وليس له حد ينتهى إليه إلا ما كان من مادته، والجزء الأكبر فيه قال الله تعالى فى الحديث : لو كان لابن آدم واد — أى من ذهب أو فضة — لأحب أن يكون له ثان ولو كان له واديان لأحب » إلخ ، ولا يملأ جوفه إلا التراب لأنه منه خلق وإليه يعود ، والله أعلم .

---

(٤٢) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير عن أبى واقد الليثى .

٤٣ - « إِنَّكَ إِنْ ذَهَبْت تَدْعُو عَلَى آخَرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ ظَلَمَكَ وَإِنَّ آخر يَدْعُو عليْكَ إِنَّك ظَلَمْتَهُ فَإِنْ شِئْتَ اسْتَجَبْنَا لَكَ وَعَلَيْكَ وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُكُمَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ فَأُوسِعُكُمَا عَفْوِى » .

ش : فيه أن الله سبحانه وتعالى حليم ورءوف بعباده يحب تأخير الجزاء إلى الآخرة ولا يجازى عبده عقب ارتكابه الجرم ليشمله عفوه جل وعز يوم القيامة، ويثيب صاحب الحق بحسب مظلمته وتعدى الغير عليه ، وفيه أيضاً أن الله تبارك يستجيب للمظلوم ويحبس شكايته عنده ذخراً له فى وقت يكون أحوج ما يكون إليه ، سبحانك يا رب ما أحلمك بعبادك وأرأفك بهم .

٤٤ - « إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِى وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِى وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِى ،وَقَطَعَ نَهَارَهِ فِى ذِكْرِى وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ وَٱبْنَ السَّبِيلِ وَٱلْأَرْمَلَةَ وَرَحِمَ الْمُصَابَ ، ذَلِكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ أَكْلَؤُهُ بِعِزَّتِى وَأَسْتَحْفِظُهُ بِمَلَائِكَتِى أَجْعَلُ لَهُ فِى الظُّلْمَةِ نُوراً وَفِى الجَهَالَةِ حِلْماً وَمَثَلُهُ فِى خَلْقِى كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ فِى الجَنَّةِ » .

---

(٤٣) رواه الحاكم عن أنس .

(٤٤) رواه البزار عن ابن عباس .

ش : أعظم أعمال الدين بعد الإقرار بالشهادتين الصلاة ، ولذلك كانت صلة بين الرب والعبد، ولها فوائد كثيرة ومنافع عظيمة منها أنها تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، ومن نجده يصلى الصلوات الخمس ويواظب عليها وهو مقبل على شهوات نفسه مطيع لهواه ليس عليه سمات أهل الصلاح والتقوى نعلم أن صلاته غير مقبولة لأنها لم تستوف الشروط المعتبرة شرعاً حسية كانت أو معنوية بدليل ماذكر فى الحديث، وليست الشروط والأركان والمستحبات التى تذكر فى كتب الفقه كافية فى أن يكون المصلى ناجياً من عذاب الله يوم القيامة بل لابد من أشياء أخر تضاف إليها كما فى الحديث ، وقال الله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ فبين الله تعالى فى هذه الآيات أوصاف المؤمن الذى نجا وفاز من العقاب والعتاب، ومن لم يتصف بهذه الصفات فحاله حال خوف وخطر ، ولذلك قال الله فى الحديث : « إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى » أى إنما تقبل صلاة من تواضع بصلاته لله جل وعلا ولم يستطل على الناس ويحتقرهم ويترفع عليهم ، ولم يبت مصراً على معصية الله تعالى بل إذا فعل معصية ووقع فى جريمة فليبادر إلى الله بتوبة نصوح قبل أن يمضى عليها الوقت وتسجل فى كتاب الأعمال ، وكان غالب نهاره فى ذكر المولى تبارك وتعالى ، ورحم الفقير والمسكين وابن السبيل المسافر الغريب الذى ليس له أنيس ولا مأوى، ومن كانت أرملة خالية من الزوج وتعول نفسها، ورحم من كان أصيب بجائحة أو مرض أو فاقة ولم يجد ما يسد حاجته أو يدفع مصيبته ، فمن اتصف بهذه الأوصاف الحميدة كان نوره كنور الشمس يظهر لأهل

الله من ملائكة وأنبياء وأولياء، ويستظل به أهل الفسوق — اللهم اجعلنا ممن اتصف بهذه الصفات الكاملة ووفقنا لأن نموت ونلقاك ونحن على حبك — فيحفظه المولى جل ذكره بعزته أى بقوته وشدته ، ولا يخفى على الفطن ما فى هذا التعبير من الاعتناء والحماية والصيانة لعبده المطيع المتصف بهذه الخصال، ومع كل هذا الإكرام يجعل له المولى نوراً فى الظلمة وحلماً فى الجهالة وما أحلى هذا التشبيه فى قوله تعالى : « ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة » فإن الفردوس من أحاسن الجنان وأرفعها وأعلاها منزلة ، والله أعلم .

٤٥ — إِنِّى أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا مَنْ أَقَرَّ لِى بِالتَّوْحِيدِ دَخَلَ حِصْنِى وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِى أَمِنَ مِنْ عَذَابِى »

ش : التوحيد إفراد الله جل وعلا بالتأثير والضر والنفع والرزق والخلق والإيجاد إلى غير ذلك مما لم يمكن لغير الله أن يتصف به ، والحصن المكان الذى لا يقدر عليه لارتفاعه ومنعته ، وجمعه حصون ، والمعنى والله أعلم أن العبد إذا اعتقد وأقر لله سبحانه وتعالى بالوحدانية أى فى ذاته وصفاته وأفعاله أمن من عذاب الله جل ذكره لأنه دخل فى حصنه وحماه الذى لا يصل إليه أحد ولا يلحق من ولجه أذى .

٤٦ — إِنِّى إِذا أَخَذْتُ كَرِيمَتَىْ عَبْد فَصَبَرَ واحْتَسَبَ لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَاباً دُونَ الجَنَّةِ » .

---

(٤٥) رواه الشيرازى فى الألقاب عن على .

(٤٦) رواه ابن ماجة وأبو يعلى والطبرانى عن ابن عباس .

٤٧ - « إِنَّ أَوْلِيَائِى مِنْ عِبَادِى وَأَحِبَّائِى مِنْ خَلْقِى الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِى وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ » .

ش ـ الحديث الأول تقدم ص ٢٠ ، والحديث الثانى تقدم ص ٣٩ وزاد فيه رواه الطبرانى فى الكبير .

٤٨ - « إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِى وَجَعَلْتُهُ مُحَرَّماً بَيْنَكُمْ فَلَا تَظَالَمُوا ، يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِى أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِى أُطْعِمْكُمْ . يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِى أَكْسِكُمْ ، يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا غَيْرَ الشِّرْكِ فَاسْتَغْفِرُونِى أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّى فَتَضُرُّونِى وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِى فَتَنْفَعُونِى ، يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَازَادَ ذَلِكَ فِى مُلْكِى شَيْئًا.

---

(٤٧) رواه الحكيم وأبو نعيم عن عمرو بن الجموح .
(٤٨) رواه مسلم وأبو عوانة وابن حبان والحاكم عن أبى ذر .

يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِى شَيئًا ، يَاعِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِى فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِى شَيْئاً إِلَّا كَمَا يُنْقِصُ الْمَخيطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ ، يَا عِبَادِى إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِياهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمِدَ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ »

ش : هذا الحديث شريف القدر عظيم المنزلة جليل الموقع جامع لفوائد شتى ، قد تضمن من قواعد الدين العظيمة من العلوم والأعمال والأصول والفروع وغير ذلك مما لا يحصره قلم ولا يحصيه عاد، لذلك كان الإمام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه يقول : هو أشرف حديث لأهل الشام ، وكان أبو إدريس الخولانى إذا حدث به جثا على ركبته كما ذكره مسلم فى صحيحه . وراويه هو إمام أهل الصوفية الذى قيل فيه : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة منه ، فالله سبحانه وتعالى نفى الظلم عن نفسه بقوله : « إنى حرمت الظلم على نفسى » أى لا يليق ولا ينبغى أن أتصف به وهو مستحيل فى حقه تعالى لأن الظلم قبيح ، ونفاه البارى تعالى فى غير موضع من كتابه

فقال : ﴿ وما ظلمناهم ﴾ وقال ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾ ، وقال ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ وقال ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تلك حسنة يضاعفها ﴾ وقال : ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ﴾ ونفى تبارك ذكره إرادته الظلم أيضاً بقوله ﴿ وما الله يريد ظلماً للعالمين ﴾ ، وقوله ﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾ ، ونفى خوف العباد له بقوله ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ . قال أهل التفسير من السلف فى هذه الآية : لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه سيئات غيره ولا يهضم فينقص من حسناته ، يعنى أن المحسن لا يظلم فى الآخرة فينقصه الله جل ذكره من إحسانه أو يجعله لغيره ، ولا يظلم مسيئاً فيجعل عليه سيئات غيره ، بل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، وقد أفاد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ أم لم ينبأ بما فى صحف موسى * وإبراهيم الذى وفى * أن لا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للانسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ ، وللعلماء فى تفسير الظلم المنفى هنا أقوال وتنازع ، فبعضهم قد شذ وبعضهم قد غلا وتجاوز ؛ والقول الوسط فى ذلك ما أشرنا إليه قبل وهو أن الظلم الذى حرمه الله على نفسه ونفى إرادته كما تقدم هو مثل أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها ويعاقب البرىء على ما لم يفعل من السيئات ويعاقب هذا بذنب غيره أو يحكم بين الناس بغير القسط ونحو ذلك من الأفعال التى ينزه الرب لقسطه وعدله وهو قادر عليها ، وإنما استحق الحمد والثناء لأنه ترك الظلم وهو قادر عليه ، وكما أن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص والعيب فهو أيضاً منزه عن أفعال النقص والعيب .

وقوله « وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » — هو بفتح التاء — وتخفيف الظاء فى الأصول المعتبرة ، ونقل ابن حجر أنه روى مشدداً والأشهر تخفيفها أى جعلت الظلم بينكم يا عبادى محرماً فلا يظلم بعضكم بعضاً ، والخطاب للثقلين

لاختصاصهم بالتكليف وتعاقب التقوى والفجور ، ولأن ما بعده من الألفاظ كالطعام والكسوة ينص على ذلك ، وهذه الجملة تجمع الدين كله فإن ما نهى الله عنه راجع إلى الظلم وكل ما أمر به راجع إلى العدل ، ولهذا قال تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ﴾ .

قال الإمام تقى الدين بن تيمية فى شرح هذا الحديث : فأخبر أنه — جل ذكره — أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط وذكر أنه أنزل الحديد الذى به ينصر هذا الحق ، فالكتاب يهدى والسيف ينصر وكفى بربك هادياً ونصيراً ، ولهذا كان قوام الناس بأهل الكتاب وأهل الحديد ، كما قال من قال من السلف : صنفان إذا صلحوا صلح الناس : الأمراء والعلماء ، وقالوا فى قوله تعالى ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ أقوالا تجمع العلماء والأمراء ، ولهذا نص أحمد وغيره على دخول الصنفين فى هذه الآية إذ كل منهما تجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله ، وكان نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته كعلى ومعاذ وأبى موسى وعتاب بن أسيد وعثمان بن أبى العاصى — وأمثالهم يجمعون الصنفين ، وكذلك خلفاؤه من بعده كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ونوابهم ، ولهذا كانت السنة أن الذى يصلى بالناس هو صاحب الكتاب ، والذى يقوم بالجهاد هو صاحب الحديد . اهـ .

وقال العلامة السعد فى شرح الأربعين النووية : إذ الظالم ينحط عن رتبة النبوة ﴿ لا ينال عهدى الظالمين ﴾ ، وعن درجة الولاية ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ وعن مرتبة السلطنة « بيت الظالم خراب ولو بعد حين » ، وعن نظر الخلائق « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها »

وعن حظ نفسه وتبقى خسارته فى الدنيا والعقبى : ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ . وفى الترمذى مرفوعاً « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » ، حكى أن الأمير نوحاً لما وضع الخراج على أهل سمرقند فبعث بريداً إلى أميرها فأحضر الأئمة والمشايخ وأعيان البلد وقرأ عليهم الكتاب فقال الفقيه أبو منصور الماتريدى للبريد : قد أديت رسالة الأمير فاردد إليه الجواب وقل له : زدنا ظلماً حتى نزيد فى دعاء الليل . ثم تفرقوا فلم تذهب إلا أيام حتى وجدوه قتيلا وفى بطنه زج رمح مكتوب عليه :

بغى وللبغى سهـــــام تنتظـر أتته من أيدى المنايا والقـدر
سهام أيدى القانتات فى السحـر يرمين عن قوس لها الليل وتر

ولا شك أن كل خير وصلاح داخل فى القسط والعدل ، وكل شر وفساد داخل فى الظلم ، والظلم يتفاوت وبعضه أشد ضرراً من بعض فهو فى جميع أنواعه وأفراده ممنوع ينفر عنه الطبع السليم وتأباه الفطرة . وكذلك يمتنع عموماً من حيث متعلقه سواء كان الظلم ظلماً لمسلم أو لكافر قريب أو بعيد صاحب أو عدو اعتدى عليك أم لم يعتد فهو محرم فى كل شىء ولكل أحد قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم ﴾ ، أى يحملنكم بغض قوم وهم الكفار على عدم العدل ﴿ على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ . وقال تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ﴾ .

وقوله : « يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته » . إلخ بعد ما ذكر جل

شأنه في أول الحديث ما أوجبه من العدل وحرمه من الظلم على نفسه وعلى عباده عموماً عقب ذلك بذكر إحسانه إلى عباده وإنعامه عليهم مع غناه عنهم وفقرهم إليه، وأنهم لا يقدرون على جلب منفعة لأنفسهم ولا دفع مضرة إلا أن يكون هو الميسر لذلك. وأمر عباده أن يسألوه ذلك وأخبر أنهم لا يقدرون على نفعه ولا ضره مع عظم من يوصل إليهم من النعماء ويدفع عنهم من البلاء ، وجلب المنفعة ودفع المضرة إما أن يكونا في الدين أو في الدنيا فصارت أربعة أقسام ، الهداية والمغفرة وهما جلب المنفعة ودفع المضرة في الدين ، والكسوة والطعام وهما جلب المنفعة ودفع المضرة في الدنيا . وإن شئت قلت : الهداية والمغفرة يتعلقان بالقلب الذي هو ملك البدن وهو الأصل في الأعمال الإرادية . والطعام والكسوة يتعلقان بالبدن ، الطعام لجلب المنفعة واللباس لدفع المضرة. وفتح الأمر بالهداية فإنها وإن كانت الهداية النافعة هي المتعلقة بالدين فكل أعمال الناس تابعة لهدى الله إياهم والله أعلم . أفاده الإمام المجتهد ابن تيمية في شرحه مع بسط . وقوله : « كلكم ضال » أي من شأنكم وجبلتكم الضلالة كما روي « أن الله خلق الخلق في ظلمة الطبيعة فألقى عليهم من نوره » إلخ ، أي في ظلمة الطبيعة من الميل إلى الشهوات والركون إلى المحسوسات والغفلة عن أسرار عالم الغيب ومالك السموات فألقى عليهم من نوره ، أي بسبب ما نصب لهم من الحجج النيرة فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل عن الطريق المستقيم وغوى .

فالناس خلقوا لا يهتدون إلى طريق الصواب ، ومنهج السوى إلا بمرشد وهاد ، فمن هداه الله يشرح صدره ، وينور قلبه ويصفي استعداده عما ينافي قبول الحق والصراط المستقيم من ظلمات الشكوك والشبه ، واتباع الهوى والعمل بالبدع التي تصادم الشرع الشريف ، فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار كما أخبر بذلك شفيع المذنبين من النار ، فينبت فيه شجر التصديق

والإيقان بما جاء به سيد ولد عدنان من أصول الدين وفروعه فينمو بأغصان الطاعات فى كل حين ووقت ثم يثمر المشاهدة والتجليات وعلم اليقين فيرى الحق حقاً فيتبعه ، ويرى الباطل باطلا فيجتنبه ، وهذا لا ينافى قوله صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة » . الحديث، فإن هذه ظلمة طارئة على الفطرة الأولى كما يشير إليه ما روى « خلق الله الخلق على معرفته فاغتالتهم الشياطين » . وقال ابن المبارك رضى الله عنه : « يولد على ما يصير إليه من سعادة أو شقاوة فمن علم أنه يصير مسلماً موحداً ولد على فطرة الإسلام والتوحيد ، ومن علم أنه يصير كافراً جاحداً نعماء ربه ولد على فطرة الكفر » ، ويستدل لذلك بقوله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ . وقوله: ﴿ فاستهدونى أهدكم ﴾ . أى اطلبوا منى الهداية الموصلة إلىّ أدلكم عليها وأوصلكم إليها، ولعل الحكمة فى طلبه سبحانه وتعالى سؤال الهداية مع أنه سبحانه يهدى من يشاء بحسن الرعاية ، وجميل العناية إظهار الافتقار والإشعار بأنه لاهداية قبل سؤاله إياه فربما قال : إنما أوتيته على علم عندى فيضل بذلك ويشقى ، فإذا سأل ربه الأمور الدنيوية والأخروية فقد اعترف على نفسه بالعبودية ولمولاه بالربوبية ، وهذا مقام شريف ومشهد لطيف ، وفيه دليل لأهل السنة والجماعة على أن المهتدى من هداه الله تعالى ، وبإرادته اهتدى من اهتدى لا بما سواه ، وأن غير المهتدى لم يرد الله هدايته ، فلم يهتد لذلك ولو أرادها له لاهتدى ، قال الله تعالى : ﴿ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولو شاء الله ما أشركوا ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾ ، إلى غير ذلك من الآى . والله أعلم .

وقوله فى الحديث : « يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته » لما فرغ من الامتنان بالأمور الدينية شرع فى الامتنان فى الأمور الدنيوية فقال : إلخ وكرر النداء زيادة فى تشريفهم وتعظيمهم ، ولذا أضافهم إلى نفسه جل شأنه ، قال الإمام العلامة تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية فى شرحه : فيقتضى أصلين عظيمين ، وجوب التوكل على الله فى الرزق المتضمن جلب المنفعة كالطعام ودفع المضرة كاللباس ، وأنه لا يقدر غير الله على الإطعام والكسوة قدرة مطلقة ، وإنما القدرة التى تحصل لبعض العباد تكون على بعض أسباب ذلك ولهذا قال : ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾ ، وقال : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم ﴾ فالمأمور به هو المقدور للعباد ، وكذلك قوله : ﴿ أو إطعام فى يوم ذى مسغبة * يتيماً ذا مقربة * أو مسكيناً ذا متربة ﴾ . وقوله : ﴿ فأطعموا القانع والمعتر ﴾ ، وقوله : ﴿ وكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ ، وقال : ﴿ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ﴾ . فذم من يترك المأمور به اكتفاء بما يجرى به القدر ، ومن هنا يعرف أن السبب المأمور به أو المباح لا ينافى وجوب التوكل على الله فى وجود السبب بل الحاجة والفقر إلى الله ثابتة مع فعل السبب ، إذ ليس فى المخلوقات ماهو وحده سبب تام لحصول المطلوب ، ولهذا لا يجب أن تقترن الحوادث بما قد يجعل سبباً إلا بمشيئة الله تعالى فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فمن ظن الاستغناء بالسبب عن التوكل فقد ترك ما أوجب الله عليه من التوكل وأخل بواجب التوحيد ، ولهذا يخذل أمثال هؤلاء إذا اعتمدوا على الأسباب ، فمن رجا نصراً أو رزقاً من غير الله خذله الله كما قال على رضى الله عنه لا يرجونّ عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ، وقد قال تعالى : ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ﴾ إلخ ما قال ،

يعنى أن الله جل ذكره خلق الخلق كلهم ذوى فقر إلى الطعام فكل طاعم كان جائعاً حتى يطعمه الله بسوق الرزق إليه وتصحيح الآلات التى هيأها له فلا يظن ذو الثروة أن الرزق الذى فى يده وقد رفعه إلى فيه أطعمه إياه أحد غير الله تعالى ، وفيه أيضاً أدب للفقراء كأنه قال لا تطلبوا الطعام من غيرى فإن هؤلاء الذين تطلبون منهم أنا الذى أطعمهم فاستطعمونى أطعمكم ، وكذلك ما بعده أفاده الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد فى شرحه ، والله أعلم .

قوله : « تخطئون » بضم التاء وسكون الخاء المعجمة وكسر الطاء المشالة هذه هى الرواية المشهورة ، وروى بفتح أوله وثالثه ، والخطأ يطلق على معان قال الراغب فى مفرداته : الخطأ العدول عن الجهة وذلك أضرب ، أحدها أن يريد غير ما تحسن إرادته فيفعله وهذا هو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان يقال خطىء يخطأ خطأ وخطاءة — أى بكسر الأول فيهما — ، والثانى يريد ما يحسن فعله ولكن يقع منه خلاف ما يريد فيقال : أخطأ أخطاء فهو مخطىء وهذا قد أصاب فى الإرادة وأخطأ فى الفعل ، والثالث أن يريد مالا يحسن فعله ويتفق منه خلافه فهذا مخطىء فى الإرادة ومصيب فى الفعل فهو مذموم بقصده وغير محمود على فعله ، وجملة الأمر أن من أراد شيئاً فاتفق منه غيره يقال أخطأ وإن وقع منه كما أراده يقال أصاب ، وقد يقال لمن فعل فعلا لا يحسن أو أراد إرادة لا تجمل أنه أخطأ ولهذا يقال : أصاب الخطأ وأخطأ الصواب وأصاب الصواب وأخطأ الخطأ ، وهذه اللفظة مشتركة كما ترى مترددة بين معان يجب لمن يتحرى الحقائق أن يتأملها ، انتهى بنوع تصرف .

وقوله : « بالليل والنهار » أى فى ساعاتهما وأوقاتهما ، وقدم الليل على النهار لأن الليل ظلمة وهى الأصل والنور طارىء عليها يسترها ، ولأن المقام يقتضى تقديمه إذ أكثر المعاصى والآثام تفعل فى الليل ، والاستغفار من الذنوب طلب المغفرة والعبد أحوج شىء إليه لما تقدم ؛ وقد جاء فى القرآن

الحكيم ذكر الاستغفار والتوبة والأمر بهما والحث عليهما فى غير آية فلا حاجة إلى إيرادها خوف الإطالة ، وأما من الحديث النبوى فلا مانع من ذكر نبذة من ذلك ، روى الترمذى ، وابن ماجه من حديث أنس بن مالك خادم الرسول صلى الله عليه وسلم عن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .

وأخرج البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة » ، وأخرج أيضاً من حديث الأغر المزنى سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة » وأخرجه النسائى ولفظه : « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم واستغفروه فإنى أتوب إلى الله وأستغفره كل يوم مائة مرة » ، وأخرج الإمام أحمد بن حنبل من حديث حذيفة قال : « كان فى لسانى ذرب — أي حاد اللسان لا أبالى بما أقول — على أهلى لم أعده إلى غيره فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : أين أنت من الاستغفار يا حذيفة إنى لأستغفر الله كل يوم مائة مرة » ، وأخرج الإمام أحمد بن حنبل وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة من حديث ابن عمر قال : إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد مائة مرة يقول « رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم » .

والمغفرة العامة لجميع الذنوب نوعان ، أحدهما المغفرة لمن تاب كما فى قوله تعالى : ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ إلى قوله : ﴿ ثم لا تنصرون ﴾ . فهذا السياق مع سبب نزول الآية يبين أن المعنى : لا ييأس مذنب من مغفرة الله تعالى ولو كانت ذنوبه ما كانت فإن الله جل ذكره لا يتعاظمه ذنب من أن يغفره لعبده التائب ، وقد دخل فى هذا العموم الشرك وغيره من الذنوب فإن الله تعالى يغفر ذلك لمن

تاب منه ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين ﴾ إلى قوله ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ ، وقال فى الآية الأخرى : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ﴾ ، وقال : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ إلى قوله ﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾ ، قال الإمام تقى الدين أحمد بن تيمية : وهذا القول الجامع بالمغفرة لكل ذنب للتائب منه كما دل عليه القرآن والحديث هو الصواب عند جماهير أهل العلم ، وإن كان من الناس من يستثنى بعض الذنوب كقول بعضهم أن توبة الداعية إلى البدع لا تقبل باطناً للحديث الإسرائيلى الذى منه « فكيف من أضللت » وهذا غلط فإن الله قد بين فى كتابه وسنة رسوله أنه يتوب على أئمة الكفر الذين هم أعظم من أئمة البدع ، وقد قال تعالى : ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ . قال الحسن البصرى : انظروا إلى هذا الكرم عذبوا أولياءه وفتنوهم ثم هو يدعوهم إلى التوبة ، وكذلك توبة القاتل وغيره إلى آخر ما قال .

وثانيهما المغفرة بمعنى تخفيف العذاب أو بمعنى تأخيره إلى أجل مسمى وهذا عام مطلقاً ، ولهذا شفع النبى صلى الله عليه وسلم فى عمه أبى طالب مع موته على الشرك فنقل من غمرة من نار حتى جعل فى ضحضاح من نار فى قدميه نعلان من نار يغلى منهما دماغه . قال : « ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار » ، وعلى هذا المعنى دل قوله تبارك وتعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ﴾ ، وقوله جل ذكره : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ ، وغير ذلك من الآيات .

قال العلامة الحافظ تقى الدين بن دقيق العيد فى شرح الأربعين حديثاً النووية: فى هذا الكلام من التوبيخ ما يستحى منه كل مؤمن، وكذلك أن الله خلق الليل ليطاع فيه ويعبد بالإخلاص حيث تسلم الأعمال فيه غالباً من الرياء والنفاق أفلا يستحي المؤمن أن لا ينفق الليل فيما خلق له من الطاعات حتى يخطىء فيه ويعصى الله تعالى فى مواطنه ، وأما النهار فإنه خلق مشهوداً من الناس فينبغي من كل فطن أن يطيع الله فيه أيضاً ولا يتظاهر بين الناس بالمخالفة ، وكيف يحسن بالمؤمن أن يخطىء سراً أو جهراً لأنه سبحانه وتعالى قد قال بعد ذلك : « وأنا أغفر الذنوب جميعاً » . فذكر الذنوب بالألف واللام التى للتعريف وأكدها بقوله « جميعاً » ، وإنما قال ذلك قبل أمره إيانا بالإستغفار لئلا يقنط أحد من رحمة الله لعظم ذنب ارتكبه . اه .

وقوله : « يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى » إلخ الضر — بفتح أوله ويضم — الضر ضد النفع وهو منصوب بنزع الخافض أى لن تصلوا إلى ضررى كذا فى بعض شروح الأربعين ، قال الأزهرى : كل ما كان سوء حال وفقر وشدة فى بدن فهو ضر بالضم ، وما كان ضد النفع فهو بفتحها . اه .

ولما كانت الجبلة والعادة فى الخلق أن يوصل بعضهم إلى بعض نفعاً أو ضراً وكان هذا مألوفاً لهم فيما بينهم فإذا رأيت إحساناً من أحد أو إساءة من أحد إليك فتجتهد لأن توصل إليه نظير صنعه من خير أو شر أو منفعة أو مضرة فالناس وراء المنافع أياً كان وكل بحسبه ، أراد المولى جل ذكره أن يبين لخلقه وعبيده أنه سبحانه لا يصله شيء من طاعتكم فينتفع به ولا يصله شيء من معصيتكم فتضرونه به، بل أعمالكم الطيبة الصالحة تثابون عليها يوم القيامة وتنتفعون بها فى الآخرة ، وكذلك أعمالكم الخبيثة فإنكم تجازون عليها يوم الموقف الأعظم وتعذبون بسبب ما ارتكبتموه من الأمور المخلة فليجتهد كل إنسان ويدخر لنفسه من الأعمال الصالحات ما يعود نفعه عليه فى وقت شدة حاجته إليه،

وليجهد نفسه على منعها من ارتكاب ما يخل بالآداب الإنسانية والقواعد الشرعية لئلا يكون وزر ذلك عليه فى يوم لا شفيع يشفع إلا بإذن الله سبحانه وتعالى . قال قتادة : إن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به عليهم ، ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم .

وقد ورد فى ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ وإن تكفروا فإن لله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله غنياً حميداً ﴾ . أى ولم يزل كذلك ، وقال حاكياً عن موسى : ﴿ وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً فإن الله لغنى حميد ﴾ . وقال : ﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً ﴾ ، وقال : ﴿ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ﴾ ، وقال : ﴿ ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ . والمعنى والله أعلم أنه تعالى يحب من عباده أن يتقوه ويطيعوه كما أنه يكره منهم أن يعصوه ، ولهذا يفرح بتوبة التائبين أشد من فرح من ضلت راحلته التى عليها طعامه وشرابه بفلاة من الأرض وطلبها حتى أعيا وأيس منها واستسلم للموت وآيس من الحياة ثم غلبته عيناه فنام واستيقظ فإذا هى قائمة عنده ، وهذا أعلى ما يتصوره المخلوق من الفرح والسرور ، هذا كله مع غناه عن طاعات عباده وتوبتهم إليه ، وأنه إنما يعود نفعها إليهم دونه ولكن هذا من كمال جوده وإحسانه إلى عباده ومحبته لنفعهم ورفع الضر عنهم فهو يحب من عباده أن يعرفوه ويحبوه ويخافوه ويتقوه ويطيعوه ويتقربوا إليه ، ويحب أن يعلموا أنه لا يغفر الذنوب أحد غيره ، وأنه قادر على مغفرة ذنوب عباده كما فى رواية عبد الرحمن ابن غنم عن أبى ذر لهذا الحديث : « من علم منكم أنى ذو قدرة على المغفرة ثم استغفرنى غفرت له ولا أبالى » ، وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والله لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها » .

وقوله : « يا عبادى لو أن أولكم وآخركم » إلخ بعد ما ذكر الله تعالى أنه جل ذكره لا ينتفع من عباده بطاعتهم إياه ولا يحصل له ضرر بسبب عصيانهم إياه بل الانتفاع والضرر عائدان عليهم ومجازون بذلك عقَّب ذلك بأن ملكه جل ثناؤه لا يزيد بطاعة الخلق ولو كانوا كلهم بررة أتقياء قلوبهم على قلب أتقى رجل منهم ، كذلك لا ينقص ملكه بمعصية العاصين ولو كان جميع الإنس والجن عصاة فجرة ، قلوبهم على قلب أفجر رجل منهم ، فإنه سبحانه الغنى بذاته عمن سواه وله الكمال المطلق فى ذاته وصفاته وأفعاله فملكه ملك كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه على أى وجه كان ، وفيه دليل على أن الأصل فى التقوى والفجور هى القلوب ، فإذا بر القلب واتقى برت الجوارح ، وإذا فجر القلب فجرت الجوارح ، أفاده الحافظ بن رجب فى جامع العلوم والحكم بنوع تصرف .

وقوله : « لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى » إلخ ، الصعيد وجه الأرض وظاهرها أى فى مقام واحد ، وقوله فسألونى أى فى تلك الحالة بألسنة مختلفة حوائج مؤتلفة ، قال السعد : وقيد السؤال بالاجتماع فى صعيد واحد لأن تزاحم أسئلة وترادف الناس فى السؤال مع كثرتهم وكثرة مطالبهم مما يضجر المسئول منه ويدهشه وذلك يوجب حرمانهم وتخييبهم ، أو تعسر إنجاح مطالبهم وإسعاف مآربهم ، وليس كذلك فى حقه سبحانه وتعالى . وفيه إشارة إلى كمال قدرته سبحانه وتعالى وكمال ملكه ، وإن ملكه وخزائنه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء ، ولو أعطى الأولين والآخرين من الجن والإنس جميع ما سألوه فى مقام واحد ، وفى ذلك حث على سؤاله وإنزال حوائجهم به ، روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دعا أحدكم فلا يقل : اللهم اغفر لى إن شئت ولكن ليعزم وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شىء » ، وفى

الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أفرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما فى يمينه » ، وقوله : « لا يغيضها » أى ينقصها ؛ وقال أبو سعيد الخدرى : « إذا دعوتم الله فارفعوا فى المسألة فإن ما عنده لا ينفده شيء وإذا دعوتم فاعزموا فإن الله لا مستكره له » .

وقوله : « لم ينقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر » ، المخيط والخياط ما يخاط به وهى الإبرة إذ الفعال والمفعل والمفعال من صيغ الآلات التى يفعل بها كالمسعر والحلاب والميشار ، وهو بكسر الميم وإسكان الخاء وفتح الياء ؛ وقوله : « أدخل البحر » بصيغة المجهول ونصب البحر على ثانى المفعول ، وهذا التشبيه من باب تشبيه المعقول بالمحسوس للتفهيم ، وقوله ذلك لتحقيق أن ما عنده لا ينقص ألبتة كما قال تعالى : ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ . فإن البحر إذا غمست فيه إبرة ثم أخرجت لم تنقص من البحر بذلك شيئاً ، وكذلك لو فرض أنه شرب منه عصفور مثلا فإنه لا ينقص البحر ألبتة ، ولهذا ضرب الخضر لموسى عليهما السلام هذا المثل فى نسبة علمهما إلى علم الله عز وجل ، وذلك لأن البحر لا يزال تمده مياه الدنيا وأنهارها الجارية فهما أخذ منه لم ينقصه شيء لأنه يمده ما هو أزيد مما أخذ منه ، وهكذا طعام الجنة وما فيها فإنه لا ينقص كما قال تعالى : ﴿ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ ، وقد تبين فى الحديث الذى أخرجه الترمذى وابن ماجه السبب الذى لأجله لا ينقص ما عند الله بالعطاء بقوله : « ذلك بأنى جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائى كلام وعذابى كلام إنما أمرى لشيء إذا أردت إنما أقول له كن فيكون » . وقال بعضهم فى ذلك :

لا تخضعن لمخلوق على طمع — فإن ذاك مضر منك بالدين
واسترزق الله مما فى خزائنه — فإنما هى بين الكاف والنون

لما بين الله جل جلاله كمال قدرته وتمام ملكه وسعة نعمائه وقوة نفوذه أراد أن يبين لخلقه أنه تعالى ذكره مع كونه موصوفاً بهذه الأوصاف الفائقة الحد والحصر فلا يترك لعبد من عباده عملا من الأعمال قل أو كثر صغر أو عظم خيراً أو شراً إلا أحصاه له وكتبه عليه ثم يرد عليه جزاء ذلك ويوفيه له على حسبه تاماً لا ينقص منه شيئاً .

قال الإمام العلامة أبو العباس تقى الدين أحمد بن تيمية فى شرح هذه الجملة : فبين أنه محسن إلى عباده فى الجزاء على أعمالهم الصالحة إحساناً يستحق به الحمد لأنه هو المنعم بالأمر بها والإرشاد إليها والإعانة عليها ثم إحصائها ثم توفية جزائها فكل ذلك فضل منه وإحسان، إذ كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل ، وهو وإن كان قد كتب على نفسه الرحمة وكان حقاً عليه نصر المؤمنين كما تقدم بيانه فليس وجوب ذلك كوجوب حقوق الناس بعضهم على بعض الذى يكون عدلا لا فضلا ، لأن ذلك إنما يكون لكون بعض الناس أحسن إلى البعض واستحق المعاوضة وكان إحسانه إليه بقدرة المحسن دون المحسن إليه ، ولهذا لم يكن المتعاوضان ليخص أحدهما بالتفضل على الآخر لتكافئهما وهو قد بين فى الحديث أن العباد لم يبلغوا ضره فيضروه ولن يبلغوا نفعه فينفعوه فامتنع حينئذ أن يكون لأحد من جهة نفسه عليه حق بل هو الذى أحق الحق على نفسه بكلماته فهو المحسن بالإحسان وبإحقاقه وكتابته على نفسه فهو فى كتابة الرحمة على نفسه وإحقاقه نصر عباده المؤمنين ونحو ذلك محسن إحساناً مع إحسان، فليتدبر اللبيب هذه التفاصيل التى يتبين بها فصل الخطاب فى هذه المواضع التى عظم فيها الاضطراب ، فمن بين موجب على ربه بالمنع أن يكون محسناً متفضلا ومن بين مسوى بين عدله وإحسانه وما تنزه عنه من الظلم والعدوان وجاعل الجميع نوعاً واحداً ، وكل ذلك حيد عن سنن الصراط المستقيم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

وكما بين أنه محسن فى الحسنات متم إحسانه باحصائها والجزاء عليها بين أنه عادل فى الجزاء على السيئات . فقال : « ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » كما تقدم بيانه فى مثل قوله : ﴿ وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ وعلى هذا الأصل استقرت الشريعة الموافقة لفطرة الله التى فطر الناس عليها كما فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى عن شداد بن أوس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » . ففى قوله « أبوء لك بنعمتك على » اعتراف بنعمته عليه فى الحسنات وغيرها ، وقوله « وأبوء بذنبى » اعتراف منه بأنه مذنب ظالم لنفسه . وبهذا يصير العبد شكوراً لربه مستغفراً لذنبه فيستوجب مزيد الخير وغفران الشر من الشكور والغفور الذى يشكر اليسير من العمل ويغفر الكثير من الزلل .

وقد ورد فى إحصاء أعمال العباد وتوفيتهم إياها بالجزاء عليها آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ، وقوله : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾ ، وقوله : ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾ ، وقوله : ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه ﴾ إلى غير ذلك .

وقوله « ثم أوفيكم إياها » ، الظاهر أن المراد توفيتها يوم القيامة كما قال تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿ وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾ ، ويحتمل أن المراد يوفى عباده جزاء أعمالهم فى الدنيا والآخرة كما فى قوله تعالى : ﴿ من يعمل سوءاً يجز به ﴾ . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه فسر ذلك بأن المؤمنين يجازون بسيئاتهم فى الدنيا وتدخر لهم حسناتهم فى الآخرة فيوفون

أجورهم ، وأما الكافر فإنه يعجل له فى الدنيا ثواب حسناته وتدخر له سيئاته فيعاقب بها فى الآخرة ويوفيه جزاءها من خير أو شر ، فالشر يجازى به مثله من غير زيادة إلا أن يعفو الله عنه ، والخير تضاعف الحسنة عنه بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة لا يعلم قدرها إلا الله كما قال تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ . أفاده الحافظ بن رجب .

وقوله : « فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » ، أى ، فمن وجد ما يثاب عليه من الخير فليحمد الله تعالى على توفيقه لطاعته وليعلم أنه من فضل الله ورحمته ، ومن وجد غير ذلك الخير — وهو الشر — أو ما لا ثواب عليه، ولذا ورد « ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها » ، فمن وجد غير محض الخير ولو لم يكن صريح الشر ينبغى أن يلوم نفسه فى مقام المراقبة وحال المحاسبة ولذا قال الشيخ البستى :

زيادة المرء فى دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران

فلا يلومن إلا نفسه لبقائها على الظلمة الأصلية لها فآثرت شهواتها ومستلذاتها على رضا خالقها ورازقها فكفرت بنعمه ولم تذعن لحكمه فاستحقت أن يعاملها ربها بمقتضى عدله وأن يحرمها من أيادى كرمه وفضله .

ففى الحديث إشارة إلى أن الخير كله فضل من الله على عبده من غير استحقاق له ، والشر كله من عند ابن آدم من اتباع هوى نفسه كما قال عزوجل ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ . فالله سبحانه وتعالى إذا أراد توفيق عبد وهدايته أعانه ووفقه لطاعته ، وكان ذلك فضلا منه ورحمة ، وإذا أراد خذلان عبد وكله إلى نفسه وخلى بينه وبينها فأغواه الشيطان لغفلته عن ذكر الله واتبع هواه وكان أمره فرطا ، وكان ذلك

عدلا منه فإن الحجة قائمة على العبد بإنزال الكتب وإرسال الرسل فما بقى لأحد من الناس على الله حجة بعد الرسل .

وقوله « فمن وجد خيراً » إلخ يحتمل أن يكون ذلك فى الدنيا ويحتمل أن يكون ذلك فى الآخرة . أما الأول فيكون حينئذ مأموراً بالحمد لله على ما وجده من جزاء الأعمال الصالحة الذى عجل له فى الدنيا كما قال الله تعالى : ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى ، وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ . ويكون مأموراً بلوم نفسه على ما فعلت من الذنوب التى وجد عاقبتها فى الدنيا كما قال تعالى : ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ﴾ . فالمؤمن إذا أصابه فى الدنيا بلاء رجع إلى نفسه باللوم ودعاه ذلك إلى الرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار . روى الإمام أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن المؤمن إذا أصابه سقم ثم عافاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل من عمره ، وإن المنافق إذا مرض وعوفى كان كالبعير عقله أهله وأطلقوه لا يدرى بما عقلوه ولا بما أطلقوه » .

وإن كان المراد الثانى كان إخباراً منه بأن الذين يجدون الخير فى الآخرة يحمدون الله على ذلك ، وأن من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه حين لا ينفعه اللوم فيكون الكلام لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر كقوله صلى الله عليه وسلم : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ، والمعنى أن الكاذب عليه صلى الله عليه وسلم يتبوأ مقعده من النار . وفى هذا الباب آيات وأحاديث كثيرة فى هذا المعنى ، وفيما ذكرناه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد . والله أعلم .

٤٩ – « إِنِّى لَأُهُمّ بِأَهْلِ الْأَرْضِ عَذَاباً فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عُمَّارِ بُيُوتِى وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ صَرَفْتُ عَذَابِى عَنْهُمْ » .

ش: عمار البيوت تقدم الكلام عليه قبل وهم المصلون فى المساجد المحافظون على الصلوات فى الجماعات ، والأسحار وقت السحر وهو اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار ، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى ليعزم بتعذيب المخالفين من أهل الأرض بسبب ما ارتكبوه من الآثام والمعاصى فينظر إلى المصلين وعمار بيوته والمستغفرين وقت السحر فيحمله على العفو فيصرف عذابه عنهم إكراماً للمطيعين تفضلا منه وإحساناً .

٥٠ – « إِنِّى لَأَسْتَحِى مِنْ عَبْدِى وَأَمَتِى يَشِيبَانِ فِى الْإِسْلَامِ فَتَشِيبُ لِحْيَةُ عَبْدِى وَرَأْسُ أَمَتِى فِى الْإِسْلَامِ أَعَذِّبُهُمَا فِى النار بَعْدَ ذَلِكَ » .

ش : الشيب ابيضاض الشعر المسود والمراد به هنا – والله أعلم – بلوغ سن الكبر لأن الإنسان قد يشيب وهو حدث السن وليس مراداً هنا . والأمة المرأة . والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يستحى أن يعذب عبده وأمته إذا شابا فى الإسلام فكيف لا يستحى العبد والأمة أن يعصيا الله وهما على هذه الحالة .

---

(٤٩) رواه البيهقى عن أنس .
(٥٠) رواه أبو يعلى عن أنس .

ففيه توبيخ واستنكار فعل من هذا حاله . وذكر المدنى فى كتابه حديثاً آخر ولفظه « وعزتى وجلالى وجودى وفاقة خلقى وارتفاعى وعز مكانى لأستحى من عبدى وأمتى يشيبان فى الإسلام . ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : يا رسول الله ما يبكيك ؟ قال : أبكى ممن يستحى الله منه ولا يستحى من الله » . أخرجه ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الزهد والرافعى عن أنس ، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات . والله أعلم .

٥١ – « إِنِّى لَسْتُ عَلَى كُلِّ كَلَامِ الحَكِيمِ أُقْبِلُ ، وَلَكِنْ أُقْبِلُ عَلَى هَمِّهِ وَهَوَاهُ فِيمَا يُحِبُّ اللهُ وَيَرْضَى ، جَعَلْتُ حِكْمَتَهُ حَمْداً لِلَّهِ وَوَقَاراً وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ » .

ش : الحكيم قال صاحب النهاية : فعيل بمعنى فاعل أو هو الذى يحكم الأشياء ويتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل ، وقيل الحكيم ذو الحكمة ، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم . اهـ. وقيل : الحكمة عبارة تفيد أدباً أو عظة أو تجرى مجرى المثل ، والهوى مصدر هواه أحبه ، وشرعاً ميل النفس إلى مشتهيات الطبع دون مقتضيات الشرع ، والوقار – بفتح الواو – الحلم والرزانة والعظمة والمعنى أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل على كل كلام الحكيم لأن فيه ما يكون تبعاً لهواه وحظه وما يكون تبعاً لمرضاة الله جل ذكره وأمره ، فالله يقبل على كلامه إذا كان همه وهواه فيما يحبه الله ويرضاه وزيادة على ذلك فإن الله تباركت أسماؤه يجعل حكمته حمد الله ويزينه بالوقار والعظمة والهيبة وإن لم

---

(٥١) رواه ابن النجار عن المهاجر بن حبيب .

يتكلم بالحكمة ، وهذا دليل على أن الإنسان مهما اتصف بالكمال والعقل والأدب والحكمة وغير ذلك من الصفات الحميدة لا تحليه وتزينه وتورثه عظمة وحلماً وعظة إلا إذا كان يميل إلى ما يحبه الله جل اسمه بأن يفعل المأمورات ويجتنب المنهيات ويتبع الرسول فى كل ما جاء به من الأحكام والآداب والأخلاق . ولذلك ورد فى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » . ولا شك أن المؤمن كامل الإيمان لا يكون هواه إلا تبعاً لما جاء به الدين الحنيف . ولذلك كانت الصحابة رضوان الله عليهم أفضل الخلق لما خصوا بالمزايا والصفات الكاملة أعلاها الميل إلى ما جاءت به الشريعة السمحة التى ليلها كنهارها فى الإضاءة والوضوح ، كان أحدهم يقاتل أباه وابنه وهو فى صف المؤمنين وهما فى حيز الكافرين المشركين ، بذلوا — رضى الله عنهم — فى طريقه مهجهم وأنفقوا أموالهم فطوبى لهم ثم طوبى لهم . فمن كان الهوى — وهو الباطل — المطاع المحبوب الاتباع تابعاً لطرق الهدى من الملة البيضاء والسنة الزهراء حتى تصير همومه المختلفة وخواطره المتفرقه التى تنبعث من هوى النفس وميل الطبع هما واحداً يتعلق بأمر ربه واتباع شرعه تعظيماً لحقه وشفقة على خلقه كما قيل :

كانت لقلبى أهـــواء مفرقـــــة ... فاستجمعت إذ رأتك العين أهوائى
وصار يحسدنى من كنت أحسدهم ... وصرت مولى الورى إذ صرت مولائى
تركت للخلق دنياهم ودينهـــــــم ... شغلا بحبـك يا دينى ودنيـــائى

فلا يميل إلا بأمر الشرع ولا يهوى إلا حكم الطبع ، فهو المؤمن الكامل الوحيد الذى يقبل منه التوحيد . ومن أعرض عنه متبعاً لهواه مبتغياً لرضاه فهو الكافر الخاسر فى دنياه وعقباه ، ومن اتبع أصول الشريعة دون فروعها فهو الفاسق ، ومن عكس فهو المنافق . والله أسأل هدايته الأمم أجمع إلى اتباع الدين الإسلامى والأخذ بمباديه والتحلى بمحاسنه .

قال الحافظ زين الدين بن رجب : فجميع المعاصى إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله، وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى فى مواضع من كتابه فقال تعالى : ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ ، وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ،ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء ، وكذلك المعاصى إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه ، وكذلك حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموماً ،ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيمان أن يحب المرء لا يحبه إلا لله وتحريم موالاة أعداء الله وما يكرهه الله عموماً . اهـ. والله أعلم .

٥٢ – « إِنِّى وَالجِنُّ وَالإِنْسُ فِى نَبَأٍ عَظِيمٍ . أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِى ، وأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِى »

ش : أصل الجن – بفتح الأول – ستر الشيء عن الحاسة، يقال جنه الليل وأجنه وجن عليه فجنه وأجنه جعل له مايجنه كقولك قبرته وأقبرته ، وسقيته وأسقيته ، وجن عليه كذا ستر عليه ، قال الراغب : والجن – بكسر أوله – يقال عن وجهين ، أحدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس ، فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة ، وعلى هذا قال أبو صالح : الملائكة كلها جن، وقيل: بل الجن

---

(٥٢) رواه البيهقى والحاكم عن معاذ والديلمى ، وابن عساكر عن أبى الدرداء .

بعض الروحانيين وذلك أن الروحانين ثلاثة، أخيار، وهم الملائكة وأشرار وهم الشياطين وأوساط فيهم أخيار وأشرار وهم الجن ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ قل أوحى إلى ﴾ إلى قوله عز وجل ﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ﴾ . والإنس البشر أو خلاف الجن والملك ، وسمى الإنسان بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بإنس بعضهم ببعض ، ولهذا قيل : الإنسان مدنى بالطبع من حيث إنه لا قوام لبعضهم إلا ببعض ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه . وقيل سمى بذلك لأنه عهد إليه فنسى .

(والنبأ) خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر فى الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، وحق الخبر الذى يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر . وخبر الله تعالى . وخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال : أنبأته بكذا كقولك أخبرته بكذا ، ولتضمنه معنى العلم قيل : أنبأته كذا كقولك : أعلمته كذا . قال الله تعالى فى كتابه الحكيم: ﴿ قل هو نبأ عظيم * أنتم عنه معرضون ﴾ ، وقال : ﴿ عم يتساءلون * عن النبأ العظيم ﴾ ، والله أعلم ، أفاده الراغب .

والمعنى أن الله جل جلاله مع خلقه من إنس وجن فى نبأ وخبر عظيم وعجب عجاب، فالله يخلق الخلق من عباد وجماد وشجر وحيوان ويقدر لهم الآجال والأرزاق ويعبدون غيره من صنم ووثن وحجر ونار وشمس وقمر وهوى وشيطان . والله يسدى نعمه على خلقه ويشكرون غيره ولا ينظرون إلى نعمائه، إن هذا العمل لفعل مستبعد عند العقلاء ومنكر فظيع عند أهل الذكاء فهل يليق بعاقل أن يمرح فى نعماء مولاه ، ولا يعبده ، وهل يستحسن ممن عرف يمينه من شماله وميز بينهما أن يرتع فى رزق الله جل ثناؤه ولا يشكره بل يشكر غيره إن هذا لبهتان عظيم .

وقوله : « رواه البيهقى » إلخ،البيهقى هو الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن على الذى قيل فى وصفه : ما من شافعى إلا وللشافعى فضل عليه غير البيهقى فإن له المنة والفضل على الشافعى لكثرة تصانيفه فى نصرة مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه ، توفى رحمه الله تعالى سنة ٤٥٨ ﻫ . والحاكم هو الإمام الحافظ المحيط بالسنة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبى الطهمانى النيسابورى الشهير بالحاكم ، ويعرف بابن البيع ؛ وهو من المؤلفين العظام، له المستدرك وتاريخ نيسابور . والإكليل والأمالى وغير ذلك من نفائس الكتب ، أخذ العلم عن ألفى شيخ توفى سنة ٤٠٥ ﻫ .

والديلمى نسبة إلى ديلم وهى بلاد معروفة ، وهو الإمام الحافظ شهر دار ابن شيرويه الهمذانى المتوفى سنة ٥٥٨ﻫ ، قال الحافظ عبد الرءوف المناوى فى شرحه — الجامع الصغير — مسند الفردوس المسمى بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب ، والفردوس للامام عماد الإسلام أبى شجاع الديلمى ألفه محذوف الأسانيد مرتباً على الحروف ليسهل حفظه ، وأعلم بازائها بالحروف للمخرجين ومسنده لولده سيد الحفاظ أبى منصور بن شيرويه خرج مسند كل حديث تحته وسماه إبانة الشبه فى معرفة كيفية الوقوف على ما فى كتاب الفردوس من علامات الحروف ، اﻫ .

وابن عساكر هو الإمام الحافظ الكبير فخر الأمة ثقة الدين أبو القاسم على ابن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقى الشافعى صاحب التصانيف المفيدة النافعة كتاريخ دمشق والإطراف المتوفى سنة ٥٧١ﻫ .

٥٣ ـ « أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْماً مِنَ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ، وَمَنْ ثَبَّتَهَا ثَبَّتُّهُ ، إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » .

ش : الرحم ـ بفتح الراء وكسر الحاء المهملة ـ يطلق على الأقارب وهم من بينه وبين الآخر نسب سواء كان يرثه أم لا ، سواء كان ذا محرم أم لا ، وقيل : هم المحارم فقط ، والأول هو المرجح لأن الثانى يستلزم خروج أولاد الأعمام ، وأولاد الأخوال من ذوى الأرحام ، وليس كذلك .

ووصل الرحم كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوى النسب والأصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم ؛ وكذلك إن بعدوا أو أساءوا ، وقطع الرحم ضد ذلك كله ، يقال : وصل رحمه يصلها وصلا وصلة والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر ، ومعنى شققت لها اسماً من اسمى أى أخرجت وأخذت لها اسماً من اسمى الرحمان فلها به علقة .

وقوله : « ومن ثبتها ثبته » هو من التثبيت وهو بمعنى وصلها وفيه تكرار مع ما قبله وفى نسخة « ومن بتها » بالباء الموحدة من البت وهو القطع وهى موافقة لما فى كتاب الإتحافات السنية للمدنى ، والله أعلم .

ففى الحديث تعظيم أمر صلة الرحم ، والعطف عليهم وتفقد أحوالهم وكل شخص بحسب ما يليق بحاله ، قال القرطبى : الرحم التى توصل عامة وخاصة

---

(٥٣) رواه أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى وابن حبان والحاكم والبيهقى عن ابن عوف ، والحاكم والخرائطى والخطيب عن أبى هريرة .

فالعامة رحم الدين وتجب مواصلتها بالتودد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة ، وأما الرحم الخاصة فبتزايد النفقة على القريب وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم ، وتتفاوت مراتب استحقاقهم فى ذلك ، قال الإمام الحافظ ابن أبى جمرة : تكون صلة الرحم بالمال وبالعون على الحاجة وبدفع الضرر وبطلاقة الوجه وبالدعاء، والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة ، وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة ، فإن كانوا كفاراً أو فجاراً فمقاطعتهم فى الله هى صلتهم بشرط بذل الجهد فى وعظهم ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق ولا تسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى ، والله أعلم .

وقد جاء فى كثير من الأحاديث أن صلة الأرحام من أفضل الأعمال ، منها ما رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث معاذ بن أنس الجهنى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عمن شتمك » . وروى الحاكم من حديث عقبة بن عامر الجهنى قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة : تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك » .

وقول المصنف : رواه أحمد والبخارى أى رواه أحمد فى المسند والبخارى فى الأدب المفرد، وعزا هذا الحديث الحافظ ابن حجر فى الفتح إلى أصحاب السنن .

وأحمد رحمه الله تعالى هو الإمام الحافظ الورع الزاهد المجتهد رأس أهل السنة والجماعة ومؤسس المذهب الحنبلى ، من أجمعت الأمة على جلالته وأمانته

وحفظه وإتقانه شيخ الإسلام أبو عبد الله أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ . وقوله « البخارى » هو الإمام الحافظ أمير المؤمنين فى الحديث، وقائد علمه . من أجمعت الأئمة على توثيقه وأمانته وتبحره أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، وأغلب ما يعزى إليه فى هذا الكتاب هو إلى صحيحه وجامعه . وأبو داود هو الإمام الورع المتقن الحافظ سليمان بن الأشعث السجستانى صاحب السنن المتوفى سنة ٢٧٥هـ . والترمذى هو الحافظ الزاهد الورع الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى صاحب السنن والعلل المتوفى سنة ٢٦٧هـ . وابن حبان هو الإمام الحافظ العلامة أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمى البستى صاحب التصانيف العظيمة المتوفى سنة ٣٥٤هـ . والخرائطى هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر السائرى المتوفى سنة ٣٢٧هـ وكتابه هذا الذى روى فيه هذا الحديث اسمه مساوى الأخلاق نص على ذلك محمد المدنى فى كتابه . والخطيب هو الإمام الحافظ المصنف المؤرخ محدث الشام والعراق أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى البغدادى المتوفى سنة ٣٦٤هـ .

٥٤ — « أَنَا اللهُ خَلَقْتُ العِبَادَ بِعِلْمِى فَمَنْ أَرَدْتُ بِهِ خَيْراً مَنَحْتُهُ خُلُقاً حَسَناً، وَمَنْ أَرَدْتُ بِهِ سُوءًا مَنَحْتُهُ خُلُقاً سَيِّئاً » .

---

(٥٤) رواه أبو الشيخ عن ابن عمر .

ش : الخلق – بضم الخاء المعجمة وضم اللام – السجية والعادة والطبيعة والدين والمروءة ، وجمعه أخلاق ، قال صاحب النهاية : وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهى نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ، ولها أوصاف حسنة وقبيحة ، والثواب والعقاب مما يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة ولذا تكررت الأحاديث فى مدح حسن الخلق فى غير موضع كقوله صلى الله عليه وسلم : « أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق » ، وقوله : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » ، وقوله : « إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » ، وقوله : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وأحاديث من هذا النوع كثيرة ، وكذلك جاء فى ذم سوء الخلق أحاديث كثيرة ، وفى حديث عائشة : « كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن » ، أى كان متمسكاً بآدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف ، وفى حديث عمر : « من تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله » أى تكلف أن يظهر من خلقه خلاف ما ينطوى عليه ، مثل تصنع وتجمل إذا أظهر الصنيع والجميل .

وقد روى عن السلف فى تفسير حسن الخلق أقوال نسأل الله تعالى أن يكمل أخلاقنا به ، روى عن الحسن أنه قال : حسن الخلق الكرم والبذلة والاحتمال ، وعن الشعبى قال : حسن الخلق البذلة والعطية والبشر الحسن ، وكان الشعبى رضى الله عنه كذلك ، وعن ابن المبارك قال : هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى ، وسئل سلام بن مطيع عن حسن الخلق فأنشد شعراً :

تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك تعطيه الذى أنت سائله
ولو لم يكن فى كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله
هو البحر من أى النواحى أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله

وقال الإمام أحمد : حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد ، وعنه أنه قال : حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس ، وقال إسحق بن راهويه هو بسط الوجه وأن لا تغضب ونحو ذلك ، قال محمد بن نصر : وقال بعض أهل العلم : حسن الخلق كظم الغيظ لله وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر والعفو عن الزالين إلا تأديباً وإقامة الحد وكف الأذى عن كل مسلم ومعاهد إلا تغيير منكر وأخذاً بمظلمة لمظلوم من غير تعد . وقوله « منحته » أى أعطيته .

والمعنى أن الله جل جلاله يخبرنا أنه الله تعالى خلق الخلق بعلمه لا يعزب عن علمه شيء — فى السموات ولا فى الأرض — فمن أراد به خيراً من الناس منحه وأعطاه خلقاً حسناً فيستعمل خلقه الحسن فى معاملاته بينه وبين إخوانه المخلوقين فلا يوصل إليهم أذى بل يسعى لمنفعتهم أينما وجدوا وحيث كانوا ، ومن أراد الله به سوءاً منحه وأعطاه خلقاً سيئاً فيستعمله بينه وبين المخلوقات فتصدر عنه المساوىء والنقائص والأضرار بالناس فتجد غالب أفعاله وأكثر عمله فى غير منفعة وثمرة مفيدة ، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يهدينا لطرق السداد ويسهل لنا مناهج الخير والفلاح . وقوله « رواه أبو الشيخ » هو الإمام حافظ أصبهان ومسند زمانه أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان — بالحاء المهملة والياء التحتية — الأنصارى صاحب المصنفات النافعة ويعرف بأبى الشيخ المتوفى سنة ٣٦٩هـ وهو غير ابن حبان — بالباء الموحدة .

٥٥ — « أَنَا اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا خَلَقْتُ الشَّرَّ وَقَدَّرْتُهُ فَوَيْلٌ لِمَنْ خَلَقْتُ لَهُ الشَّرَّ وَأَجْرَيْتُ الشَّرَّ عَلَى يَدَيْهِ » .

---

(٥٥) رواه ق عن أبى أمامة .

ش : الشر السوء والفساد والظلم ، والجمع شرور ، ومقابله الخير ، قال الراغب الأصفهانى : الشر الذى يرغب عنه الكل كما أن الخير هو الذى يرغب فيه الكل ، كالعقل مثلا والعدل والفضل والشيء النافع ، وقال العلامة أبو بكر ابن قيم الجوزية : الشر يقال على شيئين ، على الألم وعلى ما يفضى إليه وليس له مسمى سوى ذلك. فالشرور هى الآلام وأسبابها ، فالمعاصى والكفر والشرك وأنواع الظلم هى شرور وإن كان لصاحبها فيها نوع غرض ولذة لكنها شرور لأنها أسباب الآلام ومفضية إليها كإفضاء سائر الأسباب إلى مسبباتها فترتب الألم عليها كترتب الموت على تناول السموم القاتلة وعلى الذبح والإحراق بالنار والخنق بالحبل وغير ذلك من الأسباب التى تصيبه مفضية إلى مسبباتها ولا بد ما لم يمنع السببية مانع أو يعارض السبب ما هو أقوى منه وأشد افتضاء لضده كما يعارض سبب المعاصى قوة الإيمان وعظمة الحسنات الماضية وكثرتها فيزيد فى كميتها على أسباب العذاب فيدفع الأقوى للأضعف ، وهذا شأن جميع الأسباب المتضادة كأسباب الصحة والمرض وأسباب الضعف والقوة .

والشر يضاف إلى الله جل ذكره إيجاداً وخلقاً لا فعلا وصفة ، وإلى الخلق فعلا وصفة لا خلقاً وإيجاداً ، والشر مسند إلى المخلوق المفعول لا إلى خلق الرب تعالى الذى هو فعله وتكوينه فإنه لا شر فيه بوجه ما فإن الشر لا يدخل فى شيء من صفاته ولا فى أفعاله كما لا يلحق ذاته تبارك وتعالى فإن ذاته لها الكمال المطلق الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه وأوصافه كذلك لها الكمال المطلق والجلال التام ولا عيب فيها ولا نقص بوجه ما ، وكذلك أفعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها أصلا ولو فعل الشر سبحانه لاشتق له منه اسم ولم تكن أسماؤه كلها حسنى ولعاد إليه منه حكم ، تعالى وتقدس عن ذلك ، وما يفعله من العدل بعباده وعقوبة من يستحق العقوبة منهم هو خير محض إذ هو محض

العدل والحكمة، وإنما يكون شراً بالنسبة إليهم فالشر وقع فى تعلقه بهم لا فى فعله القائم به تعالى .

ونحن لاننكر أن الشر يكون فى مفعولاته المنفصلة فإنه خالق الخير والشر، ولكن هنا أمران ينبغى أن يكونا منك على بال ، أحدهما أن ما هو شر أو متضمن للشر فإنه لا يكون إلا مفعولا منفصلا لا يكون وصفاً له ولا فعلا من أفعاله ، الثانى أن كونه شراً هو أمر نسبى إضافى فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به، وشر من جهة نسبته إلى من هو شر فى حقه فله وجهان هو من أحدهما خير وهو الوجه الذى نسب منه إلى الخالق سبحانه وتعالى خلقاً وتكويناً ومشيئة لما فيه من الحكمة البالغة التى استأثر بعلمها وأطلع من شاء من خلقه على ما شاء منها ، وأكثر الناس تضيق عقولهم عن مبادىء معرفتها فضلا عن حقيقتها فيكفيهم الإيمان المجمل بأن الله سبحانه الغنى الحميد، وفاعل الشر لا يفعله لحاجته المنافية لغناه أو لنقصه وعيبه المنافى لحمده فيستحيل صدور الشر من الغنى الحميد فعلا وإن كان هو الخالق للخير والشر، فقد عرفت أن كونه شراً هو أمر إضافى وهو فى نفسه خير من جهة نسبته إلى خالقه ومبدعه فلا تغفل عن هذا الموضع فإنه يفتح لك باباً عظيماً من معرفة الرب ومحبته ويزيل عنك شبهات حارت فيها عقول أكثر الفضلاء . اهـ .

وانظر إلى كلام صاحب الشريعة الغراء صلوات الله وسلامه عليه كيف نزه ربه ومولاه عن ذلك بقوله : « لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس إليك » ، قال العلامة أبو السعادات الحافظ مجد الدين بن الأثير فى هذا الحديث : وهذا الكلام إرشاد إلى استعمال الأدب فى الثناء على الله تعالى وأن تضاف إليه محاسن الأشياء دون مساويها، وليس المقصود نفى شىء عن قدرته وإثباته لها فإن هذا فى الدعاء مندوب إليه يقال : يارب السماء والأرض

ولا يقال يا رب الكلاب والخنازير، وإن كان هو ربها، ومنه قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ اهـ.

وقوله «وقدرته» من التقدير وهو الحكم من الله سبحانه وتعالى بأن يكون كذا أو لا يكون كذا، والقدر بفتح الدال وإسكانها لغتان مشهورتان حكاهما ابن قتيبة عن الكسائى وقالها غيره، وهو اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر، يقال: قدرت الشيء وقدرته – بالتخفيف والتثقيل – بمعنى واحد.

قال الإمام العلامة محى الدين النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم: واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء فى القدم وعلم سبحانه أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى، وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها وأنها مستأنفة العلم – أى إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها – وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً. وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر، قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية فى الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر ولكن يقولون: الخير من الله والشر من غيره، تعالى الله عن قولهم. والله أعلم.

واعلم أن العبد وإن كان فى الواقع مقدر عليه فعل المعصية ولا بد من وقوعه ألبتة إلا أنه لم يفعله ولم يقدم على فعله إنجازاً لذلك وامتثالا لما قدر عليه بل فعل ذلك مختاراً ظاهراً ميالا لما تهواه نفسه وشهواته لذلك، كان مسئولا عنه ومعاقباً عليه؛ قال العلامة أبو بكر بن قيم فى فوائده: ربٌّ ذو إرادة أمر عبداً ذا إرادة فإن وفقه وأراد من نفسه أن يعينه ويلهمه فعل ما أمر به

وإن خذله وخلاه وإرادته ونفسه من هذه الحيثية لا يختار إلا ما تهواه نفسه وطبعه ، فهو من حيث هو إنسان لا يريد إلا ذلك، ولذلك ذمه الله تعالى فى كتابه من هذه الحيثية ولم يمدحه إلا بأمر زائد على تلك الحيثية وهو كونه مسلماً ومؤمناً وصابراً ومحسناً وشكوراً وتقياً وبراً ونحو ذلك ، وهذا أمر زائد على مجرد كونه إنساناً وإرادته صالحة ولكن لا يكفى مجرد صلاحيتها إن لم تؤيد بقدر زائد على ذلك وهو التوفيق . كما أنه لا يكفى فى الرؤية مجرد صلاحية العين للادراك إن لم يحصل سبب آخر من النور المنفصل عنها .

وقوله : « فويل » ، قال الأصمعى : ويل قبح وقد يستعمل على التحسر ومن قال ويل واد فى جهنم فإنه لم يرد أن ويلا فى اللغة هو موضوع لهذا وإنما أراد من قال الله تعالى ذلك فيه فقد استحق مقراً من النار وثبت ذلك له . وقوله : « وأجريت الشر على يديه » ، أى أظهرته على يديه ، وقوله : « رواه ق » ، القاف إشارة إلى البيهقى وقد تقدمت ترجمته قريباً ، والله أعلم .

٥٦ ـ « أَنَا اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا مَالِكُ الْمُلْكِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ، قُلُوبُ الْمُلُوكِ فِى يَدِى وَأَنَّ الْعِبَادَ إِذَا أَطَاعُونِى حَوَّلْتُ قُلُوبَ مُلُوكِهِمْ عَلَيْهِمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَأَنَّ الْعِبَادَ إِذَا عَصَوْنِى حَوَّلْتُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْهِمْ بِالسَّخَطِ وَالنِّقْمَةِ فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ، فَلَا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالدُّعَاءِ عَلَى الْمُلُوكِ ، وَلَكِنِ اشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالتَّقَرُّبِ أَكْفِكُمْ مُلُوكَكُمْ » .

---

(٥٦) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى الدرداء .

ش : قوله : « مالك الملك » ، وفى نسخة المدنى « ملك الملك » وهو تحريف ، قال العلامة شهاب الدين الألوسى فى تفسير قوله تعالى: ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ : الملك بالضم — على ما ذكره بعض أئمة التحقيق نسبة بين من قام به ومن تعلق ، وإن شئت قلت : صفة قائمة بذاته متعلقة بالغير تعلق التصرف التام المقتضى استغناء المتصرف وافتقار المتصرف فيه ، ولهذا لم يصح على الإطلاق إلا لله تعالى جده وهو أخص من الملك — بالكسر لأنه تعلق باستيلاء مع ضبط وتمكن من التصرف فى الموضوع اللغوى وبزيادة كونه حقاً فى الشرع من غير نظر إلى استغناء وافتقار ، فمالك الملك هو الملك الحقيقى المتصرف بما شاء كيف شاء إيجاداً وإعداماً إحياء وإماتة وتعذيباً وإثابة من غير مشارك ولا ممانع ، ولهذا لا يقال مالك الملك إلا على ضرب من التجوز . وحمل الملك على هذا المعنى أوفق بمقام المدح . اهـ . والملك — بفتح الميم وكسر اللام وتخفف — من تولى السلطنة وجمعه ملوك ، وقوله : « حولت » بالحاء المهملة أى غيرت وحركت . والسخط — بفتح السين وضمها — الغضب الشديد المقتضى للعقوبة . والنقمة بكسر النون — العقوبة . والسوم أصله الذهاب للطلب ويستعمل للذهاب وحده تارة ومنه السائمة وللطلب أخرى ومنه السوم فى البيع ، ويقال سامه كلفه العمل الشاق ، والسوء مصدر ساء يسوء ويراد به السيء ، ويستعمل فى كل ما يقبح كأعوذ بالله تعالى من سوء الخلق . وسوء العذاب أفظعه وأشده بالنسبة إلى سائره .

والمعنى أن الله تباركت أسماؤه وتنزهت صفاته يخبرنا أنه مالك الملك ومالك الملوك ليس لأحد تصرف فى الحقيقة وإنما المتصرف فى الملك والملكوت هو الله وحده ، فإذا سكنت الرعية إلى ما جاءت به الأنبياء وعملوا بقوانين الشريعة وتمسكوا بمبادئها وأظهروا العدل والمساواة فرحم الكبير الصغير ووقر الصغير الكبير ووصلوا الأرحام وأعانوا المظلومين على خصومهم ، وضربوا

على أيدى الظالمين بسياط من حديد حتى يفيئوا إلى الحق ويتوبوا وينوبوا إلى الله جل ذكره ، فإذا فعلوا ذلك حركت قلوب ملوكهم عليهم وهديتها ووفقتها للعطف على الرعية والرحمة بعبادى الصالحين المطيعين فلا يرى الملك أو السلطان له لذة إلا السهر على رعيته والنظر فى مصالحهم ومنافعهم والأمن على أرواحهم وأموالهم ويراقب العدو ويستعد له ولا يغفل عنه ، فهمه راحة الرعية واطمئنانها . وإن العباد إذا عصوا الله تعالى وخالفوا سنن رسله وأنبيائه وعبثوا بالأحكام وأظهروا الفسوق والفواحش وتعاملوا بالربا وفشا الزنا وحقر صغيرهم كبيرهم ولم يرحم كبيرهم صغيرهم وترك علماؤهم الوعظ والتذكير وصار أكبر همهم جمع الأموال التى هى حطام الدنيا وغفلوا عن مصيرهم ومآلهم حرك الله عليهم قلوب ملوكهم بالغضب عليهم والتنكيل بهم فلا يلذ لملكهم إلا ما يؤذيهم ويضر بمصالحهم ومنافعهم ، كما أخبر الله تعالى فى القرآن الحكيم بقوله : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ . وإذا علم عبادى ذلك ، أى أن كل شىء من حركة وسكون بيدى وكل ما يقع فى ملكى فأنا المتصرف فيه المنفرد بخلقه وإيجاده لا يشاركنى أحد فيه فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك إذا فعلوا ذلك بكم من سيئات الأعمال وقبائح الأقوال والتنكيل بكم وهضم حقوقكم واستيلاء قويكم على ضعيفكم والاستبداد بكم وحبس حريتكم وغصب أموالكم ، لأنه لا ينفعكم الدعاء ولا ينصركم رب الأرض والسماء ، لأنه لا فعل لملككم وسلطانكم ولا قدرة له على ذلك حقيقة ، بل أنا الله الذى أقدرته على ذلك وسلطته عليكم بحسب أعمالكم السيئة ومخالفتكم لأحكامى وخروجكم على أمنائى وعدم امتثالكم قوانين شرعى وأخذكم بسنن أنبيائى ، والذى ينفعكم ويدفع عنكم ما أنتم فيه هو الإنابة إلىّ والتوبة مما اقترفتموه من الذنوب والمعاصى ، وإخلاص نياتكم فى أعمالكم ورد

المظالم إلى أهلها ، وإطاعة أنبيائكم وامتثال أوامر علمائكم أهل التقوى والصلاح وتشييد دعائم شريعتكم بإظهارها والعمل بأحكامها وشغل أنفسكم بما لا يعنيكم. بل اشغلوا أنفسكم بالذكر الكثير الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم الثابت بالأحاديث الصحيحة دون أوراد المشايخ أرباب الطرق القاطعة عنى . وتقربوا إلى بالأعمال الصالحات أكفكم ملوككم السوء وأعصمكم من العدو وأغدق عليكم الخيرات والأرزاق وأوفقكم للمبرات وأبارك لكم فى الأولاد والأموال. وإذا عرفت هذا تعلم أن ما حصل للمسلمين من التقهقر والانحطاط فى جميع الحالات إنما هو بسبب ما وقع منهم من المخالفات وتقليد الأوربيين فى مساويهم من الشرور والفسوق والخلاعة ، وخروجهم عن أحكام شريعتهم الغراء وعدم تأسيهم بسيد الأنبياء والأولياء وإظهار محاسن دينهم القويم. وكله حسن لا سيء فيه على الإطلاق كما هو ظاهر فى القرآن الحكيم وسنن من بالمؤمنين رءوف رحيم. اللهم اهد أمراءنا وعلماءنا ووفقهم لما يرضيك يا رب العالمين.

وقوله « رواه الطبرانى » هو الإمام الحافظ الحجة المتقن أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الشامى اللخمى الطبرانى المتوفى سنة ٣٦٠ ، وقوله « فى الأوسط » هو اسم كتاب له فى الحديث يسمى المعجم الأوسط وله المعجم الكبير والصغير ، والأخير طبع فى الهند سنة ١٣١١هـ ، وانظر الكلام على المعاجم فى كتابنا النموذج صفحة ٥٠٥ تجد ما يسرك .

٥٧ ــ « أَنا العزيزُ مَنْ أَرَادَ عِزَّ الدَّارَيْنِ فَلْيُطِعِ العَزِيزَ » .

---

(٥٧) رواه الخطيب البغداد عن أنس .

ش : العزيز من عز الشيء يعز — بكسر العين — أى لا مثل له ولا نظير من عز الطعام فى البلد إذا تعذر وجوده عند الطلب ، أو من عز يعز — بضم العين — بمعنى الغالب الذى لا يغلب ويقهر ولا يقهر ، أو من عز يعز — بفتح العين — إذا اشتد وقوى ، أو يكون عزيز بمعنى المعز فعيل بمعنى مفعل كالأليم بمعنى المؤلم والوجيع بمعنى الموجع . وعلى الأول فلفظ العزيز يرجع إلى التنزيه ، والثانى والثالث إلى صفات الذات وهى القدرة ، والرابع إلى صفات الفعل . ومنه العزة وهى حالة مانعة للانسان من أن يغلب . ومدح الله سبحانه وتعالى بالعزة تارة وذم بها تارة أخرى . فمن الأول قوله تعالى : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ سبحان ربك رب العزة ﴾ ومن الثانى قوله تعالى : ﴿ بل الذين كفروا فى عزة وشقاق ﴾ ، وبيان ذلك أن العزة التى هى لله جل وعلا ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين رضوان الله عليهم هى الدائمة الباقية التى هى العزة الحقيقية . والعزة التى هى للكافرين والمخالفين هى التعزز وهو فى الحقيقة ذل كما قال عليه الصلاة والسلام : « كل عز ليس بالله فهو ذل » .

قال الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه « المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى » : العزيز هو الذى يقل وجود مثله وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه ، فما لم تجتمع هذه المعانى الثلاثة فيه لم يطلق عليه اسم العزيز فكم من شيء يقل وجوده ، ولكن لا يحتاج إليه فلا يسمى عزيزاً ، وقد يكون بحيث لا مثل له ويحتاج إليه جداً ولكن يسهل الوصول إليه فلا يسمى عزيزاً كالشمس فإنه لا مثل لها والانتفاع بها عظيم جداً ولكنها لا توصف بالعزة فإنه لا يصعب الوصول إليها ، فأما إذا اجتمعت المعانى الثلاثة فى شيء فهو العزيز ثم فى كل واحد من هذه المعانى الثلاثة كمال ونقصان ، فالكمال فى قلة الوجود أنه يرجع إلى واحد إذ لا أقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله وليس هذا

إلا لله ، فإن الشمس وإن كانت واحدة فى الوجود ولكنها ليست واحدة فى الإمكان لأنه يمكن وجود مثلها . وأما كونه منتفعاً به فالكمال فيه أن يكون جميع المنافع حاصلة منه ولا يحصل من غيره وما ذاك إلا لله سبحانه وتعالى فإنه هو المبدىء لوجود جميع الممكنات فإنه سبحانه هو الذى يحتاج إليه كل شيء فى ذاته وصفاته وبقائه ، أما صعوبة الوصول إليه فالكمال فيه هو أن لا يكون لأحد قدرة عليه ،وتكون قدرته على الكل حاصلة والحق كذلك لأنه لا سبيل للعقول إلى الإحاطة بكنه صمديته ، ولا سبيل للأبصار إلى الإحاطة بعظيم جلاله ، ولاسبيل لأحد من الخلق إلى القيام بشكر آلائه ونعمائه ، فثبت أن كمال هذه الصفات حاصلة لله سبحانه وتعالى لا لغيره فوجب القطع بأنه سبحانه وتعالى هو العزيز المطلق . والله أعلم .

والمعنى أن الله جل ذكره يخبرنا أنه العزيز الغالب الذى لا يغلبه أحد ولا يقهره شيء ، بل هو القاهر فوق عباده يفعل ما يشاء ، ومن أراد من عباده عز الحياة الدنيا والآخرة فليطعه يكن عزيزاً قوياً غالباً ، وذلك بأن يجتنب المنهيات ويفعل المأمورات ولا يقول إلا خيراً ، اللهم وفقنا لذلك واهد العصاة من عبيدك يا رب .

٥٨ ـ « أَنَـا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ لِيَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ برِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ » .

---

(٥٨) رواه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة .

٥٩ – « أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تركْتُهُ وَشِرْكَهُ » .

ش : الغنى – بكسر الغين المعجمة مقصوراً – يقال على أضرب ، أحدها عدم الحاجات والفاعل منه هو الذى لا يحتاج إلى أحد فى شىء وكل أحد يحتاج إليه وهذا هو الغنى المطلق ولا يشارك الله فيه غيره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ والله هو الغنى الحميد ﴾ ، والثانى قلة الحاجات وهو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ ووجدك عائلا فأغنى ﴾ ، وذلك هو المذكور فى قوله عليه الصلاة والسلام : « الغنى غنى النفس » ، والثالث كثرة القينات بحسب ضروب الناس كقوله جل ذكره : ﴿ ومن كان غنياً فليستعفف ﴾ وعلى هذا قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما أرسله إلى اليمن فى شأن الصدقة : « تؤخذ من أغنيائهم وترد فى فقرائهم » ، ولفظ « أغنى » أفعل تفضيل أى أكثر غنى من غيره وليس على بابه إذ لا غنى غيره فى الحقيقة بل الكل محتاج إليه .

والشركاء جمع شريك ، ومن هذه المادة الشركة والمشاركة وهو خلط الملكين ، وقيل هو أن يوجد شىء لاثنين فصاعداً عيناً كان ذلك الشىء أو معنى كمشاركة الإنسان والفرس فى الحيوانية ، ومشاركة فرس وفرس فى الكمتة والدهمة .

قال الراغب : وشرك الإنسان فى الدين ضربان ، أحدهما الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى، يقال أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر قال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً ﴾، وقال تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه

(٥٩) رواه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة .

الجنة ﴾ ﴿ يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ﴾ .

والثانى الشرك الصغير ، وهو مراعاة غير الله معه فى بعض الأمور وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله : ﴿ شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ﴾ ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ .

وقوله : « برىء » اسم فاعل أى خالص ومفارق وسالم منه يقال : برئت من الشيء أبرأ براءة وأنا منه برىء إذا أزلته عن نفسك وقطعت سبب مابينك وبينه ، قال ابن الأعرابى : البرىء المتفصى من القبائح المتنحى عن الباطل والكذب البعيد من التهم النقى القلب من الشرك ، والبرىء الصحيح الجسم والعقل ، والمعنى والله أعلم أن هذا الفعل الذى اتصف به العبد وصدر منه لا يرضى به الله تبارك وتعالى بل يسخطه ، وقوله فى الحديث الثانى : « تركته وشركه » ، الشرك هنا بمعنى العمل ، والواو عاطفة بمعنى مع ، أى أجعله وعمله مردوداً من حضرتى .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه أغنى الشركاء عن الشرك أى لا يصح أن يكون له شريك فإذا كان بعض الشركاء غنيا عن الشركاء فالله أغنى عن ذلك وأبعد ، فإذا عمل العبد عملا فواجب عليه أن يخلص فيه لله جل ذكره ولا يشرك فيه غيره جل وعز ، فإذا أشرك العبد بعمله غير الله تعالى فهو مردود عليه ذلك العمل والله تعالى برىء من عمله ذلك، وعمل العبد الذى أشرك فيه غير الله فيطلب جزاءه من الشريك الذى أشركه مع الله تعالى فى عمله وأنى له ذلك ، ففيه حث العباد أن يخلصوا فى أعمالهم ليكون العمل مقبولا ويثاب عليه ويكون ذخراً له فى يوم هو أحوج ما يكون إليه ، وفيه أيضاً بيان غنى الله تعالى ، وأنه أغنى الأغنياء بل جميع الأغنياء محتاجون إليه فهو الغنى

المطلق وغيره فقير إليه فلا ينبغى للعبد أن يطلب أو يعمل شيئاً إلا لله جل اسمه وتعالت صفاته ، والله أعلم .

وقوله : « رواه مسلم » ، هو الإمام الحافظ الحجة صاحب الصحيح — الذى هو أصح دواوين الإسلام فى الحديث بعد صحيح البخارى ، وانظر الكلام على صحيحه فى كتابنا — نموذج من الأعمال الخيرية فى إدارة الطباعة المنيرية — صفحة ٥٧٢ — أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى المتوفى سنة ٢٦١ هـ .

وابن ماجه هو الحافظ الكبير والمؤلف القدير الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه الربعى صاحب السنن والتفسير والتاريخ المتوفى لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين .

٦٠ — « أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَالَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ فَإِذَا خَانَهُ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا » .

ش : الشركة فيها أربع لغات فتح الشين وكسر الراء وكسر الشين وسكون الراء وقد تحذف الهاء مع ذلك ، وهى لغة الاختلاط وشرعاً ثبوت الحق فى شىء لاثنين فأكثر على جهة الشيوع ، وقد تحدث الشركة قهراً كالإرث أو باختيار كالشراء ، والخيانة معلومة ، وقوله : « أنا ثالث الشريكين » أى معهما بالحفظ والبركة أحفظ أموالها وأدر عليهما الرزق والخير فى معاملتهما .

---

(٦٠) رواه أبو داود والحاكم عن أبى هريرة .

قال العلامة الطيبي رحمه الله : الشركة عبارة عن اختلاط أموال بعضهم ببعض بحيث لا يتميز ، وشركة الله تعالى إياهما على الاستعارة كأنه تعالى جعل البركة والفضل والربح بمنزلة المال المخلوط فسمى ذاته تعالى ثالثاً لهما وجعل خيانة الشيطان ومحقه البركة بمنزلة المخلوط وجعله ثالثاً لهما ، وقوله « خرجت من بينهما » ترشيح للاستعارة ، اه ، والحديث سكت عنه أبو داود وانظر حكم ما سكت عنه أبو داود فى كتابنا نموذج من الأعمال الخيرية ص ٦١٥ ، قال الزركشى فى تخريج أحاديث الرافعى : هذا الحديث صححه الحاكم وأعله ابن القطان بالجهل بحال سعيد بن حيان والد أبى حيان فإنه لا يعرف له حال، ولا يعرف روى عنه غير ابنه ، وقال الحافظ ابن حجر : ذكره ابن حبان فى الثقات ، وذكر أنه روى عنه أيضاً الحارث بن يزيد .

٦١ - « أَنَا أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ عَفْوًا مِنْ أَنْ أَسْتُرَ عَلَى مُسْلِمٍ فِى الدُّنْيَا ثُمَّ أَفْضَحَهُ بَعْدَ أَن سَتَرْتُهُ وَلا أَزَالُ أَغْفِرُ لِعَبْدِى مَا اسْتَغْفَرَنِى » .

ش : قوله : « أكرم وأعظم » ، هما على صيغة أفعل التفضيل وليسا على بابها والعفو المحو والإزالة، يقال : عفت الديار إذا درست وذهبت آثارها ، وفى العرف ترك المكافأة عند المقدرة قولا وفعلا . وقيل هو السكون عند الأحوال المحركة للانتقام فعلى هذا العفو فى حق الله تعالى عبارة عن إزالة آثار الذنوب بالكلية فيمحوها من ديوان الكرام الكاتبين ولا يطالبه بها يوم القيامة وينسيها من قلوبهم لئلا يخجلوا عند تذكرها ويثبت مكان كل سيئة حسنة

---

(٦١) رواه الحكيم عن الحسن مرسلا والعقيلى عنه عن أنس .

والعفو أبلغ من المغفرة لأن الغفران يشعر بالستر ، والعفو يشعر بالمحو والمحو أبلغ من الستر ، والعفو من أخلاق الأنبياء والعلماء والأصفياء ، وقد جاء في العفو آيات ، منها قال الله تعالى : ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾، وفي الباب أحاديث كثيرة، وهو يجمع أشرف الخلال وأكرم الخصال وأفضل شمائل الجلال وأعلى مراتب الكمال ، وركن متين وحصن حصين من استند إليه واعتمد عليه استنارت له الظلم . وأمن من عثرات القدم ، وعصم من مواقع الندم .

ومما يحكى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه دعا غلاماً له فلم يجبه فدعاه ثانياً فلم يجبه وهكذا ثالثاً فقام إليه فرآه مضطجعاً فقال ياغلام أما سمعت الصوت؟ فقال : بلى سمعت.قال : فما منعك من الإجابة؟فقال : ثقتي بحلمك واتكالي على عفوك ، فقال علي رضي الله عنه : أنت حر لوجه الله تعالى، وقوله: « ما استغفرني » أي مدة دوام استغفاره لي ، والاستغفار طلب المغفرة ، والمعنى لا أزال أغفر لعبدي ما دام يستغفرني . والله أعلم .

وقوله : « رواه الحكيم عن الحسن » الحكيم هو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الزاهد المؤذن المشهور بالحكيم الترمذي صاحب كتاب نوادر الأصول المتوفى مقتولا ببلخ في حدود العشرين ، والثلاثمائة وعاش نحوا من تسعين سنة ، وقال صاحب كشف الظنون المتوفى شهيداً سنة خمس وخمسين ومائتين وهو وهم منه لأن الحافظ شمس الدين الذهبي صرح في كتابه تذكرة الحفاظ أنه قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومائتين ، وذكر الحافظ ابن حجر في كتابه لسان الميزان أنه عاش إلى حدود العشرين والثلاثمائة لأن ابن الأنباري ذكر أنه سمع منه سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ، وقيل أنه قتل

سنة خمس وتسعين ومائتين ، والحسن هو الإمام شيخ الإسلام ورئيس الزهاد ورأس التابعين ، أبو سعيد بن الحسن بن أبي الحسن البصري المتوفى سنة عشر ومائة ، وقد ذكرت له ترجمة واسعة في كتابي — نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية — فطالعها تجد فيها ما يبهرك .

والعقيلي هو الإمام الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي صاحب كتاب الضعفاء الكبير المتوفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

٦٢ — « أَنَا أَهْلُ أَنْ أُتَّقَى فَلَا يُجْعَل مَعِي إِلهٌ فَمَنِ اتَّقَى أَنْ يَجْعَلَ مَعِي إِلهاً فَأَنَا أَهْلُ أَنْ أَغْفِرَ لَهُ » .

قوله : « أن أتقى » بالبناء للمفعول من اتقى ، والتقوى في اللغة كما قال السيد الشريف بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية ، وعند أهل الحقيقة هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته ، وهو صيانة النفس عما تستحق به من فعل أو ترك ، والتقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص وفي المعصية يراد بها الترك والحذر ، وقيل : أن ينفي العبد ما سوى الله تعالى ، وقيل : المحافظة على آداب الشريعة ، وقيل : مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى ، وقيل : ترك حظوظ النفس ومباينة النهي ، وقيل : أن لا ترى في نفسك شيئاً سوى الله ، وقيل : أن لا ترى نفسك خيراً من أحد ، وقيل : ترك ما دون الله ، والمتبع عندهم هو الذي ألقى متابعة الهوى ، وقيل : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا . وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية

---

(٦٢) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة والبزار وأبو يعلى والحاكم عن أنس .

تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه ، وأفضل صفة يتصف بها الإنسان التقوى لأن بها نجاحه ودخوله فى كنف الرحمن لا يحتجب منهم ولا يستتر ، وقد جاء تفسيرها وصفة أهلها عن السلف الصالح رضى الله عنهم فنورد لك جملة صالحة لعلى أكون أنا وأنت ممن يتقى الله فى جهره وسره ، فأقول وبالله التوفيق :

قال حبر الأمة ابن عباس رضى الله عنهما : المتقون الذى يحذرون من الله عقوبته فى ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته فى التصديق بما جاء به . وقال الحسن البصرى التابعى الجليل : المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض الله عليهم ، وقال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله .

وقال عمر بن عبد العزيز : ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خير ، وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : تمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً يكون حجاباً بينه وبين الحرام فإن الله قد بين للعباد الذى يصيرهم إليه فقال : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ، فلا تحقرن شيئاً من الخير أن تفعله ولا شيئاً من الشر أن تتقيه ، وقال موسى بن أعين : المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا فى الحرام فسماهم الله متقين ، وقال الثورى رحمه الله : إنما سموا متقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى ، فهو سبحانه أهل أن يتقى ويخشى ويهاب ويجل ويعظم فى صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه لما يستحقه من

الإجلال والإكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس. اللهم إنى أسألك أن توفقنا للتقوى وتحيل بيننا وبين معاصيك يا أرحم الراحمين .

وقد وصى الله جل جلاله عباده بالتقوى فى مواضع كثيرة من الذكر الحكيم وحثهم وأمرهم بها منها قوله : ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾، وقال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ واتقوا الله الذى إليه تحشرون ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ واتقوا النار التى أعدت للكافرين ﴾، وقال تعالى: ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾، وقال عز وجل : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ﴾ . فأضيفت تارة إلى الله سبحانه وتعالى، وتارة أضيفت إلى عقاب الله وإلى مكانه كالنار أو زمانه كيوم القيامة .

وكذلك جاء فى أحاديث كثيرة عن النبى صلى الله عليه وسلم الوصية لأمته. منها ما رواه الإمام أحمد بن حنبل من حديث دراج عن أبى الهيثم عن أبى ذر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : أوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وعلانيته » . الحديث ؛ وخرج الإمام حافظ المغرب يوسف أبو عمر ابن عبد البر فى كتاب التمهيد – بإسناد فيه نظر – عن أنس قال : « بعث النبى صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن فقال : يا معاذ اتق الله وخالق الناس بخلق حسن » . الحديث ، وكان صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميراً على سرية أوصاه فى خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً ، ولما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يوم النحر وصى الناس بتقوى الله وبالسمع والطاعة لأئمتهم ، ولما وعظ الناس قالوا له : كأنها موعظة مودع فأوصنا . قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وفى حديث أبى ذر الطويل الذى خرجه ابن حبان وغيره : « قلت : يا رسول الله أوصنى . قال :

أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله » ، وخرج الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدرى : « قال قلت : يا رسول الله أوصنى . قال : أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء » ، الحديث ، وروى الترمذى عن يزيد بن سلمة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم : « قال : يا رسول الله إنى سمعت منك حديثاً كثيراً فأخاف أن ينسينى أوله آخره فحدثنى بكلمة تكون جماعاً . قال : اتق الله فيما تعلم » .

وكذلك الصحابة رضى الله عنهم كان يوصى بعضهم بعضاً بالتقوى ومن جاء بعدهم من التابعين ، فمن ذلك ما نقل عن الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه كان يقول فى خطبته : أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة فى الرهبة وتجمعوا الإلحاف فى المسألة فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : ﴿ إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ ، ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عمر دعاه فوصاه بوصيته وأول ما قال له : اتق الله يا عمر ، وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى ابنه عبد الله أما بعد فإنى أوصيك بتقوى الله عز وجل فإنه من اتقاه وقاه ومن أقرضه جزاه ومن شكره زاده ، واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك . واستعمل على بن أبى طالب رجلا على سرية فقال له : أوصيك بتقوى الله عز وجل لابد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه ، وهو يملك الدنيا والآخرة . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل : أوصيك بتقوى الله عز وجل التى لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ولا يثيب إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل جعلنا الله وإياك من المتقين . ولما ولى خطب فحمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل فإن تقوى الله عز وجل خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف . وقال رجل ليونس بن عبيد: أوصنى . فقال : أوصيك بتقوى الله

والإحسان فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . وقال له رجل – يريد الحج – أوصنى . فقال له : اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشة عليه .

وقيل لرجل من التابعين عند موته : أوصنا . فقال : أوصيكم بخاتمة سورة النحل : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ ، وكتب رجل من السلف إلى أخ له : أوصيك بتقوى الله فإنها من أكرم ما أسررت وأزين ما أظهرت ، وأفضل ما ادخرت . أعاننا الله وإياك عليها وأوجب لنا ولك ثوابها ، وكتب رجل منهم إلى أخ له : أوصيك وأنفسنا بالتقوى فإنها خير زاد الآخرة والأولى ، واجعلها إلى كل خير سبيلك ومن كل شر مر بك فقد تكفل الله عز وجل لأهلها بالنجاة مما يحذرون والرزق من حيث لا يحتسبون ، وقد ثبت عن النبى أنه كان يقول فى دعائه : اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفة والغنى ، أفاد ذلك كله الحافظ بن رجب فى كتابه – جامع العلوم والحكم – .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى حقيق أن يتقيه العباد فلا يجعلون له شريكاً لأنه لا إله غيره ولو أشرك العبد أحداً مع الله لفعل محالا . وحقيق أن يطيعوه ويعبدوه لأنه أهل أن يغفر لهم ذنوبهم ويقبل توبة من أناب إليه . روى الإمام أحمد فى مسنده بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ ، وقال قال ربكم : أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معى إله فمن اتقى أن يجعل معى إلهاً كان أهلا أن أغفر له » ، ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب والنسائى من حديث المعافى بن عمران كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطيعى به ، وقال الترمذى : حسن غريب وسهيل ليس بالقوى .

ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن هدبة بن خالد عن سهيل به ، وهكذا رواه أبو يعلى . والبزار . والبغوى . وغيرهم من حديث سهيل القطيعى به ، والله أعلم .

وقوله : « النسائى » هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر الخراسانى النسائى القاضى صاحب أحد السنن الأربعة المشهورة المولود سنة خمس عشرة ومائتين والمتوفى بفلسطين يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة .

والبزار هو الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى البزار صاحب المسند المعلل المتوفى بالرملة سنة اثنين وتسعين ومائتين.

وأبو يعلى هو الحافظ الثقة محدث الجزيرة أحمد بن على بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التيمى صاحب المسند الكبير المتوفى سنة سبع وثلاثمائة .

٦٣ ــ « أَنَا خَلَقْتُ الْخَيْرَ والشَّرَّ فَطُوبَى لِمَن قَدَّرْتُ عَلَى يَدِهِ الخَيْرَ وَوَيْلٌ لِمَنْ قَدَّرْتُ عَلَى يَدِه الشَّر ».

ش : تقدم الحديث فى ص ٧٦ بلفظ : « أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الشر وقدرته » إلخ ، وانظر شرحه هناك . والطبرانى سبقت ترجمته أيضاً .

٦٤ ــ « أَنَا خَيْرُ قَسِيمٍ لِمَنْ أَشْرَكَ بِى ، مَنْ أَشْرَكَ بِى شَيْئاً فإِنَّ عَمَلَهُ قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ لِشَرِيكِهِ الَّذِى أَشْرَكَ بِهِ وَأَنَا عَنْهُ غَنِىٌّ » .

---

(٦٣) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس .

(٦٤) رواه أحمد والطيالسى والطبرانى فى الكبير عن شداد بن أوس .

٦٥ ـ «أَنَا خَيْرُ شَرِيك ، فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِي شَرِيكاً فَهُوَ لِلشَّرِيكِ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا خَلَصَ لَهُ ، لَا تَقُولُوا هٰذَا لِلَّهِ وللرَّحِمِ فَإِنَّهَا لِرَحِمِه وَلَيْسَ لِلَّهِ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَلَا تَقُولُوا هَذَا لِلَّهِ وَلِوُجُوهِكُمْ فَإِنَّهَا لِوُجُوهِكُمْ وَلَيْسَ لِلَّهِ فِيهَا شَيْءٌ» .

ش : قوله فى الحديث الأول : « قسيم » فعيل بمعنى مفاعل أى مقاسم والشرك أنواع كما بينه حديث الإمام أحمد عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى يرائى فقد أشرك ، ومن صام يرائى فقد أشرك ، ومن تصدق يرائى فقد أشرك ، فإن الله عز وجل يقول « أنا خير قسيم لمن أشرك بى شيئاً فإن جدة عمله قليله وكثيره لشريكه الذى أشرك به وأنا عنه غنى » .

والمعنى أن الله تبارك اسمه وتعالت صفاته يخبرنا أنه لا يقبل عمل عامل منا من ذكر أو أنثى إذا كان عمله مشوباً بشرك ولم يكن خالصاً لله تعالى من جميع أنواع الشرك كالكبر والسمعة وغير ذلك فإن العمل تارة يكون لغير الله كمن يعمل رياء محضاً بحيث لا يراد به سوى من مرئيات المخلوقين لغرض دنيوى كحال المنافقين فى صلاتهم . قال الله تعالى فى وصفهم : ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس﴾ ،وقال الله تعالى: ﴿ فويل للمصلين﴾

---

(٦٥) رواه البزار عن الضحاك .

وكذلك وصف الله تبارك وتعالى الكفار بالرياء المحض فى قوله: ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ﴾ ، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن فى فرض الصلاة والصيام ، وقد يصدر فى الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة،والتى يتعدى نفعها فإن الإخلاص فيها عزيز ، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وإن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة .

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه أيضاً وحبوطه ، ومنها حديث الكتاب ،والله أعلم .

وقوله فى الحديث الأول : « رواه الطيالسى » : هو الإمام الحافظ الثقة سليمان بن داود بن الجارود أبو داود الطيالسى صاحب المسند المطبوع فى الهند المتوفى سنة ثلاث أو أربع ومائتين بالبصرة . انظر الكلام على مسنده فى كتابنا نموذج من الأعمال الخيرية ص ٤٨٥ هـ .

٦٦ ــ « أَنا رَبُّكم أَنَا أَهْلُ أَنْ أُتَّقَى فَلاَ تَجْعَلُوا مَعِى إِلٰهاً فَمنِ اتَّقَى أَنْ يَجْعَلَ مَعِى إِلٰهاً فَأنَا أَهْل أَنْ أَغْفِرَ لَهُ » .

ش : تقدم ذكر الحديث فى ص ٩١ بتغيير بعض ألفاظه فارجع إليه .

٦٧ ــ « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى فَلْيَظُنَّ بِى مَاشَاءَ » .

---

(٦٦) رواه أحمد والترمذى عن الضحاك .

(٦٧) رواه مسلم والحاكم عن واثلة وابن أبى الدنيا والحكيم عن أبى هريرة .

٦٨ – « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِى ».

٦٩ – « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِى ».

٧٠ – « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِى، فَإِنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى وَإِنْ ذَكَرَنِى فِى مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِى مَلَإٍ خير مِنه ».

٧١ – « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى إِنْ ظَنَّ خَيْراً فَخَيْرٌ وإِنْ ظَنَّ شَراً فَشَرٌّ ».

٧٢ – « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى فَلْيَظُنَّ بِى مَا شَاءَ ».

٧٣ – « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى إِنْ ظَنَّ خَيْراً فَلَهُ وإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ ».

---

(٦٨) رواه مسلم والحاكم عن أنس .

(٦٩) رواه أحمد عن أنس .

(٧٠) رواه البيهقى عن أبى هريرة .

(٧١) رواه الطبرانى وابن حبان عن واثلة بن الأسقع .

(٧٢) رواه ابن أبى الدنيا والحكيم عن أبى هريرة .

(٧٣) رواه أحمد ومسلم والطبرانى وابن النجار عن أبى هريرة ورواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم عن واثلة .

ش : الحديث الأول فيه الأمر بالظن بالله سبحانه وتعالى مطلقاً ، أى فى حال الذكر أو الدعاء ، والثانى مقيد بحال الذكر وكذلك الرابع ، والثالث بحال الدعاء ، والحديث الخامس فيه تفصيل الظن بحسنه إن كان خيراً فيجزى بذلك ، وإن كان شراً فيجده كذلك .

والظن يطلق على معان ، قال أبو عبد الله الدامغانى فى كتابه — الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها — الظن على أربعة أوجه : فوجه منها الظن بمعنى اليقين . قوله تعالى فى البقرة : ﴿ إن ظنا أن يقيما حدود الله ﴾ ، وكقوله : فى ص ﴿ وظن داود أنما فتناه ﴾ يعنى علم داود بما آتيناه وقال فى الحاقة : ﴿ إنى ظننت أنى ملاق حسابيه ﴾ . يقول أيقنت ، والوجه الثانى الظن بمعنى الشك . قوله تعالى فى الجاثية : ﴿ إن نظن إلا ظناً ﴾ يعنى ما نشك إلا شكاً والوجه الثالث ظن بمعنى حسب قوله تعالى : ﴿ إنه ظن أن لن يحور * بلى ﴾ ، يعنى حسب أن لا يرجع ، وقال فى حم السجدة : ﴿ ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾ . والوجه الرابع الظن بمعنى التهمة ، قوله تعالى فى الأحزاب ﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾ يعنى التهمة ، وقال : اتهموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبرهم أن الله عز وجل يفتح عليك وكقوله : ﴿ وما هو على الغيب بظنين ﴾ ، يعنى بمتهم ، نظيره فى الفتح : ﴿ وظننتم ظن السوء ﴾ ، اهـ .

أقول : ويأتى بمعنى الاعتقاد كقوله تعالى : ﴿ وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ﴾ ، أى اعتقدوا ، فالظن هنا والله أعلم بمعنى حسب أو اعتقد .

قال الحافظ ابن حجر فى كتابه — فتح البارى شرح صحيح البخارى — فى قوله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى أنا عند حسن ظن عبدى بى » أى قادر على أن أعمل به ما ظن أنى عامله به ، وقال الكرمانى : وفى السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف ، وكأنه أخذه من جهة التسوية فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد وهو جانب الخوف بأنه لا يختاره

لنفسه ، بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد وهو جانب الرجاء ، وهو كما قال أهل التحقيق : مقيد بالمحتضر ويؤيد ذلك حديث : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » . وهو عند مسلم من حديث جابر ، وأما قبل ذلك ففى الأول أقوال ثالثها الاعتدال ، وقال ابن أبى جمرة : المراد بالظن هنا العلم وهو كقوله : ﴿ وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ﴾ وقال القرطبى فى المفهم قيل معناه ظن عبدى بى ظن الإجابة عند الدعاء وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكاً بصادق وعده ، قال : ويؤيده قوله فى الحديث الآخر : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة » . قال : ولذلك ينبغى للمرء أن يجتهد فى القيام بما عليه موقناً بأن الله يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد ، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر ، ومن مات على ذلك وكل إلى ما ظن كما فى بعض طرق الحديث المذكور : « فليظن بى عبدى ما شاء » ، قال : وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغرة وهو يجر إلى مذهب المرجئة . اه .

وقال الشوكانى فى تحفة الذاكرين : فيه ترغيب من الله عز وجل لعباده بتحسين ظنونهم وأنه يعاملهم على حسبها فمن ظن به خيراً أفاض عليه جزيل خيراته وأسبل عليه جميل تفضلاته ونثر عليه محاسن كراماته وسوابغ عطياته ومن لم يكن فى ظنه هكذا لم يكن الله تعالى له هكذا . وهذا هو معنى كونه سبحانه وتعالى عند ظن عبده فعلى العبد أن يكون حسن الظن بربه فى جميع حالاته ويستعين على تحصيل ذلك باستحضاره ما ورد من الأدلة الدالة على سعة رحمة الله سبحانه وتعالى .

وقوله : « فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى » قال بعض أهل العلم يستفاد منه أن الذكر الخفى أفضل من الذكر الجهرى لتقديمه على الذكر

الجهرى فى السياق وتقدير المعنى إن ذكرنى فى نفسه ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحداً، وإن ذكرنى جهراً ذكرته بثواب أطلع عليه الملأ الأعلى ، وفيه احتمال ، وللعلماء فى أيهما أفضل خلاف ذكرته فى شرحى على (الكلم الطيب) للامام تقى الدين بن تيمية فارجع إليه .

قال ابن بطال : هذا نص فى أن الملائكة أفضل من بنى آدم ،وهو مذهب جمهور أهل العلم ، وعلى ذلك شواهد من القرآن مثل : ﴿ إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ ، والخالد أفضل من الفانى فالملائكة أفضل من بنى آدم وتعقب بأن المعروف عن جمهور أهل السنة أن صالحى بنى آدم أفضل من سائر الأجناس والذين ذهبوا إلى تفضيل الملائكة الفلاسفة ثم المعتزلة وقليل من أهل السنة من أهل التصوف وبعض أهل الظاهر فنهم من فاضل بين الجنسين فقالوا : حقيقة الملك أفضل من حقيقة الإنسان لأنها نورانية وخيرة ولطيفة مع سعة العلم والقوة وصفاء الجوهر ، وهذا يستلزم تفضيل كل فرد على كل فرد لجواز أن يكون فى بعض الأناسى ما فى ذلك وزيادة ، ومنهم من خص الخلاف بصالحى البشر والملائكة ، ومنهم من خصه بالأنبياء ثم منهم من فضل الملائكة على غير الأنبياء ؛ ومنهم من فضلهم على الأنبياء أيضاً إلا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن أدلة تفضيل النبى على الملك أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم على سبيل التكريم له حتى قال إبليس : ﴿ أرأيتك هذا الذى كرمت على ﴾ ، ومنها قوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدى ﴾ لما فيه من الإشارة إلى العناية به ولم يثبت ذلك للملائكة ، ومنها قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض ﴾ فدخل فى عمومه الملائكة والمسخر له أفضل من المسخر ، ولأن

طاعة الملائكة بأصل الخلقة وطاعة البشر غالباً مع المجاهدة للنفس لما طبعت عليه من الشهوة والحرص والهوى والغضب فكانت عبادتهم أشق وأيضاً فطاعة الملائكة بالأمر الوارد عليهم وطاعة البشر بالنص تارة وبالاجتهاد تارة وبالاستنباط تارة فكانت أشق ولأن الملائكة سلمت من وسوسة الشياطين وإلقاء الشبه والإغواء الجائزة على البشر ولأن الملائكة تشاهد حقائق الملكوت والبشر لا يعرفون ذلك إلا بالإعلام فلا يسلم منهم من إدخال الشبهة من جهة تدبير الكواكب وحركة الأفلاك إلا الثابت على دينه ولا يتم ذلك إلا بمشقة شديدة ومجاهدات كثيرة .

وأما أدلة الآخرين فقد قيل : أن حديث الباب أقوى ما استدل به لذلك للتصريح بقوله فيه « فى ملأ خير منهم » والمراد بهم الملائكة حتى قال بعض الغلاة فى ذلك : وكم من ذاكر الله فى ملأ فيهم محمد صلى الله عليه وسلم ذكرهم الله فى ملأ خير منهم ، وأجاب بعض أهل السنة بأن الخبر المذكور ليس نصاً ولا صريحاً فى المراد بل يتطرقه احتمال أن يكون المراد بالملأ الذين هم خير من الملأ الذاكر الأنبياء والشهداء فإنهم أحياء عند ربهم فلم ينحصر ذلك فى الملائكة .

وأجاب آخر وهو أقوى من الأول بأن الخيرية إنما حصلت بالذاكر والملأ معاً ، فالجانب الذى فيه رب العزة خير من الجانب الذى ليس هو فيه بلا ارتياب ، فالخيرية حصلت بالنسبة للمجموع على المجموع . وهذا الجواب ظهر لى وظننت أنه مبتكر ثم رأيته فى كلام القاضى كمال الدين بن الزملكانى فى الجزء الذى جمعه فى الرفيق الأعلى ، فقال : إن الله تعالى قابل ذكر العبد فى نفسه بذكره له فى نفسه وقابل ذكر العبد فى الملأ بذكره له فى الملأ فإنما صار الذكر فى الملأ الثانى خيراً من الذكر فى الأول ؛ لأن الله هو الذاكر فيهم والملأ الذين يذكرون — والله فيهم — أفضل من الملأ الذين يذكرون وليس

الله فيهم ، ومن أدلة المعتزلة تقديم الملائكة فى الذكر فى قوله تعالى : ﴿ من كان عدواً لله وملائكته ورسله ﴾ و : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ﴾ ، ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ ، وتعقب بأن مجرد التقديم فى الذكر لا يستلزم التفضيل لأنه لم ينحصر فيه بل له أسباب أخرى كالتقديم بالزمان ، فى مثل قوله تعالى: ﴿ ومنك ومن نوح وإبراهيم ﴾ فقدم نوحاً على إبراهيم لتقدم زمان نوح مع أن إبراهيم أفضل ، ومنها قوله تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴾ ، وبالغ الزمخشرى فادعى أن دلالتها لهذا المطلوب قطعية بالنسبة لعلم المعانى فقال فى قوله تعالى : ﴿ ولا الملائكة المقربون ﴾ أى ولا من هو أعلى قدراً من المسيح — وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل — قال : ولا يقتضى علم المعانى غير هذا من حيث إن الكلام إنما سيق للرد على النصارى لغلوهم فى المسيح فقيل لهم : لن يترفع المسيح عن العبودية ولا من هو أرفع درجة منه . انتهى ملخصاً .

وأجيب بأن الترقى لا يستلزم التفضيل المتنازع فيه، وإنما هو بحسب المقام وذلك أن كلا من الملائكة والمسيح عبد من دون الله فرد عليهم بأن المسيح الذى تشاهدونه لم يتكبر عن عبادة الله ، وكذلك من غاب عنكم من الملائكة لا يتكبر ، والنفوس لما غاب عنها أهيب ممن تشاهده ، ولأن الصفات التى عبدوا المسيح لأجلها من الزهد فى الدنيا والاطلاع على المغيبات وإحياء الموتى بإذن الله موجودة فى الملائكة فإن كانت توجب عبادته فهى موجبة لعبادتهم بطريق الأولى ، وهم مع ذلك لا يستنكفون عن عبادة الله تعالى ؛ ولا يلزم من هذا الترقى ثبوت الأفضلية المتنازع فيها .

وقال البيضاوى : احتج بهذا العطف من زعم أن الملائكة أفضل من الأنبياء ، وقال : هى مساقة للرد على النصارى فى رفع المسيح عن مقام

العبودية ، وذلك يقتضى أن يكون المعطوف عليه أعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه ، وجوابه أن الآية سيقت للرد على عبدة المسيح والملائكة فأريد بالعطف المبالغة باعتبار الكثرة دون التفضيل كقول القائل: أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرءوس ، وعلى تقدير إرادة التفضيل ، فغايته تفضيل المقربين ممن حول العرش بل من هو أعلى رتبة منهم على المسيح ، وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقاً ، وقال الطيبى لا تتم لهم الدلالة إلا إن سلم أن الآية سيقت للرد على النصارى فقط فيصح: لن يترفع المسيح عن العبودية ولا من هو أرفع منه والذى يدعى ذلك يحتاج إلى إثبات أن النصارى تعتقد تفضيل الملائكة على المسيح وهم لا يعتقدون ذلك بل يعتقدون فيه الإلهية فلا يتم استدلال من استدل به ، قال وسياقه الآية من أسلوب التتميم والمبالغة لا الترقى ، وذلك أنه قدم قوله : ﴿ إنما الله إله واحد ﴾ إلى قوله ﴿ وكيلا ﴾ ، فقرر الوحدانية والمالكية والقدرة التامة ثم أتبعه بعدم الاستنكاف. فالتقدير: لا يستحق من اتصف بذلك أن يستكبر عليه الذى تتخذونه أيها النصارى إلهاً لاعتقادكم فيه الكمال ، ولا الملائكة الذين اتخذها غيركم آلهة لاعتقادهم فيهم الكمال . قلت : وقد ذكر ذلك البغوى ملخصاً ولفظه: لم يقل ذلك رفعاً لمقامهم على مقام عيسى بل رداً على الذين يدعون أن الملائكة آلهة فرد عليهم كما رد على النصارى الذين يدعون التثليث ، ومنها قوله تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك ﴾ ، فنفى أن يكون ملكاً فدل على أنهم أفضل ، وتعقب بأنه إنما نفى ذلك لكونهم طلبوا منه الخزائن وعلم الغيب وأن يكون بصفة الملك من ترك الأكل والشرب والجماع ، وهو من نمط إنكارهم أن يرسل الله بشراً مثلهم فنفى عنه أنه ملك ولا يستلزم ذلك التفضيل ، ومنها أنه سبحانه لما وصف جبريل ومحمداً قال فى جبريل : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ ، وقال فى حق النبى صلى الله عليه

وسلم : ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ ، وبين الوصفين بون بعيد ، وتعقب بأن ذلك إنما سيق للرد على من زعم أن الذى يأتيه شيطان فكان وصف جبريل بذلك تعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم فى غير هذا الموضع بمثل ما وصف به جبريل هنا وأعظم منه ، وقد أفرط الزمخشرى فى سوء الأدب هنا وقال كلاماً يستلزم تنقيص المقام المحمدى وبالغ الأئمة فى الرد عليه فى ذلك وهو من زلاته الشنيعة .

وقوله فى الحديث الأول : « رواه ابن أبى الدنيا » هو الإمام الجليل والحافظ الشهير أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشى الشهير بابن أبى الدنيا صاحب المصنفات الكثيرة المتوفى سنة ٢٨١هـ .

وقوله : « والحكيم » هو أبو عبد الله محمد بن على بن الحسين بن بشير المؤذن الحكيم الترمذى صاحب التصانيف الكثيرة منها نوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم .

قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومائتين وتوفى عن نحو ثمانين سنة .

وقوله فى الحديث الرابع : « فى ملأ » الملأ تقدم تفسيره ص ١٨ فأغنى عن إعادة الكلام عليه .

وقوله فى الحديث الأخير : « فله » أى مقتضى ظنه من خير أو شر ، فالمعاملة تدور مع الظن ، وروى الحاكم عن أنس بن مالك : « قال الله تعالى : أنا عند ظنك بى وأنا معك إذا ذكرتنى » أى دعوتنى فأسمع ما تقوله فأجيبك ، قال الحكيم الترمذى : هذا وما أشبهه من الأحاديث المتقدمة فى ذكر عن يقظة لا عن غفلة ، لأن ذلك هو حقيقة الذكر فيكون بحيث لا يبقى عليه مع ذكره فى ذلك الوقت ذكر نفسه ولا ذكر مخلوق فذلك الذكر هو الصافى لأنه قلب واحد فإذا اشتغل بشىء ذهل عما سواه . وهذا موجود فى المخلوق

لو أن رجلا دخل على ملك فى الدنيا لأخذه من هيبته ما لا يذكر فى ذلك الوقت غيره فكيف بملك الملوك ؟

وقوله : « ابن النجار » هو الإمام البارع مفيد العراق الرحالة محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار البغدادى صاحب المعجم المتوفى سنة ٦٤٣هـ .

وقوله : « وأبو نعيم » هو الإمام الحافظ الكبير محدث عصره أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحق بن موسى بن مهران المهرانى الأصبهانى الصوفى صاحب حلية الأولياء توفى سنة ثلاثين وأربعمائة .

٧٤ — « أَنَـا مَعَ عَبْدِى إِذْ هُوَ ذَكَرَنى وَتَحَرَّكَتْ بِى شَفَتَـاهُ » .

ش : قوله : « أنا مع عبدى » المعية الله أعلم بحقيقتها نسلم لفظها ونكل المعنى إلى الله جل وعلا ، وهذا مذهب سلف الأمة.وقد تقدم الكلام على مثل ذلك فارجع إليه ، وقوله : « إذ » ظرف زمان ، وشفتاه تثنية شفة بفتح أوله وأصلها شفهة وهى معلومة ، والمعنى — والله أعلم — أن الله سبحانه وتعالى مع عبده وقت ذكره خالقه وبارئه وتحركت شفتا العبد بذكره وهو يدل على أن الذكر الجهرى أرجح من الذكر الخفى وقد تقدم الكلام على ذلك قريباً .

وقوله : « والقضاعى » هو المحدث شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن

---

(٧٤) رواه أبو داود والحاكم وابن حبان عن أبى الدرداء ، والقضاعى والحاكم وابن حبان عن أنس وغيره وأحمد وابن ماجة والحاكم وابن حبان عن أبى هريرة .

سلامة بن جعفر بن على القضاعى نسبة إلى قضاعة شعب من معد بن عدنان . ويقال : هو من حمير وهو الأكثر والأصح . كان قاضى مصر ومحدثها ، توفى سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وباقى التراجم تقدم شرحها .

٧٥ ــ « أَنْتَقِمُ مِمَّنْ أُبْغِضُ بِمَنْ أُبْغِضُ ثُمَّ أُصَيِّرُ كُلاًّ إِلَى النَّارِ » .

ش : الانتقام افتعال ، والمنتقم هو المبالغ فى العقوبة لمن يشاء وهو مفتعل من نقم ينقم إذا بلغت به الكراهة حد السخط ، ومن أسمائه الحسنى جل جلاله المنتقم ، قال فى لوامع البينات : المنتقم مشتق من الانتقام ولا يسمى التعذيب بالانتقام إلا بشرائط ثلاثة : الأول أن تبلغ الكراهة إلى حد السخط الشديد . الثانى أن تحصل تلك العقوبة بعد مدة . الثالث أن يقتضى ذلك التعذيب نوعاً من التشفى ، وهذا القيد لا يحصل إلا فى حق الخلق أما فى حق الخالق فهو محال.

واعلم أن الانتقام أشد من المعالجة بالعقوبة فإن المذنب إذا عوجل بالعقوبة لم يتمكن فى المعصية فلم يستوجب غاية النكال فى العقوبة. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ فلما ءاسفونا انتقمنا منهم ﴾ . وأيضاً قد سمى الله تعالى تكرار إيجاب الكفارة فى تكرار المحرم أخذ الصيد انتقاماً قال : ﴿ ومن عاد فينتقم الله منه ﴾ ، وهو قريب من قوله : ﴿ فبظلم من الذين هادوا ﴾ الآية ، أما حظ العبد منه فقال الغزالى : انتقام العبد إنما يكون محموداً إذا انتقم من الأعداء ، وأعدى عدوه نفسه التى بين جنبيه فلا جرم يجب عليه أن ينتقم منها .

والبغض تقدم الكلام عليه صفحة ٣٣ فأغنى عن إعادته ، وقوله :

---

(٧٥) رواه الطبرانى فى الأوسط عن جابر .

« أنتقم ممن أبغض بمن أبغض » ، يعنى أن الله سبحانه وتعالى يعاقب من يبغضه بارتكاب المعاصى وسوء الأعمال بمن يبغض من خلقه كذلك، أى أن الله تبارك اسمه يولى الظالمين بعضهم بعضاً، وهكذا نطقت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بذلك والشاهد يؤيد الواقع فإن غالب الأمم الإسلامية فى عصرنا الحاضر يتولاها الظالمون وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . نسأل الله السلامة من الحرب الحاضرة التى وقعت فى شهر رجب سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها ألف صلاة وتحية — بين الألمان وبولندة ودخلت معها الروس بزعم أنها تحامى عن الأقلية الروسية الموجودة فيها ولربما تشترك فيها باقى الأمم الغربية والشرقية . ولا ينفع المسلمين فى هذه الظروف إلا تحابيهم وتوادهم ومعاونة بعضهم بعضاً وعلى الأغنياء أن يواسوا الفقراء ، والأقوياء يساعدوا الضعفاء . ورجوعهم إلى الله عز وجل بالتوبة والإنابة والإخلاص فى الأعمال والإقلاع عن المعاصى والمفاسد والتباعد عن الشقاق والفتن والتحفز للأخذ بيد المظلوم من الظالم الغاشم المستبد فلعل ذلك يكفل لنا النجاح إن شاء الله تعالى ويسلمنا .

٧٦ — « انْطَلِقُوا يَا مَلائِكَتِى إِلَى عَبْدِى فَصُبُّوا عَلَيْهِ الْبَلَاءَ صَبًّا فَيَصُبُّونَ عَلَيْهِ الْبَلَاءَ فَيَحْمَدُ اللهَ فَيَرْجِعُونَ فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا صَبَبْنَا عَلَيْهِ الْبَلَاءَ كَمَا أَمَرْتَنَا فَيَقُولُ ارْجِعُوا فَإِنِّى أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ » .

---

(٧٦) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة .

ش : الصب السكب ، وصب الماء إراقته من أعلى ، والبلاء والابتلاء تقدم تفسيرهما صفحة١٢ فارجع إليه ، والمراد بالصب هنا العرض والإلقاء أى أعرضوا وألقوا يا ملائكتى على عبدى فلان البلاء ليختبر ويمتحن ليظهر خيره أو شره لغيره ، وقد سمى الله تعالى التكاليف الشرعية بلاء لأن التكاليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء ، ولأنها اختبارات قال الله عز وجل: ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ونعلم الصابرين ﴾ والقرآن والسنة مملوءان بذلك ، واختبار الله تعالى للعباد تارة يكون بالمسار ليشكروا ، وتارة بالمضار ليصبروا فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء ، فالمنحة مقتضية للصبر والمحنة مقتضية للشكر ، قال عمر بن الخطاب : بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر ، قال الراغب الأصفهانى : إذا قيل : ابتلى فلان كذا وأبلاه فذلك يتضمن أمرين أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره ؛ والثانى ظهور جودته ورداءته وربما قصد به الأمران ، وربما يقصد به أحدهما ، فإذا قيل فى الله تعالى بلا كذا أو أبلاه فليس المراد منه إلا ظهور جودته ورداءته دون التعرف لحاله والوقوف على ما يجهل من أمره إذ كان الله علام الغيوب وعلى هذا قوله عز وجل : ﴿ وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ﴾ ، ولا شك أن إضافة العبد إليه عز وجل هنا لتعظيمه وتشريفه إذ بين أن العبد المصبوب عليه البلاء حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله فكان قابلا للبلاء متعرضاً له بدون أن يظهر إساءته أو كراهيته له ، بل يتسع صدره له وهو حامد شاكر مظهر الثناء على الله والرضا به ومعافاة غيره عن الابتلاء بمثل ذلك ممن ليس كذلك ، فعلى المؤمن العاقل أن يتلقى البلاء والمصائب بكل حواسه بصدر رحب وقلب مطمئن بالإيمان ومفعم بالرضا والصبر والاحتساب فيزول ذلك عنه قريباً بدون أن يمسه أذى . فنسأل الله أن يوفقنا للصبر عند الصدمة الأولى ، ويختم لنا بالسعادة الأبدية ، وقد جاء فى الصبر

على الابتلاء آيات كثيرة ، وأن لمن صبر ثواباً عظيماً لا يقدر قدره ، وكذلك الأحاديث الصحيحة جاءت فى الحث على الصبر إذا ابتلى وأن له ثواباً عظيماً . والله أعلم .

٧٧ — « أَنْفِقْ أُنْفِق عَلَيْكَ » .

ش : قوله : « أنفق » الأولى بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الفاء أمر بالإنفاق ، وقوله : « أنفق عليك » بضم الهمزة وسكون النون جواب الأمر ، والإنفاق إخراج المال من اليد . ومنه نفق البيع أى خرج من يد البائع إلى المشترى ، ونفقت الدابة خرجت روحها. ونفق الزاد فنى ، والإنفاق قد يكون فى المال وفى غيره ، وقد يكون واجباً وتطوعاً والكل مطلوب .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أمر عبده أن ينفق فى المصالح الخيرية والمشاريع الحيوية مما أنعم الله عليه وجعله حاكماً عليه وتحت يده من نقد أو عرض تجارة أو غير ذلك مما يحوزه الإنسان ، ويملكه لأن المال كله من الله سبحانه وتعالى رزقه عبده ليصرفه فى منافع المسلمين إذا زاد عن كفايته وكفاية من يلزمه نفقته شرعاً أخذاً من أدلة أخرى معلومة مقيدة بذلك ، ولا ريب أن الإنفاق على الأهل والأقارب غير اللازمة نفقتهم أولى وأفضل من النفقة على غيرهم . والأفضل والأحرى صرف المال على الفقراء والمساكين المتمسكين بشعائر دينهم من صلاة وصيام وزكاة وغير ذلك من فرائض الإسلام وأركانه وواجباته ، ولأن تقديمهم بذلك لذلك أردع لغير المتمسكين وأرغب لهم فى التمسك بذلك ، ويراعى فى ذلك ما كان نفعه أعم وفائدته أشمل

---

(٧٧) رواه أحمد والشيخان عن أبى هريرة .

وثمرته أعظم ، وقوله : « أنفق عليك » أى أعوضه لك وأعطيك خلفه بل أكثر أضعافاً مضاعفة. قال الله تعالى : ﴿ وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه ﴾ ولم يقيده بمقدار ، فنسأل الله الهداية إلى الشرع الشريف والعمل بأحكامه ، وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً » .

٧٨ – « أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي يَخْرُجُ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِي ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ضَمِنْتُ لَهُ أَنْ أَرْجِعَهُ – إِنْ رَجَعْتُهُ – بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ وَإِنْ قَبَضْتُهُ أَنْ أَغْفِرَ لَهُ وَأَرْحَمَهُ وأُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ » .

ش : الجهاد تكلمنا عليه فى تعليقنا على مختصر شعب الإيمان صفحة ٧٤ فارجع إليه تجد ما يسرك ، وقوله : « فى سبيلى » ، السبيل الطريق الذى فيه سهولة وجمعه سبل. والمراد به هنا الطريق الذى عبده المولى جل وعلا وشرعه لعباده وسهله وأحكمه لا طريق غيره مما يخالفه ، وقوله : « ابتغاء مرضاتى » الابتغاء طلب الشىء فتارة يكون لله وتارة لغيره فما كان لله سبحانه وتعالى أثيب عليه صاحبه وقبل . وما كان لغيره جل وعز أحبط وعوقب أو لا ثواب فيه ، والغنيمة ما أصيب من أموال أهل الحرب ، والحديث عزاه المنذرى إلى النسائى أيضاً ، وروى مالك والبخارى والنسائى « تكفل الله لمن

---

(٧٨) رواه أحمد والترمذى والطبرانى عن ابن عمر .

جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد فى سبيله وتصديق بكلماته إلا يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه ، بما نال من أجر أو غنيمة » .

والمعنى أن الله تقدست أسماؤه يخبرنا أن من خرج من عباده مجاهداً فى سبيله قاصداً بذلك مرضاة الله عز وجل ورضاه لا أمراً آخر يضمن له إن رجع وعاش أن يرجعه إلى وطنه بما أى بالذى أصاب من أجر أو غنيمة وإن لم يرجع بأن قبضه الله تعالى وتوفاه شهيداً فى ميدان القتال أو حتف أنفه أن يغفر له جل ذكره ذنوبه — إن كانت له ذنوب — ويرحمه ويدخله جنته لجوده بنفسه وبذله إياها فى رضا الذى خلقه ، وهذا غاية ما يرجوه العبد ، ففيه الحث على الجهاد بأقسامه كلها وأن تكون نيته خالصة لإعلاء كلمة الله جل ذكره وانتشار الإسلام وهدم الكفر وأهله ، والله أعلم .

٧٩ — « أَيُّمَا مُؤْمِنٍ عَطَسَ ثَلَاثَ عَطَسَاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ إِلَّا كَانَ الإِيمَانُ ثَابِتًا فِى قَلْبِهِ » .

ش : العطاس — بضم العين المهملة — معروف . ومتواليات متتابعات ، والمعنى إذا عطس الإنسان ثلاث عطسات متتابعات لا يفصل بينها فاصل فحمد الله فإن إيمانه يثبت فى قلبه ولا يتزلزل . والحديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس ، وهو مملوء من الأحاديث الضعيفة والواهية ، وتقدم ذكر ترجمة الديلمى صفحة ٧١ فارجع إليه .

---

(٧٩) روى الديلمى عن أنس أنه عليه الصلاة والسلام قال « أخبرنى جبريل عليه السلام عن الله ، أيما عبد » إلخ . .

٨٠ - «إِنِّى أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا سَبَقَتْ رَحْمَتِى غَضَبِى فَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ محَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ» .

ش : الرحمة فى الأصل رقة فى القلب تقتضى الإحسان والعطف والحنان على المرحوم فتحركه إلى قضاء حاجته والتلطف به ، وقد يستعمل تارة فى الرقة المجردة وتارة فى الإحسان المجرد عن الرقة نحو رحم الله فلاناً فإذا وصف به البارى تباركت أسماؤه وتنزهت صفاته فلا يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة ، وعلى هذا فإن الرحمة من الله إنعام وإفضال . ومن الآدميين رقة وتعطف ، فالله سبحانه وتعالى ركز فى طبائع الناس الرقة وتفرد بالإحسان ، ورحمة الله سبحانه وتعالى فى الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين وفى الآخرة مختصة بالمؤمنين . قال الله تعالى : ﴿ ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ﴾ ، والغضب تكلمت عليه صفحة ٣٣ فارجع إليه ، والمعنى أن الله سبحانه أخبر أنه الإله المنفرد بالألوهية وقد سبقت رحمته وإحسانه ولطفه غضبه وانتقامه ممن أساء لنفسه وخالف مولاه واتبع شيطانه وهواه ، وأن من شهد لله جل ذكره بالوحدانية المطلقة ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة والعبودية ، له الجنة يدخله الله من أى باب شاء ، وهذا مقيد بمن واظب على المأمورات واجتنب المنهيات كما يؤخذ من أدلة أخرى لا تخفى على المطلع . وسند الحديث - والله أعلم - كسابقه .

---

(٨٠) رواه الديلمى عن ابن عباس أنه قال « أول شىء خطه الله فى الكتاب الأول » إلى آخره .

٨١ – « الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنِّى فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ » .

ش : الرحم تقدم الكلام عليه صفحة ٧٢ فلاحاجة إلى الإعادة ، وقوله « شجنة » بكسر أوله وضمه وسكون ثانيه هى فى الأصل عروق الشجر المشتبكة ، والمراد بها هنا القرابة المشتبكة كاشتباك العروق ، شبهه بذلك مجازاً واتساعاً وباقى الكلام على الحديث تقدم غير مرة فارجع إليه .

٨٢ – « الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ وَالسَّيِّئَةُ واحِدَةٌ أَوْ أَغْفِرُهَا وَلَوْ لَقِيَنِى بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا لَمْ يُشْرِكْ بِى شَيْئاً لَقِيتُهُ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » .

ش : تقدم الكلام على بعض معانيه صفحة ٢١ وقراب بضم القاف وحكى كسرها مصدر قارب يقارب أى بما يقارب ملأها ، والمعنى أن الله تبارك وتعالى يخبرنا بأن الحسنة الواحدة إذا فعلها العبد لا تقل عن ثواب عشرة أمثالها إلى ما لا نهاية قدراً وكمية . وإذا فعل السيئة الواحدة لا يزيد عليه عقابها عن سيئة مثلها هذا إذا حاسبه الله عليها وعاقبه . وإذا شاء عز وجل غفرها له ، ولو أن العبد لقى الله تعالى ذكره بما يقارب ملء الأرض خطايا وذنوباً ولم يشرك الله تعالى فيها بشىء لقيه مولاه وباريه بما يقرب ملئها مغفرة ؛ وهو حث على الإنابة إليه تعالى وعدم القنوط من رحمته والإخلاص فى العبادة لله

---

(٨١) رواه الطبرانى وأبو يعلى عن عامر بن ربيعة .

(٨٢) رواه مسلم وأبو نعيم عن أبى ذر .

وحده بدون تشريك فى الأعمال والأفعال والعقائد فلا يشرك مع الله غيره من نفس وهوى وشيطان وشيخ طريقة ، ومرب ، وولى صاحب قبة وغير ذلك مما يدخل فيها . نسأل الله السلامة فى ديننا من أن نشرك أحداً مع الله تعالى فى جميع أحوالنا وأطوارنا . والله أعلم .

٨٣ — « الْحَسَنَةُ عَشْرٌ وَأَزْيَدُ وَالسَّيِّئَةُ وَاحِدَةٌ وَأَمْحُوهَا وَالصَّوْمُ لِي وأَنَا أَجْزِى بِهِ ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ كَمِجَنِّ السِّلَاحِ مِنَ السَّيْفِ » .

ش : الصوم معناه فى اللغة مطلق الإمساك وفى الشرع إمساك مخصوص بأن يكف فمه ودبره عن إيصال شيء إلى الداخل وفرجه عن الوصال من طلوع الفجر إلى أذان المغرب ، وقوله : « جنة » بضم الجيم وتشديد النون المفتوحة ما يجنك أى يسترك ويقيك ، والمجن — بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون — الترس ، والمعنى أن الصوم لله جل ذكره لأنه لا أحد يطلع عليه إلا الله لأنه عمل مستور ، لذلك أضافه إلى نفسه ، ولما كان كذلك فالله جل ذكره يجزى به بنفسه وإن كانت باقى الأعمال كذلك إلا أن الله سبحانه يعتنى به زيادة عن غيره من الأعمال بدون أن يطلع أحداً على ثوابه فإن فيه تهذيب النفس وتشبيهها بالملائكة وهو أعظم رياضة بدنية ومعنوية للانسان ألا فليكثر العاقل منه مع شروطه ، والصوم وقاية للنفس تحفظها من الوقوع فى المكاره ، كما أن الترس يتقى به المحارب سلاح خصمه كالسيف وغيره ، فانظر كيف يبين الشارع لنا المنافع التى تنقذنا من الآفات وكيف نتقى المعاصى والمخالفات إذا هجمت

---

(٨٣) رواه البغوى عن رجل .

علينا، وقائدها إبليس الرجيم والنفس الأمارة بالسوء والهوى المتبع. نسأل الله أن يلهمنا ما يدفع الشيطان وجنوده بكثرة التعبد والانكباب على الأعمال الصالحة والمشاريع الخيرية ٥

٨٤ ــ « الْحَسَنَةُ بِعَشْرٍ وَالسَّيِّئَةُ بِوَاحِدَةٍ أَوْ أَغْفِرُهَا وَلَوْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً ».

٨٥ ــ « الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ وَلِيَ الصَّوْمُ وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وطَعَامَهُ وشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي لَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ».

٨٦ ــ « الصَّوْمُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا عَبْدِي مِنَ النَّارِ ».

---

(٨٤) رواه الطبراني عن أبي ذر.

(٨٥) رواه البغوي والطبراني وعبد الله عن بشير بن الخصاصية.

(٨٦) رواه الطبراني في الكبير والبيهقي عن أبي هريرة.

٨٧ – « الصِّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا مِنَ النَّارِ والصَّوْمُ لِى وَأَنَا أَجْزِى بِهِ يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِى وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ » .

٨٨ – « الصِّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ وَهُوَ لِى وَأَنَا أَجْزِى به »

٨٩ – « الصِّيامُ لِى وَأَنَا أَجْزِى بِهِ » .

ش : الحديث الأول تقدم الكلام على بعض ألفاظه قريباً فلا حاجة للإعادة وقوله « ومن هم » تقدم الكلام على الهم صفحة ٢١ فأغنى عن إعادته ، وكذلك قوله « ومن تقرب منى شبراً » إلخ سبق ذكره صفحة ١٤ ، وقوله فى الحديث الثانى « لخلوف » الخلوف بفتح الخاء المعجمة وضم اللام تغير رائحة الفم من الصوم ، وقوله فى الحديث الثانى « رواه البغوى » هو الإمام الحافظ محى السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد صاحب المصنفات العظيمة ، منها شرح السنة والمصابيح ، توفى سنة ست عشرة وخمسمائة .

---

(٨٧) رواه الطبرانى فى الكبير عن بشير بن الخصاصية وأبى هريرة .
(٨٨) رواه أحمد والبيهقى عن جابر .
(٨٩) رواه البزار عن أبى هريرة .

٩٠ — «العِزُّ إِزَارِى وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِى فَمَنْ نَازَعَنِى مِنْهُمَا شَيْئاً عَذَّبْتُهُ»

٩١ — «الكِبْرِيَاءُ رِدَائِى فَمَنْ نَازَعَنِى رِدَائِى قَصَمْتُهُ»

٩٢ — «الكِبْرِيَاءُ رِدَائِى وَالْعَظَمَةُ إِزَارِى فَمَنْ نَازَعَنِى وَاحِداً مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِى النَّارِ»

ش : العز بكسر العين المهملة ضد الذل — والعزة القوة وهى حالة مانعة للانسان من أن يغلب ، والإزار الثوب الذى يتزر به والكبرياء العظمة والملك ، والرداء الثوب الذى يرتدى به من الحر والبرد ، والقصم كسر الشىء وإبانته ، والقذف الرمى بقوة ، وضرب الإزار والرداء مثلا فى انفراده جل ذكره بصفة العظمة والكبرياء والعز والقوة ، أى ليست كسائر الصفات التى قد يتصف بها الخلق مجازاً كالرحمة والكرم وغيرهما ، شبه ما ذكر بالإزار والرداء لأن المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الإنسان ولأنه لا يشاركه فى إزاره وردائه أحد فكذلك الله تعالى لا ينبغى أن يشركه فى هذه الصفات أحد ، والمعنى أن الله عز وجل يخبرنا ويعلمنا أن العز والقوة والكبرياء والعظمة هى

---

(٩٠) رواه مسلم عن أبى سعيد وسمويه عنه وعن أبى هريرة معاً والطبرانى فى الأوسط والصغير عن على .

(٩١) رواه الحاكم عن أبى هريرة .

(٩٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة عن أبى هريرة .

مختصة به سبحانه وتعالى لا يشاركه فى هذه الصفات أحد من خلقه ولا يليق لا إنس ولا جن لا ملك ولا سلطان لا فقير ولا غنى ولا صعلوك كاختصاص أحدكم بردائه وإزاره فإنهما يشملانه دون غيره ، وهذا ضرب مثل تقريبى إلى عقول البشر حسب عادتهم وعرفهم ليفهموا ويعقلوا فمن نازع المولى جل علاه فى شىء من هذه الصفات المختصة به جل وعز قذفه فى ناره — وهو قادر على ذلك بدون مانع مطلقاً — وعذبه بها وقصمه ، وفيه الزجر عن ادعاء العزة والكبرياء والعظمة والقوة لأنها لا يوصف بها فى الحقيقة على الإطلاق غير الخالق البارىء الواجد العالم من العدم وهى دائمة باقية لله سبحانه وتعالى. فإن قيل : إن كثيراً من الخلق مؤمناً كان أو كافراً عنده العزة والقوة ولا سيما الكفار فى عصرنا الحاضر ، فالجواب أن هذه القوة والعزة هى سحابة صيف لا تستمر ، وهى فى الحقيقة ذل لهم لأنهم يعملون أعمال البهائم والمتوحشين والجمادات فى النوع الإنسانى ، وما حرب بولندة وأخذها واغتصابها من يد أهلها ببعيد . فنسأل الله عزة النفس والقوة المثمرة التى تحملنا على المدافعة عن حقوقنا المقدسة ونصر المظلوم والأخذ على يد الظالم بحديد .

٩٣ — « الْمُتَحَابُّونَ فِى جَلَالِى لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ » .

٩٤ — « الْمُتَحَابُّونَ لِجَلَالِى فِى ظِلِّ عَرْشِى يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّى » .

---

(٩٣) رواه الترمذى عن معاذ .

(٩٤) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير عن العرباض بن سارية .

ش: المتحابون المتوادون والتحابب التوادد وتحابوا أحب بعضهم بعضاً ، والجلال التناهى فى عظم القدر . وخص بوصف الله سبحانه وتعالى بقوله : « ذو الجلال والإكرام » ولم يستعمل فى غيره ، والمنابر جمع منبر معروف ، وقوله « يغبطهم » من الغبطة بكسر أوله وسكون ثانيه — يقال : غبطت الرجل أغبطه غبطاً إذا اشتهيت أن يكون لك مثل ماله وأن يدوم عليه ما هو فيه فالغبط حسد خاص مقبول ، والنبيون جمع نبى وهو بشر أوحى إليه بشرع يعمل به فإذا أمر بتبليغه فيكون رسولا أيضاً ، والشهداء جمع شهيد وهو فى الأصل من قتل مجاهداً فى سبيل الله ثم اتسع فيه فأطلق على من سماه النبى صلى الله عليه وسلم من المبطون والغريق والحريق وغير ذلك ، والظل الفىء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس أى شىء كان ، وقيل : هو مخصوص بما كان منه إلى زوال الشمس وما كان بعده فهو الفىء ، والعرش فى الأصل شىء مسقف ، وعرش الملك سريره . ويطلق أيضاً على معان أخر منها عرش البئر طيها بالخشب وعرش السماء والملك والسلطان والعز ، وقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة صفة عرش الرحمن وإحاطته ، والمعنى — والله أعلم — أن المتحابين فى جلال الله أى المخلصين فى المحبة لله لا لحظ دنيوى ولا أخروى.

والمتحابون فى الله على ثلاثة أنواع : الأول إما أن يكون الشخصان تحابا فى الله جل علاه مع رجاء حطام فى هذه الدار معنوياً كان أو حسياً فهذا طالب حاجة وهمته فى دنياه فليس له إلا حاجته قضيت أو لم تقض . كما قال صلى الله عليه وسلم : « من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » ، والثانى أن يكون صحبته لله مع رجاء حظ أخروى حساً كان أو معنى فهذا أيضاً طالب حاجة لكن نفسه أرفع من الأول — وهو الأكثر عند المنتسبين للخير — فله حاجته قضيت أو لم تقض ، والثالث الذى تكون

محبته لله ليس إلا فهذا الذى يصدق عليه اسم المتحابين فى الله على حقيقة اللفظ ، وإذا كان كذلك لا يغيره من أخيه شىء يصدر له منه ، وإذا كان على غير هذا الوجه قلما يثبت عند الامتحان، فإذا كانت نية أحدهما لله ونية الآخر لغير ذلك فلكل امرىء ما نوى ، فإذا كان ذلك كذلك فينصب لهم يوم القيامة منابر من نور يقفون عليها فينظر إليهم أهل الموقف فيغبطهم على مقامهم هذا الأنبياء والشهداء ، ويكونون فى ظل عرش الرب تبارك وتعالى يوم لا ظل يقى الإنسان من السوء إلا ظل المولى جل جلاله — فهذا مما نؤمن به ونصدق بالأخبار الواردة فيه والكيفية لا مجال للعقل فيها .

فإن قيل أن الظلال كلها لله سبحانه وتعالى ملك فى الدنيا والآخرة فما الحكمة فى الإخبار بهذه الصيغة هنا ؟ فالجواب أن ظلال الدنيا وإن كانت له جل جلاله فنها ما قد جعلها عز وجل ملكاً للعبيد تملكوها بحسب ما شرع لهم ذلك لا يتصرف فيها أحد إلا برضاهم حكم منه لذلك مثل ظلال الحدائق المتملكة . وظلال الله عز وجل لم يجعل لأحد عليها ملكاً فمن احتاج إلى شىء منها أخذها دون عتب له على ذلك مثل الظلال التى فى القفر أو التى قد خرج أصحابها عنها لله عز وجل وسبلوها له . وظلال الآخرة ما فيها مباح بل كلها قد تملكت بالأعمال ، والله أعلم .

٩٥ — « النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِى أَبْدَلْتُهُ إِيمَاناً يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِى قَلْبِهِ » .

ش : النظرة ـ بفتح أوله وسكون ثانيه من النظر للمرة ـ ، والنظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشىء ورؤيته ، وقد يراد به التأمل والفحص ، وقد

(٩٥) رواه الطبرانى والحاكم عن ابن سعيد .

يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص — وهو الروية ـ يقال : نظرت فلم تنظر أى لم تتأمل ولم تترو ، والسهم واحد النبل وهو مركب النصل . أو ما يرمى به وما يضرب به من القداح ونحوه . والجمع أسهم وسهام ، زاد الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب فى هذا الحديث « سهم مسموم » إلخ ، وقال فى آخره : رواه الطبرانى والحاكم من حديث حذيفة وقال : صحيح الإسناد . قال الحافظ : خرجاه من رواية عبد الرحمن بن إسحق الواسطى — وهو واه— انتهى .

والمعنى أن الله تباركت أسماؤه وتنزهت صفاته يخبرنا أن النظرة الواحدة من الإنسان إلى المرأة الأجنبية أو الصبي الأمرد للتلذذ والاستمتاع ، أو إلى أموال الناس شرهاً وبغضاً وحسداً سهم مسموم من سهام إبليس اللعين يسلطه على العبد فيصيب به قلب المؤمن فيصليه نار المعصية والمخالفة ويبعده عن الله جل ذكره فمن جاهد نفسه وترك هذه النظرة مخافة الله عز وجل فإن الله سيبدله إيماناً ويقيناً يجد حلاوته فى قلبه فليختر الإنسان بين مطاوعته نفسه وإعطائها حظها فيتعرض لسموم إبليس وجنوده وبين أن يكف نفسه وهواه فلا ينظر إلى ما تقدم ذكره فيستجلب رضا الرحمن ويتعرض لثوابه واللذة القلبية الإيمانية التى حلت فى قلبه إعراضاً عن المعصية وعدم التفات إلى ما ترغب فيه النفس ، وقد وردت أحاديث كثيرة فى هذا الباب تحث الإنسان فى أن يغض طرفه عن النظر إلى ما لا يحل ، فمن ذلك ما روى عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه » . رواه أحمد والطبرانى إلا أنه قال : « ينظر إلى امرأة أول رمقة » . والبيهقى وقال : إنما أراد إن صح — والله أعلم — أن يقع بصره عليها من غير قصد فيصرف بصره عنها تورعاً ، وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن النبى صلى الله

عليه وآله وسلم قال له : « يا على إن لك كنزاً فى الجنة وإنك ذو قرنيها فلا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة » رواه الإمام أحمد ؛ وقوله : «ذو قرنيها» أى ذو قرنى هذه الأمة وذاك لأنه كان له شجتان فى قرنى رأسه إحداهما من ابن ملجم لعنه الله . والأخرى من عمرو ابن ود ، والله أعلم .

٩٦ — «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إِنَّ مَن اسْتَسْلَمَ لِقَضَائِى وَرَضِىَ بِحُكْمِى وَصَبَرَ عَلَى بَلَائِى بَعَثْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الصِّدِّيقِينَ » رواه الديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أنه قال «إِنَّ أَوَّلَ شَىْءٍ كَتَبَهُ اللهُ فِى اللَّوْحِ الْمَحفُوظِ بِسْمِ اللهِ » إلى آخره .

ش : الاستسلام الإذعان والانقياد ، والقضاء — كما قال الراغب — : فصل الأمر قولا كان ذلك أو فعلا ، وكل واحد منهما على وجهين إلهى وبشرى ، فمن القول الإلهى قوله تعالى : ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ أى أمر بذلك ، وقال تعالى : ﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب ﴾ فهذا قضاء بالإعلام والفصل فى الحكم ، أى أعلمناهم وأوحينا إليهم وحياً جزماً ، وعلى هذا : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع ﴾ ومن الفعل الإلهى قوله : ﴿ والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء ﴾ ، وقوله : ﴿ فقضاهن سبع سموات فى يومين ﴾ إشارة إلى إيجاده الإبداعى

---

(٩٦) رواه الديلمى عن ابن عباس .

والفراغ منه ، ومن القول البشرى نحو قضى الحاكم بكذا فإن حكم الحاكم يكون بالقول ، ومن الفعل البشرى : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم ﴾ و ﴿ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ﴾ .

وقال صاحب النهاية : أصل القضاء القطع والفصل يقال : قضى يقضى قضاء فهو قاض كحكم وفصل . وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق ، وقال الأزهرى : القضاء فى اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أحكم عمله أو أتم أو أدى أو أوجب أوأعلم أو أنفذ أو أمضى فقد قضى ، والحكم بالشيء أن تقضى بأنه كذا أو ليس بكذا سواء ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه ، والصبر والبلاء تقدم تعريفهما . والقيامة عبارة عن قيام الساعة المذكور فى قوله تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ والقيامة أصلها ما يكون من الإنسان من القيام دفعة واحدة أدخل فيها الهاء تنبيهاً على وقوعها دفعة ، وقوله « الصديقين » جمع صديق وهو من كثر منه الصدق ، وقيل : بل يقال لمن لا يكذب قط ، وقيل : بل لمن لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصدق ، وقيل : بل لمن صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله .

والمعنى أن من استسلم وانقاد وأذعن لقضاء الله جل ذكره ورضى بحكمه وصبر على ما ابتلاه الله به من البلايا والمصائب ولم يقل ما يغضب البارى تعالى بل قابل ذلك بالحمد والشكر بعثه الله يوم القيامة — يوم العرض على رب الأرباب يوم يعض الكافر على يديه ويقول : يا ليتنى كنت تراباً، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه . يوم حشر الأشباح مع الأرواح . يوم المحاسبة والمجازاة — مع الصديقين الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا ما أمروا به حقاً واتبعوا سنن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وصدقوا بما جاء به الشرع الحنيف دين الإسلام . اللهم اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين .

٩٧ – «تَعْجِزُ يَابْنَ آدَمَ أَنْ تُصَلِّيَ أَوَّلَ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَكْفِكَ آخِرَ يَوْمِكَ» .

ش : العجز – بفتح العين المهملة وسكون الجيم – نقيض الحزم يقال : عجز عن الأمر يعجز – بكسر الجيم – وعجز عجزاً فيهما ، والعجز الضعف وصار فى التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة ؛ والمراد بالصلاة أول النهار صلاة النفل . وقيل صلاة الفجر وسنته وهو بعيد ، وفيه الحث على الصلاة النافلة قبل الظهر فإنها تكفى الإنسان دفع ما يعرض له باقى اليوم مما يضر الإنسان ويؤذيه آخر يومه ذلك وقد تقدم الحديث فى أول الكتاب .

٩٨ – «تَوَسَّعْتُ عَلَى عِبَادِى بِثَلَاثِ خِصَالٍ بَعَثْتُ الدَّابَّةَ عَلَى الْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَنَزَهُمَا النَّاسُ ، وَتَغْيِيرِ الْجَسَدِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا دَفَنَ حَمِيمٌ حَمِيمَهُ ، وَسَلَبْتُ حُزْنَ الْحَزِينِ وَإِلَّا مَا كَانَ يَسْلُو»

ش : التوسيع خلاف التضييق ، والخصال جمع خصلة أى حالة ، والبعث والابتعاث بمعنى الإرسال ، والدابة كل ما يدب على الأرض من الحيوان ، والمراد به هنا السوس وهو الدود الذى يأكل الحب والخشب ، الواحدة سوسة فإذا وقع السوس فى الحب فلا يكاد يخلص منه ، والقمح والشعير معروفان ،

---

(٩٧) رواه البغوى عن أبى مرة الطائفى .

(٩٨) رواه ابن عساكر عن زيد بن أرقم .

والكنز – فى الأصل – المال المدفون تحت الأرض ، والمراد به هنا الجمع والادخار ؛ والتغيير التبديل من حالة إلى أخرى ، والحميم القريب الذى يهتم لأمرك ، والسلب نزع الشيء من الغير على القهر ، والحزن – بضم الحاء المهملة وسكون الزاى وبفتحهما – ضد السرور ، والسلو الصبر يقال : سليت عن كذا وسلوت عنه وتسليت إذا زال عنك محبته .

والمعنى – والله أعلم – أن الله تبارك وتعالى أخبر أنه توسع على عباده بخصال ثلاثة ولم يضيق عليهم – كرماً منه ورحمة بهم – الخصلة الأولى أن الله جل وعلا بعث وأرسل الدابة – التى تسمى السوس – على القمح والشعير وسلطها عليهما رحمة بالعباد ورأفة بهم لأنهما قوت العباد الضرورى لهم ولو لم يفعل ذلك بل حفظهما كباقى أنواع الأصناف الأخرى لاجتهد الناس فى كنزهما وادخارهما والحرص على إخفائهما عن أعين الناس ، إما لشدة حاجة الناس إليهما فيبيعهما المدخر بثمن متفاحش جداً أو ليأتى يوم تصيب الزرع آفة سماوية أو أرضية فيقل القمح والشعير فلا يجدهما الإنسان ولو بثمن متفاحش فيخرجهما المدخر ويقتات هو وعياله ودوابه منهما فلا يحتاج حينئذ ، وفى كل منهما مشقة وحرج وتضييق على الناس فسهل الله للعباد وأرسل هذه الدودة وسلطها عليهما لئلا يدخر أحد منهما شيئاً سنين فيتضيق الناس ويحرجون فسبحانه من إله ما أكرمه وأحلمه وألطفه وأرأفه بعباده .

الخصلة الثانية تغيير الجسد بعد الموت وتبديله من حالة مرضية مقبولة إلى حالة نتن وقذر تعافه النفوس ولا تتمكن من الإقبال إليه والاستمتاع به كما كان قبل الموت فيتبدل إلى جيفة تنفر منها الطباع وتشمئز منها النفوس ويتمنون زوالها من بين أيديهم وإبعادها عنهم ولو كان الجسد جسد أحب الناس إليهم وأرضاه عندهم وأقربه لديهم ، وذلك رفق بالناس ورحمة بهم وتوسعة ولولا ذلك لما دفن صديق قريب صديقه القريب وشح بدفنه وجعله معه

يتردد إليه ويتمتع بجسده الفانى ، ولربما تغالى فى حبه وتعظيمه والثناء عليه فيحفظه من أن تمتد إليه يد بسوء فيموت الآخر ، وهكذا فتضيق الدنيا على أهلها فيكون الحرج والمشقة فرفع المولى ذلك عن عباده ووسع عليهم بأن غير الجسد فيزهد الناس فيه فيدفن ويقبر ويذهب فتأكله الأرض والدود فسبحانك يا رب ما أرأفك بعبادك وأرحمك .

والخصلة الثالثة أن الله جل ذكره — إذا حزن عبده بسبب فقد ولد له أو قريب أو أصابه بلاء أو ذهب ماله بسبب ما أو غير ذلك يسلب ويذهب من صاحب الحزن حزنه وينسيه ذلك رحمة بنا وتوسعة على خلقه وإن لم يفعل الله ذلك به وتركه ونفسه لأصبح وأمسى حزيناً لا يفكر فى شىء ما وكذلك غيره فتتعطل مصالح الناس وتشل حركتهم وتضيق معايشهم ويحصل الخلل والتوازن ، فسبحانك من إله تعبد لذاتك اللهم إنى أسألك أن توفقنى وإخوانى إلى شكرك والاستسلام لقضائك وحكمك والانقياد لأوامرك .

٩٩ — « ثَلَاثٌ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ كَانَ وَلِيِّى حَقًّا وَمَنْ ضَيَّعَهُنَّ كَانَ عَدُوِّى حَقًّا : الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ » .

ش : الولى ضد العدو ، وهو فعيل إما بمعنى مفعول وهو من يتولى الله أمره وحفظه على التوالى فلا يكله إلى نفسه طرفة عين ، قال الله تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ وإما بمعنى فاعل وهو من يتولى عبادة الله وطاعته ويتوالى عليه من غير تخلل بمعصية ، وكلا الوصفين شرط فى

---

(٩٩) رواه البيهقى عن الحسن مرسلا وابن النجار عن أنس .

الولاية كما ذكره القشيرى ، والمراد به هنا من حافظ على ثلاث : الصلاة والصوم والغسل من الجنابة ، والعدو ضد الولى ، والصلاة ، والصيام تقدم الكلام عليهما من قبل. والغسل – بضم الغين المعجمة – إراقة الماء على جميع البدن ودلكه وتعميمه مع النية ، والجنابة أمر معنوى يقوم بالإنسان بسبب الجماع أو نزول المنى منه – وهى فى الأصل البعد – لأن الجنب – الذى يجب عليه الغسل بالجماع وخروج المنى – نهى أن يقرب مواضع الصلاة ما لم يتطهر ، وقوله « مرسلا » يعنى أن الحديث روى مرسلا . والمرسل ما سقط منه الصحابى لأن الحسن البصرى رضى الله عنه تابعى ولايصح الاحتجاج بالحديث المرسل ، ورواه ابن النجار عن أنس فهو مرفوع من طريقه ، والله أعلم . والمحافظة على هذه الأشياء المواظبة والاستمرار عليها .

والمعنى أن الله جل ذكره يخبرنا أن ثلاثة أمور من حافظ عليهن أى من أتى بهن واستمر عليهن بدون تركهن مرة واحدة كان ولى الله حقاً وتولى الله أموره وكان ناصراً له فيكلؤه بعنايته ويوفقه للأعمال الصالحة فلا يأتى إلا بخير ، الأمر الأول الصلاة بأن يأتى بها مستجمعة الأركان والشرائط والمندوبات فى أول أوقاتها المحددة لها شرعاً – وهى أفضل الأعمال بعد الشهادتين وأول ما يحاسب به العبد يوم القيامة – كما ورد الحديث بذلك عن أنس .

والثانى الصوم بأن يمسك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ويمسك نفسه عن الفحش وما يستقبح من الأعمال والألفاظ المؤذية بحيث إذا أذاه أحد أو شتمه أو سابه أو قاتله فلا يرد عليه بل يقول له : إنى صائم إنى صائم ، كما ورد فى الحديث القدسى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به . والصيام جنة فإذا كان يوم

صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم إنى صائم » . رواه البخارى واللفظ له . ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه .

الثالث الغسل من الجنابة بأن يصب الماء على بدنه ويعم جميع أعضائه إذا جامع امرأته أو احتلم فى منامه أو إذا نظر فأمنى مع المحافظة على ذلك وينوى بقلبه ذلك فمن ترك أحد هذه الثلاثة عامداً متعمداً فقد برئت منه ذمة الإسلام وخرج من ربقة الإيمان وأصبح كافراً بحيث إذا مات لا يصلى عليه ولا يدفن فى قبور المسلمين ، وأرى أن ناساً كثيرين ممن ينتسب إلى العلم فى عصرنا الحاضر يتهاونون بأحد هذه الأمور . ورأيت أحد الناس ممن لنا به صلة واطلاع يترك الصلاة عامداً متعمداً . والصوم فى شهر رمضان ويحمل زوجته على الفطر فتارة تأبى عليه ذلك وتقوى وتغلبه فلا تطاوعه وتظل صائمة وتارة يتسيطر عليها ويغلبها فتفطر ، ولا يغتسل من الجنابة بشهادة زوجته بذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون .

فاللهم اهد قومى فإنهم ارتكبوا كل معصية من المعاصى التى كانت الأمم تؤاخذ بواحدة منها وتؤخذ أخذ عزيز مقتدر ، فما أرحمك بأمة محمد صلى الله عليه وسلم وعدم أخذك إياهم بجريمتهم كما كنت تفعل بالأمم المتقدمة إكراماً لرسولك ونبيك .

١٠٠ ـ ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِى ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا ثُمَّ أَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ حُرًّا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ » .

---

(١٠٠) رواه أحمد والبخارى عن أبى هريرة .

ش : الخصم مصدر خصمته – أى نازعته – خصماً يقال : خاصمته وخصمته مخاصمة وخصاماً ثم سمى المخاصم خصماً واستعمل للواحد والجمع وربما ثنى ، وقال الهروى : الواحد بكسر أوله ، وقال الفراء الأول قول الفصحاء ويجوز فى الاثنين خصمان والثلاثة خصوم ، وأصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر أى جانبه وأن يجذب كل واحد خصم الجوالق من جانب ، والغدر الإخلال بالشيء وتركه ، والغدر يقال لترك العهد ونقضه ومنه قيل : فلان غادر وجمعه غدرة ، وغدار كثير الغدر ، والحر خلاف العبد ، قال الخطابى : اعتباد الحر يقع بأمرين أن يعتقه ثم يكتم ذلك أو يجحد . والثانى أن يستخدمه كرهاً بعد العتق ، والأول أشدهما ، وقال الحافظ بن حجر : وحديث الباب – أعنى هذا – أشد لأن فيه مع كتم العتق أو جحده العمل بمقتضى ذلك من البيع وأكل الثمن فمن ثم كان الوعيد عليه أشد .

والمعنى أن الله سبحانه يخبرنا أن ثلاثة من العباد يكون خصمهم يوم القيامة بسبب ما ارتكبوه من الآثام الفظيعة والظلم المتناهى . الأول رجل وعبد من عباده أعطى به ثم غدر أى أعطى يمينه به أى عاهد عهداً وحلف بالله على ذلك ثم نقضه ، ولا شك أن الغدر من أكبر الصفات المذمومة والمفاسد العظيمة وليس من أخلاق المؤمن الغدر بل الوفاء بالعهد وإمضاؤه لأن فى نقضه إخلالا بنظام الحياة العامة والقوانين الدستورية . ويفسد على المرء تدبيره لمصلحته نفسه وغيره وإضرار بمن عاهده ثم نقض عهده فلذلك جاء فى القرآن الحكيم الحث على إمضاء العهود والوفاء بها والتزامها وعدم نقضها أياً كانت ولو مع قوم غير مسلمين بشرط أن لا يخلوا بشروطها والإتيان بما ينافيها مما يضر بصالح المعاهد ويضعفه ويحل عزائمه ويقوى أعداءه عليه . قال تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم

الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾ ، وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الغادر يرفع له لواء يوم القيامة يقال : هذه غدرة فلان بن فلان » ، وما أصعب هذا التشهير بالغادر على رءوس الأشهاد يوم القيامة حيث العالم كله مجتمع ويرون حالته وما هو عليه من التشنيع والخزى والتوبيخ والتعذيب ، ولا ريب أن هذه الحالة هى أفظع حالة يراها الخلق لأن الغدر أكبر جريمة ترتكب وصاحبه مهان ذليل حقير تستنفر منه الطباع الحساسة وتستقبحه العقول السليمة الراقية ، وأصبح فى عصرنا الحاضر الغدر منتشراً فلا تخلو عائلة منه ، فإن قيم العائلة يعطى زوجته أو أولاده أو أخته أو أحد أقاربه العهود والمواثيق والأيمان الغليظة أنه سيعطى فلاناً كذا أو فلانة كذا ويكتب لفلان كذا ويحبى فلاناً كذا ثم يصبح ثانى الأيام أو بعد أيام أو أشهر وينقض العهد ويعبث بالأيمان والمواثيق ولا يعبأ بما هدده الشارع به وأمره بالتزامه والوفاء به ، وكذا تجد الغدر فى القرى والأرياف سواء كانت قريبة إلى المدن العامرة منتشراً ، وكذلك فى المدن الكبيرة والصغيرة وكلما ارتقت أهل المدينة فى المدنية والترفه والتأنق الحديث كلما ازداد الغدر وتنوع واختير له أساليب جديدة مموهة وآلات اصطناعية مشوهة حتى صار عادة يألفها الكبراء والعظماء والقواد والرؤساء والملوك والوزراء فأمسى الإنسان ولا يثق بشخص مطلقاً وضاعت الذمم والشخصيات وأصبح الوفاء بالعهود والأيمان فى احتضار وقريباً سيشيع ، اللهم ارحم عبادك وأرشدهم إلى الأخلاق المرضية وحببهم فى الأعمال الصالحة والأفعال المجيدة وألهمهم الرأفة والرحمة والشفقة بإخوانهم ليأمنوا شرهم ...

واعلم أن سبب الحرب التى قامت الآن فى شهر رجب سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف الهجرية نقض العهود الملتزمة والعبث بالقوانين الوضعية الدولية وغصب بلاد الضعفاء والاستيلاء على أموالهم واستعبادهم والقضاء على استقلالهم وما أخذ بلاد الحبشة وألبانيا وبولندة ببعيد فأسأل الله حسن العاقبة .

الثانى رجل من عباده باع حرا وأكل ثمنه بأن اعتبده محرراً إما أن يعتقه ثم يكتم ذلك أو يجحده وإما أن يستخدمه كرهاً بعد العتق ويبيعه ، قال ابن حزم : إن الحر كان يباع فى الدين حتى نزلت : ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴾ ، واستقر الإجماع على المنع ، وخص الأكل بالذكر لأنه أعظم مقصود ، هذا الزجر العظيم لمن استعبد رجلا واحداً فما بالك فيمن استعبد ممالك وعباداً واغتصب حقوقهم واستولى على أموالهم وتجارتهم وقضى على استقلالهم ؟

الثالث رجل استأجر أجيراً وعاملا بأجر مخصوص وعمل كذلك فاستوفى منه عمله ولم يعطه أجره ، وهذا يصدق بأن استخدمه وأعطاه أقل مما يستحق أو منعه أجره ولم يعطه شيئاً منه ، وهذا أيضاً من باب التعبد والاستخدام بغير أجرة ولأنه استوفى منفعته بغير عوض فهو ظالم له ، وقد ورد الترغيب بإعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عرقه . رواه ابن ماجه . والطبرانى ، وغيرهما .

فإن قيل : هؤلاء كلهم ظلمة والله سبحانه وتعالى خصم لجميع الظالمين فما وجه التصريح بهذا الحديث بأن الله خصم لهم ؟ والجواب بأن الله عز وجل إن كان كذلك إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح لفظاعة أمر ذلك فى هذه الأشياء واستقباحه ، والله أعلم .

١٠١ - « ثِنْتَانِ لَمْ يَكُنْ لَكَ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا جَعَلْتُ لَكَ نَصِيباً حِينَ أَخَذْتُ بِكَظَمِكَ لأُطَهِّرَكَ وَأُزَكِّيكَ ، وَصَلاَةُ عِبَادِي عَلَيْكَ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِكَ » .

ش : الكظم - بالتحريك - هو مخرج النفس من الحلق وانقطاعه ؛ والمعنى أن الله سبحانه وتعالى منح عباده خصلتين ليس لأحد خلقه تأثير فيهما : إحداهما جعل الله للعبد نصيباً من ماله حين تخرج روحه وينقطع نفسه لتطهير العبد به وانتفاعه بعد موته وتزكيته نفسه ، والثانية جعل صلاة العباد على الميت بعد انقضاء أجله زكاة له وطهراً أيضاً ينتفع بها يوم الحساب والجزاء ، فانظر ما أكرم المولى وأرأفه بعباده، وما أسوأ العبد المرتكب الذنوب وما أهمله لأوامر ربه وخالقه أليس الأجدر به أن يكون ملتزماً لأحكام شرعه وسنن نبيه صلى الله عليه وسلم فلا يأتي إلا ما شرع وأبيح له ويتجنب المكروه والمبغوض والممقوت لباريه ومولاه ؛ اللهم اهدنا سبيل الصواب ووفقنا لما تحبه وترضاه يا أرحم الراحمين .

١٠٢ - « حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي الْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ، الْمُتَحَابُّونَ فِيَّ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ » .

---

(١٠١) رواه عبد بن حميد عن ابن عمر .

(١٠٢) رواه أحمد وابن حبان والحاكم والقضاعي عن عبادة بن الصامت .

ش : حقت وجبت. والمحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيراً أو تعظم فى القلب يمنع الانقياد لغير محبوبه . وقد عرفها القوم وأهل التحقيق وعبروا عنها بعبارات كثيرة كل واحد نطق بحسب ذوقه وانفسح بمقدار شوقه . وهى من الأمور الوجدانية الذوقية التى إنما تعلم بآثارها وعلاماتها فكل من أدرك بعض علامات عبر بحسب ما أدركه وهى وراء ذلك كله .

والمتحابون تقدم الكلام عليه صفحة ١٢١ ، والمتواصلون جمع متواصل وهو من كان بينك وبينه مواصلة ووصلة والوصل ضد الهجران ، يقال وصلت الشيء بغيره وصلا فاتصل به ووصلته وصلا وصلة ضد هجرته ، والمتناصحون جمع متناصح يقال : انتصح فلان قبل النصيحة . وانتصحنى فإنى لك ناصح ، وتنصح تشبه بالنصاح واستنصحه عده نصيحاً ، والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هى إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها . وأصل النصح فى اللغة الخلوص يقال نصحته ونصحت له ، والمتزاورون جمع متزاور . وتزاور القوم زار بعضهم بعضاً . واستزاره سأله أن يزوره ، والمتباذلون جمع متباذل، بذل الشيء أعطاه وجاد به عن طيب نفس أى الذين يجود أحدهم بمال أو غيره لأخيه فى الله والآخر كذلك . وقوله : « يغبطهم » تقدم الكلام عليه صفحة ١٢١ وقوله « النبيون ، والصديقون ، والشهداء » قد ذكر قريباً صفحة ١٢١ فارجع إليه فلا حاجة إلى الإعادة . وتراجم رواة الحديث تقدم الكلام عليها كل راو فى محله والله أعلم .

والمعنى أن الله تبارك اسمه وتعاظمت صفاته أخبرنا أن محبته قد وجبت لأنواع خمسة : الأول المتحابون فى الله عز وجل يعنى أن أحدهم أحب الآخر لوجه الله جل وعلا لا لعلة دنيوية ولا منفعة عظيمة أخروية ، والمحبة تنقسم بحسب ثمرتها وآثارها إلى قسمين مشتركة وخاصة .

فالمشتركة ثلاثة أنواع ، أحدها محبة طبيعية مشتركة كمحبة الجائع للطعام . والظمآن للماء وغير ذلك ، وهذه لا تستلزم التعظيم ، والنوع الثانى محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده الطفل ونحوها وهذه أيضاً لا تستلزم التعظيم . والنوع الثالث محبة أنس وإلف وهى محبة المشتركين فى صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر بعضهم بعضاً . وكمحبة الإخوة بعضهم بعضاً . فهذه الأنواع الثلاثة هى المحبة التى تصلح للخلق بعضهم من بعض ووجودها فيهم لا يكون شركاً فى محبة الله سبحانه وتعالى . ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب الحلواء والعسل . وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد . وكان أحب اللحم إليه الذراع . وكان يحب نساءه وكان يحب أصحابه وأحبهم إليه الصديق .

وأما المحبة الخاصة التى لا تصلح إلا لله وحده ومتى أحب العبد بها غيره كان شركا لا يغفره الله فهى محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلا ، وهى التى سوى المشركون بين آلهتهم وبين الله فيها كما قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ .

الثانى : المتواصلون فى الله عز وجل أى وصل بعضهم بعضاً ولم ينقطع عن أخيه فى الله ولم يهجره ، وهذا يصدق بأن أحسن إليه ومنحه صلته وبره واستمر على مواصلته قاصداً بذلك وجه الله سبحانه وتعالى . أو وصله بمودته ومحبته والتقرب إليه بمحاسن كلامه وطرائف أحاديثه واستمر على ذلك ولم يهجره ويقطعه ويقصد فى ذلك كله وجه الله ورضاه .

الثالث : المتناصحون فى الله جل جلاله بأن ينصح أحدهم الآخر فى شخصه

وماله وولده وأهله وأقاربه ، ويتحرى ذلك بفعل أو قول فيه صلاح صاحبه ، والنصيحة من أهم أمور الدين وأعظمه وبها يقوم اعوجاج الخلق وتصلح حالهم لأن المؤمن للمؤمن كالمرآة يرى عيوبه ويكشفها فعليه أن ينصحه ويبذل جهده فى نصيحته وإن كانت ثقيلة على المنصوح أحياناً ، قال الله تعالى : ﴿ لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ ، وهى واجبة على كل مسلم لكل مسلم ، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله عز وجل ، ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم » . رواه مسلم ، وروى البخارى ومسلم عن جرير بن عبد الله قال : « بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » ، وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « حق المؤمن على المؤمن ست» فذكر منها « وإذا استنصحك فانصح له » ، وأفضل النصيحة ما كانت سراً وقصد بها وجه الله .

النوع الرابع : المتزاورون فى الله عز وجل أى الذين يزورون الناس والناس يزورونهم فى بيوتهم أو فى مجتمعاتهم المشروعة أو مكان عملهم سواء كان قريباً أو بعيداً ذا رحم أو مجرد صاحب وصديق لا يقصدون بذلك إلا التقرب إلى الله جل ذكره والزلفى إليه ، وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل الزيارة وما للزائر من الخير العظيم ، روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أن رجلا زار أخاً له فى قرية فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا غير أنى أحببته فى الله . قال : فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » ، والمدرجة بفتح الميم والراء الطريق ، وأرصده أعد له ملكاً يقعدله على الطريق

يترقبه وقوله « تربها » أى تقوم بها وتسعى فى صلاحها ، وروى البزار وأبو يعلى بإسناد جيد عن أنس رضى الله عنه . عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما من عبد أتى أخاه يزوره فى الله إلا ناداه من السماء أن طبت وطابت لك الجنة ، وإلا قال الله فى ملكوت عرشه عبدى زارنى وعلى قراه فلم يرض له بثواب دون الجنة » . فهؤلاء وجبت لهم محبة الله عز وجل والمحب مع من أحب يوم القيامة . نسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يهدينا طريقهم .

النوع الخامس : المتباذلون فى الله ، أى من بذل ماله وجاهه وما يقدر عليه وأعطاه وسمح به لأخيه المؤمن المستحق عن طيب نفس ابتغاء مرضاة الله ولم يقصد بذلك سوى وجه الله تبارك وتعالى ، قال الباجى : أى الذين يبذلون أنفسهم فى مرضاته من الإنفاق على جهاد عدوه وغير ذلك مما أمروا به ، والله أعلم ، والحديث رواه أيضاً مالك فى الموطأ مطولا .

١٠٣ — « حَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلْمُتَحَابِّينَ فِىَّ أُظِلُّهُمْ فِى ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّى » .

١٠٤ — « حَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلَّذِينَ يَتَصَادَقُونَ مِنْ أَجْلِى ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِى ، وما مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ يُقَدِّمُ لِلّٰهِ ثَلَاثَةَ أَوْلَاد مِنْ صُلْبِهِ لَمْ يَبلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِه إِيَّاهُمْ » .

---

(١٠٣) رواه ابن أبى الدنيا عن عبادة بن الصامت .

(١٠٤) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير عن عمرو بن عنبسة .

ش : الحديث الأول تقدم الكلام عليه غير مرة فلاحاجة للتكرار . وقوله في الحديث الثاني : « حقت محبتي للذين يتصادقون من أجلي » ، فحقت وجبت والمحبة تقدم الكلام عليها قريباً ، والذين تصادقوا أي صادق بعضهم بعضاً لله لا لأمر دنيوي ولا لغرض أخروي ، والصدق ضد الكذب . يقال : صدق في الحديث يصدق – بالضم – صدقاً ، وصدقه الحديث وتصادقا في الحديث وفي المودة ، والمصدق الذي يصدقك في حديثك ، والصداقة والمصادقة لمخالة ، والمتناصرون الذين ينصر بعضهم بعضاً ويناصرون يقال : تناصر القوم نصر بعضهم بعضاً واستنصره على عدوه سأله أن ينصره عليه ، والنصر العون ، والصلب الظهر . والحنث الإثم والذنب .

والمعنى أن الله جل ثناؤه أخبر أن محبته وجبت للمتحابين فيه ويظلهم ويقيهم من هول يوم القيامة وشدة حره وعذابه في ظل العرش يوم لا ظل يقي الناس من شدة ذلك اليوم إلا ظله ، وقد تقدم الكلام على المحبة تفصيلا غير مرة فارجع إليه . ووجبت محبة الله أيضاً لمن تصادق مع أخيه لله ومن أجله جل جلاله . ووجبت محبته تعالى للمتناصرين من أجله ، وأن المؤمن أو المؤمنة إذا قدم لله ثلاثة أولاد من صلبه أي أولاد حقيقة لهم لا أنهم ربوهم صغاراً وجعلوهم أبناء لهم حسب التربية ، وهل يدخل في ذلك أولاد الأولاد ؟ فيه خلاف . ويخرج بهذا القيد أولاد البنات قولا واحداً ، وهؤلاء الأولاد صغار لم يبلغوا مبلغ الرجال ويجرى عليهم القلم فيكتب عليهم الحنث والإثم والذنب إلا أدخلهم الله جل ذكره الجنة بفضل رحمته إياهم لا بفضل صبرهم وشكرهم لأن الذي وفقهم للصبر والشكر هو الله سبحانه وتعالى والله عدل ذو رحمة واسعة وكرم متناه ، وقد ورد في حديث آخر أن من فقد له ولدان أيضاً له الجنة ، روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه : « أن النساء قلن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : اجعل لنا يوماً فوعظهن . فقال : أيما

امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجاباً من النار . قالت امرأة : واثنان قال : واثنان » ، وفى رواية للنسائى : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من احتسب ثلاثة من صلبه دخل الجنة فقامت امرأة فقالت : أو اثنان . فقال : أو اثنان . قالت المرأة : ياليتنى قلت واحداً » ، والله أعلم .

١٠٥ – « حَسَنَةُ ابْنِ آدَمَ عَشْرٌ وَأَزِيدُهُ وَالسَّيِّئَةُ وَاحِدَةٌ وَأَغْفِرُهَا »

١٠٦ – « خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فَطُوبَى لِمَنْ خَلَقْتُهُ لِلْخَيْرِ وَأَجْرَيْتُ الْخَيْرَ عَلَى يَدَيْهِ وَوَيْلٌ لِمَنْ خَلَقْتُهُ لِلشَّرِّ وَأَجْرَيْتُ الشَّرَّ عَلَى يَدَيْهِ » .

١٠٧ – « خَلَقْت بِضْعَ عَشْرَةَ وَثَلَثَمائِةَ خُلُقٍ مَنْ جَاءَ بِخُلُقٍ مِنْهَا مَعَ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ »

١٠٨ – « سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِى » .

---

(١٠٥) رواه أبو نعيم عن أبي ذر .
(١٠٦) رواه ابن شاهين عن أبي أمامة .
(١٠٧) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أنس .
(١٠٨) رواه مسلم عن أبي هريرة .

ش : تقدم الكلام على الحديث الأول غير مرة ، وقوله « أو أزيد » على صيغة المتكلم ، ويصح أن يكون على صيغة التفضيل إلا أن قوله بعد « وأغفرها » يبعده ، والحديث الثانى ذكرنا شرحه صفحة ٧٦ ، وصفحة ٩٦ فارجع إليه ، والحديث الثالث تقدم ذكر مثله وتكلمت على الخلق وما جاء فى مدحه صفحة ٧٤ ، والحديث الرابع تقدم الكلام على مثله صفحة ١١٤ فارجع إليه ، وقوله فى الحديث الثالث « بضع عشرة » البضع — بكسر الباء الموحدة وقيل بفتحها وسكون الضاد المعجمة — ما بين الثلاث إلى التسع .

وروى الحكيم الترمذى فى كتابه — سلوة العارفين وبستان الموحدين — عن عبد الله بن راشد قال : حدثنى مولاى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله مائة وسبعة عشر خلقاً من أتى بواحدة منهن دخل الجنة » ؛ وعن مروان يقول : سمعت عثمان بن عفان يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن لله تعالى مائة وسبعة عشر خلقاً من جاء بخلق منها دخل الجنة بغير حساب » ، فقلنا : بينها لنا قال : كظم الغيظ ، والعفو عند المقدرة ، والصلة عند القطيعة . والحلم عند السفه ، والوقار عند الطيش ، ووفاء الحق عند الجحود ، والإطعام عند الجوع ، والعطية عند المنع . والإصلاح عند الفساد ، والتجاوز عن المسىء ، والعطف على الظالم ، وقبول المعذرة ، والإنابة للحق ، والتجافى عن دار الغرور ، وترك التمادى فى الباطل ، ألا وليس فى أخلاق الله شىء أحب إليه من الجود والكرم ، فإذا أراد الله بعبد خيراً وفقه لأخلاقه فتخلق بها ، وإذا أراد الله بعبد شراً خلى بينه وبين أخلاق إبليس ، وإن من أخلاق إبليس أن يغضب فلا يرضى ، وأن يسمع فيحقد ، وشراهية النفس وهنتها وأخذ ما ليس لها ونزقها إلى اللهو والباطل ، قال أبو عبد الله : فالأخلاق موضوعة فى الطبع ومعقلها فى الصدر ، والأخلاق منها ما هو جبلى تفضل الله بها على عبيده على قدر

منازلهم عنده فمنح أنبياءه منها فنهم من أعطاه منها خمساً ، ومنهم من أعطاه منها عشراً أو عشرين وأكثر من ذلك وأقل فمن زاده منها ظهر حسن معاملته ربه وحسن معاملته خلقه على قدر تلك الأخلاق ، ومن نقصه منها ظهر عليه ذلك ، ولهذا ورد فى الحديث الذى رواه مالك فى الموطأ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . فأخبرنا بقوله هذا أن الرسل قد مضت ولم تتمم هذه الأخلاق كأنه بقيت عليهم من هذا العدد بقية فأمر أن يتممها فأعلمنا فى قوله هذا أن تلك الأخلاق التى كانت فى الرسل فيه ثم هو مبعوث لإتمام ما بقى منها ليقدم على الله جل ذكره جميع أخلاقه التى ذكرها فلا يجوز لنا أن نتوهم عليه أنه بعث لأمر فقدم على ربه وهو غير متمم له ، ومنها ما يكون بطرق الكسب والتعود وتكلف النفس وبعثها على ذلك حتى تعتاد نفسه ذلك، ومن كان هذا حاله كان تخلقه طهارة لصدره وقلبه من دنس الخلق السيء الذى هو ضد هذا الخلق فإذا تطهر من سيء الأخلاق لتخلقه بمحاسن الأخلاق بجهد وكد شكر الله له ذلك وأدخله الجنة برحمته وعفوه .

١٠٩ — « شَتَمَنِى ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِى وَكَذَّبَنِى وَمَا يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِى أَمَّا شَتْمُهُ إِيَّاىَ فَقَوْلُهُ إِنَّ لِى وَلَداً وأَنَا اللهُ الْوَاحِدُ الصَّمدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِى كُفُواً أَحَدٌ . وأَمَّا تكْذِيبُهُ إِيَّاىَ فَقَوْلُهُ لَيْسَ يُعيدُنِى كَمَا بَدَأَنِى وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَىَّ مِنْ إِعَادَتِهِ » .

---

(١٠٩) رواه أحمد والنسائى والبخارى عن أبى هريرة .

ش : الشتم السب وهو الوصف بما يقتضى النقص . والاسم الشتيمة والتشاتم التساب ، والمشاتمة المسابة ، والصمد السيد الذى يصمد إليه فى الأمر ، وقيل : الصمد الذى ليس بأجوف ، وما ليس بأجوف شيئان . أحدهما لكونه أدون من الإنسان كالجمادات ، والثانى أعلى منه وهو البارى والملائكة ، وإذا أردت تفسيراً واسعاً فى ذلك فعليك بتفسير سورة الإخلاص للامام ابن تيمية فإنك تجد ما يسرك ، والإعادة بدء الشىء وإرجاعه ثانياً . والمعيد الذى يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات فى الدنيا وبعد الممات إلى الحياة يوم القيامة . وأهون أسهل يقال : هان الأمر على فلان سهل .

والمعنى — والله أعلم — أن الله جل وعز أخبرنا أن ابن آدم يشتمه وينتقصه بقول لا يليق به وما ينبغى له أن يشتمه وينتقصه لأنه خالقه وباريه وموجده من العدم بقوله « كن » ، وتولى خلقه فى الرحم من منى إلى نطفة إلى علقة إلى مضغة ثم ينفخ فيه الروح إلى أن يخرج من بطن أمه ثم يضع فى قلب والديه الرأفة والرحمة والحنان فيقبلان على تربيته والمحافظة عليه إلى أن يفطم وبعد ذلك ينتقل من طور إلى طور ، ومن حال إلى حال وكل ذلك يراعيه ويكلؤه ويقدر له رزقاً وسعادة ويسهل له الطرق ويضمن له العيش ويكلفه بأمور سهلة يطيقها كل إنسان حتى إذا ما واظب عليها وأتى بها تامة مرضية كان له ثوابها وأجزى على عملها ورفعت منزلته فى الدنيا ويوم القيامة يدخله الجنة وينعم عليه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ومع هذا فإن ابن آدم ينسى هذا كله ويقابل مولاه بالشتم والسب والتكذيب بقوله : لله ولد . وبقوله : ليس يعيدنى كما بدأنى أول مرة ، والمراد بابن آدم بعض بنى آدم وهم من أنكر البعث من العرب وغيرهم من عباد الأوثان والدهرية ، ومن ادعى أن لله ولداً من العرب أيضاً . ومن اليهود والنصارى . قال قتادة : إن مشركى العرب قالوا : الملائكة بنات الله ، وقالت اليهود : عزير ابن الله

وقالت النصارى : المسيح ابن الله فأكذبهم الله سبحانه وبين أنه منزه عن ذلك وأنه الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأنه جل ذكره يعيده كما خلقه وبدأه أول مرة، وليس الخلق ابتداء بأهون عليه من الإعادة بل بالنظر للعادة الجارية المعلومة للعباد أن الإعادة أسهل وأهون من البداءة وإيجاد الشيء ابتداء وعليه فلا يحق ولا يصح أن يستبعد بعض بنى آدم ذلك بل يستقربه ويستملحه ويقر به بدون دليل لأن البداءة هى البعيدة عن العقل والمستغربة ، وهذا بالنسبة للمخلوق ، وأما بالنسبة للخالق فليست إحدى الحالتين بأسهل وأهون عليه من الأخرى بل يقول للشيء كن فيكون ، فسورة الإخلاص أعظم سورة تنزه الله جل وعلا وتثبت عقائد التوحيد وتهدم عقائد الشرك بجميع أنواعه لذلك أفردها بعض الأئمة بتأليف خاص بها كشيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية وطبعناه والحمد لله ، فيخبرنا الله تعالى أنه الواحد أى وحدة حقيقية غير قابلة للتعدد والكثرة فى ذاته ولا فى ربوبيته ولا فى ألوهيته ولا فى ملكه فهو غير مركب من أصلين كما زعمت الثانوية . ولا من ثلاثة أصول أو أقانيم كما تزعم المثلثون من قدماء وثنيي الهند وغيرهم وتبعهم على ذلك النصارى على خلاف أصل دين موسى وعيسى ومن قبلهما من النبيين عليهم الصلاة والتسليم . وأنه الصمد القادر على قضاء كل ما يحتاج إليه عباده من الحاجات . وكفايتهم جميع ما يعجزون عنه من المهمات بما يسخره لهم من الأسباب ، وما يهديهم من سننه فيها .

قال صديقنا المرحوم الأستاذ السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار : فلو كان مبتدعة عبادة القبور وأسرى الخرافات يفقهون معنى هذه الكلمة ويؤمنون بها إيماناً إذعانياً صحيحاً يملك قلوبهم لماصمد أحد منهم إلى قبر أحد من الصالحين ولا إلى رجل حى من المعتقدين ولا إلى دجال يدعى استخدام الجان وتسخير الشياطين ليقضى له ما عجز عنه من منافعه ومصالحه أو من دفع

الأذى عن نفسه وأهله وولده فإن هؤلاء الأحياء الدجالين كالموتى من الصالحين عاجزون كلهم عما يظنه الجاهلون فيهم من التصرف فى عالم الغيب والشهادة، وقد يغترون ببعض ما يجهلون حقيقته من شعوذة وحيل أو مصادفات يوجد أمثالها عند أمثالهم من جميع أهل الملل ولكن هذا الغرور لا سلطان له على الموحدين المؤمنين بوحدانية الله تعالى .

وقوله « لم ألد ولم أولد » أى لم يصدر عنه ولد ولم يصدر هو جلا وعلا عن شيء لاستحالة نسبة العدم إليه سابقاً ولاحقاً . والوالدية والمولودية متلازمان إذ المعهود أن ما يلد يولد وما لا فلا . والاعتراف بهذا هو الاعتراف بذاك لأنه ليس بمخلوق له مزاج وجنس نشأ عن غيره ونشأ غيره عنه فتكون الربوبية والألوهية أسرة وعشيرة كسائر الأحياء الحادثة التى يتوقف وجود بعضها على بعض بل هو أحد لا شيء قبله ولده ولا شيء مثله ولد منه فيحل محله بل هو أزلى سرمدى منزه عن مشابهة كل ما فى العالم من الأجناس المتسلسلة من الأفراد البسيطة والمركبة . والله غنى عن الوالدية والمولودية وهما نقص فى حقه يستلزمان الحاجة وينافيان الربوبية والألوهية .

فإن قيل : لم قدم ذكر نفى الولد مع أن الوالد مقدم ؟ وجوابه أنه قدم للاهتمام لأجل ما كان يقوله الكفار من المشركين . إن الملائكة بنات الله . واليهود عزير ابن الله . والنصارى المسيح ابن الله ، ولم يدع أحد أن له والداً فلهذا السبب بدأ بالأهم فقال : لم ألد ولم أولد ؛ وقوله : « ولم يكن لى كفواً أحد » ، أى لم يكافئنى أحد ولم يماثلنى ويشاكلنى من صاحبة وغيرها . والكفوء النظير المكافىء . والله أعلم .

١١٠ ـ « صِلُوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّهُ أَبْقَى لَكُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَخَيْرٌ لَكُمْ فِى آخِرَتِكُمْ » .

١١١ ـ « عَبْدِى إِذَا ذَكَرْتَنِى خَالِياً ذَكَرْتُكَ خَالِياً وَإِذَا ذَكَرْتَنِى فِى مَلَأٍ ذَكَرْتُكَ فِى مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَأَكْبَرَ »

١١٢ ـ « عَبْدِى مَا عَبَدْتَنِى وَرَجَوْتَنِى فَإِنِّى غَافِرٌ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ ، يَا عَبْدِى إِنْ لَقِيتَنِى بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً مَالَمْ تُشْرِكْ بِى لَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » .

ش : الحديث الأول تقدم الكلام فيه على صلة الأرحام صفحة ٧٢ وزاد فى هذا الحديث قوله «فإنه أبقى لكم فى الحياة » إلخ . ولا شك أن الإحسان إلى الأهل والأقارب يجعل للانسان المحسن ذكرى وحياة فى الدنيا فيبقى ذكره وإحسانه خالداً فى حال حياته وبعد مماته يذكر بخير ، وهو خير أيضاً له فى الآخرة لأن له أجراً مخصوصاً يثاب عليه ، ودرجات مخصوصة أيضاً يفوز بها يوم التفاخر بالأعمال فأحسن ذكرى تبقى للانسان من وصل رحمه وأحسن إليه واستنقذه فى السراء والضراء وأعانه بما يقدر عليه وكل إنسان بحسبه وطاقته لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، والحديث الثانى تقدم الكلام عليه غير مرة فراجعه ، وكذلك الحديث الثالث فلا حاجة للاعادة .

---

(١١٠) رواه عبد بن حميد عن ابن عباس .

(١١١) رواه البيهقى عن ابن عباس .

(١١٢) رواه أحمد عن أبى ذر .

وقوله : « عبد بن حميد » ، هو الإمام الحافظ أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي مصنف المسند الكبير والتفسير وغير ذلك . واسمه عبد الحميد فخفف ، رحل في طلب العلم وتلقى من فحول علماء الحديث وروى عنه خلق كثير ، وكان من الأئمة الثقات وعلق له البخارى في دلائل النبوة من صحيحه توفى سنة تسع وأربعين ومائتين ، والله أعلم .

١١٣ — «عَبْدِي الْمُؤْمِنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَعْضِ مَلَائِكَتِي»

ش : المؤمن من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر قولا وفعلا واعتقاداً ، والإيمان التصديق والإذعان مع طمأنينة وتحقيق بما تقدم ، وأحب أفعل تفضيل أى أكثر حباً من غيره ، والملائكة جمع ملك وهى أجسام نورانية لطيفة مبرأة من كدورات نفسانية وظلمات حيوانية مقتدرة على تشكلات مختلفة معصومون عن المخالفة ، منهم وسائط بين الله وبين أنبيائه المبعوثين إلى الخليقة . ومنهم الموكل بحمل العرش ومنهم الموكل بالصور ومنهم الموكل بالموت ، ومنهم الراكع يسبح الله وينزهه ، ومنهم الساجد كذلك ، ولكل مقام معلوم ومرام مقسوم لا يأكلون ولا يشربون نعم غذاؤهم التسبيح والتهليل والتكبير إلى غير ذلك من أنواع العبادة ؛ وفى حديث مسلم عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً : « خلقت الملائكة من نور وخلقت الجن من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم » .

والمعنى أن الله تبارك وتعالى يخبر أن عبده المؤمن الذى آمن بالله وأذعن وانقاد لما جاءت به الشريعة الإسلامية وعمل بأحكام دينه وأخلص العمل لله فى سره وجهره لا مطلق العبد المؤمن بدليل إضافته إليه عز وجل إضافة

---

(١١٣) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة .

تشريف وإعظام — فلا يصح أن يضاف العبد إلى الله تعالى إلا إذا كان مستجمعاً صفات الكمال ومتجنباً صفات النقصان — أحب إليه وأشد حباً له من بعض ملائكته ؛ وهذا يدل على أن بعض الآدميين أفضل من بعض الملائكة وهو القول الراجح ، وقد تقدم الكلام على أفضلية الملائكة مطلقاً وأقوال العلماء فى ذلك صفحة ١٠٢ فارجع إليه . والله أعلم .

١١٤ — «عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ سَاعَةٌ يُنَاجِى فِيهَا رَبَّهُ وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا بِمَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ » .

ش : العاقل من اتصف بالعقل وهو غريزة يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب ، وهو مناط التكليف وبه يدرك الإنسان ما ينفعه ويضره ويميز به بين الغث والسمين ، ويعقل صاحبه عن التورط فى المهالك أى يحبسه ويمنعه من الوقوع فى ما لا خير فيه ، وبه يتميز الإنسان عن سائر الحيوان وكلما كمل عقل الإنسان ازداد الإنسان كمالا ورفعة ووجاهة بين الناس .

إذا تم عقل المرء تمت أموره   وتمت أمانيه وتم بنـــــاؤه

والماديون يعدون العقل نتيجة الشعور الموجود فى الإنسان ، والروح نتيجة التركيب الإنسانى على مثال روح الحيوان ولكن أرقى من روح الحيوان لقبول الإنسان الرقى دون الحيوان . ولما اكتشف علم التنويم المغناطيسى ، وفن استحضار الأرواح أثبتا أن للانسان روحاً متمتعة بخصائص عالية يحجبها

---

(١١٤) رواه ابن حبان عن أبى ذر .

هذا الجسد عن الظهور ، واختلف الناس فى محل العقل هل هو فى القلب أو فى الدماغ؟ قال إمام الحرمين : فذهب أصحابنا من المتكلمين أنه فى القلب وبه قال جمهور المتكلمين وهو قول الفلاسفة وقالت الأطباء هو فى الدماغ وهو محكى عن أبى حنيفة ، احتج أصحابنا بقول الله تعالى : ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ وبقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » ، فجعل صلى الله عليه وآله وسلم صلاح الجسد وفساده تابعاً للقلب مع أن الدماغ من جملة الجسد ، واحتج القائلون بالدماغ بأنه إذا فسد الدماغ فسد العقل ، والجواب أن الله تعالى أجرى العادة بفساد العقل عند فساد الدماغ مع أن العقل ليس فيه ولا امتناع فى هذا ؛ وهو قسمان غريزى ومكتسب فالغريزى —أى الجبلى والطبيعى— هو العقل الحقيقى وله حد يتعلق به التكليف لا يجاوزه إلى زيادة ولا يقصر عنه إلى نقصان ، والمكتسب هو نتيجة العقل الغريزى وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة وإصابة الفكرة وليس لهذا حد ومنتهى يقف عنده لأنه ينمى ويزيد إن استعمل وينقص إن أهمل ، وهو لا ينفك عن العقل الغريزى لأنه نتيجة منه . وقد ينفك العقل الغريزى عن العقل المكتسب لعدم استعماله أو لاتباعه الهوى فيكون صاحبه مسلوب الفضائل موفور الرذائل كالأحمق الذى لا تجد له فضيلة والأحمق الذى قلما يخلو من رذيلة .

والساعات جمع ساعة وهو الوقت من ليل أو نهار . والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت وإن قل ، والمناجاة المساررة يقال نجوته نجواً أى ساررته وكذا ناجيته ، وانتجى القوم وتناجوا تسارروا . وانتجاه خصه بمناجاته والاسم النجوى ، وقوله : « رواه ابن حبان » تقدمت ترجمته .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن على العاقل المتصف بالصفات

المميزة له عن الحيوان أن يجعل له فى يومه وليلته ثلاث ساعات وأوقات ، ساعة منها يجعلها للمناجاة بأن يناجى ربه ويتكلم بكلام خفى وسر عن الناس لأن هذه الحالة أقرب إلى قبول المطالب والدعوات وأبعد عن الرياء والسمعة بأن يسأل الله جل ذكره التوفيق للطاعات وتسهيل الطرق الصعبة وإبعاده عن المعاصى والرذائل، وحفظه من المصائب والبلايا، وأن يختم له بسعادة الدارين وأن يصلح حاله وحال إخوانه المؤمنين وأن يرفع البأس والظلم والاستبداد والمطامع من أعدائه المستبدين بالضعيف والغاصبين حقه وأن يغل أيدى وألسنة المذبذبين الذى يظهرون الإسلام والإيمان وحب أهلهما وهم فى الحقيقة جواسيس للأجانب بأجر تافه يستبدلون عرض هذه الدنيا بالنعيم الأبدى والخير السرمدى والأجر العظيم الذى لا ينقطع فهم أسوأ الناس فى الدنيا الزائلة ولهم يوم القيامة الخزى والعار وأشد العذاب ، وساعة يخلو فيها بنفسه ويحاسبها على ما عملته من خير وشر فى ذلك اليوم فإذا اقترفت ذنباً فيندم عليه ويستغفر الله سبحانه وتعالى ويتوب إلى الله جل ذكره ويرجع إليه ويعزم أن لا يعود إلى مثله أبداً ويخاطب نفسه ويوبخها ، وإذا لم تعمل سيئة بل كان عملها دائراً بين الأعمال الخيرية والخواطر الإصلاحية فيحمد الله تعالى على أن وفقه إلى ذلك ويرجو منه استدامة التوفيق والإعانة على البر والتقوى، ويحث نفسه على زيادة العمل ويرغبها ويشوقها بأن كثرة العمل البار تستوجب زيادة الثواب وترفع منزلة العبد إلى أن يكون مع النبيين والشهداء والصالحين فعليك بالمداومة على ذلك والزيادة منه ، وساعة يخلو الإنسان فيها بمطعمه ومشربه أى بما يقويه على الأعمال الصالحة من مطعم ومشرب وملبس وينوى بذلك التقوى بهذه الأشياء على طاعة الله تبارك وتعالى والقيام بأداء الواجبات والمندوبات فتكون هذه الأشياء المباحة مشروعة ومسنونة فيثاب عليها ويجزى بها ، ولا شك أن المطعم والمشرب والملبس من الأمور الضرورية

للانسان التى تصان بها حياته وجسمه وتحفظها من الانحلال والتغير والضعف. وهذا بالنسبة لما يقومها ويبقيها من القوت الضرورى والمشرب والملبس كذلك وما زاد عن القوت الضرورى فيكون مباحاً ما لم يؤد إلى ضرر بالجسم أو العقل فيكون ممنوعاً منه شرعاً وطبعا ، وأضيف المطعم والمشرب إليه إشارة إلى أن المطعم والمشرب والملبس الذى يختص بالشخص مما يملكه بإذن شرعى ويكون حلالا أى لا يطعم إلا مما أباحه الشرع وجوزه. وكذلك المشرب والملبس . وهذه هى الحياة الطيبة وصاحبها دائماً فى نعيم وراحة فكر وصحة جسم . فنسأل الله أن يوفقنا لأن نغلب أنفسنا ونصيرها مركباً تطيعنا فى كل أمر ونحظى بالصحة والهناء فى الدنيا والسرور والثواب والجزاء فى دار الآخرة.

١١٥ — «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِى مَاسَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللهُ حَمَدَنِى عَبْدِى فَإِذَا قَالَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ اللهُ أَثْنَى عَلَىَّ عَبْدِى فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ قَالَ مَجَّدَنِى عَبْدِى وَإِذَا قَالَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قَالَ هَذَا بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ اهْدِنَا الصِّرَاطَ إِلَى آخِرِهِ قَالَ :هَذَا لِعَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ » .

---

(١١٥) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان وابن ماجة عن أبى هريرة .

ش : القسم — بفتح أوله وسكون ثانيه — مصدر قسم الشئ فانقسم أى إفراز النصيب ، والقسم — بكسر أوله وسكون ثانيه — الحظ والنصيب من الخير . فيقال : هذا قسمى والجمع أقسام . وقسمة الميراث والغنيمة تفريقهما على أربابهما ، والصلاة هى العبادة المخصوصة المشتملة على التكبير والتسبيح والقراءة وأصلها الدعاء ، وهى من العبادات التى لم تنفك شريعة منها وإن اختلفت صورها بحسب شرع فشرع ولهذا قال الله عز وجل : ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ ، والمراد بها هنا قراءة الفاتحة لاشتمالها عليها من إطلاق الكل وإرادة الجزء كما يدل عليه تمام الحديث ، والحديث الذى فى أول الكتاب جاء مصرحاً بذلك وقد تقدم ذكره صفحة ٧ وذكرنا ما يتعلق به إجمالا ونذكر الآن ما يتمم ذلك .

والمعنى أن الله تباركت أسماؤه وتنزهت صفاته أخبرنا أن الفاتحه التى اشتملت عليها الصلاة قسمها بينه عز وجل وبين عبده نصفين فيصح أن تكون القسمة من جهة المعنى دون اللفظ لأن نصف الدعاء يزيد على نصف الثناء ونصفها الأول تحميد لله تعالى ذكره وتمجيد له وثناء عليه . ونصفها الثانى سؤال وتضرع وافتقار ، ويحتمل أن تكون باعتبار اللفظ لأنها سبع آيات بدليل حديث أول الكتاب ، قال الله تعالى : « ابن آدم أنزلت عليك سبع آيات ثلاث لى ، وثلاث لك ، وواحدة بينى وبينك » . الحديث فثلاث منها ثناء ، وثلاث دعاء ، والآية المتوسطة نصفها ثناء ونصفها دعاء ، فنصفها لله عز وجل خاص به وهى الثلاث الآيات الأول ، ونصفها للعبد خاص به وهو من « اهدنا الصراط المستقيم » إلى آخر السورة . وقوله « إياك نعبد وإياك نستعين » بين الله عز وجل وبين عبده ، قال أستاذنا الجليل الشيخ محمود محمد خطاب السبكى رحمه الله تعالى فى شرحه على سنن أبى داود : وإضافة العبد إلى ربه لتحققه بصفات العبودية وقيامه بحق الربوبية وشهوده

لآثارهما وأسرارهما فى صلاته التى هى معراج الأرواح وروح الأشباح وغرس تجليات الأسرار التى يتحلى بها الأحرار عن الأغيار ، ولما كان وصف العبودية غاية الكمال إذ به ينصرف الإنسان من الخلق إلى الحق وصف الله تعالى به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فى مقام الكرامة فقال : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ﴾ ، وقال عزوجل : ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ﴾ ، وقال : ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ ، وقوله فى الحديث : « ولعبدى ماسأل» أى أن الله عز وجل وعد عبده إذا سأله شيئاً أن يعطيه ويمنحه إياه ويجيب دعاءه بشرط أن يكون مشروعاً غير مشتمل على ما يمنع شرعاً وعقلا ، وقوله « إذا قال العبد الحمد لله رب العالمين » بيان للصلاة التى قسمها الله جل وعز بينه وبين عبده . وبيان لمعنى القسمة لها ، فذكر صلى الله عليه وآله وسلم ما يقوله الله تعالى عند قراءة العبد كل آية منها وأعلم العبد أنه يسمع قراءته وحمده وثناءه عليه وتمجيده إياه ودعاءه ورغبته سماعاً يليق بعظمته وجلاله فكل حمد وثناء يصدر عن نعمة ما فهو له تعالى لأنه مصدر كل نعمة فى الكون تستوجب الحمد ومنها نعمة الخلق والإيجاد والتربية والتنمية ، وهو الرحمن كثير الرحمة وغزيرها التى وسعت كل شىء . ورحيم بعباده يعفو ويصفح ، يكرم ويحلم ، وهو المالك ليوم الدين له السلطان المطلق والسيادة التى لا نزاع فيها لا حقيقة ولا ادعاء والعالم كله يكون فيه خاضعاً لعظمته ظاهراً وباطناً يرجو رحمته ويخاف عذابه ذلك اليوم يوم الجزاء يوم الحساب يوم العرض على رب الأرباب يوم تظهر فيه الأعمال ، ويقول كل شخص : نفسى نفسى . يوم لا يملك الإنسان شيئاً بل الأمر كله يومئذ لله ، قال الله تعالى : ﴿ وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾ ، أخرج ابن جرير ، والحاكم وصححه عن ابن مسعود وناس من الصحابة أنهم فسروا يوم الدين بيوم الحساب . وكذا رواه ابن جرير وابن أبى

حاتم عن ابن عباس . وأخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة قال : يوم الدين يوم يدين الله العباد بأعمالهم ، وهو الذى يعبد وبه يستعان أى لا يعبد غيره ولا يستعان استعانة حقيقية إلا به ، والعبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل ، فاجتث الله بقوله ذلك جذور الشرك والوثنية التى كانت فاشية فى جميع الأمم الغابرة وهى اتخاذ أولياء من دون الله تعتقد لهم السلطة الغيبية ويدعون لذلك من دون الله . ويستعان بهم على قضاء الحوائج فى الدنيا ، ويتقرب بهم إلى الله زلفى . وجميع ما فى القرآن من آيات التوحيد ومقارعة المشركين هو تفصيل لهذا الإجمال ، وقوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ الهداية الإرشاد أو التوفيق أو الإلهام أو الدلالة . والصراط الطريق ، والمستقيم الواضح الذى لاعوجاج فيه — وهو دين الإسلام — ممن أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، غير طريق المغضوب عليهم ولا الضالين أى غير المنعم عليهم ، وهما فريقان فريق ضل عن صراط الله . وفريق جحد وعاند من يدعو إليه فكان محفوفاً بالغضب الإلهى والخزى فى هذه الحياة الدنيا وهما اليهود والنصارى ، اللهم اهد الخلق لأقوم الطرق وأوضحها وأسهلها وهو دين الإسلام الذى ليله كنهاره لا يضل عنه إلا هالك ، وفى هذا القدر كفاية ، والله أعلم .

١١٦ — « عِبَادٌ لِي يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ مُسُوكَ الضَّأْنِ وَقُلُوبُهُمْ أَمَرّ مِنَ الصَّبْرِ وأَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ يَخْتِلُونَ النَّاسَ بِدِينِهِمْ . أَبِي يَغْتَرُّونَ ؟ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ ؟ فَبِي أَقْسَمْتُ لأُلْبِسَنَّهُمْ فِتْنَةً تَذَرُ الْحَلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانَ » .

---

(١١٦) رواه ابن عساكر عن عائشة .

ش : المسوك — جمع مسك بفتح أوله وسكون ثانيه — الجلود جمع جلد ، والضأن ذوات الصوف من الغنم الواحدة ضائنة والذكر ضائن وهو ضد الماعز ، والقلوب جمع قلب وهو الفؤاد وسمى قلباً لكثرة تقلبه ، ويعبر بالقلب عن المعانى التى تختص به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك ، والصبر — بفتح الصاد وكسر الباء الموحدة فى الأشهر وسكونها للتخفيف لغة قليلة — الدواء المر المعروف ، ويختلون يطلبون طلب خداع ومراوغة ، يقال : ختله ويختله إذا خدعه وراوغه . وختل الذئب الصيد إذا تخفى له ، والدين يقال للطاعة والجزاء واستعير للشريعة ، ويغترون يخدعون ، يقال : اغتر الرجل واغتر بالشىء خدع به ، ويجترئون يقدمون بجرأة أى شجاعة . والجرىء — بالمد — المقدام وجرأه عليه تجرئة فاجترأ ، واجترأ على القول أسرع بالهجوم عليه من غير توقف ، والاسم الجرأة ، والقسم — بفتح أوله وثانيه — اليمين ، وأقسم حلف ، اللبس الخلط والتشبه والتشكيك ، والفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار ، تذر تدع ، والحليم العالم العاقل ، والحلم الأناة والتثبت فى الأمور . والحيران الذى لا يدرى وجه الصواب . ورجل حائر بائر إذا لم يتجه لشىء ، وقوله : « رواه ابن عساكر » تقدمت ترجمته صفحة ٧١ وضعف الحديث لا يخفى ، والله أعلم .

والمعنى أن من عباد الله جل ذكره عباداً يظهرون للناس ويلبسون جلود الشياه — وهو كناية عن إظهار اللين فى كلامهم وحنانهم وحسن أخلاقهم — وهم فى الحقيقة ذئاب ، قلوبهم التى يعقلون بها أمر من الصبر ، وألسنتهم بين الناس أحلى من العسل تشتهى أن تسمع منهم وتجالسهم ولا تفارقهم ، يختلون الناس بدينهم ويخدعونهم ويطلبون بذلك عمل الدنيا بالآخرة ويراوغونهم كما يراوغ الذئب الصيد إذا تخفى له ، وهذا غرور منهم بالله عز وجل واغترار به وجرأة عليه جل ذكره لأن الخلق خلقه والعباد عبيده فكيف يقدمون على هذه

الأعمال ولا يبالون بأن لهذه الخلائق رباً وإلهاً وخالقاً يحفظهم من أمثال هؤلاء المختالين الذئاب ، فيخبر الله بأنه أقسم وحلف ليلبسنهم ويخلطن عليهم ويوقعهم فى الشكوك جزاء فعلهم ذلك فتنة وابتلاء وامتحاناً تذر وتترك العاقل العالم المتثبت فى الأمور متحيراً لا يقدر على دفعها فكيف بغير الحليم ؟ ويصدق هذا على من يتظاهر بالدين والتقوى ويلين للناس فى الكلام والأخلاق ويتساهل فى أحكام الدين فيرغب فيه العوام ويقبلون عليه ويصيرون من حزبه فتجلب له الأموال ويحظى بالرياسة والوجاهة وكثرة الاتباع وهو فى الحقيقة جهول غشاش لأن ما يدعو إليه ظاهراً إنما هو لغرض دنيوى ومن حطام الدنيا ، لذلك تجد قلوبهم غير موافقة لعملهم لأن ألسنتهم فى الأقوال والدعاوى أحلى من العسل وقلوبهم وأفئدتهم خالية من الإخلاص والورع والنية الصالحة فهى أمر من الصبر . فنسأل الله أن يهديهم لأقوم الطرق وأحسنها ؛ ويصدق أيضاً على من يدعى الولاية والخلافة من عوام الجهال ويدعون الناس إلى الانضمام لشيعتهم ويحسنون لهم كثيراً من البدع والخرافات ويضللون طريق الهدى عليهم بألسنة أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر المعروف . يخدعونهم بلين أقوالهم لينجذبوا إليهم ويصيروا عبيداً لهم يأتمرون بأمرهم وينتهون بنهيهم ، فهؤلاء أيضاً يغترون بالله عز وجل ويجترئون عليه فلهم فتنة يلبس الله عليهم فيها تترك الحليم العاقل العالم حيران لا يدرى ما يفعل فما بالك بغيره ، والله أعلم .

١١٧ ــ « عَلَامَةُ مَعْرِفَتِى فِى قُلُوبِ عِبَادِى حُسْنُ مَوْقِعِ قَدَرِى أَنْ لَا أُشْتَكَى وَأَنْ لَا أُسْتَبْطَأَ وَأَنْ لَا أُسْتَحْيَا »

(١١٧) رواه الديلمى عن أبى هريرة .

ش : العلامة السمة جمعها علام وعلامات . والعلامة أيضاً الفصل بين الأرضين وشيء منصوب في الطريق يهتدى به ، والمعرفة والعرفان إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره وهو أخص من العلم . ويضاده الإنكار ؛ والقدر — بفتحات — وقد يسكن داله مصدر قدر يقدر وهو ما قضاه الله تعالى وحكم به من الأمور ، وقوله « أن لا اشتكى » أى لا يشكو العبد من الله تعالى وحكمه وأن لا أستبطأ أى يستبطىء العبد مولاه بأن دعاه وانتظر الإجابة وقال أن الله جل ذكره استبطأ إجابتى وأخرها مثلا ، يقال بطؤ وتباطأ واستبطأ وأبطأ فبطؤ إذا تخصص بالبطء وتباطأ تحرى وتكلف ذلك واستبطأ طلبه، وأبطأ صار ذا بطء ، ويقال : وبطأ . وأبطأه ، وقوله « وأن لا استحيا » يجوز أن يكون من الإستحياء طلب الحياء ، وأن يكون من الاستحياء الاستبقاء ولعل الأول أقرب إلى ألفاظ الحديث .

والمعنى أن الله جل ذكره أخبر أن علامة معرفته جل وعز فى قلوب عباده حسن موقع قدره وحكمه وقضائه عندهم حيث إن أحدهم إذا أصابه شيء من بلايا الدنيا وامتحاناتها واختباراتها يصبر ويصمد لها ولا يشكو الله سبحانه وتعالى إلى غيره ولا يشتكى أيضاً إذا مسه أذى فى جسده وماله وأولاده وأقاربه بل يرضى بقضاء الله سبحانه وحكمه ولا يقول إلا خيراً ويحمد الله جل ذكره ويصبر لحكمه وقضائه ففعل هذا يدل أنه عرف الله وآمن بقضائه وقدره ، وقدر الله يجب الإيمان به كله خيره وشره، حلوه ومره نفعه وضره. ومذهب أهل الحق إثبات القدر والإيمان به كله ، وقد جاء من النصوص القطعيات فى القرآن العزيز والسنن الصحيحة المشهورات فى إثباته ما لا يحصى من الدلالات ، وذهبت القدرية إلى إنكاره وأن الأمر أنف — أى مستأنف لم يسبق به علم الله — تعالى الله عن قولهم الباطل علواً كبيراً ، وقد جاء فى الحديث تسميتهم مجوس هذه الأمة لكونهم جعلوا الأفعال للفاعلين فزعموا

أن الله تعالى يخلق الخير وأن العبد يخلق الشر ، جل الله عن قولهم الباطل ، وكذلك إذا طلب من الله شيئاً فلا يلح فى الطلب ولا يستأخره ويستبطئه ويقول : إن الله تعالى أخر طلبي ولم يعجله لى ، ولربما ظن أن تأخير الله طلبه وإجابته عدم قدرته عليه واستطاعته فيقع فى الهلاك . نسأل الله العافية ، وأن لا يستحيي أحدنا من الله جل ذكره فيقدم على المعاصى ولا يبالى لأن المستحى ينقطع بحيائه عن المعاصى ، وإن لم يكن تقية وأن الحياء من الله فوق ذلك . روى الترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « استحيوا من الله حق الحياء . قال : قلنا يا نبى الله إنا لنستحيي والحمد لله قال : ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى ولتذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » ، وروى ابن ماجه بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء فلم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً فإذا لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً نزعت منه الأمانة فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائناً مخوناً فإذا لم تلقه إلا خائناً مخونا نزعت منه الرحمة ، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيماً ملعناً فإذا لم تلقه إلا رجيماً ملعناً نزعت منه ربقة الإسلام » والربقة بكسر الراء وفتحها واحدة الربق وهى عرى فى حبل تشد به البهم ، وتستعار لغيره ، روى البخارى ومسلم عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الحياء لا يأتى إلا بخير » . وفى رواية لمسلم « الحياء خير كله » . وروى الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر » .

هذا أحد احتمالين فى قوله : « وأن لا أستحيا » وهو الأقرب ، ويحتمل أن يكون من الاستحياء الاستبقاء أى يعتقد الشخص أو يظن أن الله سبحانه وتعالى غير باق لأن إجابته تأخرت أو طال مرضه وأزمن وهو يدعو الله أن يشفيه من ذلك ويذهب ما به من البلاء ، وفى القلب من الحديث شيء. والله أعلم .

١١٨ – « عَبْدِى أَنَا عِنْدَ ظَنِّكَ بِى وأَنَا مَعَكَ إِذَا دَعَوْتَنِى » .

ش : الحديث تقدم ذكره وشرحه صفحة ٩٩ فارجع إليه .

١١٩ – « قَالَ اللهُ لِلنَّفْسِ اخْرُجِى قَالَتْ لَا أَخْرُجُ إِلَّا وَأَنَا كَارِهَةٌ قَالَ اخْرُجِى وَإِنْ كَرِهْتِ »

ش : النفس – بفتح أوله وسكون ثانيه – الروح يقال : خرجت نفسه ، والنفس الدم يقال : سالت نفسه . والنفس الجسد . ونفس الشيء عينه ، والمراد به هنا الروح ، والروح للحيوان مذكر وجمعه أرواح . قال ابن الأنبارى وابن الأعرابى : الروح والنفس واحد غير أن العرب تذكر الروح وتؤنث النفس ، وقال الأزهرى أيضاً : الروح مذكر . وقال صاحب المحكم ، والجوهرى : الروح يذكر ويؤنث ، وكأن التأنيث على معنى النفس ، قال بعضهم : الروح النفس فإذا انقطع عن الحيوان فارقته الحياة ، وقالت الحكماء : الروح هو الدم ولهذا تنقطع الحياة بنزفه ، وصلاح البدن وفساده

---

(١١٨) رواه الحاكم عن أنس .

(١١٩) رواه البزار والديلمى عن أبى هريرة .

بصلاح هذا الروح وفساده . ومذهب أهل السنة أن الروح هو النفس الناطقة المستمدة للبيان، وفهم الخطاب ولا تفنى بفناء الجسد وأنه جوهر لا عرض . ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ، والمراد هذه الأرواح ، والكره والكراهية المشقة التى تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه . أو ما يناله من ذاته وهو يعافه ، وذلك على ضربين : أحدهما ما يعاف من حيث الطبع . والثانى ما يعاف من حيث العقل والشرع ، ولهذا يصح أن يقول الإنسان فى الشىء الواحد بأنى أريده وأكرهه بمعنى أنى أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث العقل أو الشرع ، أو أريده من حيث العقل أو الشرع وأكرهه من حيث الطبع .

والمعنى أن الله جل ذكره يقول للنفس أى للروح التى بين جنبى العبد وما به حياته : اخرجى من جسد عبدى فقد انقضى أجله وانصرم عمره وانتهت مدة اتصالك به وحلولك فيه وتعلقك به . تقول : لا أخرج من جسدى الذى حللت فيه وعلقت به وأنا راضية مرضية فإنه يصعب على مفارقته وتركه ولى بصحبته مدة طويلة قلت أو كثرت ، لا أنها تمتنع وتأبى على الله وتعصى أمره جل وعز بل يعز عليها الخروج وترك الجسد منفرداً وحيداً بدونها — بل إذا أردت خروجى فأخرج كارهة لذلك غير راضية بذلك . فيقول لها المولى جل ذكره : اخرجى وإن كرهت ، فتخرج كارهة ، والروح لها بالبدن تعلقات كثيرة تتغاير أحكامها .

قال العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد الشهير بابن قيم الجوزية فى كتابه — : إن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام أحدها تعلقها به فى بطن الأم جنيناً ، الثانى تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض ، والثالث تعلقها به فى حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه ،

الرابع تعلقها به فى البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها التفات إليه ألبتة ، الخامس تعلقها به يوم بعث الأجساد ، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن — ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً . وأما قوله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ ، فإمساكه سبحانه التى قضى عليها الموت لا ينافى ردها إلى جسدها الميت فى وقت ما رداً عارضاً لا يوجب له الحياة المعهودة فى الدنيا ، وإذا كان النائم روحه فى جسده — وهو حى — وحياته غير حياة المستيقظ فإن النوم شقيق الموت فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت له حال متوسطة بين الحى وبين الميت الذى لم ترد روحه إلى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحى والميت فتأمل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة، انتهى . وإذا أردت ما يتعلق بمباحث الروح أوسع من هذا فعليك بهذا الكتاب تجد ما يشرح صدرك ، والله أعلم .

١٢٠ — « كَذَّبَنِى ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ وَشَتَمَنِى وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ فَأَما تَكْذِيبُهُ إِيَّاى فَزَعَمَ أَنِّى لَا أَقدرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ وأَماشَتْمُهُ إِيَّاىَ فَقَوْلُهُ لِى وَلَدٌ فَسُبْحَانِى أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً » .

١٢١ — « كَذَّبَنِى عَبْدِى وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِى »

---

(١٢٠) رواه البخارى عن ابن عباس .

(١٢١) رواه ابن خزيمة عن أنس .

١٢٢ - « كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِى وأَنَا أَجْزِى بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ ولَا يَصْخَبْ وَإِن سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّى امْرُؤٌ صائِمٌ ، والَّذِى نَفْس محَمَّد بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَم الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ.ولِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لَقِىَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ » .

١٢٣ - « كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ هُوَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ هوَ لِى وَأَنَا أَجْزِى بِهِ وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ وَلَخُلُوف فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَب عِنْدَ اللهِ منْ رِيحِ الْمِسْكِ » .

ش : الحديث الأول تقدم ذكره صفحة ١٤٣ بألفاظ قريبة من هذا وأشبعنا الكلام عليه . وزاد هنا لفظ « صاحبة » الصاحبة والصاحب الملازم

---

(١٢٢) رواه الشيخان والنسائى وابن حبان عن أبى هريرة .

(١٢٣) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود والطبرانى وابن النجار عن ابن مسعود وابن عساكر عن عبد الله بن الحارث بن نوفل .

إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً . ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن — وهو الأصل والأكثر — أو بالعناية والهمة وعلى هذا قول الشاعر :

لئن غبت عن عينى   لما غبت عن قلبي

ولا يقال فى العرف إلا لمن كثرت ملازمته .

والحديث الثانى قريب من الحديث الأول وذكره له لاختلاف الرواة له ، والحديث الثالث تقدم ذكره صفحة ١١٦ — ١١٨ وزاد هنا فى هذه الرواية ألفاظاً نتعرض لشرحها إن شاء الله تعالى فنقول : قوله : « فلا يرفث » أى فلا يقل قول فحش أو لا يجامع ، وقال الأزهرى : الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة ؛ وقال كثير من العلماء أن المراد به فى هذا الحديث الفحش وردىء الكلام . وقوله : « ولا يصخب » أى ولا يرفع صوته فى الخصام ويضطرب بهذيان يقال . رجل صخب وصاخبة وصخاب وصخبان أى كثير اللغط والجلبة ، والمراد بالنهى عن ذلك تأكيده حالة الصوم وإلا فغير الصائم منهى عن ذلك أيضاً ، وقوله : « فليقل إنى امرؤ صائم » يحتمل القول اللسانى ليندفع عنه الخصم أو النفسى بأن يتفكر فى نفسه أنه صائم لا يجوز له الغضب أو السب أو هما معاً فيكون أكمل ؟ ، وقوله : « والذى نفس محمد بيده » قسم من النبي صلى الله عليه وسلم للتأكيد وتحقيق الحكم ، والخلوف — بضم الخاء وفتحها وحكى الخطابى الضم وغلط من فتح وتبعه على ذلك كثير من العلماء وبالغ النووى فى شرح المهذب فقال : لا يجوز فتح الخاء ، وهو مجاز عن القبول والرضا به ، وقوله : « للصائم فرحتان » إلخ قال القرطبى : معناه فرح بزوال جوعه وعطشه حيث أبيح له الفطر ، وهذا الفرح طبيعى وهو السابق للفهم ، وقيل : أن فرحه بفطره إنما هو من حيث أنه تمام صومه وخاتمة عبادته وتخفيف من ربه ومعونة على مستقبل صومه ،

قال الحافظ ابن حجر : قلت : ولا مانع من الحمل على ما هو أعم مما ذكر ففرح كل أحد بحسبه لاختلاف مقامات الناس فى ذلك فمنهم من يكون فرحه مباحاً وهو الطبيعى ، ومنهم من يكون مستحباً وهو من يكون سببه شيئا مما ذكره ، وإذا لقى ربه فرح بصومه أى بجزائه وثوابه . وقيل : الفرح الذى عند لقاء ربه أما السرور بربه أو بثواب ربه على الاحتمالين ، والثانى أظهر إذ لا ينحصر الأول فى الصوم بل يفرح حينئذ بقبول صومه وترتب الجزاء الوافر عليه ؛ وقد وردت أحاديث كثيرة فى النهى عن الأعمال والأقوال غير المستحسنة فى الصيام ، منها ما رواه البخارى . وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» وعند ابن ماجه : « من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به » ، وروى ابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إنى صائم » ، وروى ابن ماجه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » . والحديث الرابع كالثالث. والله أعلم .

١٢٤ – « لَأَنْتَقِمَنَّ مِنَ الظَّالِمِ فِى عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ وَلَأَنْتَقِمَنَّ مِمَّنْ رَأَى مَظْلُومًا فَقَدَرَ أَنْ يَنْصُرَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ»

(١٢٤) رواه أبو الشيخ عن ابن عباس والطبرانى عن أبى الدرداء .

ش : الانتقام تقدم تفسيره صفحة ١٠٨ ، والظلم أيضاً تقدم صفحة ٣٣ فارجع إليهما ، والعاجل الحاضر . والعجل والعجلة ضد البطء . وعاجله بذنبه إذا أخذه به ولم يمهله ، والآجل ضد العاجل .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أخبر لينتقمن من الظالم ويعاقبنه فى عاجله أى فى الدنيا وآجله أى فى الآخرة ، لأن الظالم أضر بنفسه فأوردها المهالك والظلم جاءت جميع الشرائع باستقباحه والتنفير منه واستفظاعه ، وجاء فى القرآن الحكيم آيات كثيرة تندد بالظالم وتتوعده بالعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : ﴿ وما للظالمين من أنصار ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ .

وكذلك وردت أحاديث فى ذلك منها الحديث القدسى الذى تقدم ذكره صفحة ٤٧ : « إنى قد حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » الحديث وذكرنا شرحه هناك مستوفى فارجع إليه ، ومنها ما رواه مسلم وغيره عن جابر رضى الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » ، وروى البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، عن أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله يملى للظالم فإذا أخذه لم يفلته. ثم قرأ : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى ، وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث معاذاً إلى اليمن

فقال : «اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » رواه البخارى . ومسلم ، وأبو داود . والنسائى فى حديث والترمذى مختصراً هكذا واللفظ له ومطولا كالجماعة ، وكذلك توعد الله فى هذا الحديث بالانتقام والعذاب من قدر على نصر المظلوم وتباطأ عنه ولم ينصره ، وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قالوا : يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ فقال : نأخذ فوق يديه » . رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، وروى أبو داود عن جابر ، وأبى طلحة رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما من مسلم يخذل امرءا مسلماً فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصر مسلماً فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته » ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى هنا — يشير إلى صدره — بحسب امرىء من الشر أن يحتقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » . رواه مسلم ، وحديث الباب ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب وقال : رواه أبو الشيخ أيضاً فيه من رواية أحمد بن محمد بن يحي وفيه نظر عن أبيه ، وجد المهدى هو محمد بن على بن عبد الله بن عباس وروايته عن ابن عباس مرسلة ، والله أعلم .

١٢٥ — «لَسْتُ بِنَاظِرٍ فِى حَقِّ عَبْدِى حَتَّى يَنْظُرَ عَبْدِى فِى حَقِّى » .

---

(١٢٥) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس .

ش : معنى ألفاظه ظاهرة ، والمعنى أن الله تبارك وتعالى أخبرنا أنه لا ينظر فى حق عبده ومصالحه حتى ينظر العبد فى حق مولاه جل وعز ، وحق الله سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين الأول يتعلق بالأعمال والأفعال الظاهرة من صلاة ، وصيام ، وحج ، وزكاة ، واجتناب الكبائر ، والتباعد عن الصغائر ومعاونة العباد والإحسان إليهم وغير ذلك مما جاءت به الشريعة الغراء ، والقسم الثانى يتعلق بالاعتقاد والأعمال الباطنة كاعتقاد أن الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وأن الله أرسل رسلا وأنبياء لإرشاد الخلق وتبيين طريق الحق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . فيذعن العبد لهم وينقاد ويؤمن بما جاءوا به إجمالا وتفصيلا ، ويؤمن بالكتب المنزلة على الرسل جميعاً وأنها من عند الله عز وجل إجمالا وتفصيلا ، ويؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى وحكمه وقضائه .

وحق العبد أن يتولى الله رعاية عبده وحفظه وستره ويضمن له الرزق ويوفقه لصالح الأعمال ويحببه إلى خلقه ويسهل له الأمور ويكثر له الحسنات ويمحو عنه السيئات ويعفو عن مساويه ويرفع منزلته دنيا وأخرى، ويدخله الجنة وينعم عليه بأشياء كثيرة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

فمتى قام العبد بحقوق الله جل ذكره وتعالت أسماؤه تجلى الله جل وعلا على عبده وأسدل عليه نعمه وبره وإحسانه ووفقه لما يرضى ويحب ، فعلى الإنسان أن لا يغفل عن الأعمال الصالحة ويضيع وقته فى قيل وقال ، وإذا شتم هذا وظلم ذاك وجار فإنه يأتى يوم القيامة وهو صفر اليدين من الحسنات فيلقى عذاب ربه وحتف نفسه ، اللهم إنى أسألك أن توفقنا إلى صالح الأعمال وتجنبنا مساويها ، إنك على ما تشاء قدير .

١٢٦ – لَقَدْ خَلَقْتُ خَلْقًا أَلْسِنَتُهمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ فَبِى حَلَفْتُ لَأُتِيحَنَّهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانَ فَبِى يَغْتَرُّونَ أَمْ عَلَىَّ يَجْتَرِئُونَ » .

١٢٧ – « لَوْ أَنَّ عَبْدِى اسْتَقْبَلَنِى بِقُرَابِ الْأَرْضِ ذُنُوباً لَا يُشْرِكُ بِى شَيْئاً اسْتَقْبَلْتُهُ بِقُرَابِها مَغْفِرَةً » .

ش : الحديث الأول تقدم ذكر مثله مع تغيير فى بعض ألفاظه صفحة ١٥٤ ، وقوله : « لأتيحنهم » لأقدرن وأنزلن بهم فتنة يقال : أتاح الله لفلان كذا أى قدره له وأنزله به . وتاح له الشىء ، وباقى الشرح تقدم ، والحديث الثانى تقدم بأطول من ذلك صفحة ١٤٦ فارجع إليه ، والله أعلم .

١٢٨ – «لَوْ أَنَ عِبَادِى أَطَاعُونِى لَأَسْقَيْتُهُم الْمَطَرَ بِاللَّيْلِ وَلَأَطْلَعْتُ عَلَيْهِمُ الشَّمْسَ بِالنَّهَارِ وَلَمَا أَسْمَعْتُهُمْ صَوْتَ الرَّعْدِ » .

ش : السقى . والسقيا أن يعطيه ما يشرب ، والإسقاء أن يجعل له ذلك

---

(١٢٦) رواه الترمذى عن ابن عمر .
(١٢٧) رواه الطبرانى عن أبى الدرداء .
(١٢٨) رواه أحمد والبزار والحاكم عن أبى هريرة .

حتى يتناوله كيف شاء ، فالإسقاء أبلغ من السقى لأن الإسقاء هو أن تجعل له ما يسقى منه ويشرب قاله الراغب فى مفرداته ، والمطر الماء المنسكب وماء السحاب وجمعه أمطار ، والرعد صوت السحاب ، وروى أنه ملك يسوق السحاب ، وقيل : رعدت السماء وبرقت وأرعدت وأبرقت . ويكنى بها عن التهدد .

والمعنى — والله أعلم — أن الله جلا وعلا يخبرنا أن عباده لو أطاعوه ليسقينهم المطر بالليل فينتفع بها الزرع والبهائم والآدميون فلا يحصل لهم عطلة فى نهارهم لمعاشهم بل يصبح كل يزاول عمله ولا تشل حركة القوافل فى البرارى والقفار وحركة المشى والسعى فى المدن والقرى تسهيلا للعباد ورأفة بهم ، وليطلعن الشمس على العباد فى النهار لتجف الأراضى التى أصابها الماء والطرق التى يسلكها العباد وتذهب المكروبات التى تدنو من الثمر والشجر وتلصق بها ، ولما أسمع عباده صوت الرعد خوفاً من أن يصيبهم رعب أو أذى من صوته ؛ فيا عباد الله أطيعوا ربكم فى جميع أعمالكم وقوا أنفسكم من عذاب الله وارحموا الضعيف والمسكين ووقروا علماءكم وشيوخكم وكبراءكم وعاونوا المحتاج وعابر السبيل وإن كنتم تنتظرون المادة والمال فإن الله جل ذكره وعدكم بالخير الكثير والنعم التى لا تحصى ولا تعد إذا أنتم أطعتموه فى سركم وجهركم وأظهرتم شعائر الدين ونشرتم سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى كل قطر وبلد وقرية وبيت ومحفل ومجتمع فاللهم إنى أسألك أن تهدينا لطاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وآله وسلم .

١٢٩ — « لَمْ يَلْتَحِفِ الْعِبَادُ بِلِحَافٍ أَبْلَغَ عِنْدِى مِنْ قِلَّةِ الطُّعْمِ » .

---

(١٢٩) رواه الديلمى عن ابن عباس .

ش : التحف بالثوب تغطى به واللحاف ما يلتحف به . وكل شيء تغطيت به فقد التحفت به وجمعه لحف ، والملحفة — بكسر أوله — هى الملاءة التى تلتحف بها المرأة ، والطعم — بالضم — الأكل ، وبالفتح ما يؤديه ذوق الشيء من حلاوة ومرارة وغيرهما وله حاصل .

والمعنى أن الله تبارك اسمه أخبرنا أن العباد لم يلتحفوا ويتغطوا بلحاف وغطاء يقيهم شدة البرد ويدفع عنهم الأذى ويحفظ صحتهم ويقيها من الآلام والأمراض والعلل أبلغ وأحفظ وأشد وقاية عند الله من قلة الطعام فإن فى قلة الطعام راحة للجسم والعقل وحفظهما من الأسقام ، وقد جاء القرآن بذم الشبع والإسراف فى تناول الطعام والشراب . قال الله تعالى : ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ ، وبين الشرع أن شر وعاء ملأه ابن آدم بطنه وأنه يكفيه ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث لنفسه إذا كان لا محالة فاعلا. روى الترمذى ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه من حديث المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

وإنما كان ملء البطن شراً لما فيه من المفاسد الظاهرة دينية ودنيوية ، فالشبع يورث البلادة ويعوق الذهن عن التفكير الصحيح وهو أيضاً مدعاة الكسل والنوم فمن أكل كثيراً نام كثيراً ومن نام كثيراً ضيع وقته وقتله وهو رأس ماله فى الحياة العملية فيخسر كثيراً من مصالحه الدينية والدنيوية .

ومن وصايا لقمان لابنه : يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة هذا حال الشبع وأما حال الإقلال من الطعام والشراب فالقلب يصفو والقريحة تتقد والبصيرة تنفذ والشهوة مغلوبة

والنفس مقهورة على أمرها ، وقد أرشدنا صاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة والتسليم إلى المقدار المناسب فى الطعام — وهو ما يقيم الحياة ويحفظ الصحة ويمكن الإنسان من القيام بواجبه الشخصي والمشترك وإن كان لابد مكثراً منه يجعل ثلثى المعدة للطعام والشراب ويترك ثلثها الباقى خالياً حتى يتمكن من التنفس بسهولة ، وذلك أن البطن إذا امتلأت ضغطت على الحجاب الحاجز فضغط على الرئتين فضاقت مجارى التنفس الذى هو ضرورى لإصلاح الدم الفاسد وتحويله إلى دم صالح تقوم به حياة الإنسان وتحفظ صحته ، و لذلك جاء الترغيب فى الصوم وأن الله يجزي به بنفسه لأن أكبر مهذب للانسان هو الصوم لتقليل الطعام فيه ، والله أعلم .

١٣٠ — « لَيْسَ كُلُّ مُصَلٍّ يُصَلِّى إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ لِعَظَمَتِى وَكَفَّ شَهَوَاتِهِ عَنْ مَحَارِمِى وَلَمْ يُصِرَّ عَلَى مَعْصِيَتِى وَآوَى الغَرِيبَ كُلُّ ذَلِكَ لِى وَعِزَّتِى وَجَلَالِى إِنَّ نُورَ وَجْهِهِ لَأَضْوَأُ عِنْدِى مِنْ نُورِ الشَّمْسِ عَلَى أَنْ أَجْعَلَ الْجَهَالَةَ لَهُ عِلْمًا وَالظُّلْمَةَ نُوراً يَدْعُونِى فَأُلَبِّيهِ وَيَسْأَلُنِى فَأُعْطِيهِ وَيُقْسِمُ عَلَىَّ فَأُبَرُّهُ أَكْلَؤُهُ بِقُوَّتِى وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلَائِكَتِى مَثَلُهُ عِنْدِى كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ لَا يَتَسَنَّى ثَمَرُهَا وَلَا يَتَغَيَّرُ حَالُهَا » .

---

(١٣٠) رواه الديلمى عن حارثة بن وهب .

ش : التواضع التذلل والخشوع ، يقال : تواضع لله خشع وذل ، والعظمة بفتحتين الكبرياء ، والكف الترك والمنع ، والشهوات جمع شهوة وأصلها نزوع النفس إلى ماتريده ، وذلك فى الدنيا ضربان ، صادقة وكاذبة ، فالصادقة ما يختل البدن من دونه كشهوة الطعام عند الجوع ، والكاذبة ما لا يختل من دونه . وقد يسمى المشتهى شهوة ، وقد يقال للقوة التى تشتهى الشيء شهوة ، والمحارم تطلق على المعاصى ، وعلى المنهيات وعلى ترك المأمورات ؛ والإصرار التزام الشيء والمداومة عليه ، وأكثر ما يستعمل فى الشر والذنوب ، وأوى إلى كذا انضم إليه وآواه – بالمد – رق له ورحمه وضمه إليه وأنزله عنده ، والغريب الوحيد الذى لا أهل له . والبعيد عن الوطن والأقارب والأنصار ، وبر فى قسمه وأبر صدق وأبر الله حجه قبله ، وأكلؤه أحرسه والكلاءة الحراسة ، والفردوس الحديقة والبستان يذكر ويؤنث عربية واشتقاقها من الفردسة وقيل لغة رومية نقلت إلى العربية والجمع فراديس .

والمعنى : أخبر الله تبارك وتعالى أن ليس كل مصل إذا صلى له ثواب صلاته ، وتقبل بل لها شروط وأركان وسنن ومستحبات وهيئات – هذا كله ظاهراً ، ولها شروط باطناً – من التواضع لله والخشوع وكف نفسه من الوقوع فى شهواتها والنظر إلى المحارم – فمن أتى بها كلها قبلت صلاته وجوزى عليها وظهرت علامة ذلك عليه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ ، ولا شك أن الصلاة التى تنهى عن ذلك هى الصلاة المقبولة ظاهراً وباطناً ، فلذلك كل شخص تجده يصلى ويكثر الصلاة وهو مرتكب الذنوب والآثام فإنه لم يأت بها كما أمر ، فإنه وإن أحسن الظاهر فإنه لم يحسن الباطن ، وقد مدح الله فى كتابه الحكيم الخاشعين فى الصلاة قال : ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾ . قال ابن لهيعة عن عطاء بن يسار رحمه الله تعالى عن سعيد بن جبير : الذين هم فى صلاتهم خاشعون – يعنى متواضعين لا يعرف من عن يمينه ولا من عن شماله ، ولا يلتفت ، من الخشوع لله عز

وجل ، وخرج الإمام أحمد ، والنسائى ، والترمذى من حديث الفضل بن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الصلاة مثنى مثنى تشهد فى كل ركعتين ، وتخشع وتضرع وتمسكن وتقنع يديك — يقول ترفعهما إلى ربك عز وجل — وتقول يا رب يا رب يا رب فمن لم يفعل ذلك فهى خداج ». الخداج النقصان ، ومعناه هنا أنه ناقص من الأجر والفضيلة ، وكذلك الإصرار والاستمرار على المعاصى والتزامها فإنه يسبب رفض الصلاة وعدم قبولها ، ويأوى الغريب ويحسن إليه ،كل ذلك يفعله العبد لله عز وجل ، ثم أقسم المولى جل وعز بعزته وجلاله إن من كان موصوفاً بهذه الصفات الحميدة يكون نور وجهه أضوأ عنده من نور الشمس ،ويجعل له الجهالة — إذا كان جاهلا — علما — أو إذا كان عالماً يزده علماً — ويجعل له الظلمة نوراً فلا يرى ظلمة أمامه لا ليلا ولا نهاراً فمن كان متصفاً بذلك يدعو الله جل وعز فيجاب دعاؤه ويلبى ويسأل فيعطى ويقسم على الله جل علاه فيبر قسمه ويصدق يمينه ،وزيادة على ذلك فإن الله عز وجل يكلؤه ويحرسه بقوته وحوله ويستحفظه ملائكته ويكون مثله عند الله كمثل جنة الفردوس لا يتغير حالها ولا يتلف ثمرها ، أى أن الله سبحانه وتعالى يجعله مقبولا لكل أحد قلباً وقالباً من أين أتيته وجدته نافعاً ذا فائدة دينية ودنيوية اللهم وفقنا لذلك يا رب .

والحديث ذكره الحافظ المنذرى بألفاظ قريبة من هذا من رواية ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قال عز وجل « إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصراً على معصيتى وقطع النهار فى ذكرى ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب ، ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتى وأستحفظه ملائكتى أجعل له فى الظلمة نوراً ، وفى الجهالة حلماً ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة » ، رواه البزار من رواية عبد الله بن واقد الحرانى وبقية رواته ثقات.

١٣١ – « لَوْلَا أَنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ مِنَ الْعُجْبِ مَا خَلَّيْتُ بَيْنَ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ الذَّنْبِ » .

ش : الذنب يستعمل فى كل فعل يستوخم عقباه اعتباراً بذنب الشيء ، ولهذا يسمى الذنب تبعة اعتباراً لما يحصل من عاقبته ، وجمع الذنب ذنوب ، والعجب – بضم العين المهملة وسكون الجيم – يقال فلانأعجب بنفسه وبرأيه على ما لم يسم فاعله – فهو معجب بفتح الجيم والاسم العجب بضم العين الزهو والكبر وإنكار ما يرد على الإنسان ، ويظن بنفسه ما ليس عند غيره فيرى رأيه صواباً ورأى غيره خطأ ، وخلاه تركه،وخاليته تاركته ، وأبو الشيخ تقدمت ترجمته ، وكليب الجهنى هو صحابى .

والمعنى – والله أعلم – أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن الذنب للعبد المؤمن خير له من العجب ولولا ذلك لما خلى الله جل ذكره بين عبده المؤمن وبين الذنب بأن كفه وأمسكه وحفظه عن اقتراف ذنب ما لأن العبد إذا أذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً يشعر بأنه عمل عملا سيئاً وخالف سيده وأغضب خالقه واقترف ما يستحق الذم واللوم عليه من مولاه فيتراجع ويصغر فى نفسه وينقبض ويرى نفسه مخطئة فيعالج طرق الرضا ويطرق باب الصلح ويتذلل ويتواضع لمولاه ليقبل ولا يؤاخذ بذنبه ويعفى من ذلك ويسامح.فمن هذا ما رواه مسلم فى صحيحه وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم» . وأما إذا لم يقترف ذنباً ولم يقدم على معصية وداوم على البر والتقوى فينظر إلى غيره ممن غرق فى بحار

---

(١٣١) رواه أبو الشيخ عن كليب الجهنى .

المعاصى أو أتى مخالفة أو ارتكب محظوراً فإنه يرى نفسه خالية من كل ذلك فيدخله العجب فلا يلجأ إلى بارئه ويستفتح بابه ويسأله ويتواضع له ويتذلل فلا تظهر عظمة الرب وجلاله ويخفى سر الألوهية .

روى البزار عن أنس رضى الله عنه : عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب » لأن صاحب الذنب لا يأمن من مكر الله وعذابه كما قدمنا آنفاً ، ولا يرى له منة وحقاً عند الله تعالى بل يكون دائماً فى خوف ،ووجل من ذنبه راجياً عفو مولاه لأنه يعرف عصيانه فيرجو له التوبة ، والمعجب مغرور بعلمه وعمله فتوبته بعيدة فهو من قبيل : ﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴾ فالعجب يصرف وجه العبد عن الله والذنب يصرفه إليه لأن العجب ينتج الاستكبار والذنب ينتج الاضطرار ،ويؤدى إلى الافتقار . وخير أوصاف العبد افتقاره واضطراره إلى ربه ، وعلى هذا يظهر لك سر الحديث وما اشتمل عليه من الكنوز ؛ والله أعلم .

١٣٢ — «مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ العَبْدُ بِمِثْلِ أَدَاءِ فَرَائِضِي وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ رِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَلِسَانَهُ الَّذِى يَنْطِقُ بِهِ وَقَلْبَهُ الَّذِى يَعْقِلُ بِهِ إِنْ سَأَلَنِى أَعْطَيْتُهُ وَإِنَ دَعَانِى أَجَبْتُهُ » .

---

(١٣٢) رواه ابن السنى عن ميمونة .

ش: التقرب طلب القربة وأخذ المثوبة ، والفرائض جمع فريضة بمعنى مفروضة ، وأصل الفرض القطع وفى الشرع ما أوجبه الله تعالى وألزمه عباده. وهو أعم من أن يكون فرض عين أو كفاية ، والنوافل جمع نافلة الزيادة ، والتنفل التطوع ، والحب تقدم الكلام عليه غير مرة ، والبطش الأخذ بعنف ، والقلب تقدم الكلام عليه ص ١٥٥ فارجع إليه .

والمعنى أن الله عز وجل أخبر أن العبد لم يتقرب إلى الله ويتطلب القربة من رحمته والمثوبة من عنايته به بوسيلة عمل إليه جل ذكره من الذى فرضه عليه وألزمه به وقدره ويشمل ذلك فعل الواجبات وترك المحرمات لأن ذلك كله من فرائض الله التى افترضها على عباده ، قال الحافظ زين الدين ابن رجب : وأداء الفرائض أفضل الأعمال كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أفضل الأعمال أداء ما افترض الله والورع عما حرم الله وصدق النية فيما عند الله ، وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته : أفضل العبادات أداء الفرائض واجتناب المحارم . وذلك أن الله تعالى إنما افترض على عباده هذه الفرائض ليقربهم عنده ويوجب لهم رضوانه ورحمته . وأعظم فرائض البدن التى تقرب إليه الصلاة كما قال تعالى : ﴿ واسجد واقترب ﴾ . وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ، وقال : « إذا كان أحدكم يصلى فإنما يناجى ربه وربه بينه وبين القبلة » ، وقال : « إن الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ما لم يلتفت » ، ومن الفرائض المقربة إلى الله تعالى عدل الراعى فى رعيته سواء كانت رعية عامة كالحاكم أو خاصة كعدل آحاد الناس فى أهله وولده كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . وروى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن أحب العباد

إلى الله يوم القيامة وأدناهم إليه مجلساً إمام عادل » ، هذه درجة أولى للعبد المؤمن فإذا قام بأداء الفرائض سقط عنه الطلب وخلص من ربقة التكليف .

والدرجة الثانية هى أرقى من الأولى وأرفع وحال صاحبها أعلى ، وهو من أتى بالفرائض وقام بها تماماً وزاد عليها — تقرباً إلى الله عز وجل — النوافل والطاعات الزائدة عن الفرائض والواجبات واجتهد فيها وانكف عن دقائق المكروهات ، وهذه درجة السابقين المقربين ، ومن أعظم ما يتقرب به العبد إلى مولاه من النوافل كثرة تلاوة القرآن وسماعه بتفكر وتدبر وتفهم ، روى الترمذى عن أبى أمامة مرفوعاً : « ما تقرب العبد إلى الله تعالى بمثل ما خرج منه » . يعنى القرآن ، ومن ذلك كثرة ذكر الله الذى يتواطأ عليه القلب واللسان ، روى البزار فى مسنده عن معاذ رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله أخبرنى بأفضل الأعمال وأقربها إلى الله تعالى . قال : « أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى » ، ومتى أكثر العبد من فعل الطاعات والبعد عن المخالفات أوجب ذلك حب الله فيحبه الله ومتى أحبه الله رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته فيصير الشخص لا يرى إلا الله ولا يسمع إلا بالله ولا يمشى إلا بالله ولا ينطق إلا بالله ولا ينظر إلا بالله ولا يبطش إلا بالله إلخ ، قال الحافظ بن رجب : المراد من هذا الكلام — أى قوله تعالى : « كنت رجله التى يمشى بها » إلخ — أن من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض ثم بالنوافل قربه إليه فيمتلىء قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه حتى يصير فى قلبه من المعرفة مشاهداً له بعين البصيرة كما قيل .

ساكن فى القلب يعمـــره لست أنساه فأذكـــره
غاب عن سمعى وعن بصرى فسويـــد القلـــب يبصره

قال الفضيل بن عياض أن الله تعالى يقول : « كذب من ادعى محبتى ونام عنى أليس كل محب يحب خلوة محبوبه ها أنا مطلع على أحبابى وقد مثلونى بين أعينهم وخاطبونى على المشاهدة وكلمونى بحضور غداً أقر أعينهم فى جنانى » ، ومن أشار إلى غير هذا فإنما يشير إلى الإلحاد من الحلول والاتحاد والله ورسوله بريئان منه ، وإذا وصل العبد إلى هذه المنزلة اقتضى أنه إذا سأل الله شيئاً أعطاه إياه ، وإذا دعاه بشيء أجاب دعاءه فيصير مجاب الدعوة لكرامته على الله تعالى ، وقد كان كثير من السلف الصالح من الصحابة وغيرهم مجاب الدعوة ولولا الإطالة لسردت لك جملة صالحة من ذلك ، والله أعلم .

١٣٣ — «مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ بِمِثْلِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَلَا تَعَبَّدَنِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُهُ» .

ش : زهد فى الشيء تركه وأعرض عنه . فهو زاهد والجمع زهاد ، والدنيا عبارة عن الأعيان الثابتة وهى الأرض وما عليها من المواليد الثلاثة . وهى الجمادات ، والنباتات ، والحيوانات مما للانسان فيها حظ ولذة مالية أو جاهية وله فى صلاحها شغل لحظه أو لحظ غيره فيندرج فيه الحرف والصناعات ، وقد تقدم معنى التقرب إلى الله عز وجل فى الحديث المتقدم ، وقد ذكرنا صفحة ١٤ أن الله جل ذكره يتصف بالتقرب وأتينا هناك بما يشفى الصدر فارجع إليه .

والمعنى — والله أعلم — أن الله عز وجل يخبرنا بأن العبد المؤمن ما تقرب إليه جل وعز بعمل مثل الزهد فى الدنيا ولا تعبد الله تعالى بمثل أداء الفرائض أما الزهد فى الدنيا فقد جاء القرآن بالحث عليه وتحبيبه إلى خلقه ومدحه

---

(١٣٣) رواه القضاعى عن ابن عباس .

والتنفير من ضده وذم الرغبة فى الدنيا . قال الله تعالى : ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا *والآخرة خير وأبقى﴾ ، وقال تعالى : ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ ، وقال تعالى : ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ﴾،وقال تعالى : ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا ﴾ . الآية ، وقال تعالى: ﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ ، والقرآن مملوء بذلك .

ومن الأحاديث ما رواه ابن ماجه وغيره عن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه ، قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس . فقال : «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » ، وهو حديث حسن رواه بأسانيد حسنة كما قال النووى رحمه الله ، وروى مسلم فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « أنه مر بالسوق والناس مكتنفوه فمر بجدى أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه فقال : أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب أنه لنا بشىء وما نصنع به ؟ قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حياً لما رغبنا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت ! فقال : والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم » . وقوله أسك أى مصطلم الأذنين مقطوعهما .

وخرج الترمذى من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه : عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » .

وقد أكثر الناس الكلام فى الزهد وكل أشار إلى ذوقه ونطق عن حاله وشاهده ، وقد سئل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الزهد فأجاب.

خرج الترمذى ، وابن ماجه من رواية عمرو بن واقد عن يونس بن حليس عن أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يديك أوثق مما فى يد الله وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك » . قال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وعمرو بن واقد منكر الحديث ، والصحيح وقفه كما رواه الإمام أحمد فى كتاب الزهد ، وقال سفيان الثورى الزهد فى الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء ، وقال ابن الجلاء : الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال فتصغر فى عينك فيسهل عليك الإعراض عنها ، وقال الجنيد : الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد ، وقال الإمام أحمد : الزهد فى الدنيا قصر الأمل . وعنه رواية أخرى : أنه عدم فرحه بإقبالها وحزنه على إدبارها فإنه سئل عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهداً ؟ فقال : نعم على شريطة ألا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : الزهد ترك مالا ينفع فى الآخرة . والورع ترك ما تخاف ضرره فى الآخرة ، قال تلميذه العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية فى كتابه مدارج السالكين ؛ وهذه العبارة من أحسن ما قيل فى الزهد والورع وأجمعها ، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : الزهد على ثلاثة أوجه . ترك الحرام وهو زهد العوام . والثانى ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص . والثالث ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين ، ومتعلق الزهد ستة أشياء لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها وهى المال ، والصور ، والرياسة ، والناس ، والنفس وكل ما دون الله عز وجل ، وليس المراد رفضها من الملك بل المراد رفضها من القلب فقد كان نبيا الله سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما ، وكان نبينا محمد رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة ، وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير وعثمان من الزهاد مع ما لهم من الأموال ، وكان الحسن بن على رضى الله عنهما من الزهاد مع أنه كان من أكثر الأمة محبة للنساء ونكاحاً لهن وأغناها وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد مع مال كثير . وكذلك الليث بن سعد وسفيان من أئمة الزهاد ، وكان له رأس مال يقول : لولا هو لتمندل بنا هؤلاء .

قال الحافظ زين الدين بن رجب : واعلم أن الذم الوارد فى الكتاب والسنة للدنيا ليس هو راجعاً إلى زمانها الذى هو الليل والنهار المتعاقبان إلى يوم القيامة فإن الله تعالى جعلهما خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ، ويروى عن عيسى عليه السلام أنه قال : « إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما » ، وكان يقول عليه الصلاة والسلام : اعملوا الليل لما خلق له والنهار لما خلق له ، وقال مجاهد : ما من يوم إلا يقول : ابن آدم قد دخلت عليك اليوم ولن أرجع إليك بعد اليوم فانظر ماذا تعمل فى فإذا انقضى طوى ثم يختم عليه فلا يفك حتى يكون الله هو الذى يفضه يوم القيامة ولا الليل إلا تكون كذلك ، وقد أنشد بعض السلف .

إنما الدنيا إلى الجنة والنار طريق والليالى متجر الإنسان والأيام سوق

وليس الذم راجعاً إلى مكان الدنيا الذى هو الأرض التى جعلها الله لبنى آدم مهاداً ومسكناً ، ولا إلى ما أودع الله من الجبال والبحار والأنهار والمعادن ، ولا إلى ما أنبته فيها من الزرع والشجر ، ولا إلى ما بث فيها من الحيوانات وغير ذلك فإن ذلك كله من نعم الله على عباده لما لهم فيه من المنافع ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته وإنما

الذم راجع إلى أفعال بنى آدم الواقعة فى الدنيا لأن غالبها واقع على غير الوجه الذى تحمد عاقبته بل يقع على ما تضر عاقبته أو لا تنفع كما قال عز وجل : ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ﴾ .

فائدة : اختلف الناس فى الزهد هل هو ممكن فى هذه الأزمنة أم لا ؟ فقال بعضهم لا يكون إلا فى الحلال ولا حلال فى الدنيا فلا زهد ، وقال بعضهم : بل الحلال موجود فيها وفيها الحرام كثيراً ، وعلى تقدير أن لا يكون فيها الحلال فهذا أدعى إلى الزهد فيها وتناول ما يتناوله المضطر منها كتناوله للميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وفى ذلك كفاية ، والله أعلم .

١٣٤ — « مَا غَضِبْتُ عَلَى أَحَدٍ غَضَبِى عَلَى عَبْدٍ أَتَى مَعْصِيَةً فَتَعَاظَمَهَا فِى جَنْبِ عَفْوِى فَلَوْ كُنْتُ مُعَجِّلاً الْعُقُوبَةَ أَوْ كَانَتْ الْعَجَلَةُ مِنْ شَأْنِى لَعَجَّلْتُهَا لِلْقَانِطِينَ مِنْ رَحْمَتِى وَلَوْ لَمْ أَرْحَمْ عِبَادِى إِلا مِنْ خَوْفِهِمْ مِنَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَىَّ لَشَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُمْ وَجَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ مِنْهُ الْأَمْنَ لِمَا خَافُوا » .

ش : الغضب تقدم الكلام عليه صفحة ٣٣ ، والقانطين جمع قانط اليائس والقنوط اليأس من الخير ، يقال : قنط يقنط بفتح الماضى وكسر المضارع — قنوطا وقنط يقنط — بكسر الماضى وفتح المضارع — والشكر تصور

(١٣٤) رواه الرافعى عن ناجية بن محمد بن المنتجع عن جده .

النعمة وإظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها ، والثواب المجازاة يقال أثابه يثيبه إثابة ، والاسم الثواب ويكون فى الخير والشر إلا أنه بالخير أخص وأكثر استعمالا ، والأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف ، وباقى ألفاظ الحديث منها ما تقدم الكلام عليه ومنها ما هو ظاهر .

والمعنى أن الله تبارك وتعالى يخبرنا على لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أنه ما غضب على أحد من عباده غضبه على عبد أتى معصية من المعاصى صغيرة أو كبيرة فتعاظمها فى جنب عفو البارى تعالى وقنط من رحمته فلو كان الله سبحانه معجلا العقوبة لأحد من الناس أو كانت العجلة من شأنه عز وجل لعَجل العقوبة للقانطين من رحمة الله ، ففيه حث على المبادرة إلى الله تعالى بعد فعل الذنب واقتراف المعصية والإنابة إليه واعتقاد الرجاء والعفو واستبعاد القنوط واليأس من رحمة الله وعفوه ، وقد جاء القرآن الحكيم ببيان أن باب الله مفتوح للعصاة والمذنبين والمسرفين على أنفسهم مهما بلغت ذنوبهم سوى الشرك وحض المذنبين على الإنابة والرجوع إلى الله وعدم القنوط واليأس من رحمة الله تعالى ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين * قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ ، وقد تقدم أحاديث فى هذا الكتاب منها ما رواه أحمد عن أبى ذر رضى الله عنه قال الله تعالى : « عبدى ما عبدتنى ورجوتنى فإنى غافر لك على ما كان فيك ويا عبدى إن لقيتنى بقراب الأرض خطيئة ما لم تشرك بى لقيتك بقرابها مغفرة » . وروى الترمذى — وقال : حديث

حسن — عن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : قال الله تعالى : « يابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، يابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » . وروى ابن ماجه بإسناد جيد — عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم » . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : « أن نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال : أنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : أنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم من يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب أنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلا الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة » . وفى رواية : « فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها » . وفى رواية « فأوحى الله إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى وقال : قيسوا بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له » . وفى رواية قال قتادة قال الحسن : « ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها » . رواه البخارى ، ومسلم ، وابن ماجه بنحوه .

وقوله : « ولو لم أرحم عبادى إلا من خوفهم » إلخ أى إن الله سبحانه

يخبرنا أنه لو لم يرحم عباده إلا من خوفهم من الوقوف بين يديه لشكر ذلك لهم وجعل ثوابهم ذلك الأمن لما خافوا ففيه الترغيب فى التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى ولا سيما الخائفين من الله تعالى الذين أذنبوا وخافوا من الوقوف بين يدى الله جل ذكره يوم الموقف الأكبر، يوم الذى تظهر فيه عورات الناس ويشرف المطيع ويذل فيه العاصى غير التائب من الذنب، روى الترمذى وقال: حديث حسن غريب والبيهقى عن أنس رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله عز وجل أخرجوا من النار من ذكرنى أو خافنى فى مقام».

وقوله: «رواه الرافعى» هو العالم الفقيه عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعى القزوينى الشافعى كان من أئمة الشافعية أصحاب التآليف القيمة منها المحرر فى فقه الشافعية، والتدوين فى أخبار قزوين. ولعله روى الحديث فيه، وفتح العزيز، كان له مجلس بقزوين فى التفسير والحديث وتوفى فيها سنة ثلاث وعشرين وستمائة. والله أعلم.

١٣٥ – «مَا يَزَالُ عبْدِى يَتَقَربُ إلَى بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَأَكُونَ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذِى يَنْطِقُ بِهِ وَقَلْبَهُ الَّذِى يَعْقِلُ بِهِ فَإِذَا دَعَانِى أَجَبْتُهُ وَإِذَا سَأَلَنِى أَعطَيْتُهُ وَإِنِ اسْتَنْصَرَنِى نَصَرْتُهُ وأَحَبُّ مَا تَعَبَّدَنِى عَبْدِى بِهِ النُّصْحُ لِى».

---

(١٣٥) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة.

ش : تقدم ذكر الحديث غير مرة بألفاظ متقاربة من هذا مع زيادة ونقص فيها فلا حاجة للاعادة . وهنا زيادة فيه لفظ « النصح لى » فلا بأس من الكلام عليه بما يناسبه فنقول .

النصح فى اللغة الخلوص يقال : نصحته ونصحت له ، والنصح تحرى فعل أو قول فيه صلاح صاحبه،وهو من قولهم:نصحت له الود أى أخلصته. وناصح العسل خالصه أو من قولهم : نصحت الجلد خطته . والناصح الخياط . والنصاح الخيط ، والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هى إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها ، وقد جاء القرآن يحكى نصح الأنبياء لقومهم . قال حكاية عن صالح عليه الصلاة والسلام ﴿ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ ، وقال تعالى حكاية عن نبى الله شعيب عليه الصلاة والسلام : ﴿ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ﴾ . يعنى أن من تخلف عن الجهاد لعذر فلا حرج عليه بشرط أن يكون ناصحاً لله ورسوله فى تخلفه فإن المنافقين كانوا يظهرون الأعذار كاذبين غير ناصحين الله ورسوله ؛ وقال تعالى حكاية عن نبى الله نوح عليه السلام : ﴿ أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ ، وقال تعالى حكاية عن نبى الله هود عليه السلام : ﴿ أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين ﴾ . وقال تعالى حكاية عن إخوة يوسف : ﴿ قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ﴾ ؛ وروى مسلم فى صحيحه عن أبى رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الدين النصيحة — ثلاثاً — قلنا لمن

يا رسول الله ؟ قال لله عز وجل ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم . ولأئمة المسلمين وعامتهم » ، وروى الإمام أحمد من حديث أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال الله عز وجل : « أحب ما تعبدنى به عبدى النصح لى » ، وهو قطعة من حديث الكتاب ، وقد ورد فى أحاديث كثيرة النصح للمسلمين عموماً وفى بعضها النصح لولاة الأمور ، وفى بعضها نصح ولاة الأمور لرعاياهم . وفى بعضها النصح لله وحده جل عزه كما فى حديث الكتاب ، وفى الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال : « بايعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » ، وفى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » ، وقد تقدم ذكر الآيات الدالة على نصيحة الأنبياء لأممهم .

والنصح لله هو أن يقوم العبد بأداء واجباته على أكمل وجوهها — وهو أن يعبد الله كأنه يراه — فلا يكمل النصح لله بدون ذلك ، ومن النصيحة لله صحة الاعتقاد فى وحدانيته . وإخلاص النية فى عبادته ، ووصفه بصفات الكمال والجلال واعتقاد ما جاء به القرآن والسنة الصحيحة من الصفات بدون تأويل ولا تشبيه وتنزيه عما يضادها ويخالفها وتجنب معاصيه والقيام بطاعته ومحابه بوصف الإخلاص . والحب فيه والبغض فيه وجهاد من كفر به تعالى وكراهية أهل البدع والأهواء وما ضاهى ذلك والحث عليه .

ولما ذكر النصح والنصيحة هنا وبينا النصح لله جل وعز فلا بأس من إيراد جملة تتعلق بنصيحة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونصيحة خلقه إتماماً للفائدة فأقول :

النصيحة لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم الإيمان به وبما جاء به وتوقيره وتبجيله والتمسك بطاعته ، وإحياء سنته وانتشار علومه ونشرها ، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه ووالاها والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة آله وأصحابه ونحو ذلك .

والنصيحة لأئمة المسلمين معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وتذكيرهم به وتنبيههم في رفق ولطف ، ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك .

والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم وستر عوراتهم وسد خلاتهم ونصرتهم على أعدائهم ، والذب عنهم ومجانبة الغش والحسد لهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ، والله أعلم .

١٣٦ — « مُرُوا بِالْمعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْعُونِى فَلَا أُجِيبُ لَكُمْ وَتَسْأَلُونِى فَلا أُعْطِيكُمْ وَتَسْتَنْصِرُونِى فَلَا أَنْصُرُكُمْ » .

ش : يقال أمره بكذا طلب فعله منه ، والاسم الأمر واحد الأوامر ، والمعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس . وكل ما ندب إليه الشرع ، والنهى ضد الأمر ونهاه عن كذا ينهاه نهياً وانتهى عنه وتناهى أى كف وتناهوا عن المنكر نهى بعضهم بعضاً ،

---

(١٣٦) رواه الديلمى عن عائشة .

والمنكر كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف فى استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة . وهو ضد المعروف .

والمعنى — والله أعلم — أن الله عز وجل أمرنا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر لئلا يأتى يوم فتفشو فيه المعاصى والمنكرات ولا آمر ولا ناهى وتتسلط علينا الآفات والبلايا والمصائب بترك ذلك فندعو الله جل ذكره فلا يجيب لنا دعاء ونسأله كشف ذلك فلا نعطى ونستنصر بالله جل وعز من عدونا وما حل بنا فلا ينصرنا ولا يلتفت إلينا ، وقد جاء الحث بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتنفير من ترك ذلك وتهديد من تركه فى آيات كثيرة من القرآن الحكيم ؛ وأحاديث تبلغ حد التواتر ، فمن الآيات قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ ، وقال تعالى حكاية عن لقمان : ﴿ يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ ، وقال تعالى فى وصف المؤمنين ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ﴾ ، وقال تعالى فى وصفهم أيضاً : ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ﴾ . الآية .

ومن الأحاديث النبوية ما رواه مسلم والترمذى وابن ماجه والنسائى عن أبى سعيد الخدرى ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من رأى منكم منكراً فغيره بيده فقد برىء ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برىء ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برىء وذلك أضعف الإيمان » . وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما من نبى بعثه الله فى أمته قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

والحوارى هو الناصر للرجل والمختص به والمعين والمصافى ، وروى الترمذى – وقال : حديث حسن غريب – عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » ، وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على أن يغيروا عليه ولا يغيرون إلا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا » . رواه أبو داود عن أبى إسحق قال : أظنه عن ابن جرير عن جرير ولم يسم ابنه . ورواه ابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، والأصبهانى ، وغيرهم عن أبى إسحق عن عبيد الله بن جرير عن أبيه ، وروى أبو الشيخ فى كتاب الثواب . والبيهقى فى الزهد الكبير وغيره عن ذرة بنت أبى لهب رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله من خير الناس ؟ قال : أتقاهم للرب عز وجل وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن

المنكر » ، وروى الأصبهانى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم : وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يدفع رزقاً ولا يقرب أجلا وإن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء » ، وروى الإمام أحمد ، والترمذى واللفظ له وابن حبان فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر » .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أعظم وظائف الشرع المحمدى وهو وظيفة الأنبياء والرسل ومن بعدهم العلماء قادة الأمة ومعلموها أهل الفراسة والذكاء وفيهما تتفاضل الأمم . قال الله تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ ، فوصف أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنها خير أمة أخرجت للناس وعلل ذلك بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله جل وعز فإنها خير أمة لأجل ذلك ولا شك أن الأمم الغابرة كانوا يتساهلون فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويسكتون على من فعل ذلك ، ولذلك شنع عليهم البارى تعالى فى القرآن الحكيم فى غير آية ، وقد تقدم ذكر بعضها أول الشرح ، ولا شك أن هذين الوصفين من أهم الأمور التى تحفظ الأمة من التدهور والسقوط وتنتشر فيها المعاصى ويكثر الفساد والفساق وتذهب ثروة البلاد . وتنحط الأخلاق ، وانظر إلى حال الأمة الإسلامية فى بدء ظهورها وبعد أن تكونت وانتظمت وأصبحت أمة ودولة يخاف قوتها وبطشها جميع الأمم المعاصرة لها كالروم والفرس اللتين كانتا أعظم الأمم فى عصرهما فاجتثت الدولة الإسلامية أصولهما وقهرتهما

وذلتهما فى أقرب وقت وأقل زمن و ذلك بسبب التآلف والتحابب بين المسلمين واتحاد كلمتهم وصفوفهم وانتشار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الجميع لا فرق بين عالم وجاهل بين كبير وصغير بين عظيم وحقير لذلك نجحت الأمة الإسلامية وتقهقرت الأمم الأخرى لسلب المزايا منها التى وجدت فى الشريعة الإسلامية ولم تزل كذلك حتى قل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهاب العلماء نصيحة ملوكهم وإرشاد أمرائهم ففشت المعاصى وعم الفساد وتسلط العدو ووقع الغلاء والقحط وكثرت المصائب والبلايا وندعو الله فلا يستجيب لنا ونستنصره على عدونا فلا ينصرنا ونسأله فلا نعطى ، وأكره العلماء على عدم النصيحة لملوكهم وأمرائهم استبداد رؤساء بنى أمية ومن سار على طريقهم ممن بعدهم ، وقد كان أول أمير منهم أظهر هذه الفتنة والبدعة الشنعاء جهرة عبد الملك بن مروان إذ قال على المنبر : من قال لى اتق الله ضربت عنقه ، وقال صديقنا الأستاذ المرحوم الشيخ رشيد رضا : فقد كانت شجرة بنى مروان الخبيثة هى التى سنت فى هذه الأمة سنة الاستبداد فما زال يعظم ويتفاقم حتى سلب الأمة أفضل مزاياها فى دينها ودنياها بعد الإيمان .اهـ.

وقد أصبحنا فى زمن القابض على دينه كالقابض على الجمر فانظر إلى حصول الفساد فى جميع الأقطار الإسلامية من فشو الربا والزنا والقمار بأنواعه بترخيص من الحكومات المحلية وإباحة ذلك رسمياً . والكذب ، واللواط . والسرقات وقطع الأشجار وحرق الزروع وإفساد ما بين المرأة وزوجها وما بين الوالد وولده ، وما بين الأخ وأخيه ، وما بين الصاحب وصاحبه ، والغيبة ، والنميمة ، وتبرج النساء وخلع عذار الحياء ، ووجودهن فى حمامات البحر مختلطين بالرجال الأجانب الفجرة الفسقة والاجتماع بدور الملاهى والسينمات والنوادى وغير ذلك مما يوجب غضب الله تعالى وسخطه فنسأل الله تعالى السلامة وتغير الحال إلى أصلح وإرجاع العباد إلى مجد سلفهم وما كانوا

عليه من الحمية والشهامة والتقوى والمهابة وغير ذلك من صفات المؤمنين الذين قال الله تعالى فى حقهم ما قال فى غير آية ، ولا تكون الأمة خير الأمم إلا إذا كانت متصفة بهذه الأصول الثلاثة : الإيمان بالله تعالى قلباً وقالباً ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . وإذا فقدت هذه الأصول أو بعضها لا تكون كذلك ولا تحفظ ولا تدوم إلا بإقامة هذه الأصول الثلاثة . ولذلك اشترط على هذه الأمة أن يكون من غرضها فى الدفاع عن نفسها وحفظ وجودها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كأنها لولا ذلك لا تكون مستحقة للبقاء فى الأرض. وأكد الأمر بهذه الفريضة فى آيات سورة آل عمران بما لا يعرف له نظير فى كتاب من الكتب السابقة ولم تقم به أمة من الأمم على هذا الوجه .

إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يحتاجان إلى تحمل مكاره وصبر على أذى فى سبيلهما فمن قام بذلك فلا يسخط ولا يمل ولا يغضب بل يواصل ذلك بصدر رحب وأخلاق حميدة ولسان طلق وقلب مفعم بالإيمان والصدق والإخلاص ويلين للناس جانبه حتى يتمكن من إزالة المنكر بطرق مفيدة وسبل سهلة ويكون أسلوبه ذا فنون وأنواع ليقنع صاحب المنكر ويستولى على قلبه ولبه ويستعمل له الأدلة الوافية كل بحسبه وينزل الناس منازلهم .

قال الحافظ ابن رجب : اعلم أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تارة يحمل عليه رجاء ثواب الله وتارة خوف العقاب فى تركه وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه . وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله وغضبه فى الدنيا والآخرة . وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته وأنه أهل أن يطاع ويذكر فلا ينسى ويشكر

فلا يكفر وأنه يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال كما قال بعض السلف : وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله وأن لحمى قرض بالمقاريض .

وكان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز يقول لأبيه : وددت أنى غلت بى وبك القدور فى الله تعالى ، ومن لحظ هذا المقام والذى قبله هان عليه كل ما يلقى من الأذى فى الله تعالى وربما دعا لمن أذاه كما قال ذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما ضربه قومه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : رب اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون ، وبكل حال فتبين الرفق فى الإنكار قال سفيان الثورى : لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال رفيق بما يأمر . رفيق بما ينهى . عدل بما يأمر . عدل بما ينهى . عالم بما يأمر عالم بما ينهى ، وقال أحمد : الناس محتاجون إلى مداراة ورفق الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجل معلن بالفسق فلا حرمة له . قال : وكان أصحاب ابن مسعود إذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون يقولون : مهلا رحمكم الله مهلا رحمكم الله ، وقال أحمد : يأمر بالرفق والخضوع فإن أسمعوه ما يكره لا يغضب فيكون يريد أن ينتصر لنفسه ، وقد ذكر الحافظ المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب حديث الكتاب عن عائشة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يأيها الناس إن الله يقول لكم : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم وتسألونى فلا أعطيكم وتستنصرونى فلا أنصركم » . رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

١٣٧ - « مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ اسْتَحَلَّ مُحَارَبَتِي وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ عَيْنَهُ الَّتِي يُبْصِرُ بِهَا وَأُذُنَهُ الَّتِي يَسْمَعُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَفُؤَادَهُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ إِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ وَإِن دَعَانِي أَجَبْتُهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ وَفَاتِهِ لِأَنَّهُ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ » :

ش : الأذى ما يصل إلى الحيوان من الضرر إما بنفسه أو جسمه أو تبعاته دنيوياً كان أو أخروياً . يقال : آذيته أوذيه إيذاء وأذية وأذى ، وأذى الرجل أذى وصل إليه المكروه ، والولى تقدم الكلام عليه صفحة ١٢٨ ، واستحل الشيء عده حلالا ، وباقى ألفاظ الحديث تقدم الكلام عليها غير مرة فلا حاجة للاعادة .

والمعنى أن الله جل وعز يخبرنا أن من آذى ولياً من أولياء الله بأى نوع من أنواع الأذى فقد استحل محاربة الله وتعرض لها وعدها حلالا ؛ والمراد بالولى هنا كما قال النووى رحمه الله تعالى : المؤمن ، قال الله تعالى : ﴿ الله ولى الذين آمنوا ﴾ . وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح : المراد بولى الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص فى عبادته وهو أوجه بدليل ما ذكر من ألفاظ

---

(١٣٧) رواه أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبرانى وأبو نعيم وابن عساكر عن عائشة .

الحديث بعده ، ووصف الله أولياءه فى كتابه الحكيم قال : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ . فكيف يليق بعاقل أن يتعرض لمحاربة الله جل ذكره ، واقتراف المعاصى محاربة لله تعالى . قال الحسن : ابن آدم هل لك بمحاربة الله من طاقة فإن من عصى الله فقد حاربه وكلما كان الذنب أقبح كانت المحاربة لله أشد ولهذا سمى الله تعالى أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله تعالى ورسوله لعظم ظلمهم لعباده وسعيهم بالفساد فى بلاده ، وكذلك معاداة أوليائه فإنه تعالى يتولى نصرة أوليائه ويحبهم ويؤيدهم فمن عاداهم فقد عادى الله تعالى وحاربه وتعرض لهلاك نفسه ، وخرج الترمذى وغيره عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً فمن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » ، ولما ذكر الله تعالى أن من آذى أولياءه فقد استحل محاربته وصف أولياءه الذين يحرم إيذاؤهم وتجب موالاتهم والتحبب إليهم فذكر ما يقرب إليه تعالى إلخ ، ثم ذكر حال العبد والموت النازل به وكراهته لذلك فقال : « وما ترددت عن شىء أنا فاعله » إلخ . قال الحافظ بن حجر فى الفتح نقلا عن أئمة الحديث فى إشكال هذا الحديث . قال الخطابى : التردد فى حق الله غير جائز والبداء عليه فى الأمور غير سائغ ولكن له تأويلان أحدهما أن العبد قد يشرف على الهلاك فى أيام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولابد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله لأن الله قد كتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء لنفسه . والثانى : أن يكون معناه ما رددت رسلى فى شىء أنا فاعله كترددى إياهم فى نفس المؤمن كما روى فى قصة موسى وما كان من لطمة عين ملك الموت

وتردده إليه مرة بعد أخرى . قال : وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه ، وقال الكلاباذى — ما حاصله — أنه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات أى عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب إلى أن تنتقل محبته فى الحياة إلى محبته للموت فيقبض على ذلك . قال : وقد يحدث الله فى قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه إلى الموت فضلا عن إزالة الكراهة عنه فأخبر أنه يكره الموت ويسوءه ويكره الله مساءته فيزيل عنه كراهية الموت لما يورده عليه من الأحوال فيأتيه الموت وهو له مؤثر وإليه مشتاق . قال : وقد ورد تفعل بمعنى فعل مثل تفكر وفكر وتدبر ودبر وتهدد وهدد ، والله أعلم .

وعن بعضهم : يحتمل أن يكون تركيب الولى يحتمل أن يعيش خمسين سنة وعمره الذى كتب له سبعون فإذا بلغها فمرض دعا الله بالعافية فيجيبه عشرين أخرى مثلا فعبر عن قدر التركيب وعما انتهى إليه بحسب الأجل المكتوب بالتردد ، وعبر ابن الجوزى عن الثانى بأن التردد للملائكة الذين يقبضون الروح وأضاف الحق ذلك لنفسه لأن ترددهم عن أمره . قال : وهذا التردد ينشأ عن إظهار الكراهة . فإن قيل : إذا أمر الملك بالقبض كيف يقع منه التردد ؟ فالجواب أنه يتردد فيما لم يجد له فيه الوقت كأن يقال : لا تقبض روحه إذا رضى ، ثم ذكر جواباً ثالثاً وهو احتمال أن يكون معنى التردد اللطف به كأن الملك يؤخر القبض فإنه إذا نظر إلى قدر المؤمن وعظم المنفعة به لأهل الدنيا احترمه فلم يبسط يده إليه فإذا ذكر أمر ربه لم يجد بداً من امتثاله ، وجواباً رابعاً وهو أن يكون هذا خطاباً لنا بما نعقل والرب منزه عن حقيقته بل هو من جنس قوله : « ومن أتانى يمشى أتيته هرولة » . فكما أن أحدنا يريد أن يضرب ولده تأديباً فتمنعه المحبة وتبعثه الشفقة فيتردد

بينهما ولو كان غير الوالد كالمعلم لم يتردد بل كان يبادر إلى ضربه لتأديبه فأريد تفهيمنا تحقيق المحبة للولى بذكر التردد ، وجوز الكرمانى احتمالا آخر وهو أن المراد أنه يقبض روح المؤمن بالتأنى والتدريج بخلاف سائر الأمور فإنها تحصل بمجرد قوله : « كن » سريعاً دفعة ، وقال فى قوله تعالى : « فإنه يكره الموت وأنا أكره مساءته» أسند البيهقى فى الزهد عن الجنيد سيد الطائفة قال : الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت وصعوبته وكربه وليس المعنى أنى أكره له الموت لأن الموت يورده إلى رحمة الله ومغفرته انتهى ، وعبر بعضهم عن هذا بأن الموت حتم مقضى وهو مفارقة الروح للجسد ولا تحصل غالباً إلا بألم عظيم جداً كما جاء عن عمرو بن العاص أن ابنه سأله — وهو يموت — عن حقيقة الموت فقال : والله لكأن جنبي فى تخت ولكأنى أتنفس من خرم إبرة وكأن غصن الشوك يجر به من قامتى إلى هامتى . وعن كعب أن عمر سأله عن الموت فوصفه له بنحو هذا ، فلما كان الموت بهذا الوصف والله يكره أذى المؤمن على ذلك الكراهة ، ويحتمل أن تكون المساءة بالنسبة إلى طول الحياة لأنها تؤدى إلى أرذل العمر وتنكس الخلق والرد إلى أسفل سافلين .

وجوز الكرمانى أن يكون المراد أكره مكرهه الموت فلا أسرع بقبض روحه فأكون كالمتردد ، قال الشيخ أبو الفضل بن عطاء فى هذا الحديث عظم قدر الولى لكونه خرج عن تدبيره إلى تدبير ربه وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له وعن حوله وقوته بصدق توكله اه ، قال الحافظ بن رجب : وأما الأنبياء فلا يقبضون حتى يخيروا ، قال الحسن : لما كرهت الأنبياء الموت هون الله عليهم بلقائه لما أحبوه من تحفة وكرامة حتى أن نفس أحدهم تنزع من بين جنبيه وهو يحب ذلك لما قد مثل له ، وقالت عائشة : ما أغبط أحداً يهون الله عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم قالت : وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول : اللهم أعنى على سكرات الموت . قالت : وجعل يقول : لا إله إلا الله إن للموت سكرات ، وجاء فى حديث مرسل أنه صلى الله عليه وآله وسلم : « كان يقول : اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل اللهم فأعنى على الموت وهونه على » ، وقد كان بعض السلف يستحب أن يجهد عند الموت كما قال عمر بن عبد العزيز : ما أحب أن تهون على سكرات الموت إنه لآخر ما يكفر به عن المؤمن ، وقال النخعى : كانوا يستحبون أن يجهدوا عند الموت ، وكان بعضهم يخشى من تشديد الموت أن يفتن وإذا أراد الله أن يهون على العبد الموت هونه عليه ، فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان من الله وكرامة فليس شىء أحب إليه مما أمامه وأحب لقاء الله فأحب الله لقاءه » ، قال ابن مسعود : إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال له : إن ربك يقرئك السلام ، وقال محمد بن كعب : يقول له ملك الموت : السلام عليكم يا ولى الله الله يقرئك السلام ثم قال : ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم﴾ . وقال زيد بن أسلم : تأتى الملائكة للمؤمن إذا احتضر وتقول له : لا تخف مما أنت قادم عليه فيذهب الله خوفه ولا تحزن على الدنيا وأهلها وأبشر بالجنة فيموت وقد جاءته البشرى ، وخرج البزار من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله أضن بموت عبده المؤمن من أحدكم بكريمة ماله حتى يقبضه على فراشه » وقال زيد بن أسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن لله عباداً هم أهل المعافاة فى الدنيا والآخرة » . وقال ثابت البنانى : إن لله عباداً يضن بهم فى الدنيا عن القتل والأوجاع يطيل الله أعمارهم ويحسن أرزاقهم ويميتهم

على فرشهم ويطبعونهم بطبائع الشهداء ، وخرجه ابن أبى الدنيا . والطبرانى مرفوعاً من وجوه ضعيفة .

وفى بعض ألفاظها أن لله ضنائن من خلقه يأبى بهم عن البلاد يحييهم فى عافية ويميتهم فى عافية ويدخلهم الجنة فى عافية .

قال ابن مسعود وغيره : إن موت الفجأة تخفيف عن المؤمن .

وقال أبو ثعلبة الخشنى : إنى لأرجو أن لا يخنقنى كما أراكم تخنقون عند الموت ، وكان ليلة فى داره فسمعوه ينادى يا عبد الرحمن وكان عبد الرحمن قد قتل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أتى مسجد بيته فصلى فقبض وهو ساجد ، وقبض جماعة من السلف فى الصلاة وهم سجود .

وكان أحدهم يوماً قاعداً مع أصحابه فقال : لبيك ثم خر ميتاً .

وكان بعضهم جالساً مع أصحابه فسمعوا صوتاً يقول : يا فلان أجب والله آخر ساعتك من الدنيا فوثب فقال : هذا والله منادى الموت فودع أصحابه وسلم عليهم ثم انطلق نحو الصوت وهو يقول : سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ثم انقطع عنهم الصوت فتتبعوا أثره فوجدوه ميتاً .

وكان بعضهم جالساً يكتب فى مصحف فوضع القلم من يده وقال : إن كان موتكم هكذا فوالله إنه لموت طيب ثم سقط ميتاً .

وكان آخر جالساً يكتب الحديث فوضع القلم من يده ورفع يديه يدعو الله فمات رحمه الله تعالى ، انتهى والله أعلم .

١٣٨ — « مَنْ أَهَانَ لِى وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزْتُهُ بِالْمُحَارَبَةِ وَمَا تَرَدَّدْتُ فِى شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى فِى قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِى الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وأَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ وَلَابُدَّ لَهُ مِنْهُ » .

ش : هذا الحديث مختصر ورواه البخارى أيضاً عن أبى هريرة مطولا بألفاظ قريبة من ألفاظ الحديث السابق ، وأعاد المصنف ذكره هنا لأن لفظه السابق « من آذى » وهذا « من أهان لى » ينبه على أن الإيذاء سواء كان مشتملا على إهانة أم لا يعد محاربة لله تعالى ، وثانياً أن الرواة له مختلفة . والله أعلم .

١٣٩ — « مَنْ تَرَكَ الْخَمْرَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَأَسْقِيَنَّهُ مِنْهُ فِى حَظِيرَةِ الْقُدْسِ وَمَنْ تَرَكَ الْحَرِيرَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَأَكْسُوَنَّهُ إِيَّاه فِى حظِيرَةِ الْقُدْسِ » .

ش : الخمر مؤنثة فى اللغة الفصيحة المشهورة ، وأصل الخمر ستر الشىء وتغطيته وسميت خمراً لكونها خامرة لمقر العقل ، قال الواحدى : الخمر عند أهل اللغة سميت خمراً لسترها العقل : قال الليث : اختمار الخمر إدراكها وغليانها ومخمرها متخذها وخمرت الدابة أخمرها سقيتها الخمر . قال الكسائى : يقال اختمرت خمراً ولا يقال أخمرتها . وأصل هذا الحرف التغطية ، وقيل : سميت خمراً لأنها تغطى حتى تدرك . وحظيرة القدس الجنة وهى فى الأصل

---

(١٣٨) رواه البخارى عن أبى هريرة .
(١٣٩) رواه البزار عن أنس .

الموضع الذى يحاط عليه لتأوى إليه الغنم والإبل يقيهما البرد والريح ، ويطلق أيضاً على الشريعة وكلاهما صحيح فالشريعة حظيرة منها يستفاد القدس أى الطهارة . والتقديس التطهير ومنه بيت المقدس ، والحرير معروف .

والمعنى أن من ترك شرب الخمر بأن لم يشربه ابتداء أو تركه بعد أن شربه مدة وهو يقدر على شربه ليسقينه المولى جل ذكره من خمر الجنة فى حظيرة القدس — أى فى الجنة — التى قال الله تعالى فى وصفها فى كتابه المبين ﴿يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولاهم عنها ينزفون﴾ . أى يطاف على أهل الجنة بكأس فيها خمر يجرى كما تجرى العيون على وجه الأرض وهذه الكأس بيضاء صافية اللون ترى من الظاهر ذات لذة وأشد بياضاً من اللبن وليس كخمر الدنيا يغتال العقول ويذهب بها ولا يسكرون بعد شربها فلا يصيبهم منها مرض ولا صداع وتغيب بل يملكون حواسهم وشعورهم ويجدون لذة لو عرضت على أهل الدنيا لماتوا من شدة لذتها واستطابتها ، اللهم لا تحرمنا منها .

والخمر جاء الشرع بتحريمها واستنكارها وبيان مضارها واستفظاعها والتهديد لمن شربها ووعيده . قال الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ ، الآية . أخبر سبحانه بأن الخمر والميسر فيهما إثم كبير لأن مضرتهما كبيرة ولا إثم إلا ما كان ضاراً ، فإثم شارب الخمر ينشأ من فساد عقله وإضعاف القوة

العاقلة فيصدر عنه ما يصدر عن فساد العقل من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور وإفشاء السر لاسيما فى السياسة الدولية فإن كثيراً من الأسرار الحربية تؤخذ بطريق السكر وله حوادث كثيرة متكررة . وتعطيل الصلوات وسائر ما يجب عليه . ومخالطة الفساق والفجار وغشيان بيوت الدعارة والملاهى وضياع الأموال وغير ذلك مما فساده ظاهر لكل عاقل هذه مضاره الخلقية والمالية، وأما مضاره الصحيةفهى إفساد وفقد شهوةالطعام وتغيير الخلقفالسكارى يسرع إليهم التشوه فتجحظ أعينهم وتمتقع سحنتهم وتعظم بطونهم . ومرض الكبد والكلى . وداء السل الذى يفتك فى البلاد الأوربية فتكاً ذريعاً على عناية أهلها بقوانين الصحة ولكن لا وقاية من شرور السكر إلا بتركه . وقد قيل إن نحو نصف الوفيات فى بعض بلاد أوربا بداء السل .

قال الأستاذ المرحوم السيد رشيد رضا : ولم يكن هذا الداء معروفاً أو منتشراً فى مثل هذه البلاد — مصر —قبل شيوع السكر فيها فهو من الأدواء التى حملها إليها الأوربيون وقد كثر كثرة فاحشة فى مصر على أن جوها لا يساعد على انتشاره ، وقال أحد أطباء ألمانيا : اقفلوا لى نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات . والبيمارستانات . والتكايا والسجون ، وقد قال بعض الأطباء ، إن المسكر لا يتحول إلى دم كما تتحول سائر الأغذية بعد الهضم بل يبقى على حاله فيزاحم الدم فى مجاريه فتسرع حركة الدم وتختل موازنة الجسم وتتعطل وظائف الأعضاء أ تضعف وتخرج عن وضعها الطبيعى المعتدل ، فمن تأثيره فى اللسان إضعاف حاسة الذوق وفى الحلق الالتهاب . وفى المعدة ترشيح العصارة الفاعلة فى الهضم حتى يغلظ نسيجها وتضعف حركتها،وقد يحدث فيها احتقاناً والتهاباً . وفى الأمعاء التقرح. وفى الكبد تمديده وتوليد الشحم الذى يضعف عمله ، وكل هذا يتعلق بما يسمونه الجهاز الهضمى . ومن تأثيره فى الدم أنه بممازجته له يعيق دورته وقد

يوقفها أحياناً فيموت السكور فجأة . ويضعف مرونة الشرايين فتتمدد وتغلظ حتى تنسد أحياناً فيفسد الدم ولو فى بعض الأعضاء فتكون الغنغرينا التى تقضى بقطع العضو الذى تظهر فيه لئلا يسرى الفساد إلى الجسد كله فيكون هالكاً ، ومن تأثيره فى جهاز التنفس إضعاف مرونة الحنجرة وتهييج شعب التنفس ، وأهون ضرر ذلك بحة الصوت والسعال ، وأعظمها تدرن الرئة أى السل الفاتك بالشبان والقاطع لجميع لذات الإنسان .

وأما تأثيره فى المجموع العصبى فهو الذى يولد الجنون ويهلك النسل فولد السكور لا يكون نجيباً وولد ولده يكون شراً من ولده وأضعف بدناً وعقلا ، وقد يؤدى تسلسل هذا الضعف إلى انقطاع النسل بالمرة لا سيما إذا جرى الأبناء على طريق الآباء كما هو الغالب ، وأطباء الأفرنج وعلماؤهم مجمعون على أن ضرر الخمر أكبر من نفعها ، وقد ألفت جمعيات فى أوربا وأمريكا ومصر للسعى فى إبطال المسكرات فهم يتعاهدون على عدم الشرب وعلى الدعوة إلى ذلك والسعى لدى الحكومات بالتشديد على بائع الخمور فالأيام والأجيال كلما تقدمت وارتقت تؤيد قول القرآن بأن إثم الخمر والميسر أكبر من نفعهما فإن أطباء هذا العصر يصفون من مضرات الخمر ما لم يكن معروفاً عند الأطباء المتقدمين وهو ما أطلقه الله تعالى لعباده ليبحثوا فيه ويتبينوا صدقه بأنفسهم لتكون عقولهم مؤيدة لكتابه بوجوب اجتنابه .

وأما إثم الميسر أى إثم متعاطيه فما ينشأ عن ذلك من الفقر وذهاب المال فى غير طائل ، والعداوة وإيحاش الصدور وضياع مستقبل نفسه إذا لم يكن صاحب عائلة أو ضياعه مستقبل عائلته فإذا كان مستخدماً فى مصالح الحكومة أو الشركات الأجنبية أو الأهالى فإنه بسبب الميسر يتطلع إلى مافى يديه من مال الغير أو مافى يدى غيره من المال فتحدثه نفسه باغتيال ذلك ويحسن له

الشيطان ذلك ويوقع فى قلبه بأنه لو مد يده إلى أموال الغير التى تحت يده وبددها فى القمار لربما يربح فى أقرب وقت مالا كثيراً فيرد ما اغتاله من أموال الناس ولا يطلع عليه أحد فيتجاسر ويأخذ شيئاً فشيئاً إلى أن ينكشف أمره ويؤخذ على يديه ويفتضح وتذهب منه وظيفته ويحكم عليه بالحبس ويعد من المجرمين ويقتل مستقبله قتلا مؤبداً حيث يموت موتاً معنوياً فلا يرفع بعد ذلك رأساً وتمسى عائلته فقراء يتطلبون العيش فلا يجدونه وهذا كثير فى زماننا تنشره الجرائد على صفحاتها وتتكرر حوادثه فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ومن مضاره إفساد التربية بتعويد النفس على الكسل وانتظار الرزق من الطرق الوهمية وإضعاف القوة العقلية بترك الأعمال المفيدة فى طريق الكسب وإهمال المقامرين الزراعة والصناعة والتجارة التى هى أركان العمران ، وأما منافع الخمر على ادعاء ذلك فربح التجارة ، وما يصدر عنها من الطرب والنشاط وقوة القلب وثبات الجنان وإصلاح المعدة وقوة الباءة وقد أشار شعراء العرب إلى شيء من ذلك قال :

وإذا شربت فإننى ... رب الخورنق والسدير

وإذا صحوت فإننى ... رب الشويهة والبعير

وقال آخر :

ونشربها فتتركنا ملوكاً ... وأسدا ما ينهنهنا اللقاء

وقال بعض الشعراء وأشار إلى ما فيها من المفاسد والمصالح :

رأيت الخمر صالحة وفيها ... خصال تفسد الرجل الحليما

فلا والله أشربها صحيحا ... ولا أشفى بها أبداً سقيما

ولا أعطى بها ثمنا حياتى ... ولا أدعو لها أبدا نديما

ومنافع الميسر — على زعم أنه فيه منافع — مصير الشيء إلى الإنسان بغير تعب ولا نصب ، وسرور الرابح وأريحيته عند أن يصير له منها سهم صالح وغير ذلك .

وقد جاء فى السنة النبوية تشديد عظيم فى شرب الخمر وبيعها وشرائها وعصرها وحملها وأكل ثمنها . وترغيب عظيم فى ترك ذلك والتوبة منه .

أخرج الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن » . زاد مسلم فى رواية له . وأبو داود آخره : « ولكن التوبة معروضة بعد » . وفى رواية للنسائى قال : « لا يزنى الزانى وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن — وذكر رابعة فنسيتها — فإذا فعل ذلك فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه فإن تاب تاب الله عليه » . وروى أبو داود : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه » . ورواه ابن ماجه وزاد : « وآكل ثمنها » . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه » . رواه أبو داود وغيره ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « أتانى جبريل فقال يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومسقاها » . رواه أحمد بإسناد صحيح . وابن حبان فى صحيحه . والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وروى ابن ماجه عن خباب بن الأرت رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إياك والخمر فإنها تفرع الخطايا كما أن شجرها يفرع الشجر » . قال الحافظ المنذرى : وليس فى

إسناده من ترك.، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا فمات وهو يدمنها لم يشربها فى الآخرة » . رواه البخارى، ومسلم ، وأبو داود، والترمذى، والنسائى ، والبيهقى،ولفظه فى إحدى رواياته قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من شرب الخمر فى الدنيا ولم يتب لم يشربها فى الآخرة وإن دخل الجنة » . وفى رواية لمسلم قال: « من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الآخرة » . قال الخطابى ثم البغوى فى شرح السنة ، وفى قوله : « حرمها فى الآخرة » . وعيد بأنه لا يدخل الجنة لأن شراب أهل الجنة خمر إلا أنهم لا يصدعون عنها ولا ينزفون ومن دخل الجنة لا يحرم شرابها انتهى ؛ وعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر وقاطع الرحم ، ومصدق بالسحر . ومن مات مدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة قيل : وما نهر الغوطة ؟ قال : نهر يجرى من فروج المومسات يؤذى أهل النار ريح فروجهم » . رواه الإمام أحمد . وأبو يعلى . وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم وصححه ، وفى رواية لابن حبان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم » ،. وعن ابن عباس رضى الله عنهما : قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر » . رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد . وعن جابر رضى الله عنه أن رجلا قدم من جيشان — وجيشان من اليمن — فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المذر . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أومسكر هو ؟ قال : نعم . قال :رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كل مسكر حرام وإن عند الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال . قالوا :

يا رسول الله . وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار » رواه مسلم ، والنسائي . وفي الباب أحاديث كثيرة تركتها خشية التطويل .

واختلف العلماء في حد الخمر وحقيقته الشرعية فقال سفيان الثوري ، وأبو حنيفة وأهل الرأي : الخمر ما اعتصر من العنب والنخلة فيغلي بطبعه دون عمل النار وما سوى ذلك ليس بخمر ، وقال مالك . والشافعي . وأحمد . وأهل الأثر من المحدثين رضي الله عنهم : أن الخمر كل شراب مسكر فسواء كان عصيراً أو نقيعاً مطبوخاً كان أو نيئاً ، واللغة تشهد لهذا قال الزجاج : القياس أن ما عمل عمل الخمر يقال له خمر وأن يكون في التحريم بمنزلتها . قاله الواحدي ونقله عنه الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات .

وأما الحرير فقد ورد بتحريمه أحاديث صحاح وحسان كثيرة ، منها ما رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تلبسوا الحرير فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » . والنسائي رزاد : وقال ابن الزبير : « من لبسه في الدنيا لم يدخل الجنة » . قال الله تعالى : ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ . وروى البخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال : « نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه » ، والديباج ــ بكسر الدال وقد تفتح ــ الثياب المتخذة من الابريسم سداها ولحمتها منه ، وذكره له بعد الحرير من باب ذكر الخاص بعد العام ، وعن أبي أمامة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريراً ولا ذهباً » . رواه أحمد ورواته ثقات ، وعن خليفة بن كعب قال :

سمعت ابن الزبير يخطب ويقول : « لا تلبسوا نساءكم الحرير فإنى سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » . رواه البخارى ، ومسلم والنسائى وزاد فى رواية : « ومن لم يلبسه فى الآخرة لم يدخل الجنة » . قال الله تعالى : ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ . وحديث الكتاب ذكره المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب . وقال : رواه البزار بإسناد حسن .

وأما حكم لبس الحرير فقال العلامة ابن دقيق العيد فى شرحه عمدة الأحكام : الحديث يتناول مطلق الحرير وهو محمول عند الجمهور على الخالص منه فى حق الرجال وهو عندهم نهى تحريم ، وأما الممتزج بغيره فللفقهاء فيه اختلاف كثير فمنهم من يعتبر الغلبة فى الوزن ومنهم من يعتبر الظهور فى الرؤية واختلفوا فى العتابى من هذا ومن يقول بالتحريم لعله يستدل بالحديث ويقول : أنه يدل على تحريم مسمى الحرير فما خرج منه بالإجماع حل ويبقى ما عداه على التحريم انتهى ، والحديث الذى أشار إليه ابن دقيق العيد هو ما رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد بن حنبل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » . وإذا أردت أن تتوسع فى ذلك فانظر تعليقنا على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام تجد ما يسرك .

١٤٠ - «مَنْ عادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذنْتُهُ بِالْحرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إلَىَّ عَبْدِى بِشَىءٍ أَحَبُّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ علَيْهِ وَلَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحبَّهُ فإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ وَيدَهُ الَّتِى يَبْطشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِى لَأُعْطِيَنَّهُ وَإِنْ اسْتَعاذَ بِى لَأُعِيذَنَّهُ وَما تَرَدَّدْتُ فِى شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِن يَكْرَهُ الْموْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مسَاءَتَه».

ش: الحديث تكرر ذكره غير مرة إما لزيادة بعض ألفاظ أو اختلاف فى اللفظ أو فى السند وهنا فيه: «وإن استعاذ بى لأعيذنه» بدل قوله: «وإن دعانى أجبته». يقال عذت به أعوذ عوذاً وعياذاً ومعاذاً أى لجأت إليه. والمعاذ المصدر والمكان والزمان، والعوذ الالتجاء إلى الغير والتعلق به. والله أعلم.

---

(١٤٠) رواه البخارى عن أبى هريرة.

١٤١ – « مَنْ عَادى لِى وَلِيًّا فَقَدْ نَاصَبَنِى بِالْمُحَارَبَةِ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدُّدِى عَنْ مَوْتِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَه وَرُبَّمَا سَأَلَنِى وَلِيِّى الْمُؤْمِنُ الغِنَى فَأَصْرِفُهُ مِنَ الغِنَى إِلَى الفَقْرِ وَلَوْ صَرَفْتُهُ إِلَى الغِنى لَكَانَ شَرًّا لَهُ وَرُبَّمَا سَأَلَنِى وَلِيِّى الْمُؤْمِنُ الفَقْرَ فَأَصْرِفُهُ إِلَى الغِنى وَلَوْ صَرَفْتُهُ إِلَى الفَقْرِ لَكَانَ شَرًّا لَهُ إِنَّ اللهَ قَالَ وَعِزَّتِى وَجَلَالِى وَعُلُوِّى وَبَهَائِى وَارْتِفَاعِ مَكَانِى لَا يُؤْثِرُ عَبْدٌ هَوَاىَ عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا أَثْبَتُّ أَجَلَهُ عِنْدَ بَصَرِه وَضَمَّنْتُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ رِزقَهُ وَكُنْتُ لَهُ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَةِ كُلِّ تَاجِرٍ » .

ش : تقدم ذكر الحديث غير مرة بألفاظ قريبة من هذا إلا أن ما فيه هنا زيادة ألفاظ لم تذكر قبل فلا مانع من التعرض لشرحها وبيانها فأقول : قوله « ناصبنى بالمحاربة » النصب التعب . وأنصبنى كذا أى أتعبنى وأزعجنى قال الشاعر : * تأوبنى هم مع الليل منصب *

ويقال ناصبه الحرب والعداوة ونصب له ، والمعنى هنا والله أعلم اجتهد العبد فى المحاربة على مثال قوله تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ ، أى اجتهد فى الدعاء ، والغنى – بكسر الغين المعجمة والقصر – اليسار تقول منه غنى

---

(١٤١) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس .

بالكسر غنى فهو غنى و تغنى أيضاً أى استغنى وتغانوا استغنى بعضهم عن بعض . والفقر قلة المال وضيق اليد ، ويؤثر يفضل . وباقى ألفاظ الحديث منها ما تقدم تفسيره ومنها ما هو ظاهر ، ووقع فى كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى فى هذا الحديث « عند نصره » بالنون بدل « عند بصره » بالباء الموحدة ولعله تصحيف .

والمعنى — والله أعلم بمراده — من عادى لله ولياً من أوليائه الصالحين — الذى تقدم وصفه سابقاً — فقد ناصب الله واجتهد وأتعب نفسه وتهيأ لمحاربة الله جل ذكره — ومن يقدر أو يجسر على ذلك إلا هالك ؟ — وما تردد الله عن شيء هو فاعله كتردده عن موت المؤمن يكره الموت الذى من شأنه ذلك لما يعترى المؤمن من الشدائد والأهوال والله سبحانه وتعالى يكره مساءة عبده المؤمن وربما سأل الله الولى المؤمن الغنى فى بعض الأوقات — وهو لا يدرى ما الأحسن له هل الغنى أم الفقر ؟ والله تعالى يعلم ما يناسب حال العبد فلا يجيب طلبه بل يعطيه ما يوافق حاله ويصرف عنه مالا يوافقه وينفعه ولو صرفه إلى طلبه الذى هو الغنى مثلا . ويكون شراً له فى ماله وولده لكان شراً له ، وربما سأل الله الولى المؤمن الفقر — وهو لا يناسب حاله فلا يجيب طلبه — ويصرفه إلى الغنى وهو مما يناسب حاله بالنسبة لعلم الله تعالى ولو صرفه إلى الفقر — وهو كذلك — لكان شرا له والله جل اسمه لا يرضى له ذلك ، ثم أخبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أن الله أقسم وقال وعزتى وجلالى وعلوى على خلقى وبهائى ، وارتفاع مكانى — نؤمن بذلك ونعتقده ولا نؤول ولا نصرف بل نقول : الله سبحانه وتعالى أخبر بذلك ووصف نفسه بذلك بدون تشبيه وننزه المولى عن المثل والشبه والصفات التى لا تليق به . قال الله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ، وهذا مذهب السلف الصالح وعليه أئمة الهدى وأرباب الفتوى وهم أعلم بما تضمن كلام البارى

تعالى وأسلم عقيدة و مذهباً — لا يؤثر ويفضل هوى المولى جل علاه وأمره ونهيه على هوى نفسه إلا أثبت أجله المقدر له أزلا عند بصره ليراه حين يريد فيعرف متى دنوه وانتهاؤه فيجتهد لاكتساب الطاعات وتكثير الحسنات فإنه قادم على يوم يحتاج فيه إلى كثرة العمل الصالح ولا يقدم على معصية ويتجنب المضار فلا ينهمك بالشهوات ويتباعد عن المنهيات لأنه لا يسوف إلا إذا غاب عنه أجله وخفى عليه وقته فإنه يطمع أن يعيش كثيراً فيؤثر هوى نفسه وشيطانه على هوى مولاه فيغشى اللذات الدنيوية يتساهل فيأتى يومه المقدر له بغتة وهو لا يشعر فلا يجد وقتاً للتوبة والإنابة ، فمن آثر وفضل هوى مولاه على هوى نفسه يضمن الرب جل وعز السماء والأرض رزقه أى يكلفهما ضمان رزقه من أن السماء تمطر والأرض تخرج الأقوات قال الله تعالى: ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾ . وقال تعالى: ﴿ وما أنزل الله من السماء من رزق ﴾ . وقال تعالى: ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السموات والأرض ﴾ . وزيادة على ذلك الخير العظيم والنعم الجسيمة فإن الله عز جلاله يكون له من وراء تجارة كل تاجر أى ينمى له تجارته ويبارك له فيها ويحفظها له من كل ما يطرأ عليها مما يذهبها ويشينها ويمحقها فسبحانه من إله ما أرحمه وأرأفه وأكلأه وأحرسه وأمنعه لعبده المطيع أفلا يطيع العبد العاصى ربه وينيب إليه فيتمتع بذلك كله ويحظى بنعيم مؤبد وثواب عظيم ومال لا ينفد ولا يبيد اللهم وفقنا لطاعتك وجنبنا معاصيك ومخالفتك ، والحديث رواه الطبرانى فى معجمه الكبير كما قال المصنف ودرجته غير معلومة وفى القلب منه شىء ، والله أعلم .

١٤٢ — « مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنتهُ بِالْحَرْبِ »

---

(١٤٢) رواه البخارى عن أبى هريرة .

ش : تقدم الكلام عليه غير مرة وأعاده هنا لوجود لفظة «آذنته بالحرب» ولاختلاف الراوى ، وآذنته بهمزة ممدودة أى أعلمته بأنه محارب لى والله إذا حارب العبد أهلكه . قاله النووى ، ويؤيده ما وقع فى بعض الروايات «فقد بارزنى بالحرب — أو بالمحاربة ، وقال بعض العلماء : أى أعلمته بأنى محارب له أى معاملة المحارب وهو أبلغ ، ففى الحديث تسلية الأصفياء عن معاداة الأعداء وتحذير للأعداء عن إيذاء الأولياء وترك حرمتهم . وتنبيه على تعظيم شأنهم وحفظ قلوبهم ودفع كربتهم لما فى مفهومه حيث جاء فى معاداة الولى عظيم الوعيد يكون فى موالاته جسيم القرب والتأييد كما قيل :

وكم لله أشراف البرايا ... لهم قدر عظيم بالكرامه

فمن والاهم حقاً وصدقاً ... كرامته الشفاعة فى القيامه

١٤٣ « مَنْ تَوَاضعَ لِي هكَذَا وَجَعَلَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَطْنَ كَفِّهِ إِلَى الْأَرْضِ رَفَعْتُهُ هكَذَا وَجَعَلَ بَطْنَ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ » .

ش : التواضع التخاشع والتذلل وهذه صفة المؤمنين حقاً وهى من أكمل الصفات وأدلها على حسن أخلاق المتصف بها وهى منزلة من منازل ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ، واختلفت عبارات القوم فى حقيقته سئل الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى عن التواضع ؟ فقال : يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله ، وقيل : أن لا ترى لنفسك قيمة فمن رأى لنفسه قيمة فليس له فى

---

(١٤٣) رواه أحمد والبزار وأبو يعلى والطبرانى فى الأوسط عن عمر .

التواضع نصيب وهذا مذهب الفضيل وغيره ، وقال الجنيد رئيس الطريقة رحمه الله : هو خفض الجناح ولين الجانب ، وقال أبو يزيد البسطامى رحمه الله : هو أن لا يرى لنفسه مقاماً ولا حالا ولا يرى فى الخلق شراً منه ، وقال ابن عطاء رحمه الله : هو قبول الحق ممن كان والعز فى التواضع فمن طلبه فى الكبر فهو كتطلب الماء من النار وهذا مبالغة من ابن عطاء رحمه الله كالفضيل فى التواضع فصيره ذلة ، وعرفه العلامة الهروى فى منازل السائرين بقوله : « التواضع أن يتواضع العبد لصولة الحق » . قال العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية فى شرحه : يعنى أن يتلقى سلطان الحق بالخضوع له والذل والانقياد والدخول تحت رقه بحيث يكون الحق متصرفاً فيه تصرف المالك فى مملوكه فبهذا يحصل للعبد خلق التواضع ، ولهذا فسر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الكبر بضده فقال : « الكبر بطر الحق وغمص الناس » . فبطر الحق رده وجحده والدفع فى صدره كدفع الصائل . وغمص الناس احتقارهم وازدراؤهم انتهى ، وقسمه إلى ثلاث درجات ، الأولى التواضع للدين وهو أن لا يعارض بمعقول منقولا ولا يتهم للدين دليلا . ولا يرى إلى الخلاف سبيلا ، والدرجة الثانية أن ترضى بما رضى الحق به لنفسه عبداً من المسلمين أخاً ، وأن لا ترد على عدك حقاً . وتقبل من المعتذر معاذيره ، والدرجة الثالثة : أن تتضع للحق فتنزل عن رأيك وعوائدك فى الخدمة . ورؤية حقك فى الصحبة . وعن رسمك فى المشاهدة .

وقد وردت أحاديث كثيرة فى مدح التواضع وذم الكبر منها قوله تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إنه لا يحب المستكبرين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا

واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين * لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين ﴾ .

ومن الأحاديث ما رواه مسلم فى صحيحه . والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله ، وروى الطبرانى بلفظ : « قال عمر بن الخطاب على المنبر : أيها الناس تواضعوا فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من تواضع لله رفعه الله وقال : انتعش نعشك فهو فى أعين الناس عظيم وفى نفسه صغير ومن تكبر قصمه الله وقال : اخسأ فهو فى أعين الناس صغير وفى نفسه كبير » ، وروى الطبرانى أيضاً فى الأوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله ومن ارتفع عليه وضعه الله » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما من آدمى إلا فى رأسه حكمة بيد ملك فإذا تواضع قيل للملك : ارفع حكمته وإذا تكبر قيل للملك ضع حكمته » . رواه الطبرانى ، والبزار بنحوه من حديث أبى هريرة وإسنادهما حسن هكذا قال الحافظ المنذرى (الحكمة) بفتح الحاء المهملة والكاف هى ما تجعل فى رأس الدابة كاللجام ونحوه ، وحديث الكتاب ذكره الحافظ المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب ، وقال : رواه أحمد ، والبزار ورواتهما محتج بهم فى الصحيح .

كان إمام المتقين ورسول رب العالمين كثير التواضع لين الجانب بعيداً من الكبر . قال الحافظ شمس الدين بن قيم الجوزية فى مدارج السالكين : وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يمر على الصبيان فيسلم عليهم ، وكانت الأمة

تأخذ بيده صلى الله عليه وآله وسلم فتنطلق به حيث شاءت ، وكان إذا أكل لعق أصابعه الثلاث ، وكان يكون فى بيته فى خدمة أهله ولم يكن ينتقم لنفسه قط ؛ وكان يخصف نعله ويرقع ثوبه ، ويحلب الشاة لأهله ، ويعلف البعير ويأكل مع الخادم ويجالس المساكين ويمشى مع الأرملة . واليتيم فى حاجتهما ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسر شىء ، وكان هين المئونة لين الخلق كريم الطبع جميل المعاشرة ، طلق الوجه بساماً متواضعاً من غير ذلة ، جواداً من غير سرف ، رقيق القلب رحيماً بكل مسلم . خافض الجناح للمؤمنين ، لين الجانب لهم ، وقال : « ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو تحرم عليه النار ؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل » . رواه الترمذى وقال : حسن ، وقال : « لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت ، ولو أهدى إلى ذراع أو كراع لقبلت » . رواه البخارى ، وكان يعود المريض ويشهد الجنازة ويركب الحمار ، ويجيب دعوة العبد ، وكان يوم قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف من ليف . والله أعلم .

١٤٤ — « مَنْ ذَكَرَنِي حِينَ يَغْضَبُ ذَكَرْتُهُ حِينَ أَغْضَبُ وَلَا أَمْحَقُهُ فِيمَنْ أَمْحَقُ » .

ش : الغضب تقدم تفسيره غير مرة والبارى تعالى يتصف به كما يليق به ليس كمثله شىء وليس كما نعرفه ونعهده فى الحادث جل الله عن ذلك ، والمحق — بفتح الميم وسكون الحاء المهملة — النقص والمحو والإبطال يقال محقه إذا نقصه وأذهب بركته ومنه قوله تعالى : ﴿ يمحق الله الربا ويربى الصدقات ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ويمحق الكافرين ﴾ .

---

(١٤٤) رواه الديلمى عن أنس .

والمعنى أن الله جل ذكره يخبرنا أن من ذكره من عباده في حالة غضبه ذكره الله تعالى حين يغضب ولا يمحقه المولى فيمن يمحق حينئذ ، ففيه ترغيب في ذكر الله تعالى ولو حال الغضب لأن ذكر الله تعالى شفاء من كل داء ولا شك أن حال الغضب قل أن يملك الإنسان نفسه فإنه يريد أن يفتك بخصمه ويهلكه أو يذهب ما يراه ، فالله سبحانه وتعالى إذا ذكر الإنسان في حال الغضب لا يهلكه ولا يذهب ويمحو من غضب عليه أو يذهب بركة حاله أو ولده بل يعفو عن ذلك ، فعلى الإنسان إذا اشتد به الغضب أن يذكر الله ويصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو يتوضأ ، وفيه تنفير عن الغضب والتباعد عنه وعدم الانتقام وقت الغضب ، روى البخارى ومسلم ، وغيرهما عن أبي هريرة رضى الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » . ورواه ابن حبان في صحيحه مختصراً : « ليس الشديد من غلب الناس إنما الشديد من غلب نفسه » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى : ادفع بالتي هي أحسن . قال : «الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم » . ذكره البخارى تعليقاً ، وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه على رءوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء » . رواه أبو داود . والترمذى وحسنه . وابن ماجه كلهم من طريق أبي مرحوم ، وروى أبو داود عن أبي وائل القاص قال : دخلنا على عروة بن محمد السعدى فكلمه رجل فأغضبه فقام فتوضأ فقال : حدثنى أبي عن جدى عطية رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أن الغضب من الشيطان وأن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » ، وهذا كله إذا لم يكن لله جل وعز بل كان

لأمر دنيوى أو شخصى كما لا يخفى على العاقل ، والحديث رواه الديلمى كما قال المصنف ولا يخفى ما فيه . والله أعلم .

١٤٥ — «مَنْ زارَنِى فِى بَيْتِى أَوْ فِى مَسجِدِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَوْ فِى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَمَاتَ مَاتَ شَهِيدًا »

ش : الزيارة فى العرف قصد المزور إكراماً له واستئناساً به ، وزاره يزوره زيارة وزوراً قصده فهو زائر وزور ، وقوم زور وزوار ، والمزار موضع الزيارة ، والمراد بقوله « بيتى » الكعبة ، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المدينة ، وبيت المقدس معلوم . والشهيد فى الأصل من قتل مجاهداً فى سبيل الله ويجمع على شهداء ثم اتسع فيه فأطلق على من سماه النبى صلى الله عليه وآله وسلم من المبطون ، والغرق ، والحرق ، وصاحب الهدم ، وذات الجنب وغيرهم ، وسمى شهيداً لأن الله وملائكته شهود له بالجنة . وقيل : لأنه حى لم يمت كأنه شاهد أى حاضر ، وقيل : لأن ملائكة الرحمة تشهده ، وقيل : لقيامه بشهادة الحق فى أمر الله حتى قتل ، وقيل : لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل . وقيل : غير ذلك ، فهو فعيل بمعنى مفعول على اختلاف التأويل قاله العلامة ابن الجزرى فى النهاية ، والمراد به هنا أن له ثواب الشهيد وفضله .

والمعنى — والله أعلم — أن الله تعالت أسماؤه وتنزهت صفاته يخبرنا أن من زاره وقصده فى بيته الذى هو الكعبة شرفها الله وزادها رفعة وحفظها

---

(١٤٥) رواه الديلمى عن أنس .

من كل سوء وأذى فمات بعد الزيارة أو قبلها – من باب إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى – مات شهيداً أى يثيبه ثواب الشهيد وله أجره . وينبغى لزائر الكعبة إذا وصلها وأراد دخولها أن يدخلها متواضعاً خاشعاً خاضعاً لما رواه البيهقى عن سالم بن عبد الله : « أن عائشة رضى الله عنها كانت تقول : عجباً للمرء المسلم إذا دخل الكعبة كيف يرفع بصره قبل السقف يدع ذلك إجلالا لله تعالى وإعظاماً . دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها » . ولأنه أشرف بقعة فى الأرض ومحل الرحمة ، والأمان ، وكذلك من زار مسجد المدينة الذى فيه قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجسده الشريف بأبى وأمى ومالى وأولادى أفديه عليه الصلاة والسلام فإنه يكون كذلك ، وقد وردت أحاديث صحيحة فى شد الرحال إليه وقصده . روى البخارى ، ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا » . وروى البخارى ، ومسلم من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فى غيره من المساجد إلا المسجد الحرام » . وروى أحمد فى مسنده ، والبيهقى بإسناد حسن عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام . وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة فى مسجدى » . وروى البيهقى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « صلاة فى مسجدى هذا تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام فهو أفضل » . وكذلك من زار بيت المقدس فله ذلك ، وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضله وشد الرحال إليه والصلاة فيه ، وكذلك جاء القرآن

بالتنويه بفضله وأنه بورك فيه . قال الله تعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ﴾ ، وثبت فى الصحيحين من رواية أبى سعيد الخدرى . ومن رواية أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا » ، وعن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أن سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلاثاً . سأل الله تعالى حكماً يصادف حكمه فأوتيه . وسأل الله تعالى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده فأوتيه . وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه » . رواه النسائى بإسناد صحيح ، ورواه ابن ماجه وزاد « فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم أما اثنتان فقد أعطيهما وأرجو أن يكون قد أعطى الثالثة » وعن ميمونة بنت سعد ويقال بنت سعيد مولاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم قالت : « يا نبى الله أفتنا فى بيت المقدس : قال « المنشر والمحشر ائتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة. قالت : أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه لو يأتيه قال : فليهد إليه زيتاً يسرج فيه فإنه من أهدى له كان كمن صلى فيه » . رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده بهذا اللفظ ، ورواه به أيضاً ابن ماجه بإسناد لا بأس به ، ورواه أبو داود مختصراً قالت : « قلت : يا رسول الله أفتنا فى بيت المقدس . فقال : ائتوه فصلوا فيه وكانت البلاد إذ ذاك حرباً فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج فى قناديله » . هذا لفظ رواية أبى داود ذكره فى كتاب الصلاة بإسناد حسن ، أورد هذا النووى فى كتاب المجموع شرح المهذب ، وحديث الكتاب رواه الديلمى كما قال المصنف وسنده لا يخلو من خدش . والله أعلم .

١٤٦ – « مَنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى وَمَنْ ذَكَرَنِى فِى مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِى مَلَأٍ أَكْثَرَ مِنْهُ وأَطْيَبَ » .

١٤٧ – «مَنْ سَلَبْتُ كَرِيمَتَيهِ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ »

ش : الحديث الأول تقدم ذكر ما يشبهه ألفاظاً ومعنى وذكر ما يتعلق به انظر صفحة ١٨ ، ١٠١ والذكر فى الجملة أعظم دواء للقلب فإنه يجلوه من الظلمات ويريه الحق والباطل وله فوائد عظيمة ذكر بعض المصنفين فى الأذكار له مائة فايدة ، وأفيد كتاب فى ذلك كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب للامام ابن قيم الجوزية فعليك به ، والحديث الثانى تقدم ذكر مثله أيضاً صفحة ١٣ فارجع إليه ، والله أعلم .

١٤٨ – « مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِى عَنْ مَسْأَلَتِى أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أَعْطَيْتُ السَّائِلِينَ » .

١٤٩ – «مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِى عَنْ مَسْأَلَتِى أَعْطَيْتُهُ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِى » .

---

(١٤٦) رواه ابن شاهين عن أبى هريرة .

(١٤٧) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط عن جرير .

(١٤٨) رواه البخارى والبزار والبيهقى عن ابن عمر .

(١٤٩) رواه أبو نعيم والديلمى .

١٥٠ – «مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ القُرْآنِ عَنْ دُعَائِى وَمَسْأَلَتِى أَعْطَيْتُهُ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ» .

ش : الحديث الأول يخبرنا المولى جل ذكره فيه أن من شغله ذكر الله عز وجل من عباده عن مسألة الله وطلبه يعطيه ويمنحه أفضل ما يعطى السائلين إذا كان طلبهم مشروعاً مقبولا وأجيب ، ففيه الحث والترغيب فى ذكر الله عز وجل والإكثار منه وجعله فى أول درجة الأعمال المطلوبة للعبد لأن فيه فوائد تعود على العبد لا تنحصر فنسأل الله التوفيق لذلك ، والحديث الثانى كالحديث الأول إلا أن فيه أن الله تبارك يعطيه ويجيب طلبه قبل أن يسأله ، ولا شك أن الله سبحانه يعلم ما فى القلوب قبل إظهاره على الألسن ، فعلى العبد أن يهتم بذكر الله ويداوم عليه ويكثر منه ، والحديث الثالث فيه الحث والترغيب فى قراءة القرآن ، ولا ريب أن أعظم الذكر هو تلاوة كلام الله الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد تقدم ذكر أحاديث كثيرة ترغب فى الذكر وتحث عليه صفحة ٩٩ : ١٤٦ من هذا الكتاب ، وأزيدك هنا أحاديث لم تذكر قبل ، منها ما رواه الترمذى — واللفظ له وقال : حديث حسن وغريب — ابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه : «أن رجلا قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشىء أتشبث به قال : لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله» ، وقوله «أتشبث به» أتعلق ، وعن جابر رضى الله عنه رفعه إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : «ما عمل آدمى عملا أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى . قيل : ولا الجهاد

---

(١٥٠) رواه ابن حذيفة شاهين عن أبى سعيد الخدرى .

فى سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع » . رواه الطبرانى فى الصغير ، والأوسط ورجالهما رجال الصحيح ، وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى قال : ذكر الله » . قال معاذ بن جبل : ما شىء أنجى من عذاب الله من ذكر الله » . رواه أحمد بإسناد حسن . وابن أبى الدنيا ، والترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم ، والبيهقى . وقال الحاكم : صحيح الإسناد . ورواه أحمد أيضاً من حديث معاذ بإسناد جيد إلا أن فيه انقطاعاً ، وشرحت هذا الحديث فى تعليقى على الكلم الطيب بما لا تجده لغيرى فعليك به فإنه اشتمل على فوائد كثيرة وأرجو الله أن يوفقنى إلى تكميله ، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون » . رواه الإمام أحمد ، وأبو يعلى ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم . وقال : صحيح الإسناد .

ومن الآيات الدالة على فضل القرآن وتلاوته قول الله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور * ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ . ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وغيرهم عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه

وآله وسلم قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » ، وروى مسلم ، وأبو داود وغيرهما عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » ، وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله أوصنى قال : عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله . قلت : يا رسول الله زدنى . قال : عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك فى الأرض وذخر لك فى السماء » . رواه ابن حبان فى صحيحه فى حديث طويل ، والحديث الثالث ذكره الحافظ المنذرى بزيادة عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الرب تبارك وتعالى : « من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » . رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب ، والحديث الثانى صححه الحاكم ونازعه الحافظ الذهبي فى ذلك انتهى ، والله أعلم .

١٥١ – « مَنْ عَلِمَ أَنِّى ذُو قُدْرَةٍ عَلَى مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أُبَالِى مَا لَمْ يُشْرِكْ بِى شَيْئًا » .

١٥٢ – « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِى فَهُوَ لَهُ كُلُّه وأَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ » .

ش : قوله « ذو قدرة » أى صاحب قدرة . والقدرة هى الصفة التى

---

(١٥١) رواه الحاكم والطبرانى فى الكبير عن ابن عباس .
(١٥٢) رواه ابن جرير عن أبي هريرة .

يتمكن الحى من الفعل وتركه بالإرادة . وهى من صفات القهر ، قال الراغب الأصفهانى : فإذا وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل شىء ما وإذا وصف الله تعالى بها فهى نفى العجز عنه ، ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة معنى وإن أطلق عليه لفظاً بل حقه يقال : قادر على كذا ، ومتى قيل هو قادر فعلى سبيل معنى التقييد ولهذا لا أحد غير الله يوصف بالقدرة من وجه إلا ويصح أن يوصف بالعجز من وجه والله تعالى هو الذى ينتفى عنه العجز من كل وجه ، والقدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضى الحكمة لا زائداً عليه ولا ناقصاً عنه . ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله تعالى ، والمقتدر يقاربه ، والمغفرة هى أن يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت قدرته ، والمغفرة من الله والغفران هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب ، والذنوب جمع ذنب وهو الإثم أى ما يحجبك عن الله تعالى ، ولا أبالى أى لا أحتفل ولا أكترث به ، والشرك أن يعتقد أن لله شريكاً أو الكفر ؛ والغنى السعة .

والمعنى أن الله جل اسمه يخبرنا أن من اعتقد فيه أنه جل عزه ذو قدرة على غفران ذنوب العبد إذا أساء وارتكب بعض المعاصى يغفر الله جل جلاله ذلك ولا يبالى أى لا يكترث بذلك ولا يحتفل مهما بلغت ذنوبه فإن جرائم العباد وآثام أهل العناد فى جنب عظمة الرب كذرة صغيرة فى أرض فلاة ولأن الاعتراف بالذنب سبب الغفران إلا إذا أشرك فى أعماله غير الله جل وعز واعتقد ذلك فإن الله لا يغفر له ذنوبه . قال الله تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ ، والشرك أعظم كفر ، قال تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ﴾ ، وهذا الشرك الأكبر ، والشرك الأصغر وهو مراعاة غير الله معه فى بعض الأمور وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله

تعالى : ﴿ شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ ، ومن هذا قوله عليه الصلاة والسلام : « الشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا » ، ومن عمل عملا أشرك فيه غير الله فهو كله لمن أشرك وهو كناية عن رده وعدم قبوله ، والله جل وعز أغنى الشركاء عن الشرك ففيه التنفير من الشرك مطلقاً وأن من أشرك ولو فى بعض أعماله فعمله كله مردود عليه ، والله أعلم .

١٥٣ – « مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِى وَقَدَرِى فَلْيَلْتَمِسْ رَبًّا سِوَاىَ – وَفِى رِوَايَةٍ – غَيْرِى » .

١٥٤ – « مَنْ لَانَ بِحَقِّى وَتَوَاضَعَ لِى وَلَمْ يَتَكَبَّرْ فِى أَرْضِى رَفَعْتُهُ حَتَّى أَجْعَلَهُ فِى عِلِّيِّينَ » .

١٥٥ – « مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِى وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِى فَلْيَلْتَمِسْ رَبًّا سِوَاىَ » .

ش : القضاء والقدر تقدم الكلام عليهما قبل ، والالتماس الطلب ، والرب فى الأصل التربية وهو إنشاء الشىء حالا فحالا إلى حد التمام يقال ربه ورباه وربيه ، ويطلق فى اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربى والقيم والمنعم ،

---

(١٥٣) رواه البيهقى عن ابن عمر والطبرانى وابن حبان عن أبى هند والبيهقى وابن النجار عن أنس .

(١٥٤) رواه أبو نعيم عن أبى هريرة .

(١٥٥) رواه ابن حبان والطبرانى وأبو داود وابن عساكر عن أبى هند الدارى .

ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات ، وإذا أطلق على غيره تعالى أضيف فيقال : رب الدار . ورب الفرس . ومنه قوله تعالى : ﴿ اذكرنى عند ربك ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ فأنساه الشيطان ذكر ربه ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ارجع إلى ربك ﴾ . والسوى الغير ، واللين ضد الخشونة ويستعمل ذلك فى الأجسام ثم يستعار للخلق وغيره من المعانى فيقال : فلان لين وفلان خشن وكل واحد منهما يمدح به طوراً ويذم به طوراً بحسب اختلاف المواقع ، والتواضع تقدم الكلام عليه صفحة ١٧٢ ، ٢١٤ ؛ والكبر ضد التواضع وهو الحالة التى يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره ، وعليين — كما قال الراغب — اسم أشرف الجنان كما أن سجينا اسم شر النيران ، وقيل : بل ذلك فى الحقيقة اسم سكانها وهذا أقرب فى العربية إذ كان هذا الجمع يختص بالناطقين . قال : والواحد على نحو بطيخ ، وقال العلامة ابن الأثير فى النهاية : عليون اسم للسماء السابعة وقيل . هو اسم لديوان الملائكة الحفظة ترفع إليه أعمال الصالحين من العباد ، والصبر لغة الحبس والكف وفى الشرع حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع ، أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه فإن كان حبس النفس لمصيبة سمى صبراً لا غير ويضاده الجزع ، وإن كان فى محاربة سمى شجاعة ويضاده الجبن . وإن كان فى نائبة مضجرة سمى رحب الصدر ويضاده الضجر . وإن كان فى إمساك الكلام سمى كتماناً ويضاده المذل .

والمعنى أن الله جل ذكره يخبرنا فى الحديث الأول أن من لم يرض بقضائه وقدره وسخط ذلك وضجر فليلتمس ويطلب رباً سواه تعالى وكأن المولى يقول لنا : هذا لا يرضانا رباً حين سخط فليتخذ رباً آخر يرضاه ، وهذا غاية التهديد — ولا شك أن الله تبارك اسمه عالم بأحوال العبد وظروفه فإنه

يقضى عليه بأشياء هى خير له إذا اتسع لها صدره و قبلها ووضعها فى محالها واستعملها فى الحكمة والمعرفة و لم يضق بها ذرعاً فإنها تنفعه فى حياته وفى معاده ، وأما إذا تلقاها بسخط و ضجر فإنها تكون عليه وبالا وإثماً ، وهكذا ما قدره الله عز وجل على العبد من الأمور هى فى الحقيقة خير للعبد وأنفع مما يظنه العبد أو يريده فعلى العبد أن يسلم للقضاء والقدر ويحمد الله سبحانه فى السراء والضراء وافق هواه أم لا ويذعن لما قدره و قضاه عليه ، والحديث قال المناوى فى شرح الجامع الصغير : رواه الطبرانى عن أبى هند الدارى وإسناده ضعيف ، ورواه البيهقى عن أنس انتهى .

والحديث الثانى يخبرنا أن من لان وتساهل ووطأ نفسه للأخذ بحق الله وواجبه والقيام بما فرضه عليه من العقائد والأحكام — ولم يجف لها ويخشن ويتباعد من الانقياد لحقه تعالى وأمره — وتواضع واستكان وتذلل تذلل عبد منكسر خاشع لله جل عزه ولم يتكبر فى أرض الله على خلقه رفعه الله جل جلاله منازل عالية حتى يجعله فى أعلى عليين وهو اسم لأشرف الجنان فيحظى بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اللهم إنا نسألك أن توفقنا لطاعتك حتى نفوز بدرجاتك .

والحديث الثالث يخبرنا أن من لم يرض بقضاء الله عز وجل ولم يصبر على بلائه الذى ظاهره بلاء وباطنه دواء وشفاء من الأمراض الظاهرة والباطنة ، والصبر من الصفات التى تحتاج إلى جهاد النفس والشيطان والهوى وهو من آكد المنازل فى طريق المحبة و ألزمها للمحبين وهم أحوج إلى منزلته من كل منزلة ، قال الإمام أحمد بن حنبل : ــذكر الله تعالى الصبر فى القرآن فى نحو تسعين موضعاً على ما حكاه ابن قيم الجوزية فى كتابه مدارج السالكين ، وهو واجب بإجماع الأمة وهو نصف الإيمان فإن الإيمان نصفان . نصف صبر . ونصف شكر ، وهو من الإيمان أيضاً بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان

لمن لا صبر له كما أن لا جسد لمن لا رأس له ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : خير عيش أدركناه بالصبر — وأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح : أنه ضياء ، وقال : « ومن يتصبر يصبره الله » ، وفى الحديث الصحيح « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » ، وأمر الأنصار بأن يتصبروا على الأثرة التى يلقونها بعده حتى يلقوه على الحوض ، وأمر عند ملاقاة العدو بالصبر ، وأمر بالصبر عند المصيبة . وأخبر أنه إنما يكون عند الصدمة الأولى ، وأمر المصاب بأنفع الأمور له وهو الصبر والاحتساب فإن ذلك يخفف مصيبته ويوفر أجره ، والجزع والسخط والتشكى يزيد فى المصيبة ويذهب الأجر ؛ وأخبر أن الصبر خير كله . فقال : « ما أعطى أحد عطاء خيراً له وأوسع من الصبر »

وهو ينقسم إلى ثلاثة أنواع : الأول صبر على طاعة الله تعالى . وصبر عن معصية الله تعالى . وصبر على امتحان الله تعالى : فالأولان صبر على ما يتعلق بالكسب ، والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه ، قال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز عن شأنها أكمل من صبره على إلقاء إخوته له فى الجب ، وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه ، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها ، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر ، وأما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضاء ومحاربة للنفس ، ولا سيما مع الأسباب التى تقوى معها دواعى الموافقة ، فإنه كان شاباً ، وداعية الشباب إليها قوية ، وعزبا ليس له ما يعوضه ويرد شهوته ، وغريباً والغريب لا يستحى فى بلد غربته مما يستحى منه بين أصحابه ومعارفه وأهله ، مملوكاً والمملوك أيضاً ليس وازعه كوازع الحر ، والمرأة جميلة وذات منصب وهى سيدته ، وقد

غاب الرقيب ، وهى الداعية له إلى نفسها ، والحريصة على ذلك أشد الحرص ، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار . ومع هذه الدواعى كلها صبر اختيارا وإيثاراً لما عند الله . وأين هذا من صبره فى الجب على ما ليس من كسبه ؟ وكان يقول : الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل ، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية ، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية انتهى ، وهذا القدر كاف . نسأل الله الصبر .

١٥٦ - «مَنْ لَا يَدْعُونِى أَغْضَبُ عَلَيْهِ» .

ش : الدعاء النداء والابتهال إلى الله بالسؤال . والدعاء إلى الشىء الحث على قصده ، وقد جاء القرآن بالدعاء وحث عليه فى غير آية . قال الله تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لايحب المعتدين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) ، وقال تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعونى استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ ، الآية ، وقال تعالى : ﴿ وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين ﴾ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض » . رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، ورواه أبو يعلى من حديث على ، وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا تعجزوا فى الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد». رواه ابن حبان فى

---

(١٥٦) رواه العسكرى عن أبى هريرة .

صحيحه . والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يذنبه » . رواه ابن حبان فى صحيحه . والحاكم واللفظ له وقال : صحيح الإسناد ، وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الدعاء مخ العبادة » . رواه الترمذى وقال : حديث غريب ، والحافظ المنذرى أورده بصيغة « روى » وهو يدل على ضعفه ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له ، رواه مالك ، والبخارى ، ومسلم ، والترمذى ، وغيرهم ، وفى رواية لمسلم : « إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول : هل من سائل فيعطى ، هل من داع فيستجاب له ، هل من مستغفر فيغفر له ، حتى ينفجر الصبح » ، وهذا الحديث أفرده شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس بن تيمية بالتأليف وشرحه شرحاً لم يترك مجالا ولا كلاماً فإنه حقق ودقق فيه بما لا ترى العيون مثله من فوائد ومسائل وتنشرح له الصدور ، وطبع فى الهند ، وهو من أمهات الكتب التى يؤخذ منها مذهب الإمام الجليل ابن تيمية وعقيدته السلفية الموافقة للكتاب والسنة وجماهير العلماء والمحققين فإنه تكلم على نزول الرب وأتى بأقوال علماء السلف والخلف وحل إشكالات كثيرة ، والكتاب الثانى التوسل والوسيلة فإنه حقق الوسيلة لغة وشرعاً وعرفاً ونفى كل ما فيه شائبة من كفر أو تلويث من رجس ، والكتاب متداول بين أيدى العلماء والعوام ، ومما يستغرب منه أن أبا عبد الله ابن بطوطة قال فى رحلته المسماة تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار أنه رأى عالم الحنابلة تقى الدين بن تيمية كبير الشام وهو يعظ الناس

على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال : إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير فأنكروا عليه لباسها واحتملوه إلى دار عز الدين بن مسلم قاضي الحنابلة فأمر بسجنه وعزره بعد ذلك » إلخ ، فانظر أرشدك الله إلى قول الحق والحجة البينة كيف يكون هذا النقل في نظرك ورأيك ألم يكن تخبط من صاحب الرحلة فإنه سمع هذا القول بزعمه من شيخ الإسلام ابن تيمية ولم يرد عليه قوله أو رفع أمره إلى حاكم تلك الجهة أو شهره بين علماء الشام وغيرها من بلاد الإسلام التي تجول فيها المؤلف واجتمع بملوكها وأمرائها وعلمائها ، ولا ريب أن من يصلي في مسجد عام كمثل هذا يجتمع فيه العالم والجاهل والعاقل والمتعصب فحكاية ابن بطوطة لهذا تحامل منه ظاهر وبعيد كل البعد فإن التلفظ بهذا يعد كفراً فإن الله يقول في كتابه الحكيم : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ، والإمام ابن تيمية يقول على زعم صاحب الرحلة — أن الله له مثل وهذا كفر بإجماع المسلمين فإن كان صحيحاً لقام عليه علماء عصره وقتئذ وكفروه وشكوه إلى الحاكم ولألف في ذلك رسائل رد فيها على ابن تيمية وبيان كفره وكل ذلك لم يحصل فدل على أنه خطأ في النقل . وفي كلام صاحب الرحلة سقط وهو قوله « لا » أي لا كنزولي هذا ، ويشهد لذلك تآليف شيخ الإسلام ابن تيمية ولم نجد أنزه من ابن تيمية في عصره لله تعالى ، وهذا السقط يقع كثيراً في التآليف ، وواجب على العلماء أن يحترموا أنفسهم ويقدروا تفوق غيرهم ويقروا لهم بالفضل والسبق ، وشيخ الإسلام ابن تيمية يرفع الرأس به ويفتخر المسلمون بوجود مثله في عصره فإنه كان هادماً

للتقاليد الضارة وداعية إلى الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله ومن طالع مؤلفاته وترك التعصب لمذهب أو رأى يرى ذلك ويتحقق .

والمعنى أن الله جل اسمه يخبرنا على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن من لا يدعوه يغضب عليه ، ومفهومه أن من يدعوه يحبه ويرضى عنه ويستجيب له ففيه حث على الدعاء والإكثار منه وقد تقدم ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى ذلك ، قال المناوى فى شرح الجامع الصغير فى حديث الكتاب : رواه العسكرى فى كتاب المواعظ عن أبى هريرة بإسناد حسن .

١٥٧ – « هَذَا دِينٌ أَرْتَضَيْتُهُ لِنَفْسِي وَلَنْ يُصْلِحَهُ إِلاَّ السَّخَاءُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ فَأَكْرِمُوهُ بِهِمَا مَا صَحِبْتُمُوهُ » .

ش : الدين — بكسر الدال المهملة وسكون الياء التحتية — وضع إلهى يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أو ما شرع الله لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا به إلى جوار الله تعالى .

والدين ، والملة متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى ديناً ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة ومن حيث إنها يرجع إليها تسمى مذهباً ، وقيل : الفرق بين الدين . والملة . والمذهب ، أن الدين منسوب إلى الله تعالى . والملة منسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . والمذهب منسوب إلى المجتهد . والدين الصحيح هو دين الإسلام ، والسخاء —

---

(١٥٧) رواه الرافعى عن أنس وسمويه وابن عدى والعقيلى والخرائطى والخطيب وابن عساكر والقضاعى عن جابر بلفظ « إن هذا دين » إلخ .

بالمد — الجود والكرم ، والحديث ذكره الغزالى فى الإحياء . قال الحافظ العراقى : رواه الدارقطنى فى المستجاد دون قوله « وحسن الخلق » بسند ضعيف . ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدى من رواية بقية عن يوسف بن السفر عن الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة ، وزاد المدنى فى كتابه الإتحافات السنية ورواه أبو نعيم والضياء المقدسى عن جابر . وقال العقيلى لم يتابع عليه إبراهيم بن أبى بكر بن المنكدر من وجه يثبت ، ويوسف ضعيف ، والخلق تقدم الكلام عليه صفحة ٧٥ ؛ ١٤١ من هذا الكتاب فارجع إليه .

والمعنى — والله أعلم بمراده — أن الله تبارك وتعالى يخبرنا أن الذى اختاره لنفسه وارتضاه لعباده هذا الدين — وهو دين الإسلام — الدين الصحيح الذى ينتهى بانتهاء الدنيا لا دين غيره ولا يقبل من العبد سواه . قال الله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ .

وقوله « ولا يصلحه إلا السخاء » ، هو الجود فيما يملك . واختلف الناس فى تعريفه وكل قال بحسب ذوقه وحاله ، سأل معاوية الحسن بن على رضى الله عنهم عن المروءة ، والنجدة ، والكرم ، فقال : أما المروءة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المسارعة والإقدام فى الكراهية ، وأما النجدة فالذب عن الجار والصبر فى المواطن ، وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والإطعام فى المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل ، وقال على بن الحسين رضى الله عنهما : من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخياً وإنما السخى من يبتدىء بحقوق الله تعالى فى أهل طاعته ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يقينه بثواب الله تماماً ، وقيل للحسن البصرى :

ما السخاء ؟ فقال : أن تجود بمالك فى الله عز وجل ، قيل : فما الحزم ؟ قال أن تمنع مالك فيه . قيل : فما الإسراف ؟ قال : الإنفاق لحب الرياسة . وقيل لسفيان بن عيينة : ما السخاء ؟ قال : البر بالإخوان والجود بالمال . وقيل للأحنف : ما اللؤم . فقال : الاستفضال على الملهوف فقيل : وما الجود ؟ فقال : الاحتيال للمعروف ، وقيل لإبليس : من أحب الناس إليك ؟ فقال : عابد بخيل قيل : فمن أبغض الناس إليك؟ قال : فاسق سخى فينجيه سخاؤه ، وقيل : السخى حر لأنه يملك ماله والبخيل لا يستحق اسم الحرية لأنه يملكه ماله.وهو خلق شريف من جملة أخلاق الأنبياء عليهم السلام ، وكان سيد الخلق وشامة الرسل والأنبياء عليه الصلاة والسلام أكرم الناس وأجودهم وأسخاهم وكان يعطى عطاء من لا يخاف الفقر . وكان عطاؤه كالريح المرسلة ، وكان أصحابه رضى الله عنهم فى السخاء لا يجارون ، وهاك بعض ما ورد فى مدح السخاء ونبذة من سخاء الصحابة وجودهم وكرمهم .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار ، وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار . وجاهل سخى أحب إلى الله من عالم بخيل » ، رواه الترمذى وقال غريب . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما جبل الله تعالى أولياءه إلا على السخاء وحسن الخلق » . رواه ابن عساكر فى التاريخ من رواية عروة مرسلا ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تجافوا عن ذنب السخى فإن الله آخذ بيده كلما عثر » . رواه الطبرانى فى الأوسط ، والخرائطى فى مكارم الأخلاق ، وفى الباب أحاديث كثيرة إلا أنها لا تخلو عن طعن .

ومما يروى عن الأسخياء ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان أجود بالخير من الريح المرسلة . وأنه عليه الصلاة والسلام ما سئل شيئاً قط فقال لا . وأن رجلا سأله فأعطاه غنماً بين جبلين فأتى الرجل قومه فقال : يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، وكان لعثمان على طلحة رضى الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج إلى المسجد فقال له طلحة رضى الله عنه : قد تهيأ مالك فاقبضه . فقال: هو لك يا أبا محمد معونة على مروءتك ، وجاء أعرابي إلى أبى طلحة فسأله وتعرف إليه برحم فقال : إن هذا الرحم ما سألنى بها أحد قبلك فأعطاه ثلاثمائة ألف درهم ، وقال عروة رضى الله عنه : رأيت عائشة رضى الله عنها تقسم سبعين ألفاً وهى ترقع درعها ، وروى أنها قسمت فى يوم ثمانين ومائة ألف بين الناس فلما أمست قالت : يا جارية علىَّ فطورى فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة : أما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحماً نفطر عليه . فقالت : لو ذكرتينى لفعلت ، واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة داره التى فى السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لأهله . مالهؤلاء ؟ قالوا : يبكون على دارهم . قال : يا غلام ائتهم فاعلمهم أن الدار والمال لهم جميعاً ، وقال مصعب بن الزبير : حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن على لأخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه . فلما خرج معاوية قال الحسن إن علينا دينا فلا بد لنا من إتيانه فركب فى أثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه فمروا عليه ببختى عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن الإبل وقوم يسرقون . فقال معاوية : ما هذا ؟ فذكر له . فقال : أصرفوه بما عليه لأبى محمد ، وسأل رجل الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما حاجة . فقال له : يا هذا حق سؤالك إياى يعظم لدى ومعرفتى بما يجب لك تكبر على ويدى تعجز عن نيلك بما أنت أهله والكثير فى ذات الله تعالى قليل وما فى ملكى

وفاء لشكرك فإن قبلت الميسور ورفعت عنى مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حقك فعلت . فقال : يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها . فقال : هات الفاضل من الثلاثمائة ألف درهم فأحضر خمسين ألفاً . قال : فما فعلت بالخمسمائة دينار ؟ قال : هى عندى . قال : أحضرها فأحضرها فدفع الدنانير والدراهم إلى الرجل وقال . هات من يحملها لك ، فأتاه بحمالين فدفع إليه الحسن رداءه لكراء الحمالين . فقال له مواليه : ما عندنا درهم . فقال : أرجو أن يكون لى عند الله أجر عظيم ، وقال أبو الحسن المدائنى : خرج الحسن والحسين ، وعبد الله بن جعفر حجاجاً ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز فى خباء لها فقالوا : هل من شراب ، فقالت نعم فأناخوا إليها وليس لها إلا شويهة فى كسر الخيمة فقالت : احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها : هل من طعام ؟ قالت : لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون . فقام إليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاماً فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها : نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمى بنا فإنا صانعون بك خيراً . ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال : ويلك تذبحين شاتى لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش . قال : ثم بعد مدة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلا وجعلا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فإذا الحسن بن على جالس على باب داره فعرف العجوز وهى له منكرة فبعث إليها غلامه فدعا بالعجوز وقال لها : يا أمة الله أتعرفينى قالت: لا.قال : أنا ضيفك يوم كذا كذا . فقالت العجوز بأبى أنت وأمى . أنت هو ! قال : نعم . ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها مع

غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين : بكم وصلك أخى ؟ قالت : بألف شاة وألف دينار . فأمر لها الحسين أيضاً بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله ابن جعفر فقال لها : بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت : بألفى شاة وألفى دينار . فأمر لها عبد الله بألفى شاة وألفى دينار وقال لها : لو بدأت بى لأتعبتهما فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار . انتهى ، أقول وهذا لا يستكثر من آل بيت النبوة لأنه جاء من معدنه . والذى جاء من معدنه لا يستغرب منه ، وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال : يا هذا أعنا على الدهر . فقال الرجل لغلامه : ما بقى معك من النفقة فادفعه إليه فصب الغلام فى حجر الأعرابى أربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى . فقال له الرجل ما يبكيك ؟ لعلك استقللت ما أعطيناك . قال : لا ولكنى ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكانى ، وقد تقدم ذكر تراجم الأئمة المذكورة هنا كلهم إلا سمويه فإنه الإمام الحافظ المتقن الطواف أبو بشر إسماعيل بن عبد الله بن مسعود العبدى الأصبهانى له كتاب الفوائد . توفى سنة سبع وستين ومائتين .

١٥٨ ـ « وَجَبَتْ مَحَبَّتِى لِلَّذِينَ يَتَلَاقَوْنَ فِىَّ » .

١٥٩ ـ « وَجَبَتْ مَحَبَّتِى لِلْمُتَحَابِينَ فِىَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِىَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِىَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِىَّ » .

---

(١٥٨) رواه الطبرانى فى الكبير عن عبادة بن الصامت .

(١٥٩) رواه أحمد والحاكم والطبرانى فى الكبير وابن حبان والبيهقى فى معاذ .

١٦٠ – «وَعِزَّتِى لَا أَقْبِضُ كَرِيمَتَىْ عَبْدٍ فَيَصْبِرُ لِحُكْمِى وَيَرْضَى بِقَضَائِى فَأَرْضَى لَهُ بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ»

ش : الحديث الأول والثانى تقدم ذكرهما صفحة ١٣٤ ، ١٣٨ إلا أنه لم يذكر فيهما « يتلاقون » ، واللقاء مقابلة الشيء ومصادفته معاً وقد يعبر به عن كل واحد منهما يقال : لقيه يلقاه لقاء ولقيا ولقية ، واللقاء الملاقاة ، والمتجالسين جمع متجالس ، والتجالس أن يجلس كل واحد إلى الآخر ، والحديث الثالث تقدم ذكر مثله صفحة ١٣ ؛ ٢٠ فلا حاجة للإعادة .

فى هذه الأحاديث الترغيب فى مصاحبة الناس ومحبتهم ومجالستهم وزيارتهم وبذل المعونة لهم وتلاقيهم كل ذلك يكون فى الله تعالى لا لغرض دنيوى ، فإذا كان لله كان متصلا ويدوم وله ثواب عظيم ، وكذلك من طرأ عليه وجع فى عينيه فذهبتا وصبر لحكم الله ورضى بقضائه فالله جل ذكره لا يرضى له بثواب دون الجنة فعلى الإنسان أن يصبر لصدمات الزمن ويتلقاها بصدر رحب وقلب مفعم بالإيمان .

١٦١ – «وَعِزَّتِى وَجَلَالِى وَرَحْمَتِى لَا أَدَعُ فِى النَّارِ أَحَدًا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» .

ش : ألفاظ الحديث تقدم الكلام عليها غير مرة ، وفيه حث وترغيب فى قول لا إله إلا الله ، وفى غير هذا الحديث الترغيب فى قول لا إله إلا الله .

---

(١٦٠) رواه عبد بن حميد وسمويه وابن عساكر عن أنس .

(١٦١) رواه تمام عن أنس بن مالك .

وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإحداهما لا تغنى عن الأخرى فالجملتان لا بد منهما فى دخول الجنة ، وكذلك لا بد من دخول الجنة مباشرة من الأعمال المفروضة على الإنسان من صلاة وصيام وزكاة وغير ذلك كما هو مبين فى غير هذا الموضع وأن تكون خالصة من كل شائبة رياء وعجب وكبر أو يحمل على أن هذا كان فى ابتداء الإسلام قبل أن تشرع الفرائض ، قال الحافظ عبد العظيم المنذرى فى كتابه — الترغيب والترهيب — : وقد ذهب طوائف من أساطين أهل العلم إلى أن مثل هذه الإطلاقات التى وردت فيمن قال لا إله إلا الله دخل الجنة أو حرم الله عليه النار ونحو ذلك إنما كان فى فى ابتداء الإسلام حين كانت الدعوة إلى مجرد الإقرار بالتوحيد فلما فرضت الفرائض وحدت الحدود نسخ ذلك . والدلائل كثيرة متظاهرة . وإلى هذا القول ذهب الضحاك . والزهرى . وسفيان الثورى . وغيرهم . وقالت طائفة أخرى : لا احتياج إلى ادعاء النسخ فى ذلك فإن كل ما هو من أركان الدين وفرائض الإسلام هو من لوازم الإقرار بالشهادتين وتمامه فإذا أقر ثم امتنع عن شىء من الفرائض جحدا أو تهاونا على تفصيل الخلاف فيه حكمنا عليه بالكفر وعدم دخول الجنة وهذا القول أيضاً قريب ، وقالت طائفة أخرى : التلفظ بكلمة التوحيد سبب يقتضى دخول الجنة والنجاة من النار بشرط أن يأتى بالفرائض ويجتنب الكبائر فإن لم يأت بالفرائض ولم يجتنب الكبائر لم يمنعه التلفظ بكلمة التوحيد من دخول النار ، وهذا قريب مما قبله أو هو هو ، انتهى .

١٦٢ - « وَعِزَّتِى وَوَحْدَانِيَّتِى وَٱرتِفَاعِ مَكَانِى وَاحْتِيَاجِ خَلْقِى إِلَىَّ واسْتَوائِى عَلَى عَرْشِى إِنِّى لَأَسْتَحِى مِنْ عَبْدِى وَأَمَتِى يَشِيبَانِ فِى الإِسْلَامِ ثُمَّ أُعَذِّبُهُمَا » .

ش : سبق الكلام على بعض ألفاظه وبعضها ظاهر لا يحتاج إلى تفسير .

والمعنى والله أعلم أن الله جل وعز يخبرنا ويقسم لنا ببعض صفاته أنه ليستحى من عبده وأمته يشيبان فى الإسلام ثم يعذبهما بسبب ما ارتكبوه من المخالفات والمعاصى ، وفيه حث وترغيب فى الاستقامة وحسن العمل والمواظبة على الفرائض والمندوبات وعدم التساهل فى ذلك ، فإذا كان المولى جل جلاله يستحى من أن يعذب عبده أو أمته بسبب اقترافهما الذنوب لأنهما كبرا وشابا فى الإسلام أفلا يكون الأولى بالعبد والأمة أن يستحييا أن يعصيا الله تعالى وهما على تلك الحالة ! اللهم عذراً وتوفيقاً فإنك حليم عدل حكيم رءوف رحيم بعبادك .

١٦٣ - « وَعِزَّتِى وَجَلَالِى لَأَنْتَقِمَنَّ مِنَ الظَالِمِ فِى عَاجِلِهِ وآجِلِهِ وَلَأَنْتَقِمَنَّ مِمَّنْ رَأَى مَظلوما فَقَدَرَ أَنْ ينصُرَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ » .

ش : تقدم ذكر الحديث صفحة ١٦٤ ، مع تغيير قليل فى بعض ألفاظه وأشبعنا الكلام عليه هناك فارجع إليه .

---

(١٦٢) رواه الخليلى والرافعى عن أنس .

(١٦٣) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط عن ابن عباس .

١٦٤ — «وَمَنْ أَظلَم مِمنْ ذهَبَ يَخلقُ خَلْقا كَخَلقِى فَلْيخلُقُوا ذَرّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حبةً أَوْ لِيخلُقوا شَعِيرَةً» .

ش : قوله «ذهب» قصد ، والذرة — بتشديد الراء وفتحها — واحدة الذر وهو النمل الأحمر الصغير . وسئل ثعلب عنها فقال : إن مائة نملة وزن حبة والذرة واحدة منها ، وقيل : الذرة ليس لها وزن ويراد بها ما يرى فى شعاع الشمس الداخل فى النافذة ، والحبة والشعيرة معلومان .

والمعنى — والله أعلم — أن الله عز وجل يخبرنا أن لا أحد أظلم ممن يذهب ويقصد أن يخلق خلقاً كخلق الله عز وجل — وهو كناية عن التصوير الذى فى استطاعة العبد لا الإيجاد الذى ليس فى استطاعته ، أو نسب الخلق إليهم على سبيل الاستهزاء والتهكم بهم — ثم أمرهم بأن يخلقوا ذرة — وهى التى لا جرم لها — أمر تعجيز وتحقير وهو إشارة إلى ما ليس له جرم محسوس أو بأن يخلقوا حبة قمح بدليل قوله : «أو ليخلقوا شعيرة» ، إشارة إلى ما له جرم . وفيه التنديد بصنعة التصوير والتهديد للمصورين ولذلك وردت أحاديث كثيرة فيها ذم التصوير ووعيد المصورين بالعذاب الأليم سيأتى ذكرها فى محل أليق من هذا إن شاء الله تعالى .

قال الحافظ شهاب الدين أحمد العسقلانى فى شرح هذا الحديث : وقوله «ومن ذهب» ، أى قصد ، وقوله : «يخلق كخلقى» . نسب الخلق إليهم على سبيل الاستهزاء أو التشبيه فى الصورة فقط ، وقوله : «فليخلقوا ذرة أو شعيرة» . أمر بمعنى التعجيز وهو على سبيل الترقى فى الحقارة أو التنزل فى

---

(١٦٤) رواه أحمد والشيخان عن ابن عباس .

الإلزام . والمراد بالذرة إن كان النملة فهو من تعذيبهم وتعجيزهم بخلق الحيوان تارة وبخلق الجماد أخرى ، وإن كان بمعنى الهباء فهو بخلق ما ليس له جرم محسوس تارة وبما له جرم أخرى ، ويحتمل أن يكون « أو » شكًّا من الراوى ، قال ابن بطال: قوله فى حديث عائشة وغيره . يقال لهم : « أحيوا ما خلقتم ». إنما نسب خلقها إليهم تقريعاً لهم بمضاهاتهم الله تعالى فى خلقه فبكتهم بأن قال إذا شابهتم بما صورتم مخلوقات الله تعالى فأحيوها كما أحيا هو ما خلق ، وقال الكرمانى : أسند الخلق إليهم صريحاً وهو خلاف الترجمة لكن المراد كسبهم فأطلق لفظ الخلق عليهم استهزاء أو ضمن خلقتهم معنى صورتهم تشبيهاً بالخالق أو أطلق بناء على زعمهم فيه . انتهى .

فإن قيل : الكافر أظلم فكيف عبر هنا بأظلم ؟ أجيب بأنه إذا صور الصنم للعبادة كان كافراً فهو هو ويزيد عذابه على سائر الكفار بقبح كفره .

١٦٥ — « لَا إِلٰه إِلاَّ اللهُ كلَامى وَأَنا هو. فَمَنْ قَالها دَخلَ حِصْنى وَأَمِنَ عِقَابِى » .

١٦٦ — «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حِصْنِى . وَمَنْ دَخلَ حِصْنِى أَمِن مِنْ عَذَابِى » .

ش : الحصن — بكسر الحاء وسكون الصاد المهملتين — فى اللغة المكان الذى لا يقدر عليه لارتفاعه ومناعته ، وجمعه حصون ، وفى اصطلاح أهل الحرب عبارة عن مكان معد لدفع حملات العدو ومهاجماته . وأسباب حصانته

---

(١٦٥) رواه ابن النجار عن على .

(١٦٦) رواه أبو نعيم وابن النجار وابن عساكر عن على .

قد تكون طبيعية كالآجام والأنهار أو صناعية كالأسوار والمتاريس الخشبية أو الحجرية أو الترابية أو الحديدية ، والحصون فى أول أمرها كانت بسيطة على حسب أزمنتها ثم ترقت واستحدثت حصون منيعة بطرز غير الطرز الأول فكان أول إنشائها عند اختراع البارود واستعماله فى الحروب. ويضرب المثل فى عصرنا الحاضر بخط ماجينو الفرنسى وخط سيجفريد الألمانى والأول أحصن وأتقن وأقوى صرف عليه ملايين من الدنانير حتى أصبح الوحيد فى هذا العصر — أعنى القرن الرابع عشر الهجرى — يقال : إن فرنسا أنفقت على خط ماجينو وتحصينه ما يساوى ثمن مائة بارجة عظيمة من التى تفريغ الواحدة منها خمسة وثلاثون ألف طن وثمن مائة بارجة من هذا القدر يبلغ فى أيامنا هذه على حسب تقدير الخبيرين بذلك ألف مليون جنيه على الأقل ، وعن قريب سنسمع ما يحصل هل الألمانيون يهاجمونه مهما كلفهم من النفقات والقتلى والجرحى ؟ ، والعقاب — بكسر العين المهملة — الجزاء بالشر ، وقيل : هو ما يلحق الإنسان بعد الذنب من المحنة فى الآخرة ، قال الأصفهانى فى مفرداته : والعقوبة . والمعاقبة والعقاب يختص بالعذاب ، والعذاب فى أصل كلام العرب الضرب ثم استعمل فى كل عقوبة مؤلمة . واستعير للأمور الشاقة فقيل : السفر قطعة من العذاب .

والمعنى — والله أعلم — أن الله جل ذكره يخبرنا أن كلمة لا إله إلا الله كلامه فمن قالها ونطق بها واعتقد ذلك دخل حصن البارى جل وعز وتحصن به وامتنع من أن يمس بسوء وأمن عقاب الله جل وعلا وعذابه يوم القيامة ، ولا شك أن من دخل حصناً من الحصون المنيعة المستحكمة البنيان أمن من العدو ووقى من الأذى على فرض أن خصمه لم يتمكن من مناهضته وتخريب حصنه ومحاصرته فهو لم يأمن ذلك ولم يذهب خوفه إلا إذا خابت مساعى عدوه وفشل تمام الفشل وتركه وذهب من حيث أتى بخلاف حصن الرب جل ذكره

من دخله كان آمناً من كل عدو وحركة مطمئن القلب هادىء البال منشرح الصدر ، وإذا علم الإنسان ذلك فليكثر من ذكرها ، وقد ورد أن أفضل شيء قاله النبيون لا إله إلا الله ، وروى البزار والإمام أحمد بن حنبل عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله : « من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ! أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه » . رواه البخارى ، وفيه دليل على أن الله تبارك وتعالى يتصف بصفة الكلام وهو مذهب أهل السنة والجماعة وهو المذهب الحق والطريق الواضح . نسأل الله تعالى أن يميتنا عليه .

ذكر الحاكم فى تاريخ نيسابور ونقله عنه المناوى أن علياً الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين لما دخل نيسابور كان فى قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة الرازى ، وابن أسلم الطوسى ومعهما من أهل العلم والحديث من لا يحصى فقالا : أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك نذكرك به ؟ فاستوقف غلمانه وأمر بكشف المظلة وأقر عيون الخلائق برؤية طلعته فكانت له ذؤابتان متدليتان على عاتقه والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك وصارخ ومتمرغ فى التراب ومقبل لحافر بغلته وعلا الضجيج فصاحت الأئمة الأعلام : معاشر الناس أنصتوا واسمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم وكان المستملى أبو زرعة ، والطوسى . فقال الرضى : حدثنا أبى موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق

عن أبيه محمد الباقر عن أبيه على زين العابدين عن أبيه شهيد كربلاء عن أبيه على المرتضى قال : حدثنى حبيبى وقرة عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : حدثنى جبريل عليه السلام قال : حدثنى رب العزة سبحانه يقول : كلمة لا إله إلا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى. ثم أرخى الستر على القبة وسار فعد أهل المحابر والدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً .

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيرى : اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية فكتبه بالذهب وأوصى أن يدفن فى قبره فروئى فى النوم بعد موته فقيل ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى بتلفظى بلاإله إلا الله وتصديقى بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر الجمال الزرندى فى معراج الوصول أن الحافظ أبا نعيم روى هذا الحديث بسنده عن أهل البيت إلى على سيد الأولياء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأنبياء حدثنى جبريل عليه السلام سيد الملائكة قال : قال الله تعالى : « إنى أنا الله لاإله إلا أنا فاعبدنى فمن جاء منكم بشهادة أن لاإله إلا الله بالإخلاص دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى » . الشيرازى فى الألقاب ، عن على ، أمير المؤمنين ، ونحوه خبر الحاكم فى تاريخه وأبو نعيم عن على أيضاً لاإله إلا الله حصنى إلخ ، قال الحافظ العراقى إسناده ضعيف ، وقول الديلمى حديث ثابت مردود ، انتهى .

١٦٧ – « لَا أَتَقَبَّلُ إِلَّا مَا ابْتُغِىَ بِهِ وَجْهِى » .

---

(١٦٧) رواه البخارى فى تاريخه عن أنس .

ش : الابتغاء طلب الشيء . يقال : ابتغيت الشيء وتبغيته طلبته مثل بغيته .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا أنه عز وجل لا يتقبل من أحد إلا ما طلب وقصد وجهه يعني خالصاً من شوائب المصالح الدنيوية ولذلك أمرنا في كتابه أن نعبده مخلصين قال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ . وانظر إلى مثل من يخلص في عمله ويبتغي به وجه الله . قال الله تعالى : ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ﴾ ، وروى البخاري عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في فم امرأتك » . فقيد النفقة بطلب وجه الله فيها وعلق عليها الثواب لذلك ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية كثيرة في ذلك .

١٦٨ – « لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِى خَوْفَين وَلاَ أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَين . إِذَا أَمِنَنِى فِى الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ . وإِذَا خَافَنِى فِى الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ » . وروى موصولاً بلفظ « إِنْ هُوَ أَمِنَنِى فِى الدُّنْيَا أَخَفْتُه يَوْمَ أَجْمَعُ عِبَادِى وَإِنْ هُوَ خَافَنِى فِى الدُّنْيَا أَمَّنْتُه يَوْمَ أَجْمَعُ عِبَادِى » .

ش : الخوف والأمن تقدم الكلام عليهما غير مرة ، والحديث ذكره

---

(١٦٨) رواه ابن المبارك عن الحسن مرسلا ورواه أبو نعيم عن شداد بن أوس موصولا .

السيوطى فى الجامع الصغير باللفظ الثانى وعزاه إلى الحلية ، وقال المصنف فى شرحه : ورواه البزار . والبيهقى عن أبى هريرة .

والمعنى أن الله سبحانه يخبرنا أنه لا يجمع على عبده خوفين ولا أمنين فمن خاف الله تعالى فى الدنيا بأن تباعد عن الذنوب والآثام وأقبل على الطاعات المندوبات فإن الله لم يخفه يوم القيامة من أهوالها وشدائد أحوالها وكذلك من أمن عذاب الله فى الدنيا واطمأن بسبب ما يسوله الشيطان له من عظيم عفو الله تعالى فيركن إليه ويسبح فى غمرات الشهوات ويتمتع فى لذات الدنيا ومناهيها فإن الله سبحانه وتعالى لا يؤمنه يوم القيامة يوم العرض عليه بل يخيفه يوم جمع الناس وعرضهم .

ولا شك أنه كلما اشتد خوف العبد من الله فى الدنيا كان أبعد عن ارتكاب ما يخل به عقلا وشرعاً وعادة وكلما قل خوفه كثرت جرأته على المخالفات وإتيانها فمن كان خوفه فى حياته الدنيا شديداً كان أمنه يوم القيامة أكثر وبالعكس ، وهذا معنى قول بعض العارفين لأن الشخص لما صلى حر مخالفة الهوى فى الدنيا لم يذقه الله كرب الحر فى العقبى ، قال القرطبي : فمن استحى من الله تعالى مما يصنع استحى الله عن سؤاله فى القيامة ولم يجمع عليه حياءين كما لم يجمع عليه خوفين . وقال : الحر إلى نار الحق فى الدنيا للمعترف رحمة من عذاب النار تفديه من نار السطوة فى الآخرة ، ومحمد عليه الصلاة والسلام يعطى الأمن يوم القيامة حتى يتفرغ للشفاعة وما ذاك إلا من الخوف الذى كان علاه أيام الدنيا فلم يجتمع عليه خوفان ، فكل من كان له حظ من اليقين فعاين منه ما ذاق من الخوف بقدر ما ذاق هنا ، قال العارفون : الخوف خوفان ، خوف عقاب وخوف جلال ، والأول يصيب أهل الظاهر والثانى يصيب أهل القلوب ، والأول يزول والثانى لا يزول . والله أعلم .

١٦٩ ـ «لَا أُذْهِبُ حَبِيبَتَيْ عَبْدِي فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ إِلَّا أَثَبْتُهُ بِهِمَا الْجَنَّةَ» .

ش : تقدم ذكره غير مرة فلا حاجة لإعادة الكلام عليه إلا أنه عبر هنا بحبيبتى عبدى ، وهناك بكريمتى عبدى سماهما هنا كذلك لما فيهما من جلب المسار ودفع المضار وتوقى الأخطار ، وسماهما كريمتين لكثرة منافعهما ديناً ودنيا ولأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوت رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به أو شر فيجتنبه . والله أعلم .

١٧٠ ـ « لَا يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ أَكُنْ قَدْ قَدَّرْتُهُ وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إِلَى القدَرِ وَقَدْ قدرْتُهُ أَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ فَيُؤْتِينِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يُؤْتِنِي عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ » .

ش : يقال نذرت أنذر ـ بكسر الذال المعجمة ـ وأنذر ـ بضمها ـ نذراً إذا أوجبت على نفسك شيئاً متبرعاً من عبادة أو صدقة أو غير ذلك لحدوث أمر ، والقدر ـ بفتح الدال المهملة ـ تقدم الكلام عليه صفحة ١٥٦ ـ ١٥٧ فارجع إليه ، والبخل إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود يقال بخل فهو باخل . وأما البخيل فالذى يكثر منه البخل كالرحيم من الراحم ، وقيل : هو المنع من مال نفسه والشح هو بخل الرجل من مال

---

(١٦٩) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى هريرة .
(١٧٠) رواه أحمد والبخارى والنسائى عن أبى هريرة .

غيره ، وقيل ترك الإيثار عند الحاجة ، وقيل البخل محو صفات الإنسانية وإثبات عادات الحيوانية ، وقد جاء آيات قرآنية وأحاديث نبوية فى ذم البخل كثيرة ليس هنا محل ذكرها .

والمعنى — والله أعلم — أن الله جل ذكره يخبرنا على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن ابن آدم إذا نذر شيئاً بسبب حادث من الحوادث بأن يقول إذا شفيت من مرضى فعلى كذا وكذا أو إن رد غائبى على لأفعلن كذا وكذا أو إن قضيت حاجتى فلأعملن كذا وكذا هذا النذر لا يرد من قضاء الله وقدره شيئاً إذا زعم الزاعم ذلك بل يستخرج به من البخيل ماله ويلزم ذلك شرعاً .

وقد اختلف العلماء فى مشروعيته والنهى عنه . قال العلامة أبو السعادات فى النهاية : وقد تكرر فى الأحاديث ذكر النهى عنه وهو تأكيد لأمره وتحذير عن التهاون به بعد إيجابه ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يفعل لكان فى ذلك إبطال حكمه وإسقاط لزوم الوفاء به إذا كان بالنهى يصير معصية فلا يلزم وإنما وجه الحديث أنه قد أعلمهم أن ذلك أمر لايجر لهم فى العاجل نفعاً ولا يصرف عنهم ضراً ولا يرد قضاء فقال : لا تنذروا على أنكم قد تدركون بالنذر شيئاً لم يقدره الله لكم أو تصرفون به عنكم ما جرى به القضاء عليكم فإذا نذرتم ولم تعتقدوا هذا فاخرجوا عنه بالوفاء فإن الذى نذرتموه لازم لكم. انتهى ، وقال البيضاوى : عادة الناس تعليق النذر على تحصيل منفعة أو دفع مضرة فنهى عنه لأنه فعل البخلاء إذا السخي إذا أراد أن يتقرب بادر إليه والبخيل لا تطاوعه نفسه بإخراج شيء من يده إلا فى مقابلة عوض يستوفيه أولا فيلتزمه فى مقابلة ما يحصل له وذلك لايغنى من القدر شيئاً فلا يسوق إليه خيراً لم يقدر له ولا يرد عنه شراً قضى عليه لكن النذر قد يوافق القدر فيخرج من

البخيل ما لولاه لم يكن ليخرجه . قال ابن العربي : فيه حجة على وجوب الوفاء بما التزمه الناذر لأن الحديث نص على ذلك بقوله يستخرج به فإنه لو لم يلزمه إخراجه لما تم المراد من وصفه بالبخل من صدور النذر عنه إذ لو كان مخيراً فى الوفاء لاستمر لبخله على عدم الإخراج ؛ وقد روى الترمذى من حديث أنس رضى الله عنه : « إن الصدقة تدفع ميتة السوء » ، ما يخالف ظاهره قوله عليه الصلاة والسلام : « إن النذر لا يرد القدر » ، وجمع بينهما بأن الصدقة تكون سبباً لدفع ميتة السوء والأسباب مقدرة كالمسببات وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لمن سأله عن الرقى : هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ قال : « هى من قدر الله » . أخرجه أبو داود والحاكم ، ونحوه قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « نفر من قدر الله إلى قدر الله » ، قال ابن العربى : النذر شبيه بالدعاء فإنه لا يرد القدر ولكنه من القدر أيضاً ومع ذلك فقد نهى عن النذر وندب إلى الدعاء والسبب فيه أن الدعاء عبادة عاجلة و يظهر به التوجه إلى الله والتضرع له والخضوع وهذا بخلاف النذر فإن فيه تأخير العبادة إلى حين الحصول وترك العمل إلى الضرورة ، وفى الحديث أن كل شيء يبتدئه المكلف من وجوه البر أفضل مما يلتزمه بالنذر قاله الماوردى ، وفيه الحث على الإخلاص فى عمل الخير وذم البخل وأن من اتبع المأمورات واجتنب المنهيات لا يعد بخيلا . انتهى من فتح البارى باختصار .

وقد وقع الإجماع على صحة النذر ووجوب الوفاء به إذا كان الملتزم به طاعة فإن كان معصية أو مباحاً كدخول السوق فإنه لا ينعقد نذره ولا كفارة عليه عند الشافعى وجمهور العلماء ، وأما ما يفعل فى هذا الزمن من النذور لغير الله تعالى فى مصر وغيرها بأن يقول إن شفى مريضى أو قضيت حاجتى فعلى للشيخ الفلانى شاة أو بقرة أو غير ذلك فهذا من النذور الباطلة التى لم تشرع . قال الإمام الرافعى فى شرح المنهاج : وأما النذر للمشاهد التى على

قبر ولى أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد فى تلك البقعة من الأولياء والصالحين فإن قصد الناذر بذلك — وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة — تعظيم البقعة والمشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت أو بنيت على اسمه فهذا النذر باطل غير منعقد فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات ويرون أنها مما يدفع بها البلاء ويستجلب بها النعماء ويستشفى بالنذر لها من الأدواء حتى انهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم أنه استند إليها عبد صالح وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت ويقولون : القبر الفلانى أو المكان الفلانى يقبل النذر يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب أو سلامة مال وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقاً ، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء فإن الناذر لا يقصد بذلك الإيقاد على القبر إلا تبركاً وتعظيماً ظاناً أن ذلك قربة فهذا مما لا ريب فى بطلانه والإيقاد المذكور محرم سواء انتفع به هناك منتفع أم لا ، قال الشيخ قاسم الحنفى فى شرح درر البحار : النذر الذى ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتى إلى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول : يا سيدى فلان إن رد الله غائبى أو عوفى مريضى أو قضيت حاجتى فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع والزيت كذا ، فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه : منها أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ، ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك ، ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله واعتقاد ذلك كفر . إلى أن قال : إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت

وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقرباً إليها محرم بإجماع المسلمين . نقله عنه ابن نجيم فى البحر الرائق ، ونقله المرشد فى تذكرته وغيرهما عنه وزاد : قد ابتلى الناس بهذا لا سيما فى مولد البدوى . وقال الشيخ صنع الله الحلبى الحنفى فى الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء : فهذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان فهو لغير الله فيكون باطلا . وفى التنزيل : ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ ، ﴿قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين * لا شريك له﴾ . والنذر لغير الله إشراك مع الله كالذبح لغيره .

١٧١ – «لَا يَذْكُرُنِى عَبْدِى فِى نَفْسِهِ إِلَّا ذَكَرْتُهُ فِى مَلَأٍ مِنْ مَلَائِكَتِى وَلَا يَذْكُرُنِى فِى مَلَأٍ إِلَّا ذَكَرْتُهُ فِى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»

ش : لفظ الذكر والعبد ، والملأ والملائكة تقدم الكلام عليها قبل فلا داعى للاعادة . والرفيق الأعلى هو جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين وهو اسم جاء على فعيل ومعناه الجماعة كالصديق والخليط يقع على الواحد والجمع ، وذكر الحديث الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب إلا أنه زاد « الملأ » بعد لفظ « الرفيق » ، وقال : رواه الطبرانى بإسناد حسن ، والملأ أشراف الناس ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم وجمعه أملاء .

والمعنى أن الله جل جلاله يخبرنا أن عبده إذا ذكره فى نفسه ذكره الله تعالى فى ملأ من ملائكته ولا يذكره العبد فى ملأ إلا ذكره الله تعالى فى الرفيق الأعلى أى فى جماعة هم خير من جماعة العبد وهذا غاية الفضل . ففيه الحث على الذكر والإكثار منه وقد تقدم ما فيه الكفاية .

---

(١٧١) رواه الطبرانى فى الكبير عن معاذ بن أنس .

١٧٢ – لَا يَشْرَبُ عَبْدٌ مُسْلِمٌ شَرْبَةً مِنْ خَمْرٍ إِلَّا سَقَيْتُهُ بِمَا انْتَهَكَ مِنْهَا مِنَ الْحَمِيمِ مُعَذَّبٌ بَعْدُ أَوْ مَغْفُورٌ لَهُ وَلَا يَتْرُكُهَا وَهُوَ عَلَيْهَا قَادِرٌ ابْتِغَاءَ مرضَاتِي إِلَّا سَقَيْتُهُ مِنْهَا فَأَرْدَيْتُهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدُسِ » .

ش : الخمر تقدم الكلام عليها صفحة ٢٠١ من هذا الكتاب ، والانتهاك المبالغة فى خرق محارم الشرع وإتيانها ، والحميم الماء الشديد الحرارة ، وأرديته جعلته مرتدياً فى حظيرة القدس لا يصيبه سوء أبداً وقد ذكرنا تفسيرها صفحة ٢٠١ ، وأورد الحديث الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد بأطول من هذا وقال فى آخره : رواه كله أحمد . والطبرانى وفيه على بن يزيد وهو ضعيف .

والمعنى أن الله سبحانه يخبرنا أن العبد المسلم لا يشرب شربة من خمر فى الدنيا إلا سقاه بسبب ما انتهك وخرق من محارم الشرع ماء شديد الحرارة سواء كان يعذب بعد ذلك أو يغفر له ، ولا يترك عبد شرب الخمر فى الدنيا وهو قادر عليها قاصداً بذلك الترك وجه الله وابتغاء مرضاته إلا سقاه الله منها وعوضه خيراً منها ألا وهى خمر الجنة التى قال الله فى وصفها : ﴿ بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴾ ، اللهم أذقنا لذتها فى الآخرة ولاتحرمنا منها . وبعد ذلك يرديه الله جل ثناؤه فى حظيرة القدس وهى الجنة وقد تقدم الكلام على الخمر ومضارها بما فيه الكفاية ، والله أعلم .

---

(١٧٢) رواه الطبرانى عن ابن عمر .

١٧٣ – «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدِي أَنْ يقُولَ : أَنَـا خَيْرٌ مِنْ يُونُس بْنِ مَتَّى » .

ش : لا ينبغي أي لا يجوز ولا يليق ، ويونس فيه ست لغات أو أوجه ضم النون وكسرها وفتحها مع الهمز وتركه والفصيح ضمها بلا همز وبه جاء القرآن ، ومتى اسم أبيه وهو بفتح الميم وتشديد التاء المثناة فوق مقصوراً ويونس عليه الصلاة والسلام نبي من أنبياء الله عز وجل الصالحين وآيات كثيرة من القرآن تنطق بفضله ومكانته .

والمعنى : لا ينبغي ولا يليق ولا يجوز لعبدى ، وفى رواية « لعبد لى يقول » وفى روايه « لعبد يقول » ، أى من الأنبياء أنا خير من يونس بن متى أى من حيث النبوة فإن الأنبياء فيها سواء وإنما التفاوت فى الدرجات ونحوها . أو المراد لا ينبغى لعبد بلغ كمال النفس والصبر على الأذى أن يرجح نفسه على يونس لأجل ما حكيت عنه من قلة صبره على أذى قومه لأن تلك أمور خارجة وللعلماء فى هذا وجهان أحدهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال هذا قبل أن يعلم أنه أفضل من يونس فلما علم ذلك قال : أنا سيد ولد آدم ولم يقل هنا أن يونس أفضل منه عليه الصلاة والسلام أو من غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، والثانى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : هذا زجراً عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئاً من حط مرتبة يونس صلى الله عليه وآله وسلم من أجل ما فى القرآن العزيز من قصته ، قال العلماء : وما جرى ليونس صلى الله عليه وآله وسلم لم يحطه من النبوة مثقال ذرة . وخص يونس بالذكر لما ذكرناه من ذكره فى القرآن بما ذكر ، وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١٧٣) رواه مسلم عن أبي هريرة .

لا ينبغي لعبدى أن يقول أنا خير من يونس فالضمير في أنا قيل يعود إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل يعود إلى القائل ، أى لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين فى عبادة أو علم أو غير ذلك من الفضائل فإنه لو بلغ من الفضائل ما بلغ لم يبلغ درجة النبوة ، ويؤيد هذا التأويل بعض روايات مسلم «لا ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» أفاده النووى رحمه الله تعالى .

وحاصل قصته عليه الصلاة والسلام كما فى القرآن الحكيم . قال الله تعالى فى سورة يونس : ﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ ، وقال جل وعز فى سورة الأنبياء : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين ﴾ . وقال تعالى فى سورة الصافات : ﴿وإن يونس لمن المرسلين * إذ أبق إلى الفلك المشحون * فساهم فكان من المدحضين * فالتقمه الحوت وهو مليم * فلولا أنه كان من المسبحين * للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون * فنبذناه بالعراء وهو سقيم * وأنبتنا عليه شجرة من يقطين * وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون * فآمنوا فمتعناهم إلى حين ﴾ ، وقال جل وعز فى سورة نون : ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم * لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم * فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ﴾ .

وحاصل ما قاله المفسرون فى قصة يونس بن متى عليه السلام : إن الله بعثه إلى أهل نينوى — بكسر النون الأولى ، وضم الثانية — من أرض الموصل فدعاهم إلى الله عز وجل فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم فلما خرج من بين ظهرانيهم وتحققوا نزول العذاب قذف الله فى قلوبهم التوبة والإنابة

وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجوا إلى الله عز وجل وصرخوا وتضرعوا إليه وتمسكنوا لديه وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات وجأرت الأنعام والدواب والمواشى فرغت الإبل وفصلانها وخارت البقر وأولادها وثغت الغنم وحملانها وكانت ساعة عظيمة هائلة فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته ، عنهم العذاب الذى كان قد اتصل بهم بسبب ، ودار على رءوسهم كقطع الليل المظلم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها ﴾ ، أى هلا وجدت فيما سلف من القرون قرية آمنت بكمالها فدل على أنه لم يقع ذلك بل كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا فى قرية من نبى إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ . وقوله : ﴿ إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ أى آمنوا بكمالهم ، وقد كان قومه مائة ألف ، وقيل غير ذلك ، واختلف العلماء أيضاً فى إرسال يونس إليهم هل كان قبل الحوت أو بعدها أو هما أمتان على ثلاثة أقوال ذكرت فى الكتب المطولة ، والمقصود أنه عليه الصلاة والسلام لما ذهب مغاضباً بسبب قومه ركب سفينة فى البحر فلجت بهم واضطربت وماجت بهم وثقلت بما فيها وكادوا يغرقون فاشتوروا فيما بينهم على أن يقترعوا فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتحفظوا منه — وكان من عادة الناس فى ذاك الزمن متى حصل لهم مثل ذلك فى سفينة علموا أن فى السفينة عبداً آبقاً أو رجلا آثماً فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبى الله يونس فلم يسمحوا به لظهور الصلاح وسمة الأخلاق السمحة فيه فأعادوها ثانية فوقعت عليه أيضاً فشمر ليخلع ثيابه ويلقى بنفسه إلى البحر فأبوا عليه ذلك ثم أعادوا القرعة ثالثة فوقعت عليه أيضاً لما يريده الله تعالى به من الأمر العظيم والتشريع الحكيم . قال

الله تعالى : ﴿ وإن يونس لمن المرسلين * إذ أبق إلى الفلك المشحون * فساهم فكان من المدحضين * فالتقمه الحوت وهو مليم ﴾ . وذلك أنه لما وقعت عليه القرعة ألقى فى البحر وبعث الله عز وجل حوتاً من البحر فالتقمه وأمره الله تعالى أن لا يأكل له لحماً ولا يهشم له عظماً فليس لك برزق فأخذه فطاف به البحار وقيل : أنه ابتلع ذلك الحوت حوت آخر أكبر منه ، ولما استقر فى جوف الحوت حسب أنه قد مات فحرك جوارحه فتحركت فإذا هو حى فخر لله ساجداً وقال : يا رب اتخذت لك مسجداً لم يعبدك أحد مثله .

واختلفوا فى مقدار لبثه فى بطن الحوت فقال مجالد عن الشعبى : التقمه ضحى ولفظه عشية وقال قتادة : مكث فيه ثلاثة ، وقال جعفر الصادق سبعة أيام ويشهد له شعر أمية بن أبى الصلت :

وأنت بفضل منك نجيت يونسا وقد بات فى أضعاف حوت لياليا

وقيل غير ذلك والله أعلم كم مقدار ما لبث فيه .

قال الحافظ ابن كثير : والمقصود أنه لما جعل الحوت يطوف به فى قرار البحار اللجية ويقتحم به لجج الموج الأجاجى فسمع تسبيح الحيتان للرحمن وحتى سمع تسبيح الحصى لفالق الحب والنوى ورب السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى فعند ذلك وهنالك قال ما قال بلسان الحال والمقال كما أخبر عنه ذو العزة والجلال الذى يعلم السر والنجوى ويكشف الضر والبلوى سامع الأصوات وإن ضعفت وعالم الخفيات وإن دقت ومجيب الدعوات وإن عظمت حيث قال فى كتابه المبين المنزل على رسوله الأمين وهو أصدق القائلين ورب العالمين وآله المرسلين : ﴿ وذا النون إذ ذهب — إلى أهله — مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت

سبحانك إنى كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين ﴾ ، والله أعلم .

١٧٤ – « يَا آدَمُ إِنِّى عَرَضْتُ الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْض فَلَمْ تُطِقْهَا فَهَلْ أَنْتَ حَامِلُهَا بِمَا فِيهَا؟ قَالَ : وَمَالِى فِيهَا؟ قَالَ : إِنْ حَمَلْتَهَا أُجِرْتَ وَإِنْ ضَيَّعْتَهَا عُذِّبْتَ . فَقَالَ : قَدْ حَمَلْتُهَا بِمَا فِيهَا فَلَمْ يَلْبَثْ فِى الْجَنَّةِ إِلَّا مَا بَيْنَ صَلَاة الأُولى وَالعَصْر حَتَّى أَخْرَجَهُ الشَّيْطَانُ مِنْهَا »

ش : آدم وزنه أفعل والألف منه مبدلة من همزة وهى فاء الفعل لأنه مشتق من أديم الأرض أى وجهها أو من الأدمة أى لونها ولا يجوز أن يكون أصله فاعلا بفتح العين إذ لو كان كذلك لانصرف كعالم وخاتم والتعريف وحده لا يمنع الصرف وليس بعجمى .

والعرض – بفتح العين المهملة وسكون الراء – البدو والظهور يقال : عرض الشيء له أظهره له وعرض المتاع للبيع أظهره لذوى الرغبة ليشتروه ، والشيء عليه أراه إياه ، والأمانة ضد الخيانة ، والمراد بها هنا كما ذكره الراغب الأصفهانى كلمة التوحيد وقيل العدالة وقيل حروف التهجى وقيل العقل وهو صحيح فإن العقل هو الذى لحصوله يتحصل معرفة التوحيد وتجرى العدالة وتعلم حروف التهجى بل لحصوله تعلم كل ما فى طوق البشر تعلمه وفعل ما فى طوقهم من الجميل فعله وبه فضل على كثير ممن خلقه ، انتهى.

---

(١٧٤) رواه أبو الشيخ عن ابن عباس .

والسموات والأرض معلومة ، وقوله : « لم يلبث » لم يمكث . وصلاة الأولى الفجر .

والمعنى — والله أعلم — أن الله عز وجل يخاطب آدم عليه السلام ويخبره أنه تعالى عزه عرض الأمانة إلخ .

وآدم عليه السلام كنيته أبو البشر ، ويقال أبو محمد خلقه الله عز وجل بيده وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته واصطفاه وكرم ذريته وعلمه جميع الأسماء وجعله أول الأنبياء وعلمه ما لم يعلم الملائكة المقربين وجعل من نسله الأنبياء والمرسلين والأولياء والصديقين . قال الله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ الآية ، وثبت فى صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الله تعالى خلق آدم يوم الجمعة » واشتهر فى كتب الحديث والتواريخ أنه عاش ألف سنة ، وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم أشبه الناس بآدم عليه السلام ، قال أبو إسحق الزجاج . اختلفت الآيات فيما بدىء به خلق آدم ففى موضع خلقه الله تعالى من تراب . وفى موضع من طين لازب وفى موضع من حمأ مسنون وفى موضع من صلصال . قال : وهذه الألفاظ راجعة إلى أصل واحد وهو التراب الذى هو أصل الطين فأعلمنا الله عز وجل أنه خلقه من تراب جعل طيناً ثم انتقل فصار كالحمأ المسنون ثم انتقل فصار صلصالا كالفخار ؛ وفى عصرنا الحاضر ادعى رجل من دمنهور مصر أن آدم ليس بنبى وأنكر نبوته جهاراً وقامت عليه القيامة ورفعت عليه دعوى أمام المحكمة الشرعية وصدر عليه الحكم بالتفريق بينه وبين زوجته لردته بذلك الإنكار وشنع عليه وطرد من بلده دمنهور ، ولما استأنف الحكم إلى محكمة الإسكندرية أنكر ذلك وحاور فى كلامه وقال أمام رؤساء المحكمة فى عقد الجلسة أنه لم ير لفظاً فى القرآن يذكر آدم بالنبوة وأنه يعتقد ويقر بنبوته فصدر الحكم بإلغاء

الحكم الأول وأعيدت إليه زوجته ، وهذا ليس عمل الرجل الذى يعتقد شيئاً ويدافع عنه ، ويرجع القهقرى وهذا الرجل له سقطات كثيرة ، أسأل الله تعالى هدايته .

قال الأستاذ النجار : إن القرآن الكريم وإن لم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء كاسماعيل وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم فقد ذكر أنه خاطبه بلا واسطة وشرع له فى ذلك الخطاب فأمره ونهاه وأحل له وحرم عليه بدون أن يرسل إليه رسولا وهذا هو كل معانى النبوة فمن هذه الناحية نقول أنه نبي وتطمئن أنفسنا بذلك .

وأما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه وشأننا أن نفوض علم ذلك إلى الله تعالى على أنى رأيت فى حديث أبى هريرة فى الشفاعة الواردة فى صحيح مسلم أن الناس يذهبون إلى نوح ويقولون له أنت أول رسل الله إلى الأرض فلو كان آدم رسولا لما ساغ هذا القول ، والعلماء القائلون برسالة آدم يؤولون ذلك بأن نوحاً أول رسول بعد الطوفان وهو تأويل متكلف .

وعرض الأمانة إبرازها وإظهارها فى معرض المحسوسات وليس ببعيد على الله جل ذكره أن يظهر المعانى فى قالب المحسوس لتشاهد وترى وخاق الله تعالى للسموات والأرض والجبال فهماً وتمييزاً فخيرت فى الحمل فأبت فيكون الكلام حقيقياً ويشهد لهذا ما قاله الحافظ ابن الجوزى أن الله عز وجل لما خلق آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح مثلت له الأمانة بصخرة ثم قال للسموات احملى هذه فأبت وقالت : إلهى لا طاقة لى بها وقال سبحانه للأرض احمليها . فقالت : لا طاقة لى بها ، وقال تعالى للجبال : احمليها . فقالت : لا طاقة لى بها فأقبل آدم عليه السلام فحركها بيده وقال : لو شئت لحملتها فحملها حتى بلغت حقويه ثم وضعها على عاتقه فلما أهوى ليضعها نودى من

جانب العز : يا آدم مكانك لا تضعها فهذه الأمانة قد بقيت فى عنقك وعنق أولادك إلى يوم القيامة ولكم عليها ثواب فى حملها وعقاب فى تركها . انتهى ، وهذا ظاهر فى أن الحمل على حقيقته أو هو تمثيل نزل المعانى لتحققها منزلة ما يحس ويبصر وأسند لها العرض ونزل السموات والأرض منزلة من يعقل وأسند لها الإباء ، والله أعلم .

والأمانة هى التكاليف وقبول الأوامر والنواهى بشرطها وهو أنه إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفق الله ، وروى عن الحسن البصرى رحمه الله أنه تلا هذه الآية : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ﴾ . قال عرضها على السبع الطباق الطرائق التى زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم فقيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت : وما فيها ؟ قال : قيل لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت . قالت : لا . ثم عرضها على الأرضين السبع الشداد التى شدت بالأوتاد وذللت بالمهاد . قال : فقيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت : وما فيها ؟ قال : قيل لها أن أحسنت جزيت ، وإن أسأت عوقبت . قالت : لا . ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصعاب الصلاب . قال : قيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت : وما فيها ؟ قال : قيل لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت . قالت :لا ، وأمر السموات والأرض بحمل الأمانة أمر تخيير لا أمر تكليف لذلك لم يكن الإباء منهن معصية ، والله أعلم .

وقصة آدم عليه السلام مع إبليس عليه لعنة الله مذكورة فى الكتاب الحكيم وسنن من بالمؤمنين رءوف رحيم . وحاصل قصته أن الله تعالى أخبرنا فى كتابه المكنون فى سورة البقرة : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون * وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على

الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم أنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون * وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين * وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين * فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه التواب الرحيم * قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ .

وذكرت أيضاً قصته عليه السلام فى القرآن الكريم فى سورة الأعراف والإسراء ، والكهف ، وطه ، وصاد ، كلها وردت بمعنى واحد لا يختلف ولكن بعبارات مختلفة اللفظ فقط ، وذلك مما يدل على إعجاز القرآن الحكيم فإن أكتب الكاتبين وأبلغ البلغاء المشهورين وأفصح فرسان المنشئين إذا كتب قصة مرة يستحيل عليه أن يكتبها مرة أخرى بألفاظ غير الأولى مع المحافظة على المتانة فى الأسلوب والبلاغة فى التعبير كما تراه فى القرآن المنزل على سيد البشر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد أراد المولى جل ذكره أن يظهر شرف آدم وفضله على سائر المخلوقات فقدمها عليه فى الخلق ولهذا قالت الملائكة ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منا فلما خلق آدم وأمرهم بالسجود له ظهر فضله وشرفه عليهم بالعلم والمعرفة فلما وقع فى الذنب ظنت الملائكة أن ذلك الفضل قد نسخ ولم تطلع على عبودية التوبة الكامنة فلما تاب إلى ربه وأتى بتلك العبودية علمت الملائكة أن لله فى خلقه سراً لا يعلمه

سواه ، ولما علم السيد أن ذنب عبده لم يكن قصداً لمخالفته ولا قدحاً فى حكمته علمه كيف يعتذر إليه : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ . العبد المخلص لا يريد بمعصيته مخالفة سيده ولا الجرأة على محارمه ولكن غلبات الطبع وتزيين النفس والشيطان وقهر الهوى والثقة بالعفو ورجاء المغفرة هذا من جانب العبد. وأما من جانب الربوبية فجريان الحكم وإظهار عز الربوبية وذل العبودية وكمال الاحتياج وظهور آثار الأسماء الحسنى كالعفو والغفور والتواب والحليم لمن جاء تائباً نادماً والمنتقم والعدل وذى البطش الشديد لمن أصر ولزم المجرة فهو سبحانه يريد أن يرى عبده تفرده بالكمال ونقص العبد وحاجته إليه ويشهده كمال قدرته وعزته وكمال مغفرته وعفوه ورحمته . وكمال بره وستره وحلمه وتجاوزه وصفحه وإن رحمته به إحسان إليه لا معاوضة وإنه إن لم يتغمده برحمته وفضله فهو هالك فلله كم فى تقدير الذنب من حكمة وكم فيه مع تحقيق التوبة للعبد من مصلحة ورحمة . التوبة من الذنب كشرب الدواء للعليل ورب علة كانت سبب الصحة .

لعــل عتبك محمود عواقبه ... وربما صحت الأجساد بالعلل

وقوله : « حتى أخرجه الشيطان منها » ، أى من الجنة بسبب ماوسوس له إبليس حتى أخرجه حسداً وبغضاً . نسأل الله السلامة .

١٧٥ ـ «يَا ابْنَ آدَمَ إِذَا ذَكَرْتَنِى خَالِياً ذَكَرْتُكَ خَالِياً وَإِذَا ذَكَرْتَنِى فى مَلأٍ ذَكَرْتُكَ فِى مَلأٍ خَيْرٍ مِنَ الَّذِينَ تَذْكُرُنِى فِيهِمْ » .

---

(١٧٥) رواه البزار عن ابن عباس .

ش: تقدم الكلام عليه صفحة ١٤٦ بلفظ : « عبدى إذا ذكرتنى خالياً ذكرتك خالياً » إلخ ، وفى صفحة ١٨ بلفظ : « إذا ذكرنى عبدى خالياً ذكرته خالياً » إلخ ، فارجع إليهما .

١٧٦ – « يَا ٱبْنَ آدَمَ مَهْمَا عَبَدْتَنِى وَرَجَوْتَنِى وَلَمْ تُشْرِكْ بِى شَيْئًا غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَإِنِ اسْتَقْبَلْتَنِى بِمِلءِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَطَايَا وَذُنُوباً ٱسْتَقْبَلْتُكَ بِمِلْئِهِنَّ مَغْفِرَةً وَأَغْفِرُ لَكَ وَلَا أُبَالِى »

ش: مهما اسم شرط زمان . والرجاء ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة والملء – بكسر أوله وسكون ثانيه – ما يملأ الشيء وباقى ألفاظ الحديث تقدم الكلام عليها غير مرة .

المعنى – والله أعلم – أن الله جل ذكره يخاطب عباده ويخبرهم أن أحدهم مهما عبده فى أى زمان ووقت ورجاه ولم يشرك به شيئاً وفعل ما فعل من المعاصى يغفرها له ويسترها عليه بعدم العقاب فى الآخرة وإن استقبله بما يسع السموات والأرض من الخطايا والذنوب – على فرض إبرازها بصور مجسمة محسوسة – يستقبله الله جل اسمه بملئهن – أى بملء السموات والأرض مغفرة ويغفرها له ولا يبالى ولا يكترث بذنوبه ولا يستكثرها وإن كثرت فلا يتعاظمه جل وعلا شيء، ولأنه لا حجر عليه تعالى فيما يفعله، أو معنى لا أبالى لا أشغل بالى به ، وهذا يدل دلالة واضحة أنه لا أقبح ذنباً من الشرك وأنه لا يغفر لصاحبه وأن أجمل شيء وأعلاه هو التوحيد وهو مفزع أعداء الله جل ذكره

---

(١٧٦) رواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى والشيرازى عن أبى الدرداء .

وأوليائه فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها . قال الله تعالى : ﴿ فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ ، وأما أولياؤه رضى الله عنهم وأرضاهم فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها ولذلك فزع إليه يونس بن متى فنجاه الله من تلك الظلمات وقد تقدم الكلام على ذلك قريباً ؛ وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون فى الدنيا وما أعد لهم فى الآخرة ، لما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه لأن الإيمان عند المعاينة لا يقبل هذه سنة الله فى عباده فما رفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد ودعوة ذى النون التى ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد فلا يلقى فى الكرب العظام إلا الشرك ولا ينجى منها إلا التوحيد فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها أفاده ابن قيم الجوزية فى كتابه الفوائد ، قال العلماء : لا يوجد فى الأحاديث أرجى من هذا الحديث ، قال بعض العلماء : لا يجوز لأحد أن يغتر به ويقول : أكثر من الخطيئة ليكثر الله مغفرتى وإنما قاله لئلا ييأس المذنبون من رحمته ولله مغفرة وعقوبة لكن مغفرته أكثر لكن لا يعلم أحد أنه من المغفورين أو من المعاقبين فينبغى التردد بين الخوف والرجاء .

وقال العلامة الطيبى : هذا عام خص بحسب الأحوال والأزمان فإن جانب الخوف ينبغى رجحانه ابتداء والرجاء انتهاء أو مطلق محمول على المقيد بالمشيئة فى ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ، أو بالعمل الصالح مع الإيمان ، والحديث رواه الطبرانى وغيره كما قال المصنف ، وقال أيضاً فى شرح الجامع الصغير : رمز المصنف لحسنه . قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الثلاثة وفيه إبراهيم بن إسحق الضبى . وقيس بن الربيع وفيهما خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح .

وقع هنا فى الحديث « مهما عبدتنى » ، وسيأتى ذكره بعد بلفظ « دعوتنى » ، والله أعلم .

١٧٧ — « يَـا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ فَإِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْآى سَحًّا لَا يَغِيضُهـا شَىْءٌ بـاللَّيْلِ وَلا بـالنَّهَارِ » .

ش : تقدم الكلام على هذا الحديث صفحة ١١١ إلا أنه أورده بلفظ : « أنفق أنفق عليك » مختصراً على هذا اللفظ وأسنده إلى الإمام أحمد والشيخين عن أبى هريرة وقوله : « يمين الله » ، سبق ذكر ما كان فى معناه مما أضيف إلى الله تعالى ويوهم التشبيه وتحقيق ذلك فلاحاجة إلى الإعادة وقوله « سحا » بفتح السين والتنوين وفى رواية « سحاء » بالمد ، قال العلامة مجد الدين أبو السعادات فى النهاية : « يمين الله سحاء لا يغيضها شيء بالليل والنهار» . أى دائمة الصب والهطل بالعطاء يقال سح يسح سحا فهو ساح والمؤنثة سحاء وهى فعلاء لا أفعل لها كهطلاء ، وفى رواية « يمين الله ملأى سحا » بالتنوين على المصدر ، ولا يغيضها شيء أى لا ينقصها . يقال غاض الماء يغيض وغضته أنا وأغضته غيضة وأغيضه .

والمعنى — والله أعلم — أن الله جل ذكره أمر عباده أن ينفقوا مما رزقهم الله جل وعز على الفقراء والمساكين ومصالح الناس ومرافقهم ولا يمسكوا أيديهم ويبخلوا خوفاً من أن ينفد ما فى أيديهم من المال فإن رازقهم الله سبحانه وتعالى يعطيهم خلفه بل أكثر منه أضعافاً مضاعفة . قال الله تعالى ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ﴾ ولا ينفد ما عنده من الرزق فيقتر على خلقه بل خزائنه ملأى بالخيرات لا تبيد ولا تنقص ، قال العلامة الطيبى : هذا مشاكلة لأن إنفاق الله لا ينقص من خزائنه شيئاً وهذا ظاهر لأنه إذا أنفق

---

(١٧٧) رواه الدارقطنى عن أبى هريرة .

ظهر بصورة الفقر والعبودية والسخاء فاستحق نظر الحق إليه من جهة فقره الذى لابد من جبره ومن جهة مقابلة وصفه بوصف ربه وظهور معانى أسمائه فكأنه قال لعبده عند إنفاقه أتتسخى على وأنا خلقت السماء ؟ وقد امتثل المصطفى صلى الله عليه وسلم أمر ربه فكان أكثر الناس إنفاقاً وأكملهم جوداً ، والله أعلم .

١٧٨ — « يَا ابْنَ آدَمَ أَفْرِغْ مِنْ كَنْزِكَ عِنْدِى وَلَا حَرَقَ وَلَا غَرَق وَلَا سَرَقَ أُوفِيكَهُ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ »

ش : أفرغ من كنزك أبذله وأنفقه ، والكنز فى الأصل — بفتح الكاف وسكون النون — ماادخر وجمع من مال ودفن فى الأرض ، والمراد به هنا ما ادخر عند الله من ثواب وأجر .

والمعنى — والله أعلم بمراده — أن الله جل ذكره يخبرنا عن لسان نبيه عليه الصلاة والسلام ويحثنا على الإنفاق فى سبيل الله ويبين لنا أن الكنز الموجود لأحدنا عند الله تعالى من البر والإخلاص والعمل الصالح مملوء ، ولا يصل إليه الحرق ولا الغرق ولا أحد يقدر أن يمد إليه يداً بسرقة ، وزيادة على ذلك فإن أحدنا إذا أنفق كنزه وبذل جهده فى وجوه الخير والسبل المشروعة فإن الله تعالى يوفيه إياه فى وقت ما يكون العبد أحوج إليه ، فإذا علم العبد ذلك ازداد إنفاقاً وتوسع فى قضاء مصالح الناس ، وأعان الفقير والمسكين وابن السبيل وغيرهم ممن يستحق ذلك وفقنا الله وإياك إلى ذلك .

قال الحافظ المنذرى . رواه الطبرانى والبيهقى وقال : هذا مرسل والله أعلم.

---

(١٧٨) رواه البيهقى عن الحسن مرسلا .

١٧٩ ــ يابْنَ آدَمَ اثْنَتانِ لَمْ يَكُنْ لَكَ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا جَعَلْتُ لَكَ نَصِيباً مِنْ مَالِكَ حِينَ أَخَذْتُ بِكَظَمِكَ لأُطَهِّرَكَ بِهِ وَأُزَكِّيكَ وَصَلاَةُ عِبَادِي عَلَيْكَ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِكَ » .

ش: تقدم ذكره صفحة ١٣٤ فراجعه . قال الفاكهانى : من خصائص هذه الأمة الصلاة على الميت والإيصاء بالثلث .

١٨٠ ــ «يَا ابْنَ آدَمَ إِنْ تَبْذُلِ الفَضْلَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ وَإِنْ تُمْسِكْهُ فَهُوَ شَرٌّ لَكَ وَلَا تُلَامُ عَلَى الكَفَافِ وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنْ اليَدِ السُّفْلَى » .

ش: يقال بذل المال بذلا من باب قتل سمح به وأعطاه وبذله أباحه عن طيب نفس و ــ إن ــ هنا بكسر الهمزة وجزم تبذل وضبطها النووى فى شرح مسلم بفتح الهمزة والفعل بعدها منصوب والذى يعين الجزم هنا قوله فى الجواب فهو خير لك ، والفضل ما زاد على قدر الحاجة . والكفاف ــ بفتح الكاف ــ ما كف عن الحاجة إلى الناس مع القناعة لا يزيد على قدر الحاجة . وبمن تعول أى بمن تمون وتلزمك نفقته من عيالك ، يقال عال الرجل عياله يعولهم إذا قام بما يحتاجون إليه من قوت وكسوة وغيرهما وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

---

(١٧٩) رواه ابن ماجة عن ابن عمر .
(١٨٠) رواه البيهقى عن أبى أمامة .

والمعنى أن الله تعالت أسماؤه يخبرنا أن ابن دم إذا بذل ما فضل عن حاجته ولم يدخره كان خيراً له وإن أمسكه وادخره ولم ينفقه فى المصالح الحيوية والمشاريع الشرعية كان شراً له ولا تلام على كفاف أى ما كف عن الحاجة أى إذا لم يكن عندك كفاف لم تلم على أن لا تعطى أحداً ، وقدم فى النفقة وابدأ بمن تعوله ويجب عليك نفقته من عيال وأهل وأقارب لأنهم أحق من الغير فيجب عليه أن يقدم نفسه لحديث : « فابدأ بنفسك ثم بمن تعول » . قال الإمام النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم : معناه أن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه وإن أمسكته فهو شر لك لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه وفوت مصلحة نفسه فى آخرته وهذا كله شر . ومعنى لا تلام على كفاف إن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه ، وهذا إذا لم يتوجه فى الكفاف حق شرعى كمن كان له نصاب زكوى ووجبت الزكاة بشروطها وهو محتاج إلى ذلك النصاب لكفافه وجب عليه إخراج الزكاة ويحصل كفايته من جهة مباحة . ومعنى ابدأ بمن تعول أن العيال والقرابة أحق من الأجانب ، انتهى . واليد العليا خير من اليد السفلى . جاء فى صحيح البخارى ومسلم تفسير اليد العليا بالنفقة من الإنفاق والسفلى بالسائلة . وذكره أبو داود عن أكثر الرواة . ورواه عبد الوارث عن أيوب عن نافع عن ابن عمر : العليا المتعففة بالعين من العفة ورجح الخطابى هذه الرواية . قال : لأن السياق فى ذكر المسألة والتعفف عنها . والصحيح الرواية الأولى ويحتمل صحة الروايتين فالمنفقة أعلى من السائلة والمتعففة أعلى من السائلة ؛ وقال بعض العلماء : العليا الآخذة والسفلى المانعة . والمراد بالعلو علو الفضل والمجد ونيل الثواب . وذكر هذا الحديث فى مسلم على أنه حديث نبوى لا قدسى ، والله أعلم .

١٨١ - «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِى يَاابْنَ آدَمَ لَوْ أَنَّكَ أَتَيْتَنى بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِى لَا تُشْرِكُ بِى شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» .

ش : تقدم ذكره غير مرة وسيذكره المصنف أيضاً بعد مع اختلاف فى بعض الألفاظ وأشرنا إلى ذلك فى محله .

١٨٢ - «يَاابْنَ آدَمَ إِنْ ذَكَرْتَنِى ذَكَرْتُكَ وَإِنْ نَسِيتَنِى ذَكَرْتُكَ فَإِذَا أَطَعْتَنِى فَاذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ مَحَلَّ تُوالِينِى وَأُوَالِيكَ وَتُصَافِينِى وَأُصَافِيكَ وَتُعْرِضُ عَنِّى وَأَنَا مُقْبِلٌ عَلَيْكَ مَنْ أَوْصَلَ إِلَيْكَ الغِذَاءَ وَأَنتَ جَنِينٌ فى بَطْنِ أُمِّكَ لَمْ أَزَلْ أُدَبِّرُ فِيكَ تَدْبِيراً حَتَّى أَنْفَذْتُ إِرَادتِى فِيكَ فَلَمَّا أَخْرَجْتُكَ إِلَى دَارِ الدُّنْيَا أَكْثَرْتَ المَعَاصِىَ مَا هَكَذَا جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ» .

ش : الموالاة القرب والعناية والتناصر وهى من قبيل المشاكلة ، والمصافاة الإخلاص فى الود ، والجنين الولد ما دام فى البطن وجمعه أجنة ، وأنفذت إرادتى أمضيتها وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

---

(١٨١) رواه الترمذى والقضاعى عن أنس وابن النجار عن أبى هريرة .
(١٨٢) رواه أبو نصر ربيعة بن على العجلى والرافعى عن ابن عباس .

والمعنى أن الله تعالت أسماؤه وتنزهت صفاته يخبرنا أنه جل ذكره يذكر عبده وأمته فى كل حال سواء ذكره عبده وأمته أو نسياه وذكر العبد خالقه بأن يعكف على المأمورات ويتباعد عن المنهيات ونسيانه بأن يلهو ويلعب وينهمك فى ما لا ثواب فيه ولا أجر.وهذا من كرم الله تعالى الذى أسدله على عبده بأن لا ينساه لا فى الطاعة ولا فى حال المعصية فواجب على العبد أن لا يغفل عن الله تعالى وينساه فالمعصية والغفلة عن ذكر الله تعالى تتولد منهما أشياء كثيرة مضرة فى العبد حالا ومآلا كما يتولد الزرع عن الماء والإحراق عن النار . منها قلة التوفيق وفساد القلب والرأس وخفاء الحق . وخمول الذكر . وإضاعة الوقت ونفرة الخلق والوحشة بين العبد وبين ربه ومنع إجابة الدعاء . وقسوة القلب ومحق البركة فى الرزق والعمر ، وحرمان العلم ، ولباس الذل ، وإهانة العدو ، وضيق الصدر والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ، وطول الهم والغم ، وضنك المعيشة وكسف البال ، وأضداد هذه تتولد عن الطاعة فأسأل الله العظيم أن يوفقنا لطاعته ويجنبنا معصيته إنه سميع الدعاء .

فإذا أطاع العبد ربه فليذهب حيث شاء محل يوالى العبد ربه ويتصل به ويناصره ويصافيه ويخلص له العمل كما أن الله جل ذكره كذلك ، وانظر كيف يخبرنا الله تعالى أنه يقبل على عبده ولو فى حال إعراض العبد عنه وهى حال نسيان الله تعالى وانهماكه فى المحذورات ثم يعدد الله جل ذكره نعمه على عبده وهو جنين فى بطن أمه وهى حال عجز العبد عن القدرة والاكتساب وعدم دفع الأذى عنه منها أنه لا يزال الله تعالى يدبر فيه تدبيراً من منى إلى نطفة إلى مضغة إلى علقة مخلقة وتقدير عمر وتسجيل حياة هل هو سعيد أم شقى حتى إذا ما تكاملت أيامه ونضج برز إلى عالم الوجود فى أحسن تقويم وأبهى صورة فكان جزاء من فعل ذلك الشكر الدائم والطاعة المستمرة إلا أن الإنسان

ليطغى أن رآه استغنى ، فعند ما يقوى وتدب فيه الحواس وتركب فيه الشهوة يميل إلى المخالفات ويؤثر حب النفس وميل الهوى ووساوس الشيطان ويطيعها وينسى الله تعالى ما هكذا جزاء من أحسن إليك فنسأل الله الهداية واللطف .

١٨٣ – « يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَوْ أَتَيْتَنِى بِملْءِ الْأَرْضِ خَطَايَا أَتَيْتُكَ بِمِلْءِ الْأَرْضِ مَغْفِرَةً مَا لَمْ تُشْرِكْ بِى وَلَوْ بَلَغَتْ خَطَايَاكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِى لَغَفَرْتُ لَكَ » .

ش : سبق ذكره غير مرة ، والعنان –بفتح أوله– السحاب واحده عنانة .

١٨٤ – « يَا ابْنَ آدَمَ قُمْ إِلَىَّ أَمْشِ إِلَيكَ وَامْشِ إِلَىَّ أُهَرْوِلْ إِلَيْكَ » .

١٨٥ – « يَا ابْنَ آدَمَ إِنْ ذَكَرْتَنِى فِى نَفْسِكَ ذَكَرْتُكَ فِى نَفْسِى وَإِنْ ذَكَرْتَنِى فى مَلَإٍ ذَكَرْتُكَ فى مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّى شِبْراً دَنَوْتُ مِنْكَ ذِراعاً وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّى ذِرَاعاً دَنَوْتُ مِنْكَ بَاعاً وَإِنْ أَتَيْتَنِى تَمْشِى أَتَيْتُكَ هَرْوَلَةً » .

---

(١٨٣) رواه الطبرانى فى الثلاثة عن ابن عباس .

(١٨٤) رواه أحمد عن رجل من الصحابة .

(١٨٥) رواه أحمد وعبد بن حميد عن أنس .

١٨٦ – « يَا ابنَ آدَمَ ثَلَاثُ خِصالٍ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ لِى وَوَاحَدُةٌ لكَ وَوَاحِدَةٌ فِيمَا بَيْنِى وَبَيْنَكَ فَأَمَّا الَّتِى لِى فَتَعْبُدُنِى لَا تُشْرِكُ بِى شَيْئًا وَأَمَّا الَّتِى لَكَ فَمَا عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ جَزَيْتُكَ بِهِ فَإِنْ أَغْفِرْ فَأَنَا الغفُورُ الرَّحِيمُ وَأَمَّا الَّتِى بَيْنِى وَبَيْنَكَ فَعلَيْكَ الدُّعَاءُ وَالْمُسَاءَلَةُ وَعَلَىَّ الاسْتِجَابَةُ وَالعَطَاءُ » .

ش : الحديث الأول والثانى تقدم ذكر مثلهما بألفاظ قريبة من هذه صفحة ١٤ فارجع إليه ، والحديث الثالث تقدم ذكره صفحة ٢٩ مع زيادة خصلة رابعة وهى بين العبد وغيره يرضى للحق ما يرضاه لنفسه وقد ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ورمز لحسنه . قال المناوى فى شرحه هناك : قال الهيثمى وفيه حميد بن الربيع مدلس وفيه ضعف .

١٨٧ – « يَا ابْنَ آدَمَ إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْكَ فَصَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولى لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا دُونَ الجَنَّةِ »

ش : الصدم ضرب الشىء الصلب بمثله والصدمة المرة منه والصدمة الأولى عند قوة المصيبة وشدتها ، والحديث تكرر ذكره غير مرة بألفاظ مختلفة . انظر صفحة ١٤ ، ٢٠

---

(١٨٦) رواه الطبرانى فى الكبير عن سلمان .

(١٨٧) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة .

١٨٨ – « يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَعْجِزْ عَنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ » .

ش : تقدم ذكر مثله بألفاظ قريبة من هذه صفحة ١٢٦ ، فارجع إليه .

١٨٩ – «يَاابْنَ آدَمَ إِذَا ذَكَرْتَنِى شَكَرْتَنِى وَإِذَا نَسِيتَنِى كَفَرْتَنِى »

ش : الشكر تصور النعمة وإظهارها . قيل : وهو مقلوب عن الكشر أى الكشف ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها ، والشكر على ثلاثة أضرب شكر القلب وهو تصور النعمة . وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم . وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه ، والكفر نوعان كفر عناد وإنكار كأن يعرف الحق وينكره ويعاند فى قبوله كأصحاب الكتب المنزلة على غير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم يعرفونه حقيقة وينكرونه عناداً ، وكفر جحود بأن يقر ويعترف ولا ينقاد لبعض الأحكام الفرعية غير المجمع عليها أو لا يعمل بعلمه كمن ينسى نعم الله جل ذكره ولا يشكره عليها ويذكره بأن يقوم بتأدية الحقوق المطلوبة ، والذكر تقدم الكلام عليه وفضله غير مرة .

والمعنى أن ابن آدم إذا ذكر الله جل وعز فهو يشكره ، وإذا نسى ذكر الله تعالى فهو يكفره لأنه كفر إنعام الله تعالى عليه وأفضاله ، قيل مكتوب فى فى التوراة : « عبدى اذكرنى إذا غضبت أذكرك إذا غضبت فإذا ظلمت فاصبر فإن نصرتى لك خير من نصرتك لنفسك وحرك يدك أفتح لك باب

---

(١٨٨) رواه أحمد ومسلم عن أبى الدرداء .

(١٨٩) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة وابن شاهين والخطيب والديلمى .

الرزق » ، قال المؤلف فى فيض القدير : قال الهيثمى فيه أبو بكر الهمذانى وهو ضعيف اهـ . وأورده ابن الجوزى فى الواهيات ، وقال : لا يصح .

١٩٠ – « يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِى أَمْلَأْ قَلْبَكَ غِنًى وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ رِزْقًا . يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَبَاعَدْ مِنِّى فَأَمْلَأْ قَلْبَكَ فَقْراً وَأَمْلَأْ يَدَكَ شُغْلاً » .

١٩١ – « يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِى أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وأَسُدَّ فَقْرَكَ وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ » .

ش : تقدم الكلام على مثلهما صفحة ٩ فارجع إليه ، وقال الترمذى فى الحديث الثانى : حسن غريب .

١٩٢ – « يَاجِبْرِيلُ مَا ثَوَابُ عَبْدِى إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْهِ إِلاَّ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِى وَالْجِوَارَ فى دَارِى » .

ش : جبريل هو الملك أمين الوحى إلى رسل الله عليهم الصلاة والسلام وفيه تسع لغات حكاهن – كما قاله النووى فى تهذيب الأسماء واللغات – ابن الأنبارى وابن الجواليقى : جبريل وجبريل بكسر الجيم وفتحها وجبرئل

---

(١٩٠) رواه الحاكم عن معقل بن يسار .

(١٩١) رواه أحمد والترمذى وابن ماجة والحاكم عن أبى هريرة .

(١٩٢) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى ظلال القسملى .

بفتح الجيم وهمزة مكسورة وتشديد اللام وجبرائل بعدها ياء وجبراييل بياءين بعد الألف وجبرئيل بهمزة بعد الراء وياء وجبرئل بكسر الهمزة وتخفيف اللام مع فتح الجيم والراء وجبرين وجبرين بفتح الجيم وكسرها ، ويقال لجبريل الناموس — بالنون — كما ثبت فى الصحيحين فى حديث المبعث ، قال أهل اللغة : الناموس صاحب سر الرجل الذى يطلعه على باطن أمره ، وقيل : الناموس صاحب خبر الخير والجاسوس صاحب خبر الشر ، وقد تظاهرت الدلائل على عظم مرتبة جبريل عليه السلام وورد أكثر من آية أو حديث فى فضله وكمال منزلته وكان يأتى النبى عليه الصلاة والسلام فى صورة دحية الكلبى ورأته الصحابة حين جاء فى صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد . فسأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهم يرونه ويسمعونه عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة وأمارتها ، ثم خرج فطلبوه فى الحال فلم يجدوه . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم . والحديث فى الصحيحين . وفى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم بدر : « هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب » ، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة ، وظلال هو بكسر المعجمة وتخفيف اللام والقسملى بفتح القاف وسكون المهملة بصرى ضعيف . واسمه هلال بن أبى هلال مشهور بكنيته ، وهذا الثواب مقيد فيما إذا صبر العبد واسترجع وحمد الله جل ذكره ، وهذا الحديث وما تقدمه من مثله يدل على أن من كان أعمى فى هذه الدنيا وصبر وجاهد فإنه يبعث يوم القيامة بصيراً ، وهذا لا ينافى ما ورد فى القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى﴾ ، فإنه محمول على عمى البصيرة وكذلك لايعارض خبر « من مات على شىء بعثه الله عليه » ، فالمراد من الأعمال الصالحة والأحوال الطالحة .

١٩٣ – « يَا جِبْرِيلُ إِنِّى خَلَقْتُ أَلْفَ أَلْفِ أُمَّةٍ لاتَعْلَمُ أُمَّةٌ أَنِّى خَلَقْتُ سِوَاهَا لَمْ أُطْلِعْ عَلَيْهَا اللَّوحَ المَحْفُوظَ وَلَا صَرِيرَ القَلَمِ إِنَّمَا أَمْرِى لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ لَهُ كُنْ فَيكُونُ وَلَا يَسْبِقُ الكَافُ النُّونَ » .

ش: الأمة – بضم الأول وتشديد الميم المفتوحة – يطلق على معان كثيرة تطلق على جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أو اختياراً وجمعها أمم ، وعلى النوع ومنه قوله تعالى : ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ ، أى كل نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها بالطبع فهى من بين ناسجة كالعنكبوت وبانية كالسرفة ومدخرة كالنمل ومعتمدة على قوت وقته كالعصفور والحمام إلى غير ذلك من الطبائع التى تخصص بها كل نوع ، وعلى الصنف ومنه قوله تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ ، أى صنفاً واحداً وعلى طريقة واحدة فى الضلال والكفر ، وعلى الدين ومنه قوله تعالى : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ ، أى على دين مجتمع ، وعلى حين ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وادّكر بعد أمة ﴾ ، أى حين ، وجمعه أمم وآم على وزن عام ، والمراد بالأمة هنا الطائفة متخالفة النوع والجنس ، وروى الحكيم الترمذى وأبو الشيخ فى العظمة والبيهقى فى الشعب وضعفه : « إن الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها فى البحر وأربعمائة فى البر فأول هذه الأمم هلاكاً الجراد . فإذا هلك الجراد تتابعت الأمم مثل نظام السلك إذا انقطع » . واللوح – بفتح اللام وسكون الواو – واحد ألواح السفينة وما يكتب فيه من الخشب وغيره ،

---

(١٩٣) رواه الديلمى عن ابن عمر .

واللوح المحفوظ المشهور هو ما روى عن ابن عباس — والعهدة على الراوى كما قال العلامة الألوسى فى تفسيره روح المعانى المطبوع تحت إشرافنا — لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وهو معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك يقال له : ساطريون لله عز وجل فيه فى كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وإنه كتب فى صدره لا إله إلا الله وحده لا شريك له دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة،وقال مقاتل: إن اللوح المحفوظ عن يمين العرش وجاء فيه أخبار غير ذلك ونحن نؤمن به ولا يلزمنا البحث عن ماهيته وكيفية كتابته ونحو ذلك نعم نقول : إن ما يزعمه بعض الناس من أنه جوهر مجرد ليس فى حيز وأنه كالمرآة للصور العلمية مخالف لظواهر الشريعة وليس له مستند من كتاب ولا سنة أصلا اه. بحروفه ، وقال العلامة الراغب : وقوله : « فى لوح محفوظ » ، فكيفيته تخفى علينا إلا بقدر ما روى لنا فى الأخبار ، والصرير الصوت يقال صر القلم والباب يصر بالكسر صريراً صوت ، والكاف والنون حرفانمن قولك « كن » .

والمعنى أن الله جل ذكره يخاطب جبريل ويخبره عن عظمته جل جلاله وقدرته وكثرة خلقه ومخلوقاته وتنوعها وإن كل نوع وجنس منها لا يعلم بخلق الآخر ولا صفاته وأشكاله لأنه ملك شاسع وعدد لا يعرف حصره لا أوله ولا آخره إلا القادر العظيم والمبدع الحكيم الذى حارت أولو النهى ببديع صنعه وإتقان خلقه وإعظام بدعه وإحكامه وأنه لم يطلع على إيجاده الأمم وخلقها اللوح المحفوظ الذى يكتب فيه كل شيء ولا صرير القلم الذى هو ألصق شيء باللوح المحفوظ لأنه المنفرد بالخلق والإيجاد على الإطلاق وسرعة تكوينه الشيء

بلا تفكير ومراجعة ومشاورة ومخابرة بل إذا أراد كان وإذا لم يرد لم يكن. وضرب مثلا لسرعة إيجاده وخلقه « بكن » بدون سبق أحد الحرفين الآخر وهذا نهاية السرعة التى لا توجد لغيره أياً كان جل ذكره وتعالت عظمته. فعلى العقلاء أن يخضعوا لعظمة الرب تعالى وينقادوا لشريعته المحمدية ويتحلوا بالصفات الدينية ويتركوا التعصبات المزرية والانتقادات الوهمية والمشاغبات اللفظية ويسمعوا قوله تعالى ويستجيبوا له ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ اللهم اهد خلقك له وذلل لهم الصعاب .

١٩٤ – « يَا دُنْيَا اخْدمى مَنْ خَدَمَنِى وَاسْتَخْدِمِى مَنْ خَدَمَكِ » .

١٩٥ – « يَا دُنْيَا مُرِّى عَلَى أَوْلِيَائِى لاَ تَحْلَوْلِى لَهُمْ فَتَفْتِنِيهِمْ »

ش : الدنيا بالضم فى اللغة عبارة عن هذا العالم من دنا يدنو قرب ، وسميت هذه الحياة بذلك لقربها وبعد الآخرة منها ، والسماء الدنيا لقربها من ساكنى الأرض ، وفسرها بعض العلماء بأنها ما حواه الليل والنهار وأظلته السماء وأقلته الأرض ، وقوله « اخدمى » . أمر من الخدمة يقال خدمه يخدمه بالكسر ويخدمه بالضم خدمة بكسر أوله وخدمة بفتح أوله مهنه وعمل له فهو خادم يطلق على الذكر والأنثى والخادمة بالهاء فى المؤنث قليل والجمع خدم خدام واستخدمه اتخذه خادماً وجعله يخدمه ، وقوله فى الحديث الثانى

---

(١٩٤) رواه القضاعى عن ابن مسعود .

(١٩٥) رواه القضاعى عن ابن مسعود .

« مرى » أمر من المرارة ضد الحلاوة . يقال : مر الشيء يمر ويمر مرارة من باب نصر وعلم صار مراً ، وقوله : « لا تحلولى » من الحلاوة يقال حلا الشيء يحلو حلاوة فهو حلو والأنثى حلوة وحلا لى الشيء إذا لذ ؛ وقوله : « فتفتنيهم » من الفتنة وهى الامتحان والاختبار وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم والكفر والقتال والضلال والإحراق والإزالة والصرف عن الشيء وجمعها فتن .

وهى من الأفعال التى تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك ولهذا يذم الله الإنسان بأنواع الفتنة فى كل مكان .

والمعنى أن الله جل جلاله يخاطب الدنيا لتنزيلها منزلة من يعقل ويأمرها بأن تخدم من تفرغ لخدمة ربه واجتهد فى العبادة وأكثر من الخيرات وتجنب المنهيات وأكب على الطاعات بأن داوم على الصلوات الخمس فى أوقاتها المحددة لها شرعاً وصام رمضان وأخرج زكاة أمواله وبدنه وحج البيت الحرام إذا استطاع إليه سبيلا وتقرب إلى الفقراء والمساكين وتباعد عن أهل الشرور والفسوق ودعا الناس إلى الله جل ذكره سراً وعلانية ما قدر على ذلك وجعل أكبر همه الآخرة والعمل لها ولا يجعل همه الدنيا وزينتها والتفاخر فيها بالمال والأبناء والنساء والأحساب إنما زينة الحياة الدنيا بلباس التقوى وشرف العمل الصالح والإحسان إلى نفسه وأهله وإخوانه فمن جعل همه الدنيا ولذاتها كان خادماً للدنيا ومن أبنائها وليس له حظ من الآخرة فهو عبد درهم ودينار ، اللهم إنا نسألك التوفيق لعمل الآخرة .

وقد جاءت آيات كثيرة وأحاديث مشهورة فى كراهة الدنيا، وشهواتها

زخارفها والزهد فيها والإقبال على الآخرة ونعيمها والتمتع بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وهاك بعض آيات التنزيل فى وصف الدنيا وذم التعلق بها لمصيرها إلى الفناء . قال الله تعالى : ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ﴾. وقال تعالى : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ ، وقال عز ذكره : ﴿ وما الحياة الدنيا إلالهو ولعب وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى * إن هذا لفى الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيرا ﴾ . وقال جلت عظمته : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب ﴾ . إلى غير ذلك .

ونورد لك بعض أحاديث نبوية وآثار سلفية لعلنا نتعظ بها ونؤثر الآخرة على الأولى .

عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة » . رواه ابن ماجه ورواته ثقات كما قال الحافظ المنذرى . وعن عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها » . رواه أبو الشيخ ابن حيان ، والبيهقى من رواية الحسن عن عمران واختلف فى سماعه منه ، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه : أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الله ليحمى عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب » . رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وروى عن أنس رضى الله تعالى عنه يرفعه قال : « ينادى مناد: دعوا الدنيا لأهلها دعوا الدنيا لأهلها دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر » . رواه البزار وقال : لا يروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلا من هذا الوجه ، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء » . رواه مسلم والنسائى وزاد « فما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » ، واسمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » ، فالمؤمن لا ينبغى له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً فيطمئن فيها ولكن ينبغى أن يكون فيها كأنه على جناح سفر يعنى جهازه للرحيل — وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « مالى وللدنيا إنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب قال فى ظل شجرة ثم راح

وتركها » ، وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقول : إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته : إن الدنيا ليست بدار قراركم كتب الله عليها الفناء وكتب الله على أهلها منها الظعن فكم من عامر موثق عن قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن. فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضرلكم من النقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، وقال الحسن البصرى : المؤمن كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس فى عزها له شأن وللناس شأن لما خلق الله آدم عليه السلام أسكن هو وزوجته الجنة ثم أهبط منها ووعد الرجوع إليها وصالحى ذريتهما فالمؤمن أبداً يحن إلى وطنه الأول وحب الوطن من الإيمان كما قيل :

كم منزل للمرء يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل

والحديثان أخرجهما القضاعى كما قال المصنف وقد تقدمت ترجمته صفحة ١٠٧ ، وكتابه المسند فى المواعظ والآداب عشرة أجزاء فى مجلد واحد أسند فيه كتاب الشهاب المذكور وهو كتاب لطيف له جمع فيه أحاديث قصيرة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهى ألف حديث ومائتان فى الحكم والوصايا محذوفة الأسانيد مرتبة على الكلمات من غير تقيد بحرف ، ورتبه على الحروف المؤلف جامع هذا الكتاب وأضاف إلى ذلك بيان المخرجين فى مجلد سماه إسعاف الطلاب بترتيب الشهاب ولا يخفى عليك حال الحديثين من قوة وضعف ، والله أعلم .

١٩٦ – «ياعِبَادِى أَعْطَيْتُكُمْ فَضْلًا وَسَأَلْتُكُمْ قَرْضاً فَمَنْ أَعْطَانِى شَيْئاً مِمَّا أَعْطَيْتُهُ طَوْعاً عجَّلْتُ لَهُ فِى العَاجِلِ وَادَّخَرْتُ لَهُ فِى الآجِلِ وَمَنْ أَخَذْتُ مِنْهُ مَا أَعْطَيْتُهُ كُرْهاً وَصَبَرَ واحْتَسَبَ أَوْجَبْتُ لَهُ صِلَاتِى وَرَحْمَتِى وَكَتَبْتُهُ مِنَ المُهْتَدِينَ وَأَبَحْتُ لَهُ النَّظَرَ إِلَىَّ» .

ش : الفضل الزيادة ويطلق على المال والجاه والقوة والمكنة ومنه قوله تعالى : ﴿ والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ لتبتغوا فضلا من ربكم ﴾ ، يعنى المال وما يكتسب ، والمراد به هنا المال دليله قوله فى الحديث : « وسألتكم قرضاً » . والقرض القطع ، قال الإمام الواحدى فى تفسيره : القرض اسم لكل ما يلتمس منه الجزاء يقال أقرض فلان فلاناً إذا أعطاه ما يتجازاه منه ، والاسم منه القرض وهو ما أعطيته لتكافأ عليه . هذا إجماع من أهل اللغة ، والطوع الإذعان والانقياد ، والاسم الطاعة ، والعاجل ضد الآجل ، والعجل والعجلة ضد البطء وقد تقدم تفسيره أيضاً صفحة ١٦٥ ، وأصل الادخار اذتخار . يقال ذخرته وادخرته إذا أعددته للعقبى ، وصلاتى – بكسر أوله – جمع صلة وهى الجائزة والعطية .

والمعنى – والله أعلم – أن الله جلت عظمته خاطب عباده وأخبرهم أنه جل ذكره أعطاهم ومنحهم فضلا مالا وسألهم قرضه أى إنفاقه فمن أعطى الله شيئاً وتصدق على الفقراء والمساكين وأعان المحتاج وبنى المستشفيات وأصلح الطرق وتعاهد المساجد مما أعطاه الله طوعاً لا كرها ، – يعنى عن

---

(١٩٦) رواه الرافعى عن أبى هريرة .

طيب نفس وإخلاص قلب — ، عجل الله له الخير والثواب فى الآجل — أى فى حياته الدنيا - بأن سهل له طرق الخيرات ووفقه لعمل الحسنات ونجاه من الوقوع فى المهلكات وادخر الله له أيضاً من الثواب العظيم ليوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم مالا يدخل تحت حصر ومن أخذ الله منه ما أعطاه ومنحه إياه فى الحياة الدنيا كرهاً عنه وصبر العبد على ذلك واحتسب الله فى ذلك . قال حسبي الله ونعم الوكيل فمن فعل ذلك أوجب الله له صلاته وجوائزه وعطياته ورحمته فى الدنيا والآخرة وكتبه من المهتدين الذين هداهم الله لصالح الأعمال ووفقهم لطاعته ومنحهم رضوانه ، وزيادة على ذلك أباح لهم يوم القيامة النظر إلى وجهه عز وجل ، وإقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل الصالح الذى يستحق به فاعله الثواب ، وهو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه — والله هو الغنى الحميد — شبه إعطاء المؤمن ما يرجو ثوابه فى الآخرة بالقرض كما شبه إعطاء النفوس والأموال فى أخذ الجنة بالبيع والشراء ، أخرج سعيد بن منصور ، وابن سعد ، والبزار ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود قال : لما نزلت : ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ ، قال أبو الدحداح الأنصارى : يا رسول الله ، إن الله ليريد منا القرض! قال : نعم يا أبا الدحداح . قال : أرنى يدك يا رسول الله فناوله يده . قال فإنى قد أقرضت ربى حائطى وله فيه ستمائة نخلة . فانظر إلى قوة يقين الصحابة وشدة إيمانهم ورحب صدورهم بما يسمعون من كلام الله جل ذكره ومبادرتهم إلى العمل به . اللهم وفقنا لذلك .

١٩٧ – « يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُ وَضَعِيفٌ إِلَّا مَنْ قَوَّيْتُ وَفَقِيرٌ إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُ فَاسْأَلُونِى أُعْطِكُمْ فَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمُ ٱجتَمَعُوا عَلَى قَلْبِ أَتْقَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِى مَا زَادَ فِى مُلْكِى جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمُ ٱجْتَمَعُوا عَلَى قَلْبِ أَفْجَرِ عَبْدٍ هُوَ لِى مَا نَقَصَ مِنْ مُلْكِى جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ذٰلِكَ بِأَنِّى وَاحِدٌ عَذَابِى كَلَامٌ وَرَحْمَتِى كَلَامٌ فَمَنْ أَيْقَنَ بِقُدْرَتِى عَلَى الْمَغْفِرَةِ لَمْ يَتَعَاظَمْ فِى نَفْسِى أَنْ أَغْفِرَ لَهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَبُرَتْ » .

ش : تقدم الحديث بأطول من هذا مع اختلاف فى الألفاظ وزيادة ونقص صفحة ٤٧ وقد شرح شرحاً مطولا ، فارجع إليه .

---

(١٩٧) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط عن أبى موسى .

١٩٨ – «يَا عِيسَى إِنِّى بَاعِثٌ مِنْ بَعْدِكَ أُمَّةً إِنْ أَصَابَهُمْ مَا يُحِبُّونَ حَمِدُوا وَشَكَرُوا وَإِنْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ احْتَسَبُوا وَصَبَرُوا وَلَا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ قَالَ : يَارَبِّ كَيْفَ يَكُونُ هٰذَا وَلَا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ قَالَ أُعْطِيهِمْ مِنْ حِلْمِى وَعِلْمِى» .

ش : عيسى عليه السلام هو أحد الرسل أولى العزم وعبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وهو آخر أنبياء الله ورسله من بنى إسرائيل كما أن آخر الرسل والأنبياء من بنى الإنسان جميعاً محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وذكر اسمه فى القرآن بلفظ المسيح تارة وهو لقب له وبلفظ عيسى وهو اسمه العلمى وهو بالعبرية – يسوع – أى المخلص إشارة إلى أنه سبب لتخليص كثيرين من آثامهم وضلالهم ، وبكنيته – ابن مريم – تارة أخرى وذكر فى القرآن كثيراً فى ثلاث عشرة سورة ، والنصارى إذا ذكروا نسب المسيح فإنما يذكرون نسب يوسف النجار بناء على أن المسيح كان يدعى يسوع بن يوسف النجار ، واختلف المسيحيون فى نسب المسيح الذى هو نسب يوسف النجار اختلافاً ظاهراً لا مفر للمطلع عليه من الحكم بتناقض كل من إنجيل متى ولوقا فى ذلك النسب وهما المنفردان بذكره من بين سائر من كتبوا الإنجيل ، وانظر كتاب قصص الأنبياء للأستاذ عبد الوهاب النجار. واخترت أن أذكر ترجمة نبى الله عيسى عليه السلام من كتاب قصص الأنبياء

---

(١٩٨) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط والحكيم وأبو نعيم والحاكم والبيهقى عن أبى الدرداء .

لصديقنا الحميم الأستاذ عبد الوهاب النجار مختصرة فأقول : فنسبه ذكر فى التوراة والإنجيل إنه ابن يوسف النجار وينتهى إلى يعقوب بن إسحق بن إبراهيم مع اختلاف كثير ظاهر فى الأناجيل الموجودة بأيدينا من أراد تحقيق ذلك فلينظرها ، وأبو مريم عليها السلام كان اسمه عمران وكان رجلا عظيماً بين العلماء فى بنى إسرائيل وقد حملت زوجه فلما أحست بالحمل نذرت ما فى بطنها محرراً لله لخدمة بيته على ما كانت عليه العادة عند بنى إسرائيل ، فلما وضعت تبينت أن الجنين الذى انفصل منها أنثى وكانت ترجو أن يكون ذكراً ليخدم فى بيت الله فتوجهت إلى الله تعالى كالمعتذرة أو الآسفة قائلة : ﴿رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ ، ولكن الله تقبل تلك المولودة بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً .

والظاهر من الآيات أن عمران والد مريم قد توفى على أثر ولادة بنته لذلك كانت صغيرة تحتاج إلى من يكفلها ويقوم بشأنها فلما قدمتها أمها إلى رعاة الهيكل اختلفوا فيمن يقوم بكفالتها وألقوا على ذلك قرعة فكان الكافل لها زكريا والد يحيى عليهما السلام وزوج خالة مريم وكان الله تبارك وتعالى يكرم مريم ويجعل لها الخوارق للعادات إعلاء لشأنها وتعظيماً لأمرها ، ففى أثناء رعاية زكريا لها كان يجد عندها رزقاً من رزق الله لم يأتها به ولا وجود له عند الناس فى ذاك الوقت فيسألها قائلا لها ومخاطباً : ﴿يا مريم أنى لك هذا﴾ ، كما حكاه القرآن الحكيم فتجيبه قائلة : من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

وكانت ملائكة الله تأتى إلى مريم عليها السلام وتخبرها باصطفاء الله تعالى واجتبائه إياها وتطهيرها من الأرجاس والأدناس وتحثها على الاجتهاد فى العبادة والقنوت لله ، هكذا نشأت مريم على الطهارة والبعد عن كل دنس

ودامت على ذلك . اقرأ قوله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض ﴾ الآيات ، وليس عند أهل الكتاب كلام فى ولادة مريم وكفالة زكرياً إياها ولانذرها فمن ذلك نعلم أن مريم عليها السلام نشأت نشأة طهر وعفاف وبعد عن الإسفاف والرذيلة مكلوءة بعناية الله محروسة بحراسته ، فلما بلغت مبلغ النساء وجدت وقتاً فى خلوة وحدها فلم ترع إلا بالملك جبريل الذى أرسله الله إليها جاءها على صورة فتى فأخذها الرعب وظنته يريد سوءاً فاستعاذت منه ووصفته بعدم التقوى قائلة : ﴿ إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴾ . على أن إن نافية فأعلمها أنه مرسل من الله تعالى ليهب لها غلاماً زكياً فأخذها العجب من ذلك إذ كيف يكون لها ولد وهى لم يمسها أحد من الناس فهون عليها الأمر وأحال على قدرة الله تعالى وهو الإله الذى لا يعجزه شىء ونفخ فى جيب درعها فإذا هى حامل ، وكان فيما أخبرها الملك به أن ابنها يسمى المسيح عيسى بن مريم وأنه يكون وجيهاً فى الدنيا والآخرة وأنه يكون من المقربين . وأنه يكلم الناس فى المهد وكهلا للإشارة إلى أنه يكلمهم فى المهد بكلام إنما يصدر مثله ممن كان كهلا ، وأن الله تعالى سيعلمه الكتاب والحكمة والتوراة ويعطيه الإنجيل — أى البشارة — وأنه سيكون آية للناس على قدرة الله تعالى ورحمة منه لعباده إذ نصب لهم به سبيل الخلاص مما هم فيه من أوحال يتركسون فيها إذ كان اليهود قد صاروا إلى المادية وتجاوزوا حدود الله ولم يراعوا كتابه فأحلوا حرامه وحرموا حلاله ، فجاء لهدايتهم وردهم عن ضلالهم ، وكتاب الأناجيل لم يتكلم أحد منهم على تبشير مريم بولادة عيسى سوى لوقا .

وهكذا شأن اليهود فى كل عصر فلا يصدر عنهم إلا كل شر وخبث وطالع كتب التاريخ وانظر ما فعلوا بالرسول الأمين محمد صلى الله عليه وآله

وسلم وكم عفا عنهم وتجاوز عن خطئهم وهم مصرون على الإيذاء وإيصال كل شر إليه عليه السلام ، ولا يخفى على العالم أجمع أن هذه الحرب الضروس ما أقامها وأصلى نارها وزج الأمم كلها فيها إلا اليهود لعنهم الله على لسان كل إنسان وخذلهم الله فى كل مكان وزمان . نسأل الله أن يقصر من أجل هذه الحرب التى ابتدأت سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ونحن الآن نسطر هذه الحروف يوم الأربعاء حادى عشر المحرم سنة إحدى وستين وثلثمائة نسأل الله السلامة .

حملت مريم عليها السلام بالمسيح عيسى عليه السلام بمجرد نفخ الملك فى جيبها وطبعى أنها قد مرت بجميع أدوار الحمل إلى أن ولدته والقرآن الحكيم لم يذكر عن تلك الأدوار شيئاً ، واختلف العلماء فى مدة الحمل فقيل : سبعة أشهر ، وقيل : ستة ، وقيل : ثمانية ، ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره ، وقيل : ساعة كما حملته نبذته والله أعلم ، ولما حان انفصال جنين مريم ألجأها المخاض إلى جذع نخلة هناك فى الموضع الذى فيه مدينة بيت لحم وهى على بضعة من الكيلومترات من بيت المقدس ، والبيضاوى رحمه الله تعالى يقول : إن زمن الولادة كان فى الشتاء والنخلة يابسة وإنما مجيئها إليها لتستتر بها أو لتعتمد عليها .

هنا حسبت مريم ألف حساب وحساب لما هى قادمة عليه من لوم اللائمين من قومها وما سيرمونها به من الفاحشة . فقالت : يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً — بالكسر والفتح — منسياً وهو اللبن المشوب بالماء يترك وينسى لحقارته فناداها مناد من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سرياً . قيل : المنادى جبريل كان فى مكان أسفل من مكانها ، وقيل : المنادى هو عيسى عليه السلام . والسرى هو النهر وقيل : الوجيه من الناس ، ويؤيد كونه نهراً قوله بعد ذلك : ﴿ وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً * فكلى واشربى وقرى عيناً ﴾ . وقد أراد الله بهذا أن يسكن روعها وتعلم

أن من أوجد لها الرطب من النخلة اليابسة فى الشتاء وأوجد لها الماء الجارى فى تلك الهضبة التى كانت عليها من الجبل قادر أن يرد عنها عيب العائبين وقذف القاذفين فكلى واشربى وقرى عيناً ولا يحزنك ما يقولون فإذا رأيت من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً عن الكلام فلن أكلم اليوم إنسياً ، وفى ذلك الحين يتولى الله تعالى البرهنة على براءتها ، وهنا لقائل أن يقول : كيف يصح أن يولد إنسان بدون مباشرة الرجل للمرأة ؟ فالجواب أن هذا صنع الإله القادر الذى يأتى بالعجب العجاب لأن الله أوجد آدم من غير أب ولا أم فهو أقدر على إيجاد إنسان بدوب أب فقط وليس هذا بأعجب من خلق السموات والأرض وما فيها من عجائب كل ذلك ناطق بأنه صنع حكيم عليم قادر قدرة فائقة الوصف والله يقول فى القرآن : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾ ولم يتكلم من أصحاب الأناجيل عن الحمل بالمسيح سوى متى ولوقا وعبارة متى مختصرة .

لم يكن علم مريم ببراءة ساحتها من الدنس بالشىء الذى تطمئن به نفسها بل أخذت الهواجس تنتابها وتحسب لما سيقول الناس عنها ألف حساب ولقد زادت وساوسها حين أخذها المخاض ورأت ما سيحسبه الناس جريمة لها ماثلا أمام عينها فقالت ما قصه الله تعالى عنها فى كتابه العزيز : ﴿ فأجاءها المخاض ﴾ الآية ولكنها كانت تريد الجواب الذى تجيب به لوامها والمعيرين لها فقال لها معلماً ومرشداً : ﴿ فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً ﴾ وكان الصوم عن الكلام ضرباً من العبادة كما يفعله اليوم فى عصرنا الحاضر بعض الزعماء كغاندى ، فلما أتت قومها وعلى يدها شىء تحمله ارتاعوا لهذا الحادث النازل وزاد ارتياعهم ما كانوا يعلمونه فيها من طهارة المنبت وطيب البيئة ونشأة التقوى التى نشأتها فأخرجهم ذلك إلى تعنيفها على ما أتت به من إثم فى زعمهم وقالوا لها فيما قالوا : ﴿ يا مريم لقد

جئت شيئاً فرياً﴾، أى بديعاً منكراً من الإثم : ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً﴾ ، وهى ليست أخت هارون فى النسب بل كانت أخته فى العبادة والانقطاع إلى الله تعالى . فلما سمعت مريم هذا القول وهى قد نذرت الصمت فأشارت إلى ابنها وهو فى المهد طالبة إليهم أن يوجهوا إليه كلامهم فعدوا ذلك منها غريباً وقالوا : ﴿كيف نكلم من كان فى المهد صبياً﴾ فلم يمهلهم عيسى عليه السلام أن أجابهم الجواب الشافى الدال على براءة أمه والمؤذن بأنه سيكون من أهل العلم الذين آتاهم الله الكتاب وأنه سيجعله نبياً ويبارك فيه أينما توجه وأن الله أوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته وأنه سيكون براً بوالدته وسيكون عبداً متواضعاً لا جباراً شقياً . اقرأ ذكر ذلك فى سورة مريم ، وهل مر حادث حمل مريم بين اليهود دون أن يطلبوا محاكمتها ولا يعقل أنهم صدقوها فى دعواها أن ذلك حصل بفعل الله وقد سكتت الأناجيل عن ذلك وإنما ذكر القرآن الحكيم فقط والظاهر من عبارة القرآن أنهم رموها بالزنا كما فى قوله تعالى : ﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾

ولما ولد عيسى عليه السلام ختن بعد ثمانية أيام من ولادته كما ذكر فى إنجيل لوقا ، وحكاية المجوس وعيسى عليه السلام مذكورة فى إنجيل برنابا فارجع إليه ، وذهاب يوسف ومريم بالمسيح إلى مصر مذكور فى إنجيل برنابا أيضاً وهو مترجم بالعربية ومطبوع فى مصر ؛ ولم يذكر القرآن الكريم شيئاً عن المسيح عيسى عليه السلام أيام صباه بعد كلامه فى المهد ولم يتكلم فى ذلك سوى لوقا من بين الأناجيل الأربعة وذكرها أيضاً برنابا فى إنجيله فى الفصل التاسع فارجع إليه .

من مجموع ذلك نفهم أن المسيح عليه السلام نشأ نشأة محمودة لا غبار عليها وأنه كان غيوراً على الدين منذ صغره حريصاً على تفهم حكمه وأسراره غيوراً عليه وأنه كان يختلس من وقته ما يقوى به معارفه ويثبت به علمه

ويجالس العلماء ويناقشهم ويسائلهم ويجيبهم فالبيئة التى تمرس بها فى صباه وشبابه بيئة علم وحكمة ودين إلى أن جاءته النبوة ، والقرآن الحكيم لم يذكر متى كان ابتداء نبوة عيسى ولا كيف كان ذلك وأصحاب الأناجيل الأربعة وبرنابا ذكروا ذلك وعبارتهم تدل على أن المسيح عليه السلام نبئ على رأس ثلاثين سنة وأن الله تعالى أعطى المسيح الإنجيل وأنه كتاب تضمن الهدى والنور وقد أهاب ببنى إسرائيل أن يرجعوا إلى الله ويعبدوه وأنبأهم بأحداث مستقبلة وبشرهم باقتراب زمن النبي الذى وعد بنو إسرائيل بأن يبعثه الله وعلى يده يكون بعث شريعة جديدة وأنه يكون كموسى صاحب شريعة مستقلة وفيه وصفه ووصف أتباعه . قال تعالى : ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾ وقال تعالى : ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ . إلى غير ذلك من الآيات المتفرقات فى سور كثيرة تبين أن المسيح عليه السلام جاء إلى أصحابه بكتاب هو الإنجيل ولكن الناس على مر الزمان تركوا ذلك الإنجيل وترتب على ذلك ضياعه واستمسكوا بكتب ألف بعضها تلاميذ المسيح وبعضها تلاميذ تلاميذه أو من بعدهم وقد كثرت الأناجيل كثرة فاحشة حتى أربت على المائة ، وفيما تقدم عن بولس تجدون ما يؤذن بأن المغيرين أخذوا يحولون الإنجيل عن مجراه ، ومعلوم أن الكنيسة رفضت ما ما يخالف رغبتها وأقرت الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم على ما هى عليه من انقطاع السند وعدم العلم التام بالمؤلف الحقيقى أو المترجم ومبلغ أمانته على الدين وحرصه على الصدق وعلى ما بينها من الاختلاف الحقيقى المفضى إلى أن أحد الأقوال صادق وما عداه كاذب .

جاءهم نبى الله عيسى عليه السلام بمعجزات تدل على صدقه وأن ما يدعيه حق والمعجزة أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد الأنبياء من عباده تصديقاً

لهم كأنه بخرق العادة يقول لعباده المرسل إليهم : صدق عبدى فيما يبلغ عنى . من ذلك أنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله وأنه ينبئهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم ، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيها فيكون طيراً بإذن الله وبين لهم أن هذه الآيات كافية فى صدقه وحملهم على الإيمان له ، وبين لهم أنه مصدق مؤمن بما فيها حاث على اتباعها وأنه يحل لهم بعض ما حرم عليهم فانقسم الناس فى أمره بين مصدق ومكذب ومقبل عليه ونافر منه ، اقرأ ما ورد فى سورة آل عمران ، والمائدة ، والزخرف وكذلك جاءت هذه المعجزات فى كتب الإنجيل . ولقد كانت هذه الخوارق سبباً لافتتان فريق من الناس به حتى وصفوه بأنه ابن الله على معنى البنوة الحقيقية . وآخرون قالوا : إنه الله حتى عبد وتكلف قوم لعبادته ضروباً من المسوغات يرفضها العقل ويمقتها العلم .

وبعد أن قام بين ظهرانيهم يدعو قومه إلى عبادة الله وحده وأنه رسول من عنده ويقيم لهم البراهين والمعجزات على صدقه حتى شاع أمره وانتشرت دعوته وتزعم فأحرج مكانة الكهنة والقديسين بتعليمه وتجريحه إياهم فى طريقتهم وفضح رياءهم وخبثهم فأخرجهم ذلك إلى الكيد له والتدبير لقتله ، هذا ثمرة هديه لهم ومجيئه بما ينقذهم من عذاب يوم القيامة ؟ .

فلما اختمر هذا الأمر فى أنفسهم شكوا أمره إلى الوالى طبعاً وزينوا شكواهم بما يستدعى اهتمام الوالى بأن ادعوا عليه أنه يقول أنه ملك اليهود وأنهم لا يقرون بملك سوى قيصر رومية . فأرسل الوالى جنداً للقبض على المسيح عيسى ابن مريم فلما أتوا ولم يبق إلا القبض عليه والمسيح قد اهتم لهذا الأمر وخشى أن ينالوه بالأذى — أنقذه الله من أيديهم وطهره منهم وألقى شبهه على شخص آخر علم فيما بعد أنه تلميذه الخائن وعرفته الأناجيل بأنه يهوذا الأسخريوطى وصار بحيث أن كل من رآه لا يشك فى أنه يسوع فأخذ وصلب

وقتل ونجا المسيح من شرهم وقد أعلم الله تعالى المسيح بما سيتم وشاع فى الناس أن يسوع الناصرى قتل بعد أن صلب وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ذلك بل رفعه الله إليه بروحه وجسده حياً إلى السماء وهو مذهب جمهور المسلمين ، والله أعلم .

وقوله : « باعث » ، أى مرسل ، والأمة تقدم تفسيرها قريباً ، والحب والحمد والشكر والصبر والاحتساب تقدم الكلام عليها غير مرة فى غير حديث فلا حاجة للاعادة ، وقوله : « ولا حلم ولا علم » . الحلم تقدم الكلام عليه صفحة ١٥٥ ولا بأس من التوسع فى الكلام عليه لأنه من أحسن صفات الإنسان وأكملها ، عرف الحلم بأنه ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب وجمعه أحلام ، وقيل : الحلم تجرع الغيظ ، وقيل : دعامة العقل ، وقال الأفوه الأودى : الحلم محجزة عن الغيظ ، وقالت الفلاسفة : الحلم فضيلة النفس يكسبها الطمأنينة لا يحركها الغضب بسهولة وسرعة والحليم المنشرح صدره لمساوىء الخلق وسوء سيرتهم والعلم أميز صفة فى الإنسان بها ينفى صفة الجهل وهو إدراك الشىء بحقيقته وقد جاءت آيات كثيرة وأحاديث متواترة فى فضل العلم وأهله ذكرتها فى كتابى (نموذج من الأعمال الخيرية) فارجع إليه فإنه أنفس ما كتب فى بابه .

والمعنى أن الله جلت عظمته يخاطب نبيه عيسى عليه السلام ويخبره أنه باعث ومرسل من بعده أمة غير أمته — وهى أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهى خير أمة من أوصافها الجميلة ومزاياها الباهرة إن أصابهم ما يحبون حمدوا الله وأثنوا عليه بما هو أهله وشكروه على ذلك وإن أصابهم ما يكرهونه تلقوه بالصبر والاحتساب والحال أن ليس لهم حلم ولا علم مكتسبان يبعثان على ذلك . قال العلامة الطيبى طيب الله ثراه . قوله : « ولا حلم ولا علم » . تأكيد لمفهوم صبروا واحتسبوا لأن معنى الاحتساب أن يبعثه على

العمل الصالح الإخلاص وابتغاء مرضاة الرب لا الحلم ولا العلم ، فحينئذ يتوجه عليه أنه كيف يصبر ويحتسب من لا علم له ولا حلم . فيقال : إذا أعطاه الله من حلمه يتحلم ويتعلم بحلم الله وعلمه ، وفى وضع العلم موضع العقل إشارة إلى عدم جواز نسبة العقل وهى القوة المتهيئة لقبول العلم إلى الله تعالى عن صفات المخلوقين ، وقال الحكيم الترمذى ، هذه أمة مختصة بالوسائل من بين الأمم محبوة بالكرامات مقربة بالهدايات محفوظة بالولايات تولى الله هدايتهم وتأديبهم يسمون فى التوراة صفوة الرحمن ، وفى الإنجيل حلماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء ؛ وفى القرآن أمة وسطاً ؛ وخير أمة أخرجت للناس ، وقال المصنف فى شرح الجامع الصغير : قوله : « صبروا واحتسبوا» الاحتساب أن يرى ذلك الشيء الذى أخذه لله وإن كان صبره باسمه فالأصل لله ، وقوله : صبروا أى ثبتوا فلم يزل أحدهم عن مقامه بزوال ذلك الشيء عنه فإن المؤمن يقول : إنا لله وها أنا بين يديه فى طاعته ونعمه على سابغة فإذا امتحنه فأزال عنه نعمه زال عن مقامه ذلك طلباً لتلك النعمة التى زالت فليس هذا إثباتاً ، وقوله : « ولا حلم ولا علم » كأنه يخبر أنه تعالى قدر حلماً وعلماً لخلقه يتحالمون به بينهم ويعلمون فبذلك الحلم والعلم يتخلقون ، وفى حديث : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم » . وكانت هذه الأمة آخر الأمم فرق ذلك فيهم ودق فلو تركهم على رقة تلك الأخلاق ورقة تلك الحلوم وقلة العلم لم ينالوا من الخير إلا قليلا ، ولم يزل الناس ينقصون من الخلق والرزق والعمر من زمن نوح فكان أحدهم يعمر ألف سنة وطوله ستون ذراعاً والرمانة يقعد فى قشرتها عشرة رجال فلم تزل تنقص إلى الآن فانظر كم بين الخلقين والعمرين .

١٩٩ – «يَا مُحَمَّدُ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ : مَا كَذَا مَا كَذَا حَتَّى يَقُولُوا : هٰذَا اللّٰهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللّٰهَ» .

ش : قوله : « ما كذا ما كذا » . يعني يسألون كثيراً عن كل ما يخطر ببالهم ويوسوس لهم الشيطان به فيسألون كيف هو ؟ ومن أى شيء هو ؟ وغير ذلك مما يوجب الوقوع فى الحيرة والشك ، وأبو عوانة هو الحافظ الثقة الكبير يعقوب بن إسحق بن يزيد الأسفرائينى النيسابورى الأصل صاحب الصحيح المسند المخرج على صحيح مسلم وله فيه زيادات عدة ، وهو أول من أدخل كتب الشافعى ومذهبه إلى إسفرائين توفى سنة ست عشرة وثلثمائة باسفرائين .

والمعنى – والله أعلم – أن الله جل ذكره يخاطب نبيه ويخبره أن أمة محمد عليه الصلاة والسلام لا يزالون يسألون أنفسهم ويستفهمون ويكثرون من الأسئلة ويقولون : ما كذا ما كذا ؟ أى ما الشيء الفلانى ؟ وما هذا الأمر وما حقيقته ؟ وكيف هو ؟ وأى شيء هو ؟ حتى يجرهم ذلك إلى أن يقولوا هذا الله الرب الخالق خلق الخلق وأوجد العالم على هذا النظام البديع فمن خلقه وأوجده ؟ وهذا يدل دلالة واضحة على ذم كثرة السؤال وتنوع الاستفهام وأن ليس ممدوحاً أن كل ما خطر ببالك وحضر بفكرك تسأل عنه لأن الشيطان يوسوس للانسان ولا سيما إذا كان لا يقدر عليه من جهات أخرى لتحصينه منه فيأتيه من هذه الجهة . ويورد له ذلك حتى يوقعه فى الحيرة ويتركه متردداً فى عقيدته شاكاً فى ربه وخالقه ، وقد أوضح هذا الحديث أحاديث أخرى فى

---

(١٩٩) رواه أحمد ومسلم وأبو عوانة عن أنس .

هذا الباب ، فإذا حصل لأحدنا ذلك فليقل آمنت بالله جل ذكره وهاك ما جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة . قال : « جاء ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه : إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به . قال : وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم . قال : ذاك صريح الإيمان » ، وعنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق . فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله » ، وعنه أيضاً : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يأتى الشيطان أحدكم فيقول : من خلق السماء ؟ من خلق الأرض ؟ فيقول : الله . ثم ذكر بمثله وزاد ورسله » ، وعنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا هذا الله . فمن خلق الله ؟ قال : فبينا أنا فى المسجد إذ جاءنى ناس من الأعراب فقالوا : يا أباهريرة هذا الله . فمن خلق الله ؟ قال : فأخذ حصى بكفه فرماهم ثم قال : قوموا صدق خليلى . وعنه أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ليسألنكم الناس عن كل شىء حتى يقولوا : «الله خلق كل شىء . فمن خلقه ؟ » . والحديث الذى ذكره المصنف من الروايات المختصرة يوضحه أحاديث الباب.

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى فى شرح هذه الأحاديث ، أما معانى الأحاديث وفقهها فقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ذلك صريح الإيمان » ، و « محض الإيمان » . معناه استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلا عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالا محققاً وانتفت عنه الريبة والشكوك ، واعلم أن الرواية الثانية وإن لم يكن فيها ذكر الاستعظام فهو مراد وهى مختصرة من الرواية الأولى ولهذا قدم مسلم رحمه الله تعالى الرواية الأولى ، وقيل : معناه الشيطان إنما يوسوس لمن أيس من إغوائه فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه

وأما الكافر فإنه يأتيه من حيث شاء ولا يقتصر فى حقه على الوسوسة بل يتلاعب به كيف أراد فعلى هذا معنى الحديث سبب الوسوسة محض الإيمان أو الوسوسة علامة محض الإيمان ، وهذا القول اختيار القاضى عياض ، وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « فمن وجد ذلك فليقل آمنت بالله » ، وفى الرواية الأخرى : « فليستعذبالله ولينته » . فمعناه الإعراض عن هذا الخاطر الباطل والالتجاء إلى الله تعالى فى إذهابه ، قال الإمام المازرى رحمه الله تعالى : ظاهر الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولا نظر فى إبطالها . قال : والذى يقال فى هذا المعنى : إن الخواطر على قسمين فأما التى ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهى التى تدفع بالإعراض عنها وعلى هذا يحمل الحديث وعلى مثلها يطلق اسم الوسوسة فكأنه لما كان أمراً طارئاً بغير أصل دفع بغير نظر فى دليل إذ لا أصل له ينظر فيه وأما الخواطر المستقرة التى أوجبتها الشبهة فإنها لا تدفع إلا بالاستدلال والنظر فى إبطالها ، والله أعلم .

٢٠٠ — « يَا مُحَمَّدُ مَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ فَلْيَلْتَمِسْ رَبًّا غَيْرِي » .

ش : تقدم الحديث صفحة ٢٢٧ بلفظ : « من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليلتمس رباً سواى » . والإيمان ذكر غير مرة وقد تقدم الكلام عليه صفحة ٢٢٦ ، والالتماس الطلب بلين . يقال : التمس الشىء من فلان طلبه بلين ، والرب تقدم تفسيره .

---

(٢٠٠) رواه الشيرازى .

والشيرازى هو الحافظ الإمام الجوال أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الفارسى صاحب كتاب الألقاب المتوفى سنة ٤٠٧ أو ٤١١ .

والمعنى — والله أعلم — أن الله تبارك وتعالى يخاطب نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام ويخبره أن من آمن به عز وجل ولم يؤمن بالقدر خيره وشره فليطلب رباً غيره تعالى . أفاد أن الإيمان والتصديق بوجود الله جل ذكره والانقياد لأوامره لا يكفى لمن لا يؤمن بقدر الله خيره وشره بل هما متلازمان فالإيمان يجب بكل منهما ، وقد أطلنا الكلام فى القدر والقضاء صفحة ٢٢٧ فارجع إليه ، قال الغزالى : كأنه يقول : هذا لا يرضانا ربًّا حتى سخط فليتخذ رباً آخر يرضاه وهذا غاية الوعيد والتهديد لمن عقل ولمن صدق ، ولقد صدق من قال إذ سئل ما العبودية والربوبية ؟ فقال : الرب يقضى والعبد يصبر وليس فى السخط إلا الهم والضجر فى الحال والوزر والعقوبة فى المآل بلا فائدة إذ القضاء نافذ فلا ينصرف بالهلع والجزع ، كما قيل :

ما قد قضى يانفس فاصطبرى له ولك الأمان من الذى لم يقدر
وتيقنى أن المقـــدر كائن حتم عليك صبرت أو لم تصبرى

فمن ترك التسليم لقضاء الله وقدره فقد جمع على نفسه ذهاب ما أصيب به وذهاب ثواب الصابرين فهو خسران مبين ، ومن رضى بمكروه القضاء والقدر تلذذ بالبلاء ونال ثواب الصابرين ، ومن علم من نفسه العجز فليستعذ بالله من حمله ما لا يطيق وليقل كما علمه ربنا : ﴿ ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ ويسأل المعافاة ويستعين بالله على قضائه وقدره نعم المولى ونعم النصير .

فإن قيل : الشر والمعصية بقضاء الله وقدره فكيف يرضى به العبد ؟ قلنا : الرضى إنما يلزم بالقضاء وقضاء الشر ليس بشر بل الشر المقضى قالوا : والمقضيات أربعة نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة يجب الرضى فيها بالقاضى

والقضاء والمقضى ويجب الشكر عليها والشدة يجب الصبر عليها والخير يجب الرضى فيه بالقاضى والمقضى ويجب عليه ذكر المنة من حيث إنه وفقه له والشر يجب فيه الرضى بالقاضى والقضاء والمقضى من حيث إنه مقضى لا من حيث إنه شر ، والحديث ذكره المدنى فى كتابه وزاد « فى الألقاب عن على » وفيه محمد بن عكاشة الكرمانى . قال الدارقطنى . يضع الحديث :

٢٠١ ـ « يَا مُوسَى إِنَّهُ لَنْ يَلْقَانِى عَبْدِى فِى حَاضِرِ الْقِيَامَةِ إِلَّا فَتَّشْتُ عَمَّا فِى يَدِهِ إِلَّا الْوَرِعِينَ فَإِنِّى أَسْتَحْيِيهِمْ وَأُجِلُّهُمْ وَأُكْرِمُهُمْ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ » .

ش : موسى بن عمران هو نبى الله ورسوله وصفيه وكليمه بن يصهر ابن قاهت بن لاوى بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم . وكان عمر عمران حين توفى مائة وسبعاً وثلاثين سنة ، قال أهل التاريخ : لما مات الريان بن الوليد وهو فرعون مصر الأول صاحب يوسف الذى ولاه خزائن الأرض وأسلم على يديه ملك بعده جبار وأبى أن يسلم ثم مات فملك بعده جبار آخر وتوفى يوسف وأقامت بنو إسرائيل بمصر وقد كثروا ونشأ لهم ذرية وهم تحت أيدى العمالقة وهم على بقايا من دينهم الذى كان يوسف ويعقوب وإسحق وإبراهيم صلى الله عليهم وسلم شرعوه لهم متمسكين حتى كان فرعون موسى الذى بعثه الله تعالى إليه ولم يكن فى الفراعنة أعتى منه ولا أقسى قلباً منه ولا أطول عمراً فى الملك منه ولا أسوأ ملكة لبنى إسرائيل وكان يعذبهم

---

(٢٠١) رواه الحكيم الترمذى عن ابن عباس .

ويستعبدهم وجعلهم خدماً وخولا وعاش فيهم أربعمائة سنة ، فأراد فرعون أن يقتل كل ذكر من أولادهم حتى لا يكثر عدد بنى إسرائيل فيقووا عليه فأمر قابلتى المصريين وكان اسم إحداهما شفرة والثانية فوعة بقتل كل ذكر تلده عبرانية ، وأما البنت فتبقى فلم تفعلا ما أمرتا به ولما سألها قالتا له : أن العبرانيات قويات فهن يلدن قبل أن تأتى القابلة ، ثم أمر فرعون جنوده المتدخلين فى الأعمال أن يلقوا كل ذكر من أولاد العبرانيين فى النهر ليموت ، هذا ما ذكرته التوراة وهو عين ما ذكر فى القرآن إلا فى تفاصيل جزئية . اقرأ سورة القصص . آية ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ والبقرة ٤٩ ، والأعراف ١٤١ ، وإبراهيم ٦ فترى أن قتل الأبناء واستحياء النساء بلاء لا يصبر عليه ذو عقل إلا بمعونة الله وأن الله سبحانه وتعالى إنما كافأ بنى إسرائيل بنعمه الوافرة بما كان منهم من الصبر وإن كانوا على أخلاق جافية وطباع شاذة فى نواح أخرى من نواحى سجاياهم من حيث ضجرهم بالخير يسدى إليهم وطلبهم من موسى أن يجعل لهم إلها حين مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم ومبادرتهم إلى عبادة العجل بلا روية وذلك أن أجر الصبر عند الله تعالى عظيم ، ولما ولدت أم موسى ابنها موسى عليه السلام خبأته عن عيون من يطلبون أطفال بنى إسرائيل لقتل ذكرانهم فمكث عندها ثلاثة أشهر فلما خافت افتضاح أمرها أعلمها الله تعالى وعلمها أن تصنع له ما يشبه الصندوق وتطليه بالقطران والزفت وتلقيه فى اليم ففعلت وناطت بأخته أن تتبع أثره وتعلم علمه وكان الله تعالى قد أعلمها أنه راده إليها وجاعله من المرسلين فلم تزل أخته تراقبه حتى علمت أنه التقط وأدخل دار فرعون وأن عين زوجة فرعون وقعت عليه فألقى الله عليها محبته فاستحيته وأبقته ليكون قرة عينها وعين فرعون راجية أن ينفعهما أو يتخذاه ولدا وهذا تدبير من الله تعالى لموسى وأمه لأنه سيعود إليها لتكون ظئراً له وتتقاضى على إرضاعه أجراً وهى آمنة كيد الكائدين وسعى الساعين .

ولما عرض على المراضع فزهده الله تعالى فيها فلم يقبل على ثدى إحداهن رحمة منه تعالى بأمه وكانت أخته تقص أثره وتتبعه أينما سير به حتى رأت إعراضه عن الثدى فعرضت على آل فرعون أن تدعو لهم امرأة عبرانية ترضعه وتكفله وأنها تكون له ناصحة مشفقة تقوم له مقام الأم وكان اسم أخته مريم ، صادف قول مريم من آل فرعون أذناً مصغية وبعثوها فى طلب الظئر فجاءت بأمها وأمه على التحقيق فأقبل على ثديها فألقوا إليها بموسى لترضعه وهو موضع عنايتهم . اقرأ سورة القصص قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ . الآيات ، وسورة طه قوله تعالى : ﴿ ولقد مننا عليك مرة أخرى ﴾ . الآيات .

وطبعى أن أم موسى بعد أن أتمت رضاعته أتت به إلى بيت فرعون وتولى البلاط الفرعونى تربيته كما كانوا يربون أبناء الملوك فى ذلك العهد بواسطة الكهنة ورجال الدين بحسب التقاليد التى كانت لذلك البيت فى تلك الأيام وأن موسى عليه السلام قد تعلم تعليماً راقياً ، وفى التوراة أن أم موسى ردته إلى ابنة فرعون فاتخذته ولداً وأسمته موسى وقالت : إنى انتشلته من الماء ، فلما كبر قتل القبطى ثم خرج خائفاً يترقب ، فلما ورد ماء مدين وهى بلاد واقعة شرقى شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة وشمال الحجاز وجنوب فلسطين جرى له هناك مع شعيب ما جرى وتزوج بنته كما أخبر الله تعالى به ، فلما قضى موسى الأجل وهو أكمل الأجلين عشر سنين ثبت ذلك فى الصحيح عن ابن عباس سار بأهله فآنس من جانب الطور ناراً فجرى له ما أخبر الله به فى كتابه ، والله أعلم .

وقوله : « فى حاضر القيامة » . أى شاهد يوم القيامة والواقف فيها ، والورعين جمع ورع التقى ، والاستحياء طلب الحياء ؛ والإجلال التعظيم والاحترام .

والمعنى — والله أعلم — أن الله تبارك وتعالى يخاطب نبيه وكليمه موسى عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والتسليم ويخبره أن العبد إذا لقيه يوم القيامة فتش ونظر عما فى يده من خير وشر فإن اكتسب خيراً جازاه عليه وإن اكتسب شراً عاقبه عليه ،وعبر بالتفتيش مع أن الله جل وعلا يعلم ما تكنه الصدور وتخفيه القلوب مشاكلة جرياناً على ما يألفه الخلق من التفاهم والتخاطب إلا الذين اتقوا الله وكفوا أنفسهم عن المهلكات وآثروا الآخرة على الحياة الدنيا فأولئك لا يدخلون تحت المراقبة والتفتيش لأن الله جلت عظمته يستحى أن يفتشهم ويجلهم ويحترمهم ويوقرهم ويكرمهم وزيادة على ذلك فإن الله تعالى يدخلهم الجنة بغير حساب لتقواهم وورعهم ، والورع تقدم الكلام عليه غير مرة ، والحديث رواه الحكيم الترمذى فى كتابه نوادر الأصول ، كما قال المصنف . والله أعلم .

٢٠٢ — « يَا مُوسَى لَنْ تَرَانِى إِنَّهُ لَن يَرَانَى حَىٌّ إِلَّا مَاتَ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا تَدَهْدَهَ وَلَا رَطْبٌ إِلَّا تَفَرَّقَ إِنَّمَا يَرَانِى أَهْلُ الْجَنَّةِ الَّذِينَ لَا تَمُوتُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَبْلَى أَجْسَادُهُمْ » .

ش - قوله : « تدهده » ، أى تدحرج ، وبلى الجسد فنى ، وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى أن الله تبارك اسمه يخاطب نبيه موسى عليه السلام ويخبره إنك لن ترانى ما دمت فى هذه الحياة الدنيا لعدم استعدادك لذلك ، وظاهر هذا أن نبى الله موسى عليه السلام طلب من ربه عز وجل أن يريه ذاته كما جاء

---

(٢٠٢) رواه الحكيم عن ابن عباس .

بذلك الكتاب الحكيم : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾ ، ولما كانت الرؤية فى الدنيا من سائر المخلوقات جائزة طلب رؤية ربه ليتمتع بذلك بعد أن سمع كلام خالقه تعالى فأجابه المولى أن رؤيته لا تكون فى الدنيا لعدم طاقة الخلق عليها وضرب له مثلا بما هو أقوى من بنيته وأثبت وهو الجبل الذى كان عليه موسى عليه السلام ، أى إن ثبت الجبل مكانه وسكن فسوف ترانى وإن لم يسكن فإنك لا تطيق ذلك كما أن الجبل لا يطيق رؤيتى فلما تجلى الله تبارك وتعالى وظهر للجبل جعله دكاً أى تراباً أى استحال من الحجرية والشموخ إلى المهاد والتراب ، وموسى عليه السلام خر صعقاً مغشياً عليه فهذا يدل على أن الأبصار لا تدرك الله تعالى فى الدنيا كما أخبر الله بذلك فى القرآن الحكيم : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ . الآية ، إلا إذا خلق لمن يريد كرامته بصراً وإدراكاً يراه به كما حصل لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام حين عرج إلى السماء إلى رب العزة فرأى ربه ببصره وعينى رأسه ، وعن مالك بن أنس قال : لم ير فى الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقى بالفانى فإذا كان فى الآخرة ورزقوا أبصاراً باقية رأوا الباقى بالباقى ، قال القاضى عياض : وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم يمتنع فى حقه ، وقد اختلف العلماء سلفاً وخلفاً فى رؤية الله تعالى هل هى جائزة أم لا ؟ البعض قال : جائزة مطلقاً ، والبعض قال بالمنع مطلقاً ، والبعض فصل فقال : هى غير جائزة فى الدنيا جائزة فى الآخرة ، وكل منهم أورد لنفسه دلائل وتمسك بها والأستاذ صاحب مجلة المنار هنا كلام فى تفسيره عليه حلاوة وطلاوة وتحقيق أورده لك زيادة فائدة ، قال :

كان جماعة الصحابة رضوان الله عليهم يفهمون هذه الآيات وأمثالها ولا يرون فيها إشكالا وهم أعلم العرب بلغة القرآن وبمراد الله تعالى من آياته فيه لتلقيهم إياها من الرسول المنزلة عليه المأمور فيها ببيانها للناس. ثم انتشر الإسلام ودخل فيه من الأعاجم من كانوا على أديان مختلفة وصاروا يتلقون لغته بالتلقين ويقتبسونها بمعاشرة العرب الخلص ثم بالتعليم الفني ، ثم صارت السلائل العربية كذلك ثم حدثت فى الجميع الاصطلاحات العلمية والفنية لما وضعوا من العلوم الشرعية كأصول العقائد والفقه والحديث واللغوية كالنحو والصرف والبيان ، ولما ترجموا من كتب علوم الأوائل وما زادوا فيها من الرياضيات والعقليات والوجدانيات وسائر سنن الموجودات فامتزجت هذه الاصطلاحات بلغة القرآن والحديث فصارت آلات لفهمهما ، وسبباً للخطأ فى تعيين بعض المراد منها .

ثم حدث ما هو أدعى إلى الخطأ فى الفهم وهو عصبية المذاهب والشيع التى فرقت بين المسلمين ، على ما جاء فى التفرق والتفريق من الوعيد الشديد ، فصار كل منتم إلى شيعة وحزب لا ينظر فى الكتاب والسنة إلا بالمنظار المعبر عنه بمذهب الحزب ، وإن كان من أهل النظر والاستدلال ومدعى الاجتهاد والاستقلال ، والبداهة قاضية بالتضاد بين التقيد بالمذهب والاستقلال الصحيح المسمى عندهم بالاجتهاد المطلق .

وهنالك سبب آخر وهو حشر الإسرائيليات والروايات الموضوعة والواهية فى تفسير القرآن وكتب السنة وتقاصر الأكثرين عن تمحيصها والتمييز بين حقها وباطلها ، حتى إن بعض الإسرائيليات قد اشتبه بالأحاديث المرفوعة كما بينه بعض نقاد الحفاظ ومنهم ابن كثير فى تفسيره .

فبهذه الأسباب أبطلوا مزية كتاب الله وخاصيته فى رفع الخلاف والتفرق

المفسدين لأمر الملة والأمة اتباعاً لسنن من قبلهم وهم لا يشعرون لأنهم جعلوه هو موضع الخلاف أيضاً ، قال تعالى : ٢ : ٢١٣ : ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ . وقال تعالى : ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ .

فالرد إلى كتاب الله وما بينه من سنة رسوله لإزالة التنازع وحسم الخلاف تفادياً من التفريق والتفرق المنافى لوحدة الدين يتوقف على جعل الكتاب وبيان الرسول له فوق التنازع واختلاف المذاهب والشيع وإلا كان الدواء عين الداء .

فإن قيل : إن القرآن ليس موضوع اختلاف بين الشيع والأحزاب المختلفين فى المذاهب الإسلامية فهم مجمعون على أن من رد شيئاً منه كان مرتداً عن الإسلام — إن كان قد عد من أهله — وإنما الاختلاف فى فهمه ؛ وأما السنة فاختلفوا فى رواية بعضها وفى فهم بعض ومن صح عنده منها شىء يتعلق بأمر الدين وجب الأخذ به فى كل مذهب من المذاهب التى يعتد بإسلام أهلها ، والاختلاف فى فهم ما كان غير قطعى الدلالة ضرورى لا يتناوله مثل قوله تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ .

ونجيب عن هذا ، أولا : بأنهم إنما كانوا كذلك فى كل ذلك قبل الفتن وعصبية المذاهب ، وأما بعدها فقد صرح بعض كبار فقهاء الحنفية بأن الأصل عندهم فى كل حكم كلام أصحابهم فإن وجدوا آية تخالفه (! !) التمسوا لها ناسخاً فإن لم يجدوا أولوها ، وإن وجدوا حديثاً مخالفاً له (! !) بحثوا

فى إسناده فإن وجدوا فيه مطعناً نبذوه وإلا فعلوا فى التفصى منه ما يفعلون فى التفصى من القرآن (!) وقد جرى على ذلك أهل كل مذهب إلا أفراد من كبار النظار خالفوا المذهب فى بعض المسائل الكلامية والأصولية بالدليل ، وبعض كبار المحدثين رجحوا بعض الأحاديث الصحيحة الصريحة على المذهب وإن شئت فراجع بعض الشواهد على ردهم لها فى : « كتاب إعلام الموقعين» للمحقق ابن القيم و ، ثانياً : بأن الله تعالى يكافهم أن لا يجعلوا ما ليس قطعى الدلالة سبباً للتفرق والتعادى وتأليف الأحزاب والشيع التى يلقن اتباع كل منها فيهم رجل أو رجال يسمونه مذهبهم ويتعلمون معه الرد على مخالفيهم وتفسيقهم أو تكفيرهم ، وبهذا كان الاختلاف ضاراً ومفسداً على المسلمين ومن كان قبلهم من أهل الملل أمور دينهم ودنياهم ، وهو المراد بقوله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء ﴾ الآية ، ولولاه لما كان أولئك العلماء الأعلام من المعتزلة والأشعرية يتنابزون بالألقاب ويتبارون بالسباب ويتهاجون بالأشعار كقول الزمخشرى المعتزلى بعد تفسيره لآية الأعراف التى نحن بصدد تفسيرها : ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً ؟ ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة ؛ فإنه من منصوبات أشياخهم — يعنى بالبلكفة قولهم : أنه تعالى يرى بلا كيف أى أن رؤيته ليست كرؤية أهل الدنيا بعضهم لبعض فيما يلزمها من كون المرئى جسماً كثيفاً تحيط به أشعة البصر — ثم قال والقول ما قال بعض العدلية فيهم :

وجماعة سموا هواهم سنـــة   لجماعة حمـــر لعمرى موكفه

قد شبهوه بخلقه وتخوفـــوا   شنع الورى فتستروا بالبلكفه

يعنى بالعدلية جماعته المعتزلة فإنهم سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد

فانظر إلى جعله إثبات الرؤية الثابتة فى الأحاديث المتفق على صحتها منافياً للاتسام بالإسلام والتسمى بأهل السنة ، وهو يعلم أنهم ينفون التشبيه فى الرؤية بالتصريح كما ينفيه هو ، فلولا تعصب المذهب لما ألزمهم إياه بدلالة اللزوم الضعيفة التى قالوا فيها : « لازم المذهب ليس بمذهب » . قيل : مطلقاً ، وقيل : فيما لم يدل الدليل على التزام صاحب المذهب له ، وأما ما صرح بنفيه فلا وجه لإسناده إليه ألبتة ومن نسبه إليه وذمه به كان ظلوماً جهولا .

ولو أن الزمخشرى وشاعر العدلية لم يقولا ما قالا من الطعن والهجو فى أهل السنة بأن اكتفى الزمخشرى فى تأويل أحاديث الرؤية بما أولها به من كون الرؤية فيها عبارة عن كمال المعرفة الجلية لما جوزيا على ذلك بمثل ذنبهما أو أكثر ، كما قال أحمد بن المنير الإسكندرى فى (الانتصاف) حاشيته على الكشاف :

وجماعة كفروا برؤية ربهم — حقاً ووعد الله ما لن يخلفه
وتلقبوا عدلية قلنـــا أجل — عدلوا بربهم فحسبهم سفه
وتلقبوا الناجين كلا إنهم — إن لم يكونوا فى لظى فعلى شفه

والشيخ تاج الدين السبكى صاحب جمع الجوامع وغيره مثل هذا الشعر المخزن ، والبادئ بالشر أظلم ، وهؤلاء الذين هجوا عدلية المعتزلة بمثل ما هجا به شاعرهم أهل السنة كافة هم من الأشعرية الذين يقولون مثلهم بالتأويل ويشنعون على إخوانهم من الحنابلة وغيرهم من السلفيين فى بعض مسائل التفويض كالنصوص فى علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه التى اتبعوا فيها إجماع السلف أو جمهورهم الأعظم فى إمرارها كما جاءت مع تنزيه الرب تعالى عن مشابهة الخلق والتحيز والحد والحلول ، لأن أصل عقيدتهم أنه تعالى

مباين لخلقه بذاته وصفاته ﴿ليس كمثله شيء﴾ بل أول الإمام أحمد بن حنبل نفسه نصوص المعية كقوله تعالى : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فخصه بالعلم .

فالحق الواقع أن المختلفين فى فهم النصوص من المسلمين الصادقين يؤمنون بها ويعظمونها ولكن غلب على قوم ترجيح جانب التنزيه حتى انتهى ببعضهم إلى التعطيل ، وجعل صفات الرب تعالى سلبية بضروب من التأويل ، وغلب على قوم جانب الأخذ بالظاهر فى ذلك حتى وقع بعضهم فى التشبيه فعلا كأن الكتاب والسنة خلوا من المجاز والكناية فى ذلك مع العلم بأن ما عدا اسم الجلالة من ألفاظ اللغة قد وضع قبل نزول القرآن للتعبير به عن المخلوقات وشئونها فالفريقان أرادا تعظيم الرب تعالى وسد ذريعة القول فى ذاته وصفاته بغير الحق الذى يرضيه ، هؤلاء خافوا التعطيل ورد شيء من النصوص أو تحكم الأهواء فى تأويلها وأولئك خافوا الوقوع فى تشبيه الرب سبحانه بخلقه وسد ذريعة ما يعد نقصاً فى حقه . فالنية كانت حسنة من الجانبين كما قال شيخنا الشيخ حسين الجسر الطرابلسى رحمه الله تعالى فى درسه عند قراءة شرحى السنوسية والجوهرة ، ولكن الذين ضلوا بالتأويل والتعطيل كثيرون حتى خرجت به عدة طرق من الملة بعضهم باطناً وظاهراً وبعضهم باطناً لا ظاهراً كالباطنية الذين تركوا أركان الإسلام من صلاة وزكاة وحج وصيام زاعمين أن لها معانى غير ما عمل به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وأجمع عليه المسلمون ، وكغلاة الصوفية الذين ذهبوا فى التأويل إلى ما وراء طور العقل والنقل وأساليب اللغة فادعوا أنهم يرون الله تعالى عياناً فى جميع الصور ويتلقون عنه كالأنبياء ، وأن فيهم من هم أفضل من الأنبياء وأعلم بالله تعالى ، ومنهم من ادعى رفع التكليف عمن بلغ مقاماتهم فى المعرفة ، بل منهم من غلا فى وحدة الوجود إلى ادعاء الربوبية للبشر والبقر والحجر والمدر ، وما يستحى أو يتنزه قلم المتدين الأديب عن ذكره ، وإلى عدم التفرقة بين موحد ومشرك

ومؤمن وكافر وبر وفاجر وعادل وجائر وطيب وخبيث ، ولا بين نافع وضار وطهور ورجس . ويستدلون على عقائدهم أو مزاعمهم بالآيات والأحاديث بضروب من التأويل وقد قال بعضهم :

عقد الخلائق فى الإله عقائدا   وأنا اعتقدت جميع مااعتقدوه

ولم يقع من فرقة تأخذ بظواهر نصوص الكتاب والسنة من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل فى مثل هذا الضلال البعيد ، فهؤلاء الظاهرية ومن يسمونهم غلاة الحنابلة من أقوى المسلمين إيماناً وأصحهم إسلاماً وما رموا به من التشبيه والتمثيل الذى نفاه النص والعقل ظلم سببه التعصب المذهبي ، فإذا كانوا يثبتون للرب تعالى كل ما أثبته لنفسه فى كتابه وأثبته له رسوله فيما صح من حديثه حتى فيما يفوضون كنهه إليه تعالى للاعتراف بأن عقولهم لا تحيط به فهل يعقل أن يثبتوا له ما نفاه عن نفسه بقوله : ﴿ليس كمثله شيء﴾ وهو مما يعقلونه ولا يعقلون ضده ؟ كلا إن تعصب أصحاب النظريات الكلامية من المعتزلة ومن يقرب منهم من متأولة الأشعرية هم الذين افتاتوا عليهم بما ألزموهم إياه مما نفوه من لوازم ما صح فى الكتاب والسنة من علوه تعالى على خلقه واستوائه على عرشه وكونه ينزل إلى سماء الدنيا ويحب ويبغض ويضحك إلخ ، مع استصحاب نص التنزيه ، فهم لا يرون فرقاً بينها وبين كونه يسمع ويبصر ويتكلم ، وكذا يعلم ويريد ويشاء ويقدر ، فكل ذلك مما يطلق على الخلق والخالق مع انتفاء التشبيه ؛ وإنما ذنبهم عندهم أنهم لا يستعملون نظريات أفكارهم فى التحكم بتأويل هذه النصوص ، ولم يكلف الله تعالى أحداً من خلقه هذه النظريات الفلسفية الكلامية ؛ وإنما كلفهم الإيمان بجميع ما جاءهم به رسوله صلى الله عليه وسلم وأصل الدين الذى بعث الله تعالى به جميع رسله إلى خلقه هو أن يعبدوا الله تعالى وحده ولا يشركوا به شيئاً من خلقه ، وأن

يعبدوه بما شرعه لهم دون غيره ، إذ ليس لغيره أن يشرع شيئاً من الدين بدون إذنه . فالله تعالى قد شرع الدين لجميع أفراد الأمة وهذه الفلسفة الكلامية من دقائق النظريات الفكرية التى انفرد بالغوص عليها أفراد معدودون من أذكياء الأمم فتفرقوا فيها واختلفوا لأن التفرق والاختلاف من لوازمها البينة ، فعصوا الله تعالى فى نهيه عن التفرق والاختلاف فى الدين ، فكيف يقول عاقل أن جميع المؤمنين قد كلفوها ، وإذا كانت صحة الإيمان تتوقف عليها ، فكم عدد المؤمنين فى الأمة كلها ؟ وإذا كان الحق فيها واحداً كما يقولون فكم عدد أهل الحق منهم ؟ وكيف السبيل لدى كل من احتكر الحق فيها لنفسه إلى تلقين السواد الأعظم من الأمة ما يراه بحيث لا يقبل سواه ؟ فإن كان هو أصل الدين الذى لا يقبل الله غيره ففهم الدين متعذر على أكثر الأمة .

وأما ما كان عليه السلف الصالح فى صدر الأمة فكان سهلا ويسيراً كما وصف الله ورسوله هذا الدين وهذه الملة ، كان جميع المسلمين فى الصدر الأول يصفون الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه فى كتابه وعلى لسان رسله من غير تشبيه له بأحد من خلقه ، ومن غير هذه الفلسفة الكلامية التى لم يشرعها الله تعالى ولا أنزل بها من سلطان ، ولذلك استنكر جميع أئمة السلف علم الكلم وعدوه بدعة سيئة ، ومن خاض فيه بعد ذلك من أتباعهم فلأنهم ظنوا أنه يتوقف عليه إبطال البدع وإزالة الشبهات المشكلة فى الدين لا لذاته ، وأرادوا به إزالة الخلاف فزادهم خلافاً وافتراقاً ، حتى صار أكثرهم يزعم أن العقائد الصحيحة لا تعرف إلا به ، ويحصرها كل فريق فى مذهبه ؛ ولا سلامة للمسلمين فى دينهم ودنياهم إلا الرجوع فى الدين المحض إلى ما كان عليه السلف وفى أمور الدنيا إلى ما أثبته العلم والتجارب فى هذا العصر ، وأن ينبذوا جميع الأسباب والكتب التى كانت مثار الخلاف والتفرق وراء ظهورهم ولا يجعلوا

قول عالم من علمائهم ولا فهمه سبباً للتعادى والتفرق بينهم بل يعدوا كل ما ليس قطعياً من كتاب ربهم وسنة رسولهم وإجماع سلفهم من الاجتهاد الذى يعذر به من قام دليله عنده ومن وثق به ولا يكون حجة على غيره . وقد فصلنا القول فى هذا فى مجلتنا — المنار — مراراً . فبهذا يزول ضرر اختلاف المذاهب فى الأصول والفروع ويتراجع الجميع إلى وحدة الدين وأخوة الإسلام ، فينالوا من سعادة الدنيا ثم الآخرة ما شرع الله لهم الدين لأجله ، انتهى .

والحديث يدل على أن رؤية الله تعالى لا تكون فى الدنيا ، لأن أهل الدنيا ليس عندهم استعداد للرؤية ، وتحصل للخلق يوم القيامة فى الجنة لاستعدادهم لذلك فإن أهل الجنة لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم . والحديث موافق لما فى القرآن والسنة الصحيحة ، والله أعلم .

٢٠٣ — « يَا مُوسَى إِنَّهُ لَنْ يَتَصَنَّعَ إِلَيَّ الْمُتَصَنِّعُونَ بِمِثْلِ الزُّهْدِ فِى الدُّنْيَا وَلَمْ يَتَقَرَّبْ إِلَيَّ المتَقَرِّبُونَ بِمِثْلِ الْوَرَعِ عَمَّا حَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ وَلَنْ يَتَعَبَّدَ إِلَيَّ الْمُتَعَبِّدُونَ بِمِثْلِ الْبُكَاءِ مِنْ خِيفَتِى » .

ش : التصنع التفعل والتكلف . يقال تصنع الرجل تكلف حسن السمت والتزين وأظهر عن نفسه فعلا ليس فيه ، والزهد تقدم الكلام عليه صفحة ١٧٨ فارجع إليه ، والورع فى الأصل الكف عن المحارم والتحرج منه . يقال : ورع الرجل يرع — بالكسر فيهما — ورعاً ورعة فهو ورع وتورع من كذا

---

(٢٠٣) رواه القضاعى عن كعب .

ثم استعير للكف عن المباح والحلال . والبكاء بالمد والقصر – وقيل القصر مع خروج الدموع والمد على إرادة الصوت وقد جمع الشاعر اللغتين فقال :

بكت عينى وحق لهـــا بكاها   وما يغنى البكاء ولا العويل

ويتعدى بالهمزة فيقال : أبكيته ، ويقال بكيته وبكيت عليه وبكيت له وبكيته بالتشديد بمعنى ، وبكت السماء أمطرت ، والخيفة الحالة التى عليها الإنسان من الخوف ، وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى – والله أعلم – أن الله جلت عظمته يخاطب نبيه موسى عليه السلام ويخبره أن هناك ثلاثة أعمال من أعمال البر التى ليس لها نظير ، الأول الزهد فى الدنيا فليس عمل يتكلفه الإنسان ويتصنعه مثل الزهد فى الدنيا ، والزهد فى الشىء الإعراض عنه لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه يقال شىء زهيد أى قليل وحقير فالزهد فى الدنيا كثر الإشارة إلى مدحه فى القرآن الحكيم وكذا ذم الرغبة فى الدنيا وسبق ذكر بعضها قريباً ولا بأس من الزيادة فى ذلك فنقول : قال الله تعالى : ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ﴾ ، وقال تعالى فى قصة قارون : ﴿ فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾ إلى قوله : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ ، وقال حاكياً عن مؤمن آل فرعون إنه قال لقومه : ﴿ ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد * يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هى دار القرار ﴾ .

والأحاديث فى ذم الدنيا وحقارتها والزهد فيها كثيرة ، منها ما رواه مسلم فى

صحيحه عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : مر بالسوق والناس كنفيه — أي مكتنفوه — فمر بجدى أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه فقال أيكم يحب أن هذا له بدرهم . فقالوا : ما نحب إنه لنا بشىء وما نصنع به . قال : أتحبون أنه لكم . قالوا : والله لو كان حياً لما رغبنا فيه لأنه أسك . فكيف وهو ميت ! فقال : « والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم » ، والأسك مصطلم الأذنين مقطوعهما .

وفيه أيضاً عن المستورد الفهرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بماذا يرجع » . وخرج الترمذى من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » . وصححه .

وقد تكلم السلف ومن بعدهم فى تفسير الزهد فى الدنيا وتنوعت عباراتهم عنه ، وورد فى ذلك حديث مرفوع خرجه الترمذى وابن ماجه من رواية عمرو بن واقد عن يونس بن حليس عن أبي إدريس الخولانى عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ، ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يديك أوثق مما فى يد الله وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك » ، وقال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وعمرو بن واقد منكر الحديث . قال الحافظ زين الدين بن رجب : قلت الصحيح وقفه كما رواه الإمام أحمد فى كتاب الزهد ، وقال الفضيل بن عياض : أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل ، وقال القنوع هو الزاهد وهو الغنى فمن حقق اليقين وثق بالله فى أموره كلها ورضى بتدبيره له وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفاً وضعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة ، ومن كان كذلك كان

زاهداً فى الدنيا حقيقة وكان من أغنى الناس وإن لم يكن له شىء فى الدنيا كما قال عمار رضى الله عنه : كفى بالموت واعظاً وكفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا . ومن علامات الزهد فى الدنيا قلة الرغبة فيها كما قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : من زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ، ومنها أن يستوى عند العبد حامده وذامه فى الحق فإن من عظمت الدنيا عنده اختار المدح وكره الذم فربما حمل ذلك على ترك كثير من الحق خشية الذم وعلى فعل كثير من الباطل رجاء المدح فمن استوى عنده حامده وذامه فى الحق دل على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه وامتلائه من محبة الحق وما فيه رضا مولاه كما قال ابن مسعود رضى الله عنه : اليقين أن لا ترضى الناس بسخط الله، وكلام القوم فى الزهد كثير فعليك بمطالعة كتاب مدارج السالكين وطريق الهجرتين ومختصر شعب الإيمان تجدما يسرك ويملأ قلبك إيماناً ويقيناً .

الثانى : من الأعمال التى أشار إليها الحديث الورع فان يتقرب إلى الله المتقربون بمثل الكف عما حرم عليهم ، وتقدم تفسير الورع آنفاً وقد جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الورع كله فى كلمة واحدة فقال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » . رواه الترمذى وحسنه النووى فهذا يعم الترك لما لا يعنى من الكلام والنظر والاستماع والبطش والمشى والفكر وسائر الحركات الظاهرة والباطنة، فهذه الكلمة شافية فى الورع ، قال إبراهيم ابن أدهم : الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعنيك هو ترك الفضلات ، وفى الترمذى مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبد الناس » ، قال الشبلى : الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله ، وقال إسحق بن خلف : الورع فى المنطق أشد منه فى الذهب والفضة ، والزهد فى الرياسة أشد منه فى الذهب والفضة لأنهما يبذلان فى طلب الرياسة ، وكلام القوم فى الورع كثير نسأل الله التوفيق .

النوع الثالث المذكور فى الحديث البكاء من خيفة الله عز وجل، ولن يتعبد إلى الله تعالى المتعبدون بمثله ، والبكاء على أنواع كما حققه العلامة ابن قيم الجوزية فى كتابه زاد المعاد فى هدى خير العباد . قال : أحدها بكاء الرحمة والرقة . والثانى بكاء الخوف والخشية . والثالث بكاء المحبة والشوق . والرابع بكاء الفرح والسرور . والخامس بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله. والسادس بكاء الحزن ، والفرق بينه وبين بكاء الخوف أن بكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب،وبكاء الخوف يكون لما يتوقع فى المستقبل من ذلك والفرق بين بكاء السرور والفرح وبكاء الحزن : أن دمعة السرور باردة والقلب فرحان ودمعة الحزن حارة والقلب حزين ، ولهذا يقال لما يفرح به هو قرة عين ، وأقر الله به عينه ولما يحزن هو سخينة العين وأسخن الله عينه به . والسابع بكاء الخور والضعف . والثامن بكاء النفاق وهو أن تدمع العين والقلب قاس فيظهر صاحبه الخشوع وهو من أقسى الناس قلباً . والتاسع البكاء المستعار والمستأجر عليه كبكاء النائحة بالأجرة فإنها كما قال عمر بن الخطاب تبيع عبرتها وتبكى بشجو غيرها ، والعاشر بكاء الموافقة وهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر ورد عليهم فيبكى معهم ولا يدرى لأى شيء يبكون ولكن يراهم يبكون فيبكى وما كان من ذلك دمعاً بلا صوت فهو بكا مقصور وما كان معه صوت فهو بكاء ممدود على بناء الأصوات ، وقال الشاعر :

بكت عينى وحق لها بكاها　　　وما يغنى البكاء ولا العويل

وما كان منه مستدعى متكلف فهو التباكى ؛ وهو نوعان محمود ومذموم فالمحمود أن يستجلب لرقة القلب ولخشية الله لا للرياء والسمعة ، والمذموم أن يجتلب لأجل الخلق . وقد قال عمر بن الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد رآه يبكى هو وأبو بكر فى شأن أسارى بدر : أخبرنى ما يبكيك

يا رسول الله؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت ولم ينكر عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد قال بعض السلف : ابكوا من خشية الله فإن لم تبكوا فتباكوا .

والبكاء مشروع يدل على لين القلب ورقته والنبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا نظرت فى سيرته الشريفة وجدت من شمائله عليه الصلاة والسلام أنه كان يبكى تارة بكاء رحمة للميت ، وتارة خوفاً على أمته وشفقة ، وتارة من خشية الله ، وتارة عند سماع القرآن وهو بكاء اشتياق ومحبة وإجلال مصاحب للخوف والخشية ، ولما مات ابنه إبراهيم دمعت عيناه وبكى رحمة له وقال : تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ، وبكى لما شاهد إحدى بناته ونفسها تفيض ، وبكى لما قرأ عليه ابن مسعود سورة النساء ، وانتهى فيها إلى قوله تعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ ، وبكى لما مات عثمان بن مظعون ، وبكى لما كسفت الشمس وصلى صلاة الكسوف وجعل يبكى فى صلاته وجعل ينفخ ويقول : رب ألم تعدنى أن لا تعذبهم وأنا فيهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك ، وبكى لما جلس على قبر إحدى بناته ، وكان يبكى أحياناً فى صلاة الليل ، والحديث فيه شيء ، والله أعلم .

٢٠٤ ـ « يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمٰوَاتِ وَمَا فِيهَا وَالأَرْضَ وَمَا فِيهَا وَالْبِحَارَ وَمَا فِيهَا وُضِعُوا فِى كَفَّة وَلَا إِلٰهِ إِلَّا اللّٰهُ وُضِعَتْ فى الْكَفَّةِ الْأُخْرَى لرَجَحَتْ » .

---

(٢٠٤) رواه أبو يعلى عن أبي سعيد .

ش : السموات جمع سماء . سماء كل شىء أعلاه . قال الشاعر فى وصف فرس :

وأحمـــر كالديباج أما سماؤه فــريا وأما أرضه فمحــول

قال بعضهم : كل سماء بالإضافة إلى ما دونها فسماء وبالإضافة إلى ما فوقها فأرض إلا السماء العليا فإنها سماء بلا أرض . وحمل عل هذا قوله تعالى : ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ﴾ ، والسماء المقابل للأرض مؤنث ، وقد يذكر ويستعمل للواحد وقد ورد فى القرآن كذلك ، والأرض الجرم المقابل للسماء وجمعه أرضون ولا تجىء مجموعة فى القرآن ويعبر بها عن أسفل الشىء كما يعبر بالسماء عن أعلاه ، والبحار جمع بحر . وأصل البحر كل مكان واسع جامع للماء الكثير ، هذا هو الأصل ثم اعتبر تارة سعته المعاينة فيقال بحرت كذا أوسعته سعة البحر تشبيهاً ومنه بحرت البعير شققت أذنه شقاً واسعاً ، ومنه سميت البحيرة ، وسموا كل متوسع فى شىء بحراً وللمتوسع فى علمه بحر وقد تبحر أى توسع فى كذا والتبحر فى العلم التوسع ، وقال بعضهم : البحر يقال فى الأصل للماء الملح دون العذب ، والكفة — بكسر الكاف وفتحها — الميزان والجمع كفف بكسر الكاف .

والمعنى — والله أعلم — أن الله تبارك وتعالى يخبر نبيه وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام أن السموات وما فيها من عجائب ومخلوقات والأرض وما فيها كذلك والبحار وما فيها من خبايا وعجائب التى يحار العقل فيها لو وضع الكل فى كفة الميزان ولا إله إلا الله وضعت وحدها فى كفة الميزان الأخرى المقابل للأولى لرجحت ومالت بهن لا إله إلا الله ، وذلك لما اشتملت عليه من نفى الشرك وتوحيد الله الذى هو أفضل الأعمال وأساس الملة والدين ، روى ابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال موسى عليه السلام : « يا رب علمنى شيئاً أذكرك وأدعوك به . قال : قل يا موسى لا إله إلا الله . قال : كل عبادك يقولون هذا . قال : يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهن لا إله إلا الله » ، وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته آمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله ، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله » . والحديث يدل على أن لا إله إلا الله أفضل شىء وأعظمه وهو كذلك . روى الإمام أحمد والترمذى من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً : « خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » . قال ابن قيم الجوزية رحمه الله ونور مرقده ، الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما فى القلوب فتكون صورة العملين واحدة وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض ، وقد ورد فى فضل لا إله إلا الله أحاديث كثيرة كيف لا وهى الفارقة بين التوحيد والشرك ، وبين الإيمان والكفر . نسأل الله أن يميتنا على قول لا إله إلا الله مخلصين بها قلوبنا ، وأسعد الناس يوم القيامة من قالها خالصاً من قلبه .

وهى أيضاً أفضل الذكر وهى مفاتيح الجنة فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله : « من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه » ،

رواه البخارى ، وعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : أفضل الذكر لا إله إلا الله . وأفضل الدعاء الحمد لله » . رواه ابن ماجه والنسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال صحيح الإسناد ، وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله » . رواه أحمد والبزار ، والله أعلم .

٢٠٥ – « يُؤْتَى بِحَسَنَاتِ الْعَبْدِ وَسَيِّئَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقْتَصُّ بَعْضُهَا بِبَعْض فَإِنْ بَقِيَتْ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ » .

ش : يؤتى بالحسنات يجاء بها والحسنات جمع حسنة ويعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان فى نفسه وبدنه وأحواله ، والسيئات جمع سيئة وهى تضاد الحسنة وهما من الألفاظ المشتركة كالحيوان الواقع على أنواع مختلفة كالفرس والإنسان وغيرهما ، ويوم القيامة يوم قيام الساعة وأصل القيامة ما يكون من الإنسان من القيام دفعة واحدة أدخل فيها الهاء تنبيهاً على وقوعها دفعة ، والقصاص القود . يقال : أقص الأمير فلاناً من فلان إذا اقتص له منه فجرحه مثل جرحه أو قتله قوداً .

والمعنى — والله أعلم — أن الله جل ثناؤه وتعاظمت قدرته يخبرنا أن يوم القيامة وهو يوم الساعة يؤتى ويجاء بحسنات العبد وسيئاته فتوزن بميزان العدل ليظهر أى الكفتين أرجح فيقتص بعضها ببعض أى بقدر الحسنات والسيئات فتسقط السيئات بحسب الحسنات إن الحسنات يذهبن السيئات ،

---

(٢٠٥) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس .

فإن بقيت حسنة واحدة بعد ذلك له أمر الله عز وجل بإدخاله الجنة ، واختلف في تسمية يوم القيامة بذلك قيل لكون الناس يقومون من قبورهم . قال تعالى : ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعا﴾ ، وقيل لوجود أمور المحشر والوقوف ونحوهما فيه ، وقيل لقيام الناس لرب العالمين كما روى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً يوم يقوم الناس لرب العالمين . قال : يقوم الناس أحدهم فى رشحه إلى نصف أذنيه . قال ابن عمر رضى الله عنهما يقومون مائة سنة ويروى عن كعب يقومون ثلاثمائة سنة ، وروى أبو يعلى بإسناد صحيح وابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : «﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ مقدار نصف يوم من خمسين ألف فيهون ذلك على المؤمن كتدلى الشمس للغروب إلى أن تغرب» ، وروى الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ﴿يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ . فقيل : ما أطول هذا اليوم ؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : «والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة» .

وقيل : إنما سمى يوم القيامة لقيام القيامة والروح فيه صفاً . قال تعالى : ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً﴾ ، قال القرطبى : القيامة قيامتان صغرى وكبرى ، فالصغرى ما تقوم على كل إنسان فى خاصته من خروج روحه وانقطاع سعيه وحصوله على عمله . والكبرى هى التى تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة . والدليل على أن كل من مات قامت قيامته قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم لقوم من الأعراب سألوه عن الساعة فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال : إن يعش هذا حتى يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم . رواه مسلم وغيره ، قال الشاعر :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى غداة أقل الحاملون جنازتى
وعجل أهلى حفر قبرى وصيروا خروجى وتعجيلى إليه كرامتى

وموقف يوم القيامة موقف عظيم وهو سهل لمن حفظ حقوق الله وأداها كما أمر وحافظ على حقوق العباد أينما كان وهو صعب شديد الصعوبة وأشد من العذاب لمن انتهك محارم الله وعبث بحقوق الناس ، أخرج الإمام أحمد عن محمد بن أبى عميرة . والطبرانى عن عتبة بن عبد الله رضى الله عنه مرفوعاً : لو أن رجلا يخر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً فى مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة ، وأخرج ابن المبارك عن كعب قال : لو أن رجلا كان له مثل عمل سبعين نبياً لخشى أن لا ينجو من ذلك اليوم ، وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً : « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم » . وفى بعض ألفاظ الصحيح « سبعين باعاً » . وأخرج مسلم عن المقداد رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين — قال — فتصهرهم الشمس فيكونون فى العرق كقدر أعمالهم منهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى حقويه ومنهم من يلجمه إلجاماً » . وفى رواية له : «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل » قال سليم بن عامر : ما أدرى ما يعنى بالميل مسافة الأرض أو الميل الذى تكتحل به العين قال : « فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً » . وأشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى فيه ، وروى الطبرانى بإسناد جيد عن ابن مسعود مرفوعاً : « أن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول يا رب ارحمنى ولو إلى النار » . ويكفى فى ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها

الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ .

روى الإمام أحمد بإسناد حسن عن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « يحشر الله العباد يوم القيامة — أو قال — الناس عراة غرلا بهما قال قلنا وما بهما ؟ قال ليس معهم شيء ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الديان أنا الملك لا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه منه حتى اللطمة . قال : قلنا كيف وإنما نأتى عراة غرلا بهما ؟ قال : « الحسنات والسيئات » .

وإذا زادت سيئاته ولم يبق له حسنة طرح عليه من سيئات الغير ثم يلقى فى النار ، وفى صحيح مسلم وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار » . أسأل الله العظيم أن يسلمنا من هول ذلك اليوم .

والحديث لم يذكره الحافظ الهيثمى فى كتابه مجمع الزوائد ، وذكر ما يقاربه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الروح الأمين قال : قال الرب تبارك وتعالى : « يؤتى بسيئات العبد وحسناته فيقتص أو يقضى فإن بقيت له حسنة وسع له فى الجنة » . رواه البزار ورجاله وثقوا على ضعف فى بعضهم ، والله أعلم .

٢٠٦ – « يُؤْذِينِى ابْنُ آدَمَ بِسَبِّ الدَّهْرِ . وَأَنَا بِيَدِى الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » .

٢٠٧ – « يُؤْذينى ابنُ آدَمَ بِقَولِهِ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَاخَيْبَةَ الدَّهْرِ ، أَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهَا » .

ش : الإيذاء إيصال المكروه بأحد ضروبه ، وإيذاء الله تعالى عبارة عن فعل ما لا يرضاه والسب الشتم والشتم تقدم فى صفحة ١٤٢ فارجع إليه ، والدهر فى الأصل اسم لمدة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه ثم يعبر به عن كل مدة كثيرة وهو خلاف الزمان فإن الزمان يقع على المدة القليلة والكثيرة ، والليل والنهار معلومان والخيبة الحرمان والخسران .

والمعنى – والله أعلم بمراده – أن الله جل ذكره يخبرنا أن ابن آدم يؤذيه ويوصل إليه المكروه بأن يقول فى حقه تعالى ما يكره بسبب سب الدهر وقد كان من شأن العرب أن تذم الدهر وتسبه عند النوازل والحوادث ويقولون : أبادهم الدهر وأصابتهم قوارع الدهر وحوادثه ويكثرون ذكره بذلك فى أشعارهم ، وذكر الله عنهم فى كتابه العزيز فقال : ﴿ وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ . فنهاهم الله جل ذكره عن ذم الدهر وسبه أى لا تسبوا فاعل هذه الأشياء فإنكم إذا سببتموه وقع

---

(٢٠٦) رواه أحمد وهناد والشيخان عن أبى هريرة .

(٢٠٧) رواه مسلم عن أبى هريرة .

السب على الله تعالى لأنه الفعال لما يريد لا الدهر بيد الله الأمر يقلب الليل والنهار أى يجددهما ويبليهما ويذهب بالملوك والجبابرة . والمعنى أن الزمان يذعن لأمر الله تعالى ولا اختيار له فمن ذم الدهر والزمان على ما يظهر فيه صادراً عنى فقد ذمنى وأنا الضار والنافع والدهر ظرف لا أثر له .

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه . وأبو عبيد . وغيرهما من الأئمة فى تفسير قوله : « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » . كانت العرب فى جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو ملامة قالوا يا خيبة الدهر فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه وإنما فاعلها هو الله فكأنهم إنما سبوا الله سبحانه لأنه فاعل ذلك فى الحقيقة، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لأن الله هو الذى يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال . هذا أحسن ما قيل فى تفسيره وهو المراد ، والله أعلم .

وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية فى عدهم الدهر من الأسماء الحسنى أخذاً من هذا الحديث ، وقد تبين معناه فى الحديث بقوله : « أقلب الليل والنهار » ، وتقليبه تصرفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه ، ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثيرة فى أشعار المولدين كابن المعتز والمتنبى وغيرهما ، وليس من سب الدهر وصف السنين بالشدة ونحو ذلك كقوله تعالى : ﴿ ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد ﴾ ، الآية ، والله أعلم .

٢٠٨ – « يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى للرَّحِمِ خَلَقْتُك بِيَدِى وَشَقَقْتُ لَكِ اسْمًا مِنْ اسْمِى وَقَرَّبْتُ مَكَانَكِ مِنِّى وَعِزَّتِى وَجَلَالِى لَأَصِلَنَّ مَنْ وَصَلَكِ وَلَأَقْطَعَنَّ مَنْ قَطَعَكِ وَلَا أَرْضَى حَتَّى تَرْضِينَ » .

ش : الرحم تقدم الكلام عليه صفحة ٧٢ وكذا بقية الكلام عليه فارجع إليه .

٢٠٩ – « يَقُولُ اللهُ لِلْمَلَائِكَة المُوَكَّلِينَ بِأَرْزَاقِ بَنِى آدَمَ أَيُّمَا عَبْدٍ وَجَدْتُمُوهُ جَعَلَ الْهَمَّ هَمًّا وَاحِدًا فَضَمِّنُوا رِزْقَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَيُّمَا عَبْدٍ وَجَدتُمُوه طَلَبَهُ فَإِنَّهُ يَجْرِى الْعَدْلَ فَطَيِّبُوا لَهُ وَيَسِّرُوا عَلَيْه وَإِنْ تَعَدَّى إِلَى خِلَافِ ذٰلك فَخَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُ ثُمَّ لَا يَنَالُ فَوْقَ الدَّرَجَةِ التى كَتَبْتُهَا لَهُ » .

ش : الملائكة جمع ملأك فى الأصل ثم حذفت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك بفتح اللام وقد تحذف الهاء فيقال : ملائك ، وقيل أصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك الرسالة ثم قدمت الهمزة وجمع ، وهى أجسام نورانية قادرة على التشكل والظهور ، والهم فى الأصل أول العزيمة والعزم القوى والقصد .

---

(٢٠٨) رواه الحكيم عن ابن عباس .
(٢٠٩) رواه أبو نعيم عن أبي هريرة .

والمعنى – والله تبارك وتعالى أعلم – أن الله جل اسمه يقول لملائكته الموكلين بأرزاق بنى آدم : أيما عبد من عبادى ذكرا كان أو أنثى وجدتموه جعل الهم هماً واحداً هم المعاد وما بعد الموت فضمنوا رزقه السموات والأرض ولا تكلفوه له وأيما عبد من عبادى وجدتموه طلب الرزق لسد قوته وتقويم بنيته وإصلاح جسمه امتثالا لقوله تعالى : ﴿ فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ ، فإن العبد يتبع جريان العدل فى ذلك فطيبوا له رزقه ويسروا عليه ذلك ،وإن تعدى العبد إلى خلاف ذلك بأن انهمك فى الدنيا وجعل الهم هموماً وتشعبت به الهموم أحوال الدنيا مجرداً فخلوا بينه وبين ما يريد وزيادة على ذلك فإن تشعب الهموم وانهماكه فى الدنيا لا يفيده شيئاً ولا ينال فوق الدرجة التى كتبها الله عز وجل ، قال الله تعالى : ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ﴾ ، وقال جلت عظمته : ﴿ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيرا ﴾، وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من جعل الهم هماً واحداً كفاه الله هم الدنيا ومن تشعبته الهموم لم يبال الله فى أى أودية الدنيا هلك » رواه الحاكم والبيهقى من طريقه وغيرها ، وقال الحاكم صحيح الإسناد ، ورواه ابن ماجه فى حديث عن ابن مسعود وفى رواية له عن ابن مسعود أيضاً سمعت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله هم دنياه ، ومن تشعبت به الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديته هلك » .

قال الشيخ السندى : فالحاصل أن ما كتب للعبد من الرزق يأتيه لامحالة إلا أنه من طلب الآخرة يأتيه بلا تعب ومن طلب الدنيا يأتيه بتعب وشدة فطالب الآخرة قد جمع بين الدنيا والآخرة فإن المطلوب من جمع المال الراحة فى الدنيا وقد حصلت لطالب الآخرة وطالب الدنيا قد خسر الدنيا والآخرة

لأنه فى الدنيا فى التعب الشديد فى طلبها فأى فائدة له فى المال إذا فاتت الراحة . انتهى .

والملائكة اختلف الناس فى حقيقتها بعد اتفاقهم على أنها موجودة سمعاً وعقلا فذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسام نورانية ، وقيل هوائية قادرة على التشكل والظهور بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى ، وقالت النصارى : إنها الأنفس الناطقة المفارقة لأبدانها الصافية الخيرة . والخبيثة عندهم شياطين ، وقال عبدة الأوثان : إنها هذه الكواكب السعد منها ملائكة الرحمة والنحس ملائكة العذاب ، والفلاسفة يقولون : إنها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة ، وصرح بعضهم بأنها العقول العشرة والنفوس الفلكية التى تحرك الأفلاك،وهى عندنا منقسمة إلى قسمين قسم شأنهم الاستغراق فى معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون . وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ ، وهم المدبرات أمراً فمنهم سماوية ومنهم أرضية ولا يعلم عددهم إلا الله ، وفى الخبر : « أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع »وهم مختلفون فى الهيئات متفاوتون فى العظم لا يراهم على ما هم عليه إلا أرباب النفوس القدسية ، وقد يظهرون بأبدان يشترك فى رؤيتها الخاص والعام وهم على ما هم عليه حتى قيل : إن جبريل عليه السلام فى وقت ظهوره فى صورة دحية الكلبى بين يدى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لم يفارق سدرة المنتهى ،ومثله يقع للكمل من الأولياء(١) وهذا ما وراء طور العقل وأنا به من المؤمنين .

وقد ظهر للناس فى عالم مصر تفسير سنة ١٣٤٩هـ أسماه ناشره الهداية والعرفان وليس له من اسمه نصيب وحقيق به أن يسمى الغواية والبهتان جرى

فيه ناشره على قلب الحقائق وإنكار ما وراء الطبيعة وما لا يرى كالملائكة والشياطين والجن، وذهب مذهب الباطنية المستحدثين فقامت عليه العلماء من سائر الأقطار الإسلامية وسفهوا تفسيره وردوا عليه بردود كثيرة وأخرجوه من جماعة الموحدين وطلقوا منه زوجته بالمحكمة الشرعية بسبب ردته وإلحاده على رأسهم المرحوم صاحب مجلة المنار سيد رشيد رضا ، فقد كال له الكيل الأوفى وصادرت الحكومة نسخ التفسير وطردت مشيخة الأزهر من روج هذا التفسير وفصلته من معاهدها وبعض مروجيه خاف عاقبة أمره أن يفعل به ذلك فحمى ومات فى يومه ذلك ويعد هذا معجزة للدين الإسلامى وللقرآن الحكيم : اللهم احفظه من سقطات الساقطين وترهات المكذبين وإفك الملحدين ، والله أعلم .

٢١٠ – «يَقُولُ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ : انْطَلِقُوا إِلَى عَبْدِى فَصُبُّوا عَلَيْهِ الْبَلَاءَ صَبًّا فَإِنِّى أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ » .

ش : الصب فى الأصل الإراقة والسكب ، والبلاء الاختبار .

المعنى – والله أعلم – أن الله جل ذكره يقول لملائكته الكرام الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويأمرهم بأن ينطلقوا إلى عبد من عباده ذكراً كان أو أنثى وهو موصوف عندهم باسمه وشخصه ويصبوا عليه البلاء صبا لأن الله جل اسمه يحب أن يسمع صوت عبده ذلك ليظهر لملائكته وخلقه ما يقول والله أعلم بما فى ضمير العبد وقلبه وما ينطلق به لسانه والابتلاء الاختبار ويطلق على التكاليف ، قال الراغب الأصفهانى فى مفرداته : وسمى التكليف بلاء من أوجه . أحدها أن التكاليف كلها مشاق

(٢١٠) رواه الطبرانى عن أبى أمامة .

على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء ، والثانى أنها اختبارات ولهذا قال الله عز وجل : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴾ ، والثالث أن اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء فالمحنةمقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر فصارت المنحة أعظم البلاءين وبهذا النظر قال عمر رضى الله عنه : بلينا بالضراء فصبرنا ، وبلينا بالسراء فلم نصبر ، ولهذا قال أمير المؤمنين : من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله ، وقال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ ، ﴿ وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً ﴾ ، وقوله عز وجل : ﴿ وفى ذلكم بلاء من ربكم ﴾ ، راجع إلى الأمرين إلى المحنة التى فى قوله عز وجل : ﴿ يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ ، وإلى المنحة التى أنجاهم ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ﴾ ، راجع إلى الأمرين كما وصف كتابه بقوله ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾ ، وإذا قيل ابتلى فلان كذا وأبلاه فذلك يتضمن أمرين أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره ، والثانى ظهور جودته ورداءته وربما قصد به الأمران ، وربما يقصد به أحدهما فإذا قيل فى الله تعالى بلا كذا أو أبلاه فليس المراد منه إلا ظهور جودته ورداءته دون التعرف لحاله والوقوف على ما يجهل من أمره إذ كان الله علام الغيوب .

وقال العلامة الألوسى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ : أصل البلاء الاختبار ، وإذا نسب إليه تعالى يراد منه ما يجرى مجراه مع العباد على المشهور . وهو تارة يكون بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا . وتارة بهما ليرغبوا ويرهبوا فإن حملت الإشارة على المعنى الأول فالمراد بالبلاء المحنة وإن على الثانى فالمراد به النعمة وإن على الثالث

فالمراد به القدر المشترك كالامتحان الشائع بينهما . ويرجح الأول التبادر . والثانى أنه فى معرض الامتنان ، والثالث لطف جمع الترغيب والترهيب .

ومعنى حب الله لسماع صوت عبده المبتلى . أن العبد الصادق إذا ابتلى وصبت عليه البلايا وما يكره ويؤذيه يلتجىء إلى الله جل ذكره ويظهر العبودية وبذلك يظهر معنى الألوهية ، وتتحقق عظمة الربوبية ، والحديث الله أعلم بمرتبته .

٢١١ — « يَقُولُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِى يَوْمًا أَوْخَافَنِى فى مَقَامٍ » .

ش : المقام — بفتح الميم — يكون مصدراً واسم مكان القيام وزمانه ويطلق على المنزلة .

المعنى — والله أعلم — أن الله سبحانه وتعالى يخاطب ملائكته يوم القيامة ويأمرهم بإخراج من دخل النار من عباده المؤمنين وكان ذكر الله جل ذكره يوماً ما من أيام حياته أو خاف الله تعالى فى مقام ما مدة عمره . قال المفسرون فى تأويل المقام فى قوله تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ ، مقام مصدر ميمى بمعنى القيام مضاف إلى الفاعل أى ولمن خاف قيام ربه وكونه مهيمنا عليه مراقباً له حافظاً لأحواله فالقيام هنا مثله فى قوله تعالى : ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ ، وهذا مروى عن مجاهد . وقتادة . أو هو اسم مكان ، والمراد به مكان وقوف الخلق فى يوم القيامة للحساب . والإضافة إليه تعالى لامية اختصاصية لأن الملك له عز وجل وحده فيه بحسب نفس الأمر

---

(٢١١) رواه الترمذى عن أنس .

والظاهر والخلق قائمون له ، وقيل مقامه سبحانه هو الموقف الذى يقف فيه العباد للحساب كما فى قوله تعالى : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ ، فالمقام مصدر بمعنى القيام ، وقيل : المعنى خاف قيام ربه عليه وهو إشرافه على أحواله واطلاعه على أفعاله وأقواله .

قال الطيبى أراد به الذكر بالإخلاص وهو توحيد الله عن إخلاص القلب وصدق النية وإلا فجميع الكفار يذكرونه باللسان دون القلب يدل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة » . والمراد بالخوف كف الجوارح عن المعاصى وتقييدها بالطاعات وإلا فهو حديث نفس وحركة لا يستحق أن يسمى خوفاً وذلك عند مشاهدة سبب هائل وإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الفضلة ، قال الفضيل : إذا قيل لك : هل تخاف الله فاسكت فإنك إذا قلت : لا كفرت وإذا قلت نعم كذبت : أشار به إلى الخوف الذى هو كف الجوارح عن المعاصى .

والحديث يدل على فضل الذكر والخوف من الله تعالى وقد تقدم الكلام عليه فى غير موضع من هذا الكتاب ، فارجع إليه ففيه الكفاية .

وذكر الحافظ الترمذى هذا الحديث فى جامعه ، وقال : هذا حديث حسن غريب . والله أعلم .

٢١٢ - « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْوِلْدَانِ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَيَقُولُونَ يَارَبِّ حَتَّى يَدْخُلَ أَبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا فَيَأْتُونَ فَيَقُولُ اللهُ مَالِى أَرَاهُمْ مُحْبَنْطِئِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَيَقُولُونَ يَارَبِّ آبَاؤُنَا فَيَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ » .

ش : الولدان كصبيان جمع وليد الصبى ، والمحبنطىء – بالهمز وتركه – المتغضب المستبطىء للشىء ، وقيل : هو الممتنع امتناع طلبة لا امتناع إباء يقال : احبنطأت واحبنطيت .

يقول الله تعالى اسمه يوم القيامة للصبيان الذين لم يبلغوا الحلم : ادخلوا الجنة فيقفون ويمتنعون من الدخول امتناع دلال لا امتناع إباء ويقولون لا ندخلها حتى تدخل آباؤنا الذين هم أصل لنا وأمهاتنا اللاتى حملتنا فى بطونهن تسعة أشهر وربيننا وسهرن علينا ليالى وسنين فيأتون أبواب الجنة ويقفون وقفة رجاء والتماس فيقول الله تبارك وتعالى مالى أرى هؤلاء الصبيان محبنطئين وممتنعين من دخول الجنة فيأمرهم ، ثانياً فيقولون : يا رب آباؤنا أى أأمر بدخولهم معنا لنفرح ونسر ويتم نعيمنا فيجيبهم الله تعالى بقوله : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم فيدخلونها فرحين مستبشرين مغتبطين .

وفى الحديث دلالة على أن الولدان أى الصبيان يدخلون الجنة فيمتنعون ويشفعون لآبائهم وأمهاتهم ويطلبون من ربهم تعالى أن يدخل آباءهم وأمهاتهم معهم الجنة فيجيبهم الرب تبارك إلى طلبهم ويقبل شفاعتهم فيهم .

---

(٢١٢) رواه أحمد عن شرحبيل بن شعفة عن رجل من الصحابة .

وشرحبيل بن شفعة المذكور فى الحديث هو الرحبى ويقال العنسى الشامى أبو يزيد ؛ روى عن عتبة بن عبد السلمى . وعمرو بن العاص وأبى عتبة الخولانى . وشرحبيل بن حسنة . وغيرهم ، وعنه جرير بن عثمان ذكره ابن حبان فى الثقات قاله الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب . والله أعلم .

٢١٣ - « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ قُمْ فَجهِّزْ مِنْ ذُرِّيتكَ تِسْعَمِائَةٍ وتِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَى النَّارِ وَوَاحِدًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَبَكَى وَبَكَى أَصْحَابُهُ فَقَالَ ارْفَعُوا رءُوسَكُمْ فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا أُمَّتِى فِى الْأُمَمِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِى جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ » .

ش - التجهيز التهيئ والتمييز ، والذرية أصلها الصغار من الأولاد وإن كان قد يقع على الصغار والكبار معاً فى التعارف ويستعمل للواحد والجمع وأصله الجمع ، والثور الذكر من البقر .

المعنى - والله أعلم - يقول الله تبارك وتعالى لآدم : يا آدم. فيقول : لبيك وسعديك يا ربنا يوم القيامة : قم فجهز وهيئ وميز وافرق من ذريتك تسعمائة وتسعة وتسعين وألقهم إلى النار بسبب عصيانهم أوامرى واتباعهم شهوات أنفسهم وشياطينهم وواحداً منهم إلى الجنة لأنه أطاعنى وسمع كلامى وعمل بوصاياى ولم يخالفنى وحارب شيطانه وهواه ، فلما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بذلك بكى شفقة ورحمة على أمته وبكى أصحابه رضى

---

(٢١٣) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء .

الله عنهم وطأطأوا رءوسهم حزناً وخوفاً وشق عليهم ذلك ووقعت عليهم الكآبة والحزن ، فلما رأى بكاءهم أراد أن يزيل عنهم الخوف والحزن الذى اعتراهم من سماع ذلك الخبر فبشرهم وقال لهم : ارفعوا رءوسكم وأبشروا فوالله الذى نفسى بيده ما أمتى هذه — أعنى أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم — فى الأمم السابقة إلا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود لقلتها وكثرة الأمم التى قبلها فيؤخذ من الأمم السابقة تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الجنة .

والحديث رواه البخارى فى صحيحه بأوسع من هذا بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يقول الله عز وجل يوم القيامة : « يا آدم فيقول لبيك ربنا وسعديك فينادى بصوت أن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار . قال : يا رب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف أراه . قال : تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الأبيض وإنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا .

قال الطيبي : فيه إشارة إلى أن يأجوج ومأجوج داخلون فى العدد المذكور والوعيد كما يدل قوله : « ربع أهل الجنة» على أن فى غير هذه الأمة أيضاً من أهل الجنة ، وقال القرطبي : قوله : «من يأجوج ومأجوج ألف» أى منهم وممن كان على الشرك مثلهم ، وقوله : « ومنكم رجل » يعنى من أصحابه ومن كان مؤمناً مثلهم ، والله أعلم .

٢١٤ – « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ لِلْجَنَّةِ طِيبِى لِأَهلِكِ فَتَزْدَادُ طِيبًا فَذَلِكَ الْبَرْدُ الَّذِى يَجِدُهُ النَّاسُ سَحَرًا مِنْ ذٰلِكَ » .

ش ـ السحر – بفتحتين – قبيل الصبح .

والمعنى – والله أعلم – أن الله جل اسمه يخاطب الجنة ويقول لها كل يوم طيبى أى تطيبى واجعلى الطيب فيك لأهلك الساكنين فيك والذين سيسكنون فتزداد طيبا على طيب ، ولما كان هذا الطيب من طيب الآخرة كانت مزاياه أرقى من مزايا طيب الدنيا فإن الناس فى الدنيا تجد أثره وهو البرد الذى يقع آخر الليل قبيل الصبح ، وانظر ما حباه الله جل ذكره لخلقه وما أنعم عليهم به فى الدنيا والآخرة أفلا يكون الإنسان شاكراً نعم الله ربه وحامداً له فى السراء فيقبل على الطاعات ويجتنب المنهيات ويحافظ على حقوق العباد اللهم وفقنا لذلك ، والحديث ذكره الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد . وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه عمر بن عبد الغفار وهو متروك .

٢١٥ – « يقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلعُلَمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا قَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّهِ لِقَضَاءِ عِبَادِهِ إِنِّى لَمْ أَجْعَلْ عِلْمِى وَحِلْمِى فِيكمْ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْفِرَ لَكُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْكُمْ ولَا أُبَالِى » .

---

(٢١٤) رواه الطبرانى فى الأوسط عن جابر .

(٢١٥) رواه الطبرانى فى الكبير عن ثعلبة بن الحكم الليثى .

ش : المعنى – والله أعلم – أن الله جلت عظمته يخاطب علماء الأمم والمتنورين منهم يوم القيامة إذا قعد جل وعلا على كرسيه للقضاء بين خلقه والفصل بينهم فى حقوقهم وحقوقه تعالى ويقول لهم : إنى لم أجعل علمى وحلمى فيكم أيها العباد إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان ووقع منكم من الهفوات والزلات والتقصيرات فى الحقوق ومراعاة الخلق ولا أبالى ، أى لا أهتم به ولا أكترث .

وتقدم الكلام على العلم والحلم غير مرة فلا حاجة للإعادة ، وإضافتهما إلى الله تعالى هنا لتعظيم المضاف ، والكرسى المذكور فى هذا الحديث هل هو الكرسى المذكور فى قوله تعالى : ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ أم غيره ؟ وعلى كل فالكرسى فى تعارف العامة ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد ، قال العلامة الألوسى فى قوله تعالى : ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ ، الكرسى جسم بين يدى العرش محيط بالسموات السبع . وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض ما كن فى سعته – أى الكرسى – إلا بمنزلة الحلقة فى المفازة وهو غير العرش كما يدل عليه ما أخرجه ابن جرير . وأبو الشيخ . وابن مردويه . عن أبى ذر أنه سأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الكرسى ؟ فقال : « يا أبا ذر ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة » ، وفى رواية الدارقطنى والخطيب عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « سئل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله تعالى : ﴿ وسع كرسيه ﴾ إلخ قال : كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره » ، وقيل : هو العرش نفسه ونسب ذلك إلى الحسن . وقيل : قدرة الله تعالى . وقيل : تدبيره .

وقيل : ملك من ملائكته ، وقيل : مجاز عن العلم من تسمية الشيء بمكانه لأن الكرسى مكان العالم الذى فيه العلم فيكون مكاناً للعلم بتبعيته لأن العرض يتبع المحل فى التحيز حتى ذهبوا إلى أنه معنى قيام العرض بالمحل، وحكى ذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، وقيل : عن الملك أخذاً من كرسى الملك ، وقيل : أصل الكرسى مايجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد . والكلام مساق على سبيل التمثيل لعظمته تعالى شأنه وسعة سلطانه وإحاطة علمه بالأشياء قاطبة . ففى الكلام استعارة تمثيلية وليس ثمة كرسى ولا قاعدة ولا قعود ؛ وهذا الذى اختاره الجم الغفير من الخلف ، فراراً من توهم التجسيم وحملوا الأحاديث التى ظاهرها حمل الكرسى على الجسم المحيط على مثل ذلك لا سيما الأحاديث التى فيها ذكر القدم كما قدمنا ، وكالحديث الذى أخرجه البيهقى وغيره عن أبى موسى الأشعرى — الكرسى موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل وفى رواية عن عمر مرفوعاً : « له أطيط كأطيط الرحل الجديد إذا ركب عليه من يثقله ما يفضل منه أربع أصابع » ، وأنت تعلم أن ذلك وأمثاله ليس بالداعى القوى لنفى الكرسى بالكلية فالحق أنه ثابت كما نطقت به الأخبار الصحيحة وتوهم التجسيم لا يعبأ به وإلا للزم نفى الكثير من الصفات وهو بمعزل عن اتباع الشارع والتسليم له ، وأكثر السلف الصالح جعلوا ذلك من المتشابه الذى لا يحيطون به علماً وفوضوا علمه إلى الله تعالى مع القول بغاية التنزيه والتقديس له تعالى شأنه . انتهى .

وقد دلت الآيات الكثيرة على فضل العلم وما للعلماء من الدرجات الرفيعة يوم القيامة، وكذلك وردت الأحاديث الصحيحة فى التشييد برفعة العلماء ومكانتهم عند الله عز وجل ويكفى فى وصفهم أنهم ورثة الأنبياء ، وهذا كله فى العلماء العاملين المخلصين فى عملهم والمحافظين على مكانتهم لدى الله جل وعز ولدى الناس أجمع لأنهم القدوة ، قال الحافظ المنذرى رحمه الله تعالى

فى كتابه الترغيب والترهيب بعد ما أورد هذا الحديث عن طريق ثعلبة بن الحكم الصحابى : رواه الطبرانى فى الكبير ورواته ثقات ، قال الحافظ — يعنى نفسه — : وانظر إلى قوله سبحانه وتعالى : « علمى وحلمى » ، وأمعن النظر فيه يتضح لك بإضافته إليه عز وجل أنه ليس المراد به علم أكثر أهل الزمان المجرد عن العمل به والإخلاص، انتهى ، وقد علقت عليه هناك وقلت : انظر يا أخى صانك الله عن المساوىء إلى كلام الحافظ وقد كان فى عصر العلم والعمل — وهو القرن التاسع — فما كان يقول لو أدرك علماء عصرنا هذا ورأى توسعهم فى الملابس غير المشروعة والمآكل والتباهى بالعلم واتخاذه وسيلة لنيل حطام الدنيا من غير مبالاة بالأمر والنهى ومن غير خوف من يوم تهتز له القلوب وترجف منه الأجسام . نسأل الله تعالى حفظ هذه الأمة من ذلك، وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بتهديد العلماء المتساهلين بدينهم ووعدهم بالعقاب الشديد والعذاب الأليم ، ويحمل هذا الحديث على العلماء الذين تساهلوا ووقع منهم هفوات ثم استدركوها وتابوا إلى الله تعالى وأنابوا إليه بتوفيق البارى لهم على ذلك . نسأل الله السلامة ، والله أعلم .

٢١٦ — « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ جِيرَانِى فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ مَنْ هٰذَا الَّذِى يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يُجَاوِرَكَ ؟ فَيَقُولُ أَيْنَ قُرَّاءُ الْقُرْآنِ وعُمَّارُ الْمَسَاجِدِ » .

ش : الجيران جمع جار المجاور فى السكن ، والملائكة تقدم الكلام عليها

---

(٢١٦) رواه أبو نعيم عن أبى سعيد .

صفحة ٣٢٩ فارجع إليه . والقراء بتشديد الراء جمع قارئ التالى للقرآن ، والعمار جمع عامر ، والمساجد جمع مسجد معروف .

والمعنى — والله أعلم بمراده — أن الله تبارك اسمه يخاطب ملائكته يوم القيامة ويقول لهم : أين جيرانى فى الدنيا ؟ فيسأل عنهم الملائكة ليكرمهم ويحبوهم النعم التى يستحقونها فتقول الملائكة لله جل وعز : من هذا الذى ينبغى له أن يجاورك ؟ استفهاماً منهم مشوباً بتعجب . فيقول الله تعالى لهم : أين قراء القرآن فى الدنيا من عبادى وكذلك عمّار المساجد الذين يعمرونها ببنائها وملازمتهم إياها فى الصلوات الخمس ؟ أولئك هم جيرانى الملازمون لبيوتى وقراءة كلامى .

وقد وردت أحاديث كثيرة فى ترغيب قراءة القرآن وفضل القراء الذين يعملون ويخلصون فى قراءتهم وما لهم فى الآخرة من أجر ومكانة لا سيما إذا كانوا من العلماء الأخيار الذين يفقهون ما يقرءون ويعملون بما يفهمون .

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » . رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب ، وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يقول الرب تبارك وتعالى : « من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » . رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب ، وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » . رواه مسلم ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم قال : « يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يارب ارض عنه . فيرضى عنه . فيقال له : اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة » . رواه الترمذى وحسنه . وابن خزيمة والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

وأما عمار المساجد والملازمون لها فقد وردت أحاديث كثيرة فى فضلهم ورفع منزلتهم عند الله تعالى . فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان. قال الله عز وجل : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ ». رواه الترمذى واللفظ له ، وقال حديث حسن غريب . وابن ماجه. وابن خزيمة. وابن حبان فى صحيحيهما . والحاكم ، كلهم من طريق دراج أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد ، وقال الحاكم صحيح الإسناد .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن عمار بيوت الله هم أهل الله عز وجل » . رواه الطبرانى فى الأوسط ، والله أعلم .

٢١٧ – « يَقُولُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ادْنُوا مِنِّى أَحِبَّائى فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ مَنْ أَحِبَّاؤُكَ ؟ فَيَقُولُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ فَيُدْنَوْنَ مِنْهُ فَيَقُولُ أَمَا إِنِّى لَمْ أَزْوِ الدُّنْيَا عَنْكُمْ لَهَوانٍ كَانَ بِكُمْ عَلَيَّ وَلٰكِنْ أَرَدْتُ بِذٰلِكَ أَنْ أُضَعِّفَ كَرَامَتِى الْيَوْمَ فَتَمَنَّوْا عَلَيَّ مَا شِئْتُمُ الْيَوْمَ ، فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا » .

ش : ادنوا منى أحبائى قربوهم منى ، والأحباء جمع حبيب ، وأزوى أصرف وأقبض ، والهوان الذل والحقارة والضعف ، والخريف الزمان المعروف من فصول السنة ما بين الصيف والشتاء .

والمعنى – والله أعلم – أن الله سبحانه وتعالى يخاطب ملائكته يوم القيامة ويقول لهم : أدنوا منى وقربوا أحبائى من عبادى فتقول الملائكة : من أحباؤك يا رب ؟ استفهام تعجب لأنهم لا يعرفون أن الله جل ذكره يحب فيجيبهم جل ذكره ويقول لهم : أحبائى هم فقراء المسلمين من الأمة لأنهم أحبونى وتركوا لذات الدنيا وزينتها فعاشوا فقراء الله جل اسمه فى أرضه فأحببتهم واليوم أحبهم وأكرمهم بكرامة لاتكون لغيرهم فى الآخرة فيقربهم الملائكة ويدنونهم من الله جل ذكره – وهو أقرب إلى عباده من حبل الوريد – فيخاطبهم الرب ويقول لهم يا عبادى الفقراء فى الدنيا – وإن كنتم أغنياء النفس فيها أما أنى لم أزو وأمنع وأصرف وأقبض الدنيا من مال وعقار عنكم

---

(٢١٧) رواه أبو الشيخ عن أنس .

فيها لهوانكم عندى وذلكم واحتقاركم ولكن أردت بذلك أن أضعف لكم وأعوضكم عن ذلك كرامتى اليوم يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فتمنوا على يا عبادى وفقرائى فى الدنيا ما شئتم اليوم فإنى أمنحكم ما تطلبون وتتمنون.وبعد ذلك يأمر الرب بهم إلى الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً ، يعنى أربعين سنة .

وقد جاء وصفهم فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً». فقيل : صفهم لنا . قال : الدنسة ثيابهم الشعثة رءوسهم الذين لا يؤذن لهم على السدات ولا ينكحون المنعمات توكل بهم مشارق الأرض ومغاربها يعطون كل الذى عليهم ولا يعطون كل الذى لهم » . رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورواته ثقات ، ورواه مسلم مختصراً : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إن فقراء أمتى المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً » . ورواه ابن حبان فى صحيحه مختصراً أيضاً ، وقال : « بأربعين عاماً » .

وقال العلامة ابن قيم الجوزية فى كتابه مدارج السالكين فى الكلام على على منزلة الفقر : هذه المنزلة أشرف منازل الطريق وأعلاها وأرفعها بل هى روح كل منزلة وسرها ولبها وغايتها ، وهذا إنما يعرف بمعرفة حقيقة الفقر والذى تريد به هذه الطائفة أخص من معناه الأصلى ، فإن لفظ الفقر وقع فى القرآن فى ثلاثة مواضع ، أحدها — قوله تعالى : ﴿ للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ﴾ الآية ، أى الصدقات لهؤلاء ، كان فقراء المهاجرين نحو أربع مائة لم يكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر وكانوا قد حبسوا أنفسهم على الجهاد فى سبيل

الله ، فكانوا وقفاً على كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم أهل الصفة . هذا أحد الأقوال فى إحصارهم فى سبيل الله ، وقيل : هو حبسهم أنفسهم فى طاعة الله ، وقيل : حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد فى سبيل الله ، وقيل : لما عاد أعداء الله وجاهدوهم فى الله تعالى أحصروا عن الضرب فى الأرض لطلب المعاش فلا يستطيعون ضرباً فى الأرض . والصحيح أنه لفقرهم وعجزهم وضعفهم لا يستطيعون ضرباً فى الأرض ، ولكمال عفتهم وصيانتهم يحسبهم من لم يعرف حالهم أغنياء ، والموضع الثانى قوله تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء ﴾ ، الآية ، والموضع الثالث قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ﴾ .

٢١٨ — « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى انْظُرُوا إِلَى زُوَّارِ بَيْتِى قَدْ جَاءُونِى شُعْثًا غُبْرًا » .

ش: الزوار جمع زائر ، والبيت أصله مأوى الإنسان بالليل لأنه يقال ، بات أقام بالليل كما يقال ظل بالنهار ، ثم قد يقال للمسكن بيت من غير اعتبار الليل فيه . وجمعه أبيات وبيوت ، لكن البيوت بالمسكن أخص والأبيات بالشعر ، والمراد ببيته تعالى هنا مكة حرسها الله وزادها شرفاً ، والأشعث هو مغبر الرأس لبعد العهد بتسريح شعره وغسله ، والمغبر متغير اللون .

المعنى — والله أعلم — أن الله جلت عظمته يخاطب ملائكته فى يوم الحج الأكبر ويقول لهم: انظروا زوار وحجاج بيتى مكة كيف جاءونى من بلاد بعيدة وأقطار مختلفة وسفر شاق حال كون السفر جعل رأسهم مغبراً أشعث من كثرة التراب والرمال وتغير لونهم بسبب ذلك ولا شك أن هذا المدح

---

(٢١٨) رواه الحاكم عن أبي هريرة .

لمن كان فى حجه مخلصاً فإن الله جل ذكره سيغمرهم بالعطايا ويكرمهم ويبدل تعبهم راحة ، والحديث عام يشمل من قصد بيت الله جل ذكره لأداء فريضة الحج أو للطواف والسعى فى غير أيام الحج ، والحج فرض واجب من أركان الإسلام يتحتم على البالغ المستطيع وقد ذكرنا ما يتعلق بالحج فى كتاب مختصر شعب الإيمان فعليك به ولنذكر لك بعض ما ورد فى ذلك مختصراً .

قال الله تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ﴾ ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ». رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه والترمذى إلا أنه قال: « غفر له ما تقدم من ذنبه » ؛ وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم ». رواه البزار ورواته ثقات ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الله يباهى بأهل عرفات ملائكة السماء فيقول: انظروا إلى عبادى هؤلاء جاءونى شعثاً غبرا » . رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم . وقال : صحيح على شرطهما ، وهذا الحديث يفسر حديث الباب ، ولله أعلم .

٢١٩ - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ : سَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ الْيَوْمَ مَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ قِيلَ مَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ أَهْلُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ فِى الْمَسَاجِدِ » .

---

(٢١٩) رواه أحمد وأبو يعلى عن أبى سعيد الخدرى .

ش: الجمع المجتمعين يوم القيامة وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى – والله أعلم بمراده – أن الله تعالى يخاطب ملائكته يوم القيامة ويقول لهم: اليوم سيعلم الناس المجتمعون اليوم للعرض من أهل الكرم منهم الذين سيفوزون بالثواب العظيم والنعم الجسيمة . قيل : أى بعض الصحابة رضى الله عنهم : من أهل الكرم يا رسول الله ذاك اليوم العظيم يوم الموقف والعرض ؟ فأجابهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : هم أهل مجالس الذكر فى المساجد التى بنيت للتشييد بذكر الله جل جلاله .

وقد ورد فى فضل الذكر والحث عليه آيات كثيرة وأحاديث نبوية صحيحة وقد تقدم بعضها ولا بأس من ذكر جملة منها هنا استئناساً لهذا الحديث .

قال الله تبارك وتعالى فى سورة الأحزاب : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ . قال تعالى فى سورة آل عمران فى وصف المؤمنين : ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ ، وقال تعالى فى سورة الحديد : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ﴾ ، وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا : بلى . قال ذكر الله » . قال معاذ بن جبل : ما شىء أنجى من عذاب الله من ذكر الله . رواه أحمد بإسناد حسن . وابن أبى الدنيا . والترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم ، والبيهقى . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ورواه أحمد أيضاً من حديث معاذ بإسناد جيد إلا أن فيه انقطاعاً ، وقد شرحت هذا

الحديث شرحاً مطولا أتيت فيه بفوائد عظيمة فى شرحى للكلم الطيب للعلامة تقى الدين ابن تيمية فعليك به فإنه خير ما وجد فى الأذكار الصحيحة ، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون » . وعن معاوية رضى الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن به علينا . قال آلله ما أجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا : آلله ما أجلسنا إلا ذلك. قال : أما إنى لم استحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتانى جبرائيل فأخبرنى أن الله عز جل يباهى بكم الملائكة » . رواه مسلم والترمذى والنسائى ، وعن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما قال : قلت : « يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر قال : غنيمة مجالس الذكر الجنة » . رواه أحمد بإسناد حسن ، وحديث الباب ذكره الحافظ المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب وسكت عنه ، والله أعلم .

٢٢٠ – « أَوْحَى اللهُ إِلَى آدَمَ يَا آدَمُ أَنْ حُجَّ هٰذَا الْبَيْتَ قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ عَلَيْكَ حَدَثٌ قَالَ وَمَا يَحْدُثُ عَلَيَّ يَارَبِّ؟ قَالَ مَالَا تَدْرِى وَهُوَ الْمَوْتُ قَالَ وَمَا الْمَوْتُ قَالَ سَوْفَ تَذُوقُهُ قَالَ مَنْ أَسْتَخْلِفُ فِى أَهْلِى ؟ قَالَ أَعْرِضْ ذٰلِكَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَال فَعَرَضَ عَلَى السَّمٰوَاتِ فَأَبَتْ وَعَلَى الْأَرْضِ فَأَبَتْ وَعَلَى الْجِبال فَأَبَتْ وَقَبلَهُ ابْنُهُ قَاتِلُ أَخِيهِ فَخَرَجَ آدَمُ مِنَ الْهِنْدِ حَاجًّا فَمَا نَزَلَ مَنْزِلًا إِلَّا حَازَ عُمْرَاناً بَعْدَهُ وَقُرى حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَاسْتَقْبَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا آدَمُ بَرَّ حَجُّكَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ حُجَّ هٰذا الْبَيْتُ قَبْلَكَ بِأَلْفَىْ عَام وَالْبَيْتُ يَوْمَئِذ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ » .

ش : الوحى يطلق على معان مختلفة ذكرها العلامة أبو عبد الله الدامغانى فى كتابه الوجوه والنظائر وهو مخطوط عندى ، أسأل الله التوفيق لطبعه . قال : الوحى على خمسة أوجه . فوجه منها الوحى يعنى الذى ينزل من الله عز وجل على الأنبياء ، قوله تعالى فى سورة النساء : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ﴾ . يعنى جبريل إليك ثم ذكر الأنبياء فقال : ﴿ وأوحينا إلى إبراهيم ﴾ ، وقال تعالى فى سورة الأنعام : (وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم

---

(٢٢٠) رواه الديلمى عن أنس .

به ﴾ ، والوجه الثانى الوحى — يعنى الإلهام فى القلب — قوله تعالى فى سورة المائدة : ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين ﴾ ، أى ألهمت ، وكقوله تعالى فى سورة النحل : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى ﴾ . يقول وألهم ربك النحل ، والوجه الثالث الوحى الكتاب ، قوله تعالى فى سورة مريم : ﴿ فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا ﴾ . يعنى كتب إليهم . والوجه الرابع الوحى يعنى الأمر . قوله تعالى فى حم السجدة : ﴿ وأوحى فى كل سماء أمرها ﴾ . يقول أمر فى كل سماء أمرها . وكقوله تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ وإن الشياطين ليوحون ﴾ . يعنى يأمرونهم بالوسوسة والوجه الخامس الوحى يعنى القول فذلك قوله تعالى فى سورة الزلزلة : ﴿ يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها ﴾ . أى قال لها انتهى بحروفه ، والمراد به هنا ما ينزل على الأنبياء من عند الله تعالى ،

والحج أصله القصد للزيارة . قال الشاعر :

يحجون بيت الزبرقان المعصفر

وخص فى تعارف الشرع بقصد بيت الله تعالى إقامة للنسك ، والحدث الأمر الحادث المنكر الذى ليس بمعتاد ولا معروف ، وأبت امتنعت ، والهند بلاد واسعة الأطراف يستعمرها الإنجليز الآن ، والقرى — بضم القاف — جمع قرية ، وبرحجك — بفتح الباء الموحدة مبنى للفاعل وبضم الباء مبنى للمفعول جعله مبروراً والحج المبرور الذى لا يخالطه شىء من المآثم . وقيل : هو المقبول المقابل بالبر وهو الثواب . والياقوت نوع من الجواهر حجر صلب رزين صاف شفاف الواحدة ياقوته والجمع يواقيت ؛ وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

المعنى — والله أعلم بمراده — أن الله تبارك اسمه أوحى إلى آدم وألقى إليه بواسطة أمين الوحى ألا وهو جبريل عليه السلام فأمره أن يحج إلى بيت الله جل ذكره قبل أن يحدث عليه حدث — وهو الموت — فلا يستطيع زيارته

وحجه ولما كان آدم عليه السلام لم يعرف الموت بعد فسأل عنه الرب جل اسمه فأخبره أن سيذوقه فيعرفه ولما وجد الحج محتماً عليه ولا بد من قصد بيت الله ليسن سنة للعالم فيقتدون به ويسيرون بسيره — وهو وحيد فى تلك البلاد غريب ومعه أهله — فسأل الله عمن يستخلفه فى أهله إذا هو حج البيت وقصده وترك أهله ، فأجابه الله تبارك وتعالى إلى أن يعرض ذلك على السموات والأرض والجبال فإن رضين بذلك فاستخلفهن وإلا فانظر من تريد فعرض ذلك آدم على السموات وخاطبها بلسان الحال أو المقال احفظى ولدى بالأمانة فأبت فعرض ذلك على الأرض فأبت كذلك . فعرض ذلك على الجبال فأبت وامتنعت من قبول ذلك وبعد ذلك قبل الاستخلاف فى أهله ابنه قابيل قاتل أخيه هابيل وقال له : نعم تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك . فلما سمع ذلك استراح باله فخرج من الهند حاجاً فكان لا ينزل منزلا إلا حاز عمراناً بعده وقرى وما عداه مفاوز وقفاراً حتى وصل مكة فحينئذ استقبلته الملائكة بإذن الله تعالى وأمره فقالوا : السلام عليك يا آدم ، بر حجك وجعله مبروراً خالياً من كل إثم وذنب وأخبروه أن هذا البيت قد حج وقصد من قبل أن يقصده آدم عليه السلام بألفى عام ، والبيت — شرفه الله وزاده شرفاً — يومئذ ياقوتة من يواقيت الجنة حمراء لأن الله تعالى أنزل ياقوتة من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت ، والله أعلم .

وحاصل قصة آدم أن الله جلت أسماؤه خلق آدم من تراب وعلمه الأسماء وأمر الملائكة بالسجود له فسجدت وأطاعت كلها إلا إبليس لعنه الله فأبى وادعى الأفضلية تكبراً وحسداً وعناداً لأمر أراده الله جل ذكره فطرد إبليس من الجنة وأدخل آدم الجنة وخلق الله منه زوجته وأباح الله له جميع ما فى الجنة إلا شجرة فإنه نهى عن الأكل منها فتحيل إبليس ووسوس لآدم

بأن يأكل من هذه الشجرة ورغبه فى الأكل منها ، ولما كان المقدر الذى فى عالم الغيب وقوع ذلك من آدم مال ورغب فى أكلها فأكل منها إلى آخر القصة التى ذكرها المولى جل ذكره فى القرآن الكريم ، فى غير موضع ثم أمر الله جل ذكره أن يهبطوا إلى الأرض — وهم آدم وحواء والحية وإبليس فهبطوا واختلف العلماء فى مكان هبوطهم ، فقيل أهبط آدم فى بلاد الهند وحواء بجدة وإبليس بميسان والحية بأصبهان ، وقيل غير ذلك . قال الإمام أبو جعفر الطبرى فى تاريخه : وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يجىء مجىء الحجة أولا يعلم خبر فى ذلك ورد كذلك غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند فإن ذلك مما لا يدفع صحته علماء الإسلام وأهل التوراة والإنجيل والحجة قد ثبتت بإخبار بعض هؤلاء اهـ. وقال الحافظ المؤرخ ابن كثير فى تفسيره : المراد بالخطاب فى اهبطوا آدم وحواء وإبليس والحية ومنهم من لم يذكر الحية والله أعلم ؛ والعمدة فى العداوة آدم وإبليس ، ولهذا قال تعالى فى سورة طه : ﴿ قال اهبطا منها جميعاً ﴾ ، الآية ، وحواء تبع لآدم والحية وإن كان ذكرها صحيحاً فهى تبع لإبليس ، وقد ذكر المفسرون الأماكن التى هبط فيها كل منهم ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات ، والله أعلم بصحتها ولو كان فى تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين فى أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى فى كتابه أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم انتهى.

ولما هبط آدم إلى أرض الهند ومكث مدة وهو يجول فى أرضها فأمره الله تعالى بأن يحج فما كان ينزل منزلا يستريح به أو يتخذه سكناً مؤقتاً إلا حاز عمراناً وأصبح عامراً ، وهذا القدر كفاية ، وإذا أردت أن تحيط علماً أكثر من هذا فعليك بكتب التاريخ .

والحديث ذكره الحافظ المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب بصيغة

التضعيف – روى – وزاد فى آخره . قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : والبيت يومئذ ياقوتة حمراء جوفاء لها بابان من يطوف يرى من فى جوف البيت ومن فى جوف البيت يرى من يطوف فقضى آدم نسكه فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم قضيت نسكك . قال : نعم يا رب . قال : فسل حاجتك فقط . قال : حاجتى أن تغفر لى ذنبى وذنب ولدى . قال : أما ذنبك يا آدم فقد غفرناه حين وقعت بذنبك ، وأما ذنب ولدك فمن عرفنى وآمن بى وصدق رسلى وكتابى غفرنا له ذنبه » . رواه الأصبهانى . انتهى ، وقصة هابيل وقابيل ذكرها الله تعالى فى القرآن الحكيم مفصلة . والله أعلم .

٢٢١ – « أَوْحَى اللهُ لِمُوسَى يَامُوسَى أَتُحِبُّ أَنْ أَسْكُنَ مَعَكَ بَيْتَكَ فَخَرَّ لِلهِ سَاجِداً ثُمَّ قَالَ يَارَبِّ وَكَيْفَ ذٰلِكَ ؟ فَقَالَ يَامُوسَى أَمَا عَلِمْتَ أَنِّى جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِى وَحَيْثُمَا الْتَمَسَنِى عَبْدِى وَجَدَنِى » .

ش - الوحى تقدم الكلام عليه صفحة ٣٥١ ، وموسى عليه السلام تقدمت ترجمته صفحة ٣٠٣ والالتماس الطلب وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

المعنى – والله أعلم – أن الله جل ذكره أوحى إلى نبيه وكليمه موسى عليه السلام بواسطة جبريل أمين الوحى عليه السلام : يا موسى أتحب أن أسكن معك بيتك الذى أنت ساكنه فى الدنيا ؟ فلما سمع موسى هذا خر لله عز وجل ساجداً استحياء من الله تعالى وإظهاراً لعطف الله له ومخاطبته بذلك ، ولما كان هذا مستبعداً فى حد ذاته طلب من الله جل وعلا شرح ذلك وبيانه ليذهب

---

(٢٢١) رواه ابن شاهين عن جابر .

ما فى نفس موسى من الغموض والتعجب والاستبعاد فأجابه الله عز وجل بما يكشف ما خاطب به . فقال : يا موسى لا تعجب . ليس المراد المعنى الذى يتبادر إلى الأفهام وهو السكن الحقيق — وهو مستحيل فى حقه تعالى — وإنما أردت معنى آخر وهى أنى جليس من ذكرنى وأنت تعلم ذلك فإذا أكثرت من ذكرى فكأنى معك جالس لأن العبد حيثما التمسنى وطلبنى وجدنى، وفيه الترغيب فى الجلوس لذكر الله جل جلاله ، وقد تقدم قريباً ما يتعلق بالذكر والحث عليه فلا حاجة للاعادة .

والحديث ذكره المدنى فى كتابه وقال : أخرجه ابن شاهين فى الترغيب فى الذكر عن جابر : وفيه محمد بن جعفر المدائنى . قال أحمد لا أحدث عنه أبداً عن سلام بن أسلم المدائنى متروك عن زيد العمى والعمى ليس بالقوى اه. والله أعلم .

٢٢٢ — « أَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى إِنَّ فِى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ لَرِجَالاً يَقُومُونَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ وَوَادٍ يُنَادُونَ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ جَزَاؤُهُمْ عَلَىَّ جَزَاءُ الْأَنْبِيَاءِ » .

ش : الشرف — بفتح الراء — العلو والمكان المرتفع ، والوادى هو كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذاً والجمع أودية .

المعنى — والله أعلم بمراده — أن الله تبارك اسمه أوحى إلى موسى عليه السلام أن فى أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم — وهى آخر أمة أخرجت للناس — لرجالا قلوبهم ملأى بالإيمان وبحب الله تعالى يقومون على كل شرف

---

(٢٢٢) رواه الديلمى عن أنس .

وواد أى على كل مكان مرتفع أومنخفض ينادون بأعلى صوت منهم بشهادة أن لا إله إلا الله فتشهد أهل تلك الأمكنة يوم القيامة لهم بذلك ولهم جزاء عظيم عندى يوم القيامة كجزاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من النعم العظيمة التى لا عين رأت مثلها ولا سمعت بمثلها الآذان ولا خطر على قلب بشر ، وقد تقدم الكلام على فضل لا إله إلا الله صفحة ٣٢١ فارجع إليه والحديث معناه صحيح وألفاظه الله أعلم بصحتها .

٢٢٣ – « أَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى يَامُوسَى إِنَّ مِنْ عِبَادِى مَنْ لَوْ سَأَلَنِى الْجَنَّةَ بِحَذَافِيرِهَا لَأَعْطَيْتُهُ وَلَوْ سَأَلَنِى غِلَافَ سَوْطٍ لَمْ أُعْطِه لَيْسَ ذٰلِكَ عَنْ هَوَانٍ لَهُ عَلَىَّ وَلٰكِنْ أُرِيدُ أَنْ أَدَّخِرَ لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ كَرَامَتِى وَأَحْمِيهِ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِى الرَّاعِى غَنَمَهُ مِنْ مَرَاعِى السُّوءِ يَا مُوسَى مَا أَلْجَأْتُ الْفُقَرَاءَ إِلَى الْأَغْنِيَاءِ أَنَّ خَزَائِنِى ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ وَأَنَّ رَحْمَتِى لَمْ تَسَعْهُمْ وَلٰكِنْ فَرَضْتُ لِلْفُقَرَاءِ فِى أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ مَا يَسَعُهُمْ أَرَدْتُ أَنْ أَبْلُوَ الْأَغْنِيَاءَ كَيْفَ مُسَارَعَتُهُمْ فِيمَا فَرَضْتُ لِلْفُقَرَاءِ فِى

---

(٢٢٣) رواه ابن النجار عن أنس .

أَمْوَالِهِمْ يَا مُوسَى إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَتْمَمْتُ عَلَيْهِم نِعْمَتِى وأَضْعَفْتُ لَهُمْ فِى الدُّنْيَا لِلْوَاحِدَةِ عَشْرُ أَمْثَالِهَا يَامُوسَى كُنْ لِلْفُقَرَاءِ كَنْزًا وَلِلضَّعِيفِ حِصْنًا وَلِلْمُسْتَجِيرِ غَيْثًا أَكُنْ لَكَ فِى الشِّدَّةِ صَاحِباً وَفِى الْوَحْدَةِ أَنِيساً وَأَكْلُؤكَ فِى لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ » .

ش : الحذافير : الجوانب . وقيل : الأعالى واحدها حذفار وقيل : حذفور ، وغلاف السوط غطاؤه . والسوط ما يضرب به من جلد مضفور أو نحوه كقضيب الفيل جمعه سياط وأسواط ، والهوان تقدم الكلام عليه صفحة ٣٤٥ والادخار تقدم تعريفه صفحة ٢٨٦ ، وأكلؤك أحفظك ، وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى — والله أعلم بمراده — أن الله جلت أسماؤه أوحى وألقى إلى موسى بواسطة أمين الوحى جبريل عليه السلام : يا موسى إن من عبادى من لو سألنى الجنة بأجمعها لأعطيته ذلك ولما منعته من طلبه ولو سألنى غلاف سوط الذى لا يساوى شيئاً لم أعطه ذلك ولمنعته من طلبه وهذا لا لأن العبد على هين وحقير بل أريد أن أدخر له طلبه فى الآخرة لأنه أنفع له وأبقى وذلك من كرامتى له وزيادة على ذلك فإنى أحميه من الدنيا وزخارفها لئلا يزاد عليه الحساب كما يحمى الراعى غنمه من مراعى السوء فإن الراعى إذا رأى أن المرعى الموجود فى المكان الفلانى يضر بالغنم فإنه يمنعها من الرعية محافظة على صحتها وحياتها

فالله جل ذكره أولى بذلك وأقدر وأعلم وأرحم ، نسأله التوفيق لشكره فإنه المنعم الحقيقى والمتصرف القدير البصير .

يا موسى ما ألجأت الفقراء إلى الأغنياء أن يأخذوا من أموالهم لسد حاجتهم لأن خزائنى ضاقت عليهم وقل ما فيها من الأموال والأرزاق — كلا وحاشا — وليس ذلك لأن رحمتى لم تسعهم فأعرضت عنهم — كلا وحاشا — لكنى فرضت للفقراء فى أموال الأغنياء ما يسعهم أردت بذلك أن أبلو الأغنياء وأختبرهم كيف تكون مسارعتهم فيما فرضت وأوجبت للفقراء فى أموالهم ولأعودهم على الكرم والبذل . يا موسى إن وجدت الأغنياء أطاعونى وأخرجوا زكاة أموالهم وأعطوها المستحقين أتممت عليهم نعمتى وعوضتهم ذلك وأضعفت لهم أموالهم فى الدنيا للواحدة عشر أمثالها فلا يظن أحد الأغنياء أن ماله ينقص بسبب إخراج المال بل يزداد نمواً حساً ومعنى ، قال الله تعالى : ﴿ يمحق الله الربا ويربى الصدقات ﴾ ، وإذا علمت يا موسى ذلك فكن للفقراء والمحتاجين فى الدنيا كنزاً ينتفعون من مالك ويسدون حاجاتهم . وللضعفاء حصناً يتحصنون به من هجوم القوى عليهم والاستبداد بهم ومنع حقوقهم والتعرض لهم بأذى ، وللمستجيرين بك غيثاً أى معيناً وملبياً طلبهم ومجيباً لهم كالغيث والمطر يحيى الأرض والجسم ويسعف الناس فإذا فعلت ذلك يا موسى أكن لك فى الشدة صاحباً أنقذك منها وأدافع عنك وأحميك برحمتى ، وأكن لك أيضاً أنيساً فى وحشتك وزيادة على ذلك فإنى حافظ لك من كل ما يطرأ عليك فى ليلك ونهارك فلا يصيبك شىء من أنواع الأذى والمكاره .

وفى الحديث دليل على أن العبد لا يطلب فى الدنيا من ربه الأشياء الدنيوية من مال وعقار بل يدخر ذلك للآخرة فإن الدنيا دار خراب وفناء ودار الآخرة دار جزاء وبقاء وما يبقى خير مما يفنى ، ولما عمرت الدنيا فى عصرنا

الحاضر وكثر خيرها واستخرجت كنوزها وتعاظم أصبحت كل دولة تنظر إلى ما فى أيدى الأخرى من خيرات واسعة وأراض شاسعة وتوجه حسدها وقوتها واستعدادها للاستيلاء عليها وغصب ممتلكاتها والسيطرة على أموالها ومواردها واستغلال أهلها واستعبادهم وإذلالهم وتسخيرهم وابتذاذ تجارتهم ومن مانع فى ذلك ووقف دون المهاجم الغاصب أهدر دمه وأهله وصودرت أملاكه وغنمت أمواله ومواشيه ولا راحم ولا مغيث ولا مشفق ولا رحيم ولا ناصر سبب ذلك كثرة الأموال واستثمارها وحبس الذهب والفضة والبخل بها ومنعها عن مستحقيها فلذلك أصبحت الأموال غير محفوظة بعناية الله وغير محروسة برعاية الله كالراعى إذا غفل عن غنمه وجاءها الذئاب من كل ناحية فهل تستطيع أن تحمى نفسها ولا سيما إذا كانت الذئاب ضارية جائعة وليس أمامها ما يحول بينها وبين فريستها اللهم اهد الأمم للاسلام واهد قومى للعمل بشريعة الإسلام ونبذ الطمع والحسد والبغضاء بينهم وترك البدع والعادات القبيحة وزخارف الدنيا ولهواتها إنك على ما تشاء قدير .

وانظر ما قاله الرسول سيد الأمة المحمدية عليه الصلاة والتسليم لمؤذنه بلال الصحابى الجليل : يا بلال مت فقيراً ولا تمت غنياً . قال للرسول صلى الله عليه وسلم لما سمع ذلك منه : وكيف لى بذلك ؟ قال : ما رزقت فلا تخبأ وما سئلت فلا تمنع . فقال : يا رسول الله : وكيف لى بذلك ؟ قال : هو ذاك أو النار . رواه الطبرانى فى الكبير ، وأبو الشيخ ابن حيان فى كتاب الثواب والحاكم ، وقال صحيح الإسناد ، ومرة دخل النبى صلى الله عليه وسلم على بلال وعنده صبرة من تمر . فقال الرسول له ما هذا يا بلال ؟ قال : أعد ذلك لأضيافك . قال : أما تخشى أن يكون لك دخان فى نار جهنم ! أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش إقلالا . رواه البزار بإسناد حسن ، وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لغد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما أحب أن لى أحداً ذهباً أبقى صبح ثالثة وعندى منه شيء إلا شيء أعده لدين » ولذلك توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن عنده شيء .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافاً وقنع » ، والزكاة هى حصن للمال وحفظ له فعن الحسن البصرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع » . رواه أبو داود فى المراسيل ، وعن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً » . رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير وقال : تفرد به ثابت بن محمد الزاهد . قال الحافظ : وثابت ثقة صدوق روى عنه البخارى وغيره وبقية رواته لا بأس بهم ، وروى موقوفاً على على رضى الله عنه وهو أشبه ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول العبد مالى مالى وإنما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فاقتنى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه » . رواه مسلم ، وهذا الباب واسع جداً وفيما ذكرته كفاية ، والله أعلم .

٢٢٤ ـ أَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى أَنْ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ وَأَيَّامُهُ نِعَمُهُ » .

ش : أوحى وألقى الله على موسى بواسطة الأمين جبريل عليه السلام أن ذكر الناس وقومك بأيام الله جل ذكره التى تتدفق عليهم بنعمه العظام فالله جل اسمه خلق الليل والنهار نعمة من نعمه تنتفع بهما العباد ولا يمر يوم من الأيام إلا ونعم الله فيه تتزايد وتكثر والعباد يشعرون بذلك إلا أنهم يغفلون عن ذلك ولا يذكرون الله تعالى فيها فأمر الله جل ذكره موسى عليه السلام بأن يذكر الناس بنعمه فيتنبهوا ويرجعوا إليه ويشكروه على هذه النعم العظام .

٢٢٥ ـ « أَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى لَوْلَا مَنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ لَسَلَّطْتُ جَهَنَّمَ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا ، يَا مُوسَى لَوْلَا مَنْ يَعْبُدُنِى مَا أَمْهَلْتُ مَنْ يَعْصِينِى طَرْفَةَ عَيْنٍ ، يَا مُوسَى إِنَّهُ مَنْ آمَنَ بِى فَهُوَ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَيَّ يَا مُوسَى إِنَّ كَلِمَةً مِنَ الْعَاقِّ تَزِنُ جَمِيعَ رِمَالِ الْأَرْضِ . قَالَ مُوسَى : يَارَبِّ مَنِ الْعَاقُّ قَالَ إِذَا قَالَ لِوَالِدَيْهِ لَا لَبَّيْكَ » .

---

(٢٢٤) رواه البيهقى عن أبى .
(٢٢٥) رواه أبو نعيم عن أنس .

ش: سلطت مكنت وحكمت ، وجهنم اسم لنار الله الموقدة ، والعاق العاصى والخارج عن الإطاعة . يقال عق والده يعقه عقوقاً فهو عاق إذا أذاه وعصاه وخرج عليه وهو ضد البر به ، ولبيك هو من التلبية وهى إجابة المنادى

المعنى — والله أعلم بمراده — أن الله تبارك وتعالى أوحى وألقى إلى كليمه موسى عليه السلام بواسطة الأمين جبريل عليه السلام: لولا من يشهد أن لا إله إلا الله ويقر ويعترف بأنى واحد أحد لا شريك لى ولا معين أنا أخلق وأميت أقدر أرزاق العباد وأمرض وأشفى وأقدر على كل شىء ولا شىء يمتنع عن إجابتى وأمرى أنا الذى إذا أردت شيئاً أن أقول له : كن فيكون — لسلطت ومكنت وحكمت جهنم نار الله الموقدة التى أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت وألف سنة حتى ابيضت وألف سنة حتى اسودت والآن سوداء مظلمة كالليل المظلم نعوذ بالله منها وأطلقت لها على أهل الدنيا القهر والقدرة فيستغيثون فلا يجابون وينادون فلا يلبون ، يا موسى لولا من يعبدنى من خلقى ويظهر العبودية لى ما أمهلت وأخرت من يعصينى طرفة عين عن عذابه والنكال به وبطشه . يا موسى إن من آمن بى وصدق وأقر واعترف بألوهيتى ووحدانيتى وعظمتى وقدرتى على خلقى فهو أكرم الخلق على وأقربهم منزلة وأعلاهم قدراً وأكثرهم ثواباً . يا موسى إن كلمة من العاق الخارج عن الأوامر العاصى لها تزن جميع رمال الأرض ، فاستفهم كليم الله موسى عليه السلام ربه عن العاق ومن هو ليرشده وينبهه على غضب الرب له لينزجر وليرجع إلى الله تعالى ويتوب خوفاً عليه من وقوعه فى المهلكات وغضب الرب عليه . قال الرب جل اسمه لموسى كليمه : يا موسى العاق هو من إذا طلب أحد والديه أمراً فقال له لا لبيك ولا إجابة لك فإنه بذلك عاص وعاق له وخارج عن أوامره فيستحق غضب الله عليه ، وتسلط عليه جهنم . فأسأل الله السلامة .

والله جل اسمه ما خلق الخلق إلا لعبادته وإظهار الألوهية والإخلاص له تعالى فى وحدانيته وانفراده بالخلق والرزق . قال الله تعالى فى محكم كتابه : ﴿ وما خلقت الجنس والإنس إلا ليعبدون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾، وقال عز وجل : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لى : يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً قلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس . قال : لا تبشرهم فيتكلوا » . رواه الشيخان فى صحيحهما . قال المدنى فى كتابه بعد ما أورد هذا الحديث: رواه أبو نعيم فى المعرفة عن أنس . وقد تقدم قريباً ما يتعلق بفضل شهادة أن لا إله إلا الله ، والله أعلم .

٢٢٦ ـ « أَوْحَى اللّٰهُ إِلَى مُوسَى يَا مُوسَى ارْضَ بِكِسرَةِ خُبْزٍ مِنْ شَعِيرٍ تَسُدُّ بِهَا جَوْعَتَكَ وَخِرْقَةٍ تُوَارِى بِهَا عَوْرَتَكَ وَاصْبِرْ عَلَى الْمُصِيبَاتِ وَإِذَا رأَيْتَ الدُّنْيَا مُقْبِلَةً

---

(٢٢٦) رواه الديلمى عن أبي الدرداء .

فَقُلْ إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ عُقُوبَةٌ عُجِّلَتْ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا رَأَيْتَ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً وَالفَقْرَ مُقْبِلاً فَقُلْ مَرْحَباً بِشِعَارِ الصَّالِحِينَ » .

ش: الكسرة — بكسر الكاف — القطعة من الشيء المكسور والخبز معروف ، والخرقة — بكسر الخاء المعجمة — القطعة من الثوب ، وتوارى تستر ، وشعار الصالحين علامتهم وسيماهم الدال عليهم . وباقى ألفاظ الحديث لا تحتاج إلى تفسير .

المعنى — والله أعلم بمراده — أن الله جل ذكره أوحى إلى نبيه وكليمه موسى : يا موسى ارض بكسرة وقطعة خبز من دقيق شعير مطحون تسد بها جوعتك ولا تتوسع فى المآكل لأنك أرسلت مشرعاً لقومك معلماً لهم ، كيف تكون الحياة الدنيوية فإنها مزرعة للآخرة . وارض بخرقة وقطعة ثوب توارى بها عورتك وتسترها من الظهور والانكشاف وإذا أصابك مصيبة فى الدنيا فى مالك أو بدنك أو أهلك فاصبر لها ودافعها فإن حرها فى الصدمة الأولى وبعد ذلك تخف وتذهب . وإذا رأيت الدنيا مقبلة عليك فلا تفرح بها وقل إنا لله وإنا إليه راجعون فإن إقبالها عليك عقوبة عجلت فى الدنيا . وإذا رأيت الدنيا مدبرة عنك ومولية لك ظهرها والفقر مقبلا ومتوجهاً إليك فلا تحزن وافتح له صدرك وقل : مرحباً بشعار وعلامات الصالحين الذين أصلحوا ظواهرهم وبواطنهم بتقوى الله جل ذكره .

وقد ورد آيات كثيرة وأحاديث صحيحة فى ذم الدنيا والتوسع فيها

منها ما قال الله فى كتابه الحكيم : ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً * انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب ﴾ ، واعلم أن الإعراض عن الدنيا ليس معناه تركها مطلقاً وإنما المراد تحصيلها من وجه مشروع وعدم الانهماك فيها واتخاذها مقصداً وإعطاء الفقراء والمساكين نصيبهم من المال الذى يكسبه الأغنياء وأداء حقوق الله جل ذكره والقيام بما يجب عليه .

وانظر كيف كان حال النبي صلى الله عليه وسلم فى الدنيا مع أن الجبال عرضت على الرسول صلى الله عليه وسلم ذهباً فأبى وقال : لا عيش إلا عيش الآخرة ، وعن أبي عسيب رضى الله عنه قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فمر بى فدعانى فخرجت إليه ثم مر بأبى بكر رحمه الله فدعاه فخرج إليه ثم مر بعمر رحمه الله فدعاه فخرج إليه فانطلق حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار فقال لصاحب الحائط أطعمنا فجاء بعذق فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب فقال : لتسئلن عن هذا

يوم القيامة . قال : فأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتى تناثر البسر قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا رسول الله إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : نعم . إلا من ثلاث : خرقة كف بها عورته أو كسرة سد بها جوعته أو جحر يتدخل فيه من الحر والقر » . رواه أحمد ورواته ثقات ، وعن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافاً وقنع » . رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح — والحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم ، وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » . رواه ابن ماجه ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وعن عمرو بن عوف الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه إلى البحرين يأتى بجزيتها فقدم بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال : أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشىء من البحرين . قالوا : أجل يا رسول الله . فقال : أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » . رواه البخارى ومسلم ؛ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة أيام تباعاً حتى قبض » . وفى رواية قال أبو حازم رأيت أبا هريرة يشير بأصبعه مرارا يقول : « والذى

نفس أبي هريرة بيده ما شبع نبي الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا » . رواه البخارى ، ومسلم ، زاد المدنى وأخرجه أبو نعيم والحديث الله أعلم بإسناده .

٢٢٧ ـ « أَوحَى اللهُ إِلَى دَاودَ يَا دَاوُدُ إِنَّ الْعَبدَ لَيَأْتِي بِالْحَسَنَةِ يَومَ الْقِيَامَةِ كَمَثَلِ جِيفَةٍ ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهَا الْكِلَابُ يَجُرُّونَهَا أَفَتُحِبُّ أَنْ تَكُونَ كَلْباً مِنْهُمْ فَتَجُرَّ مَعَهُمْ ، يَا دَاوُدُ طَيِّبِ الْكَلَامَ وَلَيِّنَ اللِّبَاسَ ، وَالصِّيتُ فِي النَّاسِ وفِي الْآخِرَةِ لَا يَجْتَمِعُ أَبَداً » .

ش: داود عليه السلام نبي من أنبياء الله العظام هو أبو سليمان داود بن إيشا ــ بهمزة مكسورة ثم مثناة من تحت ساكنة ثم شين معجمة ــ بن عوبد ابن ياعز بن سلمون بن نحشون بن عمى نادب بن رام بن حصرون بن فارحى ابن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام ، والجيفة جثة الميت إذا أنتن . والجر السحب . والصيت ــ بكسر الصاد المهملة ــ الذكر الجميل فى الناس . وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

المعنى ــ والله أعلم بمراده ــ أن الله جل ذكره أوحى إلى نبيه داود عليه

---

(٢٢٧) رواه الديلمى عن على .

السلام بواسطة الأمين جبريل عليه السلام أن العبد المؤمن ليأتى بالحسنة — عملها فى الدنيا — يوم القيامة كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها ليأخذ كل كلب قطعة منها وذلك من عدم الإخلاص فيها فلم تقبل وأصبحت كالجيفة المنتنة لها رائحة تنفر الناس منها ولا يرغب فيها إلا الكلاب أتحب يا داود أن تكون كلباً منهم فتجر معهم هذه الجيفة القذرة ، وهذا مثل تشبيه الدنيا بجثة ميت أنتنت وظهرت رائحتها وهرب الناس منها وأقدم عليها جمهور الكلاب يسحبونها ويجرونها ليأخذ كل واحد من الكلاب قطعة منها فيأكلها ويملأ بطنه منها وهذا من ألطف التشبيه وأرذله فنسأل الله تعالى أن يحمينا من الدنيا وويلاتها.وأرشد الله نبيه داود عليه السلام إلى صفات حميدة ليتحصل ويتصف بها فقال له تعالى : «يا داود طيب الكلام بين الناس ولين اللباس «أى» اتخذ من اللباس ما يكفى الحاجة والضرورة ولا تتوسع فيه . والصيت أى الذكر الجميل فى الناس وفى الآخرة لا يجتمع أبداً فاختر ما يحلو لك .

وداود عليه السلام تقدم نسبه آنفاً ، وقد تظاهرت الآيات والأحاديث الصحيحة على عظم فضل الله تعالى عليه . قال الله تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وآتينا داود زبورا ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب *إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق *والطير محشورة كل له أواب *وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ ، وقصته وسيرته ذكرت فى القرآن متقطعة فى غير موضع فارجع إليها ، وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أحب الصيام إلى الله صيام داود وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم

ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى ». وفى رواية فى الصحيحين : « كان يصوم نصف الدهر » . وفى رواية فى الصحيحين : « صم صيام داود فإنه كان أعبد الناس » ، وعن المقداد بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » .

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى فى كتابه تهذيب الأسماء واللغات : قال الثعلبى : قال العلماء : لما استشهد طالوت أعطت بنو إسرائيل داود خزائن طالوت وملكوه على أنفسهم وذلك بعد قتل جالوت بسبع سنين ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك إلا داود . قال : وقال كعب ، ووهب بن منبه : كان داود أحمر الوجه سبط الرأس أبيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب . قال : ومما أعطاه الله تعالى من الفضائل الزبور . وحسن الصوت فلم يعط أحداً مثل صوته ، وحكى من آثار صوته أشياء عجيبة منها تسخير الجبال والطير للتسبيح معه . ومنها الحكمة وفصل الخطاب وغير ذلك ، قال أهل التواريخ : كان عمر داود عليه السلام مائة سنة ملكه منها أربعون سنة .

وقد ورد آيات قرآنية وأحاديث صحيحة نبوية فى طيب الكلام ولين الملبس . قال الله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ ، الآية ، وقال تعالى : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ . وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة » . رواه البخارى ومسلم ؛ وعن المقداد بن شريح عن أبيه عن جده قال : قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى بشىء يوجب لى الجنة . قال : « موجب الجنة إطعام الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام » . رواه الطبرانى بإسنادين . رواة أحدهما

ثقات . وابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت والحاكم إلا أنهما قالا : عليك بحسن الكلام وبذل الطعام . وقال الحاكم : صحيح ولا علة له . رواه البزار من حديث أنس قال : قال رجل للنبى صلى الله عليه وآله وسلم علمنى عملا يدخلنى الجنة . قال : « أطعم الطعام وأفش السلام وأطب الكلام وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام » . وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما يكفينى من الدنيا ؟ قال : «ما سد جوعتك ووارى عورتك وإن كان لك بيت يظلك فذاك وإن كان لك دابة فبخ بخ » ، وعن أبى يعقوب قال : « سمعت ابن عمر يسأله رجل ما ألبس من الثياب ؟ قال : ما لا يزدريك فيه السفهاء ولا يعيبك به الحكماء . قال : ما هو؟ قال : ما بين الخمسة دراهم إلى العشرين درهماً » . رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح ، وانظر إلى لباس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولباس الصحابة .

والحديث ذكره المدنى فى كتابه بلفظ : « أوحى الله إلى داود يا داود مثل الدنيا كمثل جيفة » . إلخ . . والله أعلم .

٢٢٨ ـ « أَوْحَى اللهُ إِلَى دَاوُدَ يَا دَاوُدُ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَأْتِى بِالْحَسَنَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُحَكِّمُهُ بِهَا فِى الْجَنَّةِ قَالَ داوُدُ يَا رَبِّ وَمَنْ هٰذَا الْعَبْدُ ؟ قَالَ مُؤْمِنٌ يَسْعَى لأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فِى حَاجَتِهِ يُحِبُّ قَضَاءَهَا قُضِيَتْ عَلَى يَدَيْه أَوْ لَمْ تُقْضَ » .

---

(٢٢٨) رواه الخطيب وابن عساكر عن على .

ش : أحكمه من التحكيم وهو التفويض فى الحكم . يقال : حكمت الرجل — بالتشديد — فوضت الحكم إليه .

المعنى — والله أعلم بمراده — أن الله جل وعز يخبرنا أنه أوحى إلى نبيه داود عليه السلام أن العبد المؤمن ليأتى بالحسنة الواحدة عملها فى حياته فى الدنيا يوم القيامة فيحكمه ويفوض حكمه بها فى الجنة — ولما كان هذا أمراً مستغرباً لأنه عمل صغير يثاب عليه ويفوض أمره إلى العامل بأن يحكم لنفسه بما يشاء من ثواب وأجر على ذلك العمل — سأل نبى الله داود عليه السلام ربه عن العبد الذى صفته ما ذكر فقال الله جل ذكره لنبيه داود جواباً لسؤاله . مؤمن آمن بى وصدق برسالة نبيي وسعى لأخيه المؤمن حال حياته فى حاجته يحب قضاءها له قضيت تلك الحاجة على يديه أو لم تقض لأنه بذل جهده ولم يقصر فأجره محفوظ على كل حال لأن الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى ، فعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » . رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله » . رواه الطبرانى ، وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الله فى حاجة العبد ما دام فى حاجة أخيه » . رواه الطبرانى ورواته ثقات ، والحديث ذكره المدنى فى كتابه الإتحافات وقال : وهو واه ، والله أعلم .

٢٢٩ – « أَوْحَى اللهُ إِلَى دَاوُدَ: وَعِزَّتِى مَا مِنْ عَبْد يَعْتَصِمُ بِى دُونَ خَلْقِى أَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ فَتَكِيدُهُ ٱلسَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ بِمَنْ فِيهَا إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِ ذٰلِكَ مَخْرَجًا وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَعْتَصِمُ بِمَخْلُوقٍ دُونِى أَعْرِفُ ذٰلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ إِلَّا قَطَّعْتُ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَرْسَخْتُ الْهُوِى مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ وَمَا مِنْ عَبْدٍ يُطِيعُنِى إِلَّا وَأَنَا مُعْطِيهِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِى وَمُسْتَجِيبٌ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوَنِى وَغَافِرٌ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَغْفِرَنِى ».

ش : العزة حال مانعة للانسان من أن يغلب من قولهم أرض عزاز أى صلبة ، والاعتصام التمسك بالشيء ، والكيد ضرب من الاحتيال ، وقد يكون مذموماً وممدوحاً وإن كان يستعمل فى المذموم أكثر ، والمخرج المخلص ، ورسخ ثبت ، والهوى بضم أوله وتشديد آخره جمع هوة وهى الحفرة والمطمئن من الأرض . ويقال لها المهواة أيضاً ، وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

المعنى – والله أعلم – أن الله جلت عظمته أوحى وألقى إلى نبيه داود عليه السلام مقسماً له بعزته وغلبته التى لا تقاوم ما من عبد من عباده ذكراً كان أو أنثى يعتصم بالله ويتمسك به دون أحد من خلقه تعالى والله جل ذكره

---

(٢٢٩) رواه تمام وابن عساكر والديلمى عن عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه .

أعرف بذلك من نيته فتكيده السموات والأرض بمن فيها من الخلائق وتقوم ضده وتحتال على النكال به إلا جعل الله جل اسمه لذلك العبد مخرجاً ومخلصاً من بين ذلك وهو لا يشعر ، وكذلك ما من عبد يعتصم ويتمسك بمخلوق دون الله جل وعلا والله عزوجل يعرف ذلك من نيته وما يضمره بقلبه إلا قطع أسباب السماء وما يتوصل به إليه بين يديه وأرسخت وأثبت الهوى من تحت قدميه فلا يتمكن من إثبات نفسه وتمالك قواه لأن تحته خالياً فيعجز عن المدافعة عن نفسه وتقويتها والمحافظة عليها ، وما من عبد من عبادى ذكراً كان أو أنثى يطيعنى وينقاد لأوامرى إلا وأنا معطيه عطايا كثيرة قبل أن يسألنى ومستجيب له دعاءه وطلبه قبل أن يدعونى وغافر له أيضاً ذنوبه إذا بدر منه ذنب قبل أن يستغفرنى .

ففى الحديث دليل على أن الاعتصام والالتجاء لا يكون إلا لله جل ثناؤه فى جميع الحالات ، وإذا اعتصم وتمسك بالله جل عزه فالله تعالى يحميه ويحول بينه وبين عدوه ، ولو كان أعداؤه أقوى المخلوقات وأعظمها فإن الله يجعل للعبد من ذلك مخرجاً ومخلصاً . قال الله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ . ومن اعتصم وتمسك بغيره تعالى فقد هلك وخاب وخسر الدنيا والآخرة ووكله الله تعالى إلى غيره وغض الطرف عنه وقطع عنه جميع أسباب النجاة والفوز سبحانه ما أكرمه وأقدره وأعظمه وأبره وأرحمه بعباده أفلايكون العبد رحيماً بنفسه شاكراً لربه ملتجئاً إليه فى السراء والضراء ، ومن أطاع الله جل ذكره سهل له جميع أسباب الراحة وأذهب عنه جميع أسباب الشقاء وأعطاه قبل أن يسأله واستجاب له قبل أن يدعوه وغفر له قبل أن يستغفره سبحانك يا رب ما أرحمك لعبادك وما أبعد عبادك عنك . اللهم اهدهم فإنهم لا يعلمون .

والحديث فيه يوسف بن السفر متروك يكذب ، وقال البيهقى : هو فى عداد من يضع الحديث .

٢٣٠ – « أَوْحَى اللهُ إِلَى دَاوُدَ أَنْ قُلْ لِلظَّلَمَةِ لَا يَذْكُرُونِى فَإِنِّى أَذْكُرُ مَنْ يَذْكُرُنِى وإِنَّ ذِكْرِى إِيَّاهُمْ أَنْ أَلْعَنَهُمْ » .

ش : الظلمة – بفتحات – جمع ظالم واضع الشىء فى غير موضعه المختص به ، واللعن الطرد من رحمة الله والإبعاد عن إكرامه عز وجل .

والمعنى – والله أعلم بمراده – أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى عبده ونبيه داود عليه السلام أن قل للظلمة الذين تجاوزوا الحدود وخالفوا الأوامر واتبعوا شهوات أنفسهم وركنوا إلى الشيطان والهوى لا يذكرون الله جل وعلا فإن الله عز وجل يذكر من ذكره وأن ذكر الله لهؤلاء الظلمة لعنهم وإبعادهم عن الخير والكرامة لأن ذكر الله منوط باتباع الأوامر واجتناب النواهى والظلمة ليسوا كذلك .

والظلم من الصفات القبيحة التى أجمعت الأمم جميعاً على ذمها والنفور منها واستبشاعها وفى القرآن الحكيم آيات كثيرة فى ذم الظلم والنهى عنه ولعن الظالم . قال الله تعالى : ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً ﴾ ، وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان

---

(٢٣٠) رواه الحاكم فى تاريخه والديلمى وابن عساكر عن ابن عباس .

قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » . رواه مسلم وغيره ، وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ ، رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وقال تعالى في الحديث القدسي : « إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم » إلخ وقد تقدم صفحة ٤٧ فارجع إليه فإنه فيه الكفاية ، والحديث الله أعلم بسنده .

٢٣١ — أَوْحَى اللهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ : يَا خَلِيلِي حَسِّنْ خُلُقَكَ وَلَوْ مَعَ الْكُفَّارِ تَدْخُلْ مَدَاخِلَ الْأَبْرَارِ فَإِنَّ كَلِمَتِي سَبَقَتْ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ أَنْ أُظِلَّهُ فِي عَرْشِي وَأَنْ أُسْكِنَهُ حَظِيرَةَ قُدْسِي وَأَنْ أُدْنِيَهُ مِنْ جِوَارِي » .

ش : إبراهيم عليه السلام هو خليل الرحمن ونبيه ولفظه أعجمي وفيه لغات كثيرة ومعناه بالسريانية أب رحيم ، والخليل الصديق والخلة — بالضم — الصداقة والمحبة التي تخللت القلب ، والخلق — بضم الخاء المعجمة واللام وقد تسكن اللام — الطبع والسجية والدين ، والأبرار جمع بر — بالفتح — أي الصادق أو التقي وهو خلاف الفاجر ، وهو كثيرا ما يخص بالأولياء والزهاد والعباد ، والظل الفيء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس أي شيء كان . وقيل : هو مخصوص بما كان منه إلى زوال الشمس وما كان بعده فهو الفيء ، والعرش في الأصل شيء مسقف وقد تقدم الكلام عليه صفحة ١٢٠ فارجع

---

(٢٣١) رواه الحكيم الترمذي عن أبي هريرة.

إليه ؛ وحظيرة القدس تقدم الكلام عليها صفحة ٢٠١ فلا حاجة للإعادة ، والدنو القرب ، والجوار الملاصقة فى السكن .

المعنى — والله أعلم — أن الله جل ذكره أوحى إلى نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام: يا خليلى حسن خلقك وعامل الناس بسعة الصدر وطول البال والحلم والأناة والعفو ولو أنك تستعمل ذلك مع الكفار الذين جحدوا آلاء الله ونسوا خيره لأنك بعملك ذلك تحببهم إليك وينقلب كفرهم إيماناً وجحدهم شكراً وإقراراً وحسن الخلق من الصفات الحميدة تدخلك مداخل الأبرار — وهى الجنة — فإن كلمتى فى الأزل سبقت لمن حسن خلقه واستعمل سجاياه وطبائعه فى الأعمال الحسنة أن أظله فى عرشى وأحميه من الحر والبرد يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وزيادة على ذلك فإنى أعددت له سكناً خاصاً وهو حظيرة قدسى وأن أدنيه وأقربه من جوارى يوم القيامة فيرانى وأراه . اللهم إنا نسألك النظر إلى وجهك الكريم .

وإبراهيم عليه السلام هو خليل الله ونبيه ابن تارح — وهو المسمى فى القرآن آزر — بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح عليه السلام . هذا هو النسب الموجود فى التوراة ولم يذكر القرآن الكريم إلا أنه ابن آزر ولم يذكر أحداً من أجداده بعنوان أنه جده ، وذكرت قصة إبراهيم عليه السلام فى عدة مواضع من القرآن الحكيم تارة باختصار وتارة بالتطويل وتارة بذكر شأن من شئونه فى سورة ثم شأن آخر من شئونه فى سورة أخرى .

وحاصل قصته عليه السلام أنه كان فتى من أهل فدان رام بالعراق كما فى التوراة وكان قومه أهل أوثان وكان أبوه نجاراً ينحت الأصنام ويبيعها لمن يعبدها كما نص على ذلك فى إنجيل برنابا وأن إبراهيم كان قد أنار الله بصيرته

وهداه إلى الرشد فعلم أن الأصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تسمع نداء ولا تجيب دعاء ولا تضر ولا تنفع وأنها لا تباين بنات صنفها من سائر الخشب وأن أباه هو الذى يصنعها .

ولما رأى نبي الله إبراهيم عليه السلام ذلك نوى الشر فى نفسه لهذه الآلهة التى جمدوا على عبادتها ولم تفدهم موعظة ولا برهان عن الغواية بها فأقسم فى نفسه أن يلحق بها الأذى .

وهذه طريقة أراد بها أن يفهم القوم مركز آلهتهم ويقيم لهم الحجة عملا على أنها لا يمكن أن تلحق بهم أذى إذا تركوا عبادتها أو تكسبهم خيراً إذا عبدوها لأن البرهان العملى أوقع فى النفس وأرجى أن يحرز القبول. فقال فى نفسه كما أخبر بذلك الكتاب الحكيم: ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون * قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين * قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ فلما فعل فعلته أرادوا محاكمته على رءوس الأشهاد فقدموه للمحاكمة ؛ وقد قص الله ذلك فى كتابه حيث قال : ﴿ قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون * قالو ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون * فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون * ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ . حينئذ ظهرت حجة إبراهيم واضحة ورأى الفرصة سانحة لإلزامهم الحجة قال : ﴿ أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ . فلما أعيتهم الحيلة فيه — ووجدت موعظته منهم قلوباً غلفا وآذاناً صماً — عمدوا إلى لما يلجأ إليه القوى الجبار الذى لا حق معه بإزاء المحق الضعيف : ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على

إبراهيم * وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين * ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين * ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ﴾ ، ولإبراهيم عليه السلام مواقف مع قومه متعددة فتارة يحاج والده وتارة يحاج الجمهور وتارة يحاج الملك وتارة يفعل ما يستفزهم به إلى محاجته كتكسير الأصنام ليكلموه فى شأنها إلى أن أوقدوا النار لتحريقه فنجاته منها بعد أن ألقى فيها فهجرته .

وتاريخ حياته عليه السلام يعطينا درسا وموعظة لنقف فى مقام النصح والإرشاد موقف الصابرين الظافرين ولا نقنط ونيأس ونجاهد أنفسنا وقومنا ونردد عليهم المواعظ والنصائح لأن نبى الله إبراهيم عليه السلام بعد أن جهد الجهد كله فى سبيل هداية قومه وبعد أن حاول أن يقنعهم بكل وسائل الإقناع لم يحظ من قومه بطائل وجفاه قومه وألقوه فى النار فجعلها الله برداً وسلاماً . وهدده أبوه بأن يرجمه إذا استمر على جحد الأصنام ولم يؤمن له من قومه سوى زوجه سارة ، ولوط بن هاران بن تارح ، ولما وجد عناد أبيه له تبرأ منه إبراهيم عليه السلام ولم يطب له المقام بين أهله وقومه فهاجر من العراق إلى الشام فذهب إلى أور الكلدانيين ثم حاران ورحل إلى فلسطين ، ومصر ، ودفن فى الأرض المقدسة وقبره معروف بالبلدة المعروفة بالخليل بينها وبين بيت المقدس دون مرحلة . وقد حباه الله بصفات حميدة جميلة بأن أنزل عليه صحفاً قيل كانت عشراً وجعل له لسان صدق فى الآخرين – أى ثناء حسناً – فليس أحد من الأمم إلا يحبه ، وأكرمه بالخلة ، وجعل أكثر الأنبياء من ذريته وختم ذلك سبحانه وتعالى بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

واختتن عليه السلام وهو ابن ثمان سنين بالقدوم ، ويكسى يوم القيامة أول الخلائق ، وبلغ عمره مائة وخمساً وسبعين سنة وقيل مائتى سنة .

وفى الحديث أن اللهسبحانه وتعالى أمر نبيه بتحسين خلقه مع جميع الناس ولو مع الكفار وقد امتثل أمر ربه فبلغ من حسن الخلق وكمال الدربة ما لم يبلغه أحد سواه إلا ما كانمن ولده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وانظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والزيغ الشنيع الذىعصى أمر العقل وانسلخ من قضية التمييز والغباوة التى ليس بعدها شيء كيف رتب الكلام معه فى أحسن اتساق وساقه فى أرشق مساق مع استعماله الملاطفة والمجاملة والرفق واللين والأدب الجميل وكمال حسن الخلق منتصحاً فى ذلك ربه مسترشداً بإرشاده .

قال الشيخ محيي الدين بن عربى : ينبغى لطالب مقام الخلة أن يحسن خلقه للجميع مؤمنهم وكافرهم طائعهم وعاصيهم . وأن يقوم فى العالم مقام الحق فيهم فإن المرء على دين خليله فى شمول الرحمة وعموم لطائفه من حيث لا يشعرهم أن ذلك الإحسان منه فمن عامل الخلق بهذه الطريقة صحت له الخلة وإذا لم يستطع بالظاهر لعدم الموجود أمدهم بالباطن فيدعو لهم بينه وبين ربه ، وهكذا حال الخليل فهو رحمة كله .

والحديث قال فيه المؤلف فى شرحه على الجامع الصغير ، قال الزيلعى : وهذا معضل ، وضعفه المنذرى ولم يوجهه ، وقال الهيثمى : فيه مؤمل بن عبد الرحمن وهو ضعيف ، والله أعلم .

٢٣٢ – « أَوْحَى اللهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنِّى عَلِيمٌ أُحِبُّ كُلَّ عَلِيمٍ » .

---

(٢٣٢) رواه ابن عبد البر معلقاً .

ش : العليم مبالغة فى عالم أى كثير العلم ، وفى وصفه تعالى به أنه هو الذى لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه قاصية ولا دانية .

والمعنى – والله أعلم بمراده – أن الله جل ذكره أوحى إلى نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم إنى عليم أعلم وأحيط بكل شىء علماً لا يعزب عن علمى مثقال ذرة فى السماء ولا فى الأرض ، أحب كل عليم أى كثير العلم لأن الشخص كلما كثر علمه ازدادت معلوماته وفاق غيره علماً وفضلا ومكانة إلا أن علم الله جل ذاته مخالف لعلوم المحدثات من وجوه أحدها : أنه بالعلم الواحد يعلم جميع المعلومات بخلاف العبد . ثانيها: أن علمه تعالى لا يتغير بتغير المعلومات بخلاف الحادث . ثالثها: أن علم الله سبحانه وتعالى غير مستفاد من الحواس ولا من الفكر بخلاف العبد . رابعها أن علمه تعالى ضرورى الثبوت ممتنع الزوال . قال تعالى: ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وما كان ربك نسياً ﴾. وعلم العبد جائز الزوال. خامسها: أن الحق سبحانه وتعالى لا يشغله علم عن علم بخلاف العبد . سادسها: أن معلومات الحق تعالى غير متناهية بخلاف العبد ، ففى الحديث إشارة إلى فضل العلم وشرفه وأن العبد كلما ازداد علماً ازداد عند الله حباً ، وقد جاء فى فضل العلم وشرفه آيات كثيرة وأحاديث صحيحة تفوت الحصر ، وقد ذكرت جملة صالحة من أدلة الكتاب والسنة فى فضله وشرفه فى كتابى– نموذج من الأعمال الخيرية فارجع إليه تجد ما يسرك، والحديث رواه ابن عبد البر معلقاً كما قال المصنف والله أعلم .

٢٣٣ – « أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ يَاعِيسى عِظْ نَفْسَكَ بِحِكْمَتِي فَإِنِ انْتَفَعْتَ فَعِظِ النَّاسَ وَإِلَّا فَاسْتَحِ مِنِّى » .

ش : عيسى ابن مريم عليه السلام تقدمت ترجمته صفحة ٢٨٩ وقوله « عظ » أي ذكر نفسك . والوعظ زجر مقترن بتخويف . وقال الخليل : هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب والعظة والموعظة الاسم ، والحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات .

والمعنى – والله أعلم بمراده – أن الله تعالى أوحى وأعلم نبى الله عيسى عليه السلام بواسطة جبريل عليه السلام أو غيره يا عيسى عظ نفسك وذكرها بحكمتى وإرشادى فإن انتفعت بنفسك وأهلك فعظ الناس وذكرهم بآلاء الله جل ذكره وقدرته ومعرفته وإن لم تنتفع بذلك فاستح منى لأنك القدوة إلى الخلق والمرشد العظيم فالناس لك تبع ؛ وفيه دليل على أن الوعظ إذا لم يؤثر أولا وبالذات بالواعظ فلا يؤثر بالموعوظ وهذا لا شك فيه فإن الواعظ يجب عليه أن يحاسب نفسه ويعظها قبل أن يلقى الموعظة فإذا كان حاله موافقاً لوعظه ومتصفاً بالصفات التى يعظ بها كان الواعظ نافعاً ومسدداً وكان الموعوظ قريب الميل إلى الواعظ وسماع كلامه وإطاعة أوامره وامتثال ما يلقى إليه من الصفات الحميدة ، ولذلك ذكروا آداباً وصفات للداعى والواعظ والمرشد ينبغى الاتصاف بها : منها العمل بعلمه فلا يكذب فعله قوله ولا يخالف ظاهره

---

(٢٣٣) رواه الديلمى عن أبى موسى .

باطنه فلا يأمر بشىء ما لم يكن هو أول عامل به ولا ينهى عن شىء ما لم يكن هو أول تارك له ليفيد وعظه ويثمر إرشاده ، ومنها الحلم وسعة الصدر فكمال العلم فى الحلم ولين الكلام مفتاح القلوب ، ومنها العلم بالقرآن والسنة إذا كان مرشداً أو واعظاً وما صح من هدى الرسول وسيرته وسيرة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح رضوان الله عليهم ، ومنها الشجاعة حتى لا يهاب أحداً فى الجهر بالحق ولا تأخذه فى نصرة الله لومة لائم ، ومنها العفة واليأس مما فى أيدى الناس . ومنها القناعة فى الدنيا والرضا منها باليسير . ومنها قوة البيان وفصاحة اللسان إلى غير ذلك ، وأهمها الأولى وفقنا الله وإياك إلى وعظ نفسه قبل وعظ غيره . والحديث أخرجه كما قال المصنف ولا يخفى ما فيه ، والله أعلم .

٢٣٤ — « أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى فِى الإِنْجِيلِ أَنْ قُلْ لِلْمَلأَ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّ مَنْ صَامَ لِمَرْضَاتِى أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ وَأَعْظَمْتُ لَهُ أَجْرَهُ » .

ش : الإنجيل كتاب أنزله الله جل ذكره على نبيه عيسى عليه السلام ثم دخله التحريف والتبديل .

ومعنى الإنجيل البشارة . والشواهد متضافرة على أن الله تعالى أعطى نبيه المسيح الإنجيل وأنه كتاب تضمن الهدى والنور وقد أهاب ببنى إسرائيل أن يرجعوا إلى الله ويعبدوه وأنبأهم بأحداث مستقبلةوبشرهم باقتراب زمن النبى الذى وعد بنو إسرائيل بأن الله يبعثه وعلى يده يكون بعث شريعة جديدة

(٢٣٤) رواه أبو الشيخ والدبلمى والرافعى عن أبى الدرداء .

وأنه يكون كموسى صاحب شريعة مستقلة وفيه وصفه ووصف أتباعه كما ذكر ذلك القرآن الحكيم . فأين يوجد اليوم إنجيل المسيح الذى ذكره القرآن الكريم ؟ إن الإنجيل الذى أتى به المسيح وسلمه إلى تلاميذه وأمرهم أن يبشروا به لا يوجد الآن وإنما توجد قصص ألفها التلاميذ وغير التلاميذ لم تسلم من المسخ والتحريف بالزيادة والحذف وقد كثرت الأناجيل كثرة فاحشة حتى أربت على المائة ، ومعلوم أن الكنيسة رفضت ما يخالف رغبتها وأقرت الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم على ما هى عليه من انقطاع السند وعدم العلم التام بالمؤلف الحقيقى أو المترجم ومبلغ أمانته على الدين وحرصه على الصدق وعلى ما بينها من الاختلاف الحقيقى المفضى إلى أن أحد الأقوال صادق وما عداه كاذب . والملأُ جماعة يجتمعون على رأى فيملئون العيون رواء ومنظراً والنفوس بهاء وجلالا ، وبنو إسرائيل قوم موسى عليه السلام . وإسرائيل اسم أعجمى : مركب من إيل اسم من أسماء الله تعالى وإسرا وهو العبد أو الصفوة أو الإنسان أو المهاجر وهو لقب سيدنا يعقوب عليه السلام . وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى — والله أعلم — أن الله جلت عظمته أوحى إلى نبيه ورسوله عيسى عليه السلام بواسطة الأمين جبريل أن قل للجماعة المحترمين وأصحاب الرأى السديد والمكانة من بنى إسرائيل أى قومك الذين أرسلت إليهم للهداية والتبليغ أن من صام منكم ذكراً كان أو أنثى لمرضاتى ورضائى ولوجهى الكريم أصححت له جسمه إذا كان فيه علل وسقم وأعظمت له أجره فى الآخرة ، وقد تقدم فضل الصوم وأنه لله وحده وكثرة ثوابه فلا حاجةللاطالة. والحديث والله أعلم ليس بالقوى وإن كان معناه صحيحاً فإن الصوم من حيث هو مرغب فيه مشروع ومطلوب الإكثار منه ، وقد تقدمت ترجمة الثلاثة الذين خرجوا الحديث فلا فائدة فى تكرار تراجمهم ، والله أعلم .

٢٣٥ – « أَوْحَى اللهُ إِلَى نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ أَنْ قُلْ لِعِبَادِي الصِّدِّيقِينَ أَنْ لَا يَغْتَرُّوا بِي فَإِنِّي أُقِيمُ عَلَيْهِمْ عَدْلِي وَقِسْطِي أُعَذِّبُهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ وَقُلْ لِعِبَادِي الْخَطَّائِينَ لَا تَيْأَسُوا مِنْ رَحْمَتِي فَإِنَّهُ لَا يَكْبُرُ عَلَيَّ ذَنْبٌ أَغْفِرُهُ » .

ش : الصديقون جمع صديق – بتشديد الدال – من كثر منه الصدق ، وقيل : بل يقال لمن لا يكذب قط . وقيل : بل لمن لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصدق . والاغترار يقال اغتر الرجل إذا طلبت غرته أى غفلته وتسامحه ، والخطاءون جمع خطاء يقال رجل خطاء إذا كان ملازماً للخطايا غير تارك لها – وهو من أبنية المبالغة – مقابل الصديقين ، والقسط هو النصيب من العدل ، واليأس ضد الرجاء .

والمعنى – والله أعلم – أن الله تبارك اسمه أوحى إلى بعض أنبيائه عليه السلام أن قل وأخبر عبادى الصديقين الذين صدقوا الله فى أقوالهم وأفعالهم واعتادوا الصدق فى أمورهم أن لا يغتروا بالله جل ذكره ويطلبوا ويسمح غفلته عنهم بأن يعفو عنهم أو يغفر لهم إذا أذنبوا أو ارتكبوا معصية فإن الله جل ذكره يقيم عليهم عدله ويأخذهم بنصيب من عدله ويعذبهم على ما جنوه واقترفوه ليس بظالم لهم ولا معتد بل هم ظلموا أنفسهم . وقل أيضاً لعبادى الخطائين الذين تكثر منهم الخطايا أو اعتادوها ولازموها وجبلوا على حبها لا تيأسوا من رحمة الله جل ذكره بل توبوا إلى الله أو أنيبوا إليه فإنه يغفر

---

(٢٣٥) رواه أبو ذر عن أنس .

الذنوب جميعاً ولا يكبر عليه ذنب مهما عظم واستعظم ، وفى هذا ترغيب فى الإقلاع عن المعاصى والإقبال على الله تعالى بالتوبة والاستغفار مهما كثرت الذنوب وعظمت المعاصى وورد فى ذلك أحاديث كثيرة منها ما يشبه هذا الحديث فى المعنى ، وقد تقدم ذكره . فعن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « قال الله تعالى : يا بن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك يابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » . رواه الترمذى وقال حديث حسن ، والحديث الله أعلم بصحته .

٢٣٦ – « أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى أَن انْتَقِلْ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ لِئَلَّا تُعْرَفَ فَتُؤْذَى فَوَعِزَّتِى وَجَلَالِى لَأُزَوِّجَنَّكَ أَلْفَ حَوْرَاءَ وَلَأُولِمَنَّ عَلَيْكَ أَرْبَعَمِائَةِ عَامٍ »

ش : الحوراء – بفتح أوله وسكون ثانيه – مفرد حور – بضم الحاء المهملة – وهى نساء أهل الجنة ، والوليمة هى الطعام الذى يصنع عند العرس .

والمعنى – والله أعلم – أن الله تنزهت صفاته أوحى إلى نبيه ورسوله عيسى عليه السلام أن انتقل وتحول من مكان إلى مكان ولا تثبت فيه وتطل الإقامة لئلا يعرفك أشرار الناس وسفلتهم إنك المبشر بدين الله والمنذر من خالف أوامر الله ونواهيه فيؤذونك أو يسلطون عليك من يؤذيك ولا تتوان عن التبليغ والهداية ونصح الناس ووعظهم فالله جل جلاله أقسم

---

(٢٣٦) رواه ابن عساكر عن أبى هريرة .

بعزته وجلاله ليزوجك فى الآخرة ألف حوراء نظير تعففك عن الزواج ولأولمن عليك أربعمائة عام وهذا لم يسبق لغيره من الأنبياء والمرسلين ، وهذا يدل على أن الإنسان إذا كلف بالوعظ والهداية فلا يتخذ له مكاناً خاصاً يقيم فيه الأبد بل ينتقل من جهة إلى أخرى لينتشر الدين ويعم الأقطار فلذلك انتقل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من مكة المكرمة وطنه المحبوب إلى المدينة المنورة وبذلك نشر الإسلام وعم النواحى والجهات والبلاد ، والحديث فيه هانئ بن المتوكل الإسكندرانى أبو هاشم المالكى الفقيه عمر دهراً طويلا لعله أزيد من مائة سنة مات سنة ٢٤٢هـ ؛ قال ابن حبان كان تدخل عليه المناكير وكثرت فلا يجوز الاحتجاج به بحال وذكر هذا الحديث . انظر ميزان الاعتدال للذهبي وقد ذكر الحديث فيه محرفاً فصححناه بقلمنا فى نسختنا ، والله أعلم .

٢٣٧ ـ « أَوْحَى اللهُ إِلَى نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ قُلْ لِفُلَانٍ الْعَابِدِ أَمَّا زُهْدُكَ فِى الدُّنْيَا فَتَعَجَّلْتَ رَاحَةَ نَفْسِكَ وَأَمَّا انْقِطَاعُكَ إِلَىَّ فَتَعَزَّزْتَ بِى فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا لِى عَلَيْكَ؟ قَالَ يَارَبِّ وَمَا ذَلِكَ عَلَىَّ قَالَ هَلْ عَادَيْتَ فِىَّ عَدُوًّا أَوْ هَلْ وَالَيْتَ فِىَّ وَلِيًّا » .

ش: الزهد تقدم الكلام عليه غير مرة فارجع إليه ، والراحة زوال

---

(٢٣٧) رواه أبو نعيم والخطيب عن ابن مسعود .

المشقة والتعب ، وتعزز اشتد وعز كأنه حصل فى عزاز يصعب الوصول إليه ، والعدو والولى تقدم الكلام عليهما صفحة ١٢٨ فلا حاجة للاعادة .

والمعنى — والله أعلم — أن الله جل ذكره أوحى إلى نبى من أنبيائه عليه السلام وأعلمه بواسطة الملك جبريل عليه السلام أو غيره أن قل لفلان العابد الملازم لعبادتى وأخبره بأن زهدك فى الدنيا وانقطاعك إلىّ أراح نفسك وبدنك إذ الزهد فيها يريح القلب والبدن كما قال الإمام الشافعي رضى الله عنه :

أمت مطامعى فأرحت نفسى   فإن النفس ما طمعت تهون

وأحييت القنوع وكان ميتا   وفى إحيائه عرضى مصون

وأما انقطاعك لأجل عبادتى فتعززت وصرت بى عزيزاً فماذا عملت فيما لى عليك من حقوق ومطالب وأوامر وواجبات . قال يارب وما ذلك على مرنى به أفعله . قال الله تعالى لنبيه عليه السلام أن قل لعبدى هل عاديت فى عدواً وأضمرت له العداوة أو واليت فى ولياً وأظهرت له المحبة والمودة وناصرته ؟ فمجرد الانقطاع إلى الله تعالى للعبادة لا يكفى بل هناك أشياء أخر يجب عملها وهى الموالاة فى الله والمعاداة فى الله ، وزاد الحكيم الترمذى فى روايته : « وعزتى لا ينال رحمتى من لم يوال فى ولم يعاد فى » . وإسناده واه .

قال المصنف فى شرحه على الجامع الصغير : فذلك العابد ظن أنه بزهده فى الدنيا وانقطاعه عن أهلها قد بلغ الغاية وارتقى النهاية فأعلمه الله تعالى بأن ذلك مشوب بحظوظ نفسانية وإن ترك بعض ما لا يزن كله جناح بعوضة ليس بكبير أمر بالنسبة لأولئك الكمل وإنما الذى عليه التعويل التصلب فى مباراة أعداء الله ومباعدتهم ومعاداتهم أولئك حزب الشيطان ، فلا تجد شيئاً أدخل فى الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله بل هو الإخلاص بعينه فإذا أحببت الأشياء من أجله وعاديت الأشياء من أجله فقد أحببته بل ليس

معنى حبنا له غير ذلك . وروى الحديث أبو نعيم فى الحلية والخطيب البغدادى فى ترجمة محمد بن الورد الزاهد عن ابن مسعود وفيه على بن عبد الحميد قال الذهبى مجهول . وخلف بن خليفة أورده فى الضعفاء وقال ثقة كذبه ابن معين . انتهى ، والله أعلم .

٢٣٨ – « أَوْحَى اللهُ إلى أَخِى الْعُزَيْرِ يَا عُزَيْر إِنْ أَصَابَتْكَ مُصِيبَةٌ فَلَا تَشْكُنِى إِلَى خَلْقِى فَقَدْ أَصَابَنِى مِنْكَ مَصَائِبُ كَثِيرَةٌ فَلَمْ أَشْكُكَ إِلَى مَلَائِكَتِى يَاعُزَيْرُ اعْصِنِى بِقَدْرِ طَاقَتِكَ عَلَى عَذَابِى وَسَلْنِى عَنْ حَوَائِجِكَ عَلَى مِقْدَارِ عَمَلِكَ لِى وَلَا تَأْمَنْ مَكْرِى حَتَّى تَدْخُلَ جَنَّتى فَاهتَزَّ عُزَيْرُ يَبْكِى فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ لَاتَبْكِ يَا عُزَيْرُ فَإِنْ عَصَيْتَنِى بِجَهْلِكَ غَفَرْتُ لَكَ بِحِلْمِى لأَنِّى كَرِيمٌ لَا أُعَجِّلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى عِبَادِى وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » .

ش: العزير هو ابن جروة ويقال ابن سوريق بن عديا بن أيوب بن درزنا ابن عرى بن تقى بن أسبوع بن فنحاص بن ألعازر بن هارون بن عمران ، ويقال عزير بن سروخا ، واختلف فى نبوته فقيل نبى ؛ وقيل كان عبداً صالحاً حكيماً . والمشهور كما قال الحافظ ابن كثير فى تاريخه : أن عزيراً نبى من أنبياء بنى إسرائيل وأنه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا ويحيى

---

(٢٣٨) رواه الديلمى عن أبى هريرة .

وأنه لما لم يبق فى بنى إسرائيل من يحفظ التوراة ألهمه الله حفظها فسردها على بنى إسرائيل ولذلك تغالى فيه بعض قومه وقالوا عزير ابن الله ، وظاهر الحديث أنه نبى والله أعلم ، والمصيبة يقال مصيبة ومصوبة ومصابة والجمع مصائب وأصلها فى الريبة ثم اختصت بالنائبة وهو الأمر المكروه ينزل بالإنسان وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى — والله أعلم بمراده تعالى — أن الله جل علاه يخبرنا أنه أوحى إلى عبده ونبيه عزير أنه إذا أصابته مصيبة من مصائب الدنيا فى ماله أو بدنه أو ولده فلا يشكو الله جل ذكره إلى خلقه وعبيده فقد حصل من عزير مصائب وأعمال كثيرة هى ليست برضاى وأمرى فلم أشكك إلى ملائكتى من خلقى بل صبرت عليك ولم أؤاخذك بعملك يا عزير اعص الله بقدر طاقتك وصبرك على عذابه لأن عذاب الله لا يطاق.ولا شك أنك لا تقدر ولا تستطيع باختيارك أن تتحمل عذاب الله وإن قل فلا يصدر منك معصية بحقه تعالى مطلقاً وسل حوائجك الله جل ذكره على قدر عملك لله تعالى ولو نظرت فى عملك ومن أقدرك عليه وسببه لك لرأيت كل ذلك بقوة الله وإرادته وتيسيره لك، وعليه فلا عمل لك حقيقة فلا سؤال ، ولا تأمن مكر الله جل ذكره حتى تدخل الجنة برحمته وعفوه فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون. فلما سمع ذلك عزير اهتز هيبة وجلالا وبكى من خشية الله فأوحى الله إليه لا تبك يا عزير فإن عصيتنى بجهلك وعدم علمك بالمعصية أو فعلتها سهواً أو نسياناً غفرتها لك بحلمى وعفوى وكرمى لأن الله كريم ومن كرمه أنه لا يعجل بالعقوبة على عباده بل يصبر ويؤجل لأنه تعالى أرحم الراحمين بعباده . والحديث رواه الديلمى كما قال المؤلف : وأمارات الضعف ظاهرة عليه ، والله أعلم .

١٣٩ – « أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى ذِى الْقَرْنَيْنِ وَعِزَّتِى وَجَلَالِى مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَىَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَسَأَجْعَلُ لَهُ عَلَمًا فَمَنْ رَأَيْتَهُ حَبَّبْتُ إِلَيْهِ الْمَعْرُوفَ وَاصْطِنَاعَهُ وَحَبَّبْتُ إِلَى النَّاسِ الطَّلَبَ إِلَيْهِ فَأَحِبَّهُ وَتَوَلَّهُ فَإِنِّى أُحِبُّهُ وَأَتَوَلَّاهُ وَمَنْ رَأَيْتَهُ كَرَّهْتُ إِلَيْهِ الْمَعْرُوفَ وَبَغَّضْتُ إِلَى النَّاسِ الطَّلَبَ مِنْهُ فَأَبْغِضْهُ وَلَا تَتَوَلَّهُ فَإِنَّهُ مِنْ شَرِّ مَنْ خَلَقْتُ » .

ش: ذو القرنين ذكره الله تعالى فى القرآن الحكيم وأثنى عليه بالعدل وأنه بلغ المشارق والمغارب وملك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط ، واختلف فيه هل كان رسولا أو نبياً أو عبداً صالحاً،والصحيح كما ذهب إليه الحافظ ابن كثير فى تاريخه أنه كان ملكاً من الملوك العادلين ، وفى نسبه وتسميته ذا القرنين واسمه اختلاف كبير بين المؤرخين فارجع إلى المطولات فليس هنا موضع بسط ذلك ، وظاهر الحديث أنه أوحى إليه والله أعلم ؛ والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه ؛ والمنكر ما ينكر بهما والاصطناع المبالغة فى إصلاح الشىء .

والمعنى – والله أعلم – أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى ذى القرنين وأقسم له بعزته تعالى وجلاله ما خلق خلقاً أحب إليه من المعروف وهو

---

(٢٣٩) رواه الديلمى عن بكر بن عبد الله المزنى .

العمل الحسن . ولما كان المعروف من دعائم الأمور وأحسنها جعل الله تعالى له علماً فمن رأيت يا ذا القرنين أن الله حبب إليه المعروف والمبالغة فى إصلاح العمل وحبب إلى الناس الطلب إليه فأحبه محبة مخلصة واجعله ولياً لك لأن الله جل ذكره أحبه وتولاه دون غيره ، ومن رأيت يا ذا القرنين أن الله جل علاه كره إليه المعروف وبغض إلى الناس الطلب منه والقصد إليه فى قضاء حوائجهم وإنجاز أعمالهم فأبغضه ولا تحبه وتتوله فإن ذلك الشخص من شر ما خلق الله جل وعز .

وفيه دليل على أن من أحبه الله وفقه لعمل المعروف بين الناس وطلب الناس منه قضاء مصالحهم ، وفى الباب أحاديث كثيرة : منها ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عايه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله له بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » . رواه البخارى ومسلم وأبو داود ، وعن ابن عمر أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله » . رواه الطبرانى ، وحديث الباب لم أجده فى كتاب وبكر بن عبد الله المزنى ذكره الحافظ العسقلانى فى تقريب التهذيب ، وقال : بكر بن عبد الله المزنى أبو عبد البصرى ثقة ثبت جليل من الثالثة مات سنة ست ومائة .

٢٤٠ ـ « أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ يَا أَخَا الْمرْسَلِينَ يَا أَخَا الْمُنْذِرِينَ أَنْذِرْ قَوْمَكَ أَنْ لَا يَدْخُلُوا بَيْتًا مِنْ بُيُوتِي إِلَّا بِقُلُوبٍ سَلِيمَةٍ وَأَلْسُنٍ صَادِقَةٍ وأَيْدٍ نَقِيَّةٍ وَفُرُوجٍ طَاهِرَةٍ وَلَا يَدْخُلُوا بَيْتًا مِنْ بُيُوتِي وَلأَحَدٍ مِنْ عِبَادِي عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ظُلَامَةٌ فَإِنِّي أَلْعَنُهُ مَا دَامَ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيَّ يُصَلِّي حَتَّى يَرُدَّ تِلْكَ الظُّلَامَةَ إِلَى أَهْلِهَا فإِذَا فَعَلَ أَكُون سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَأَكُونُ بَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَكُون مِنْ أَوْلِيَائِي وأَصْفِيَائِي وَيَكُونُ جَارِي مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ فِي الْجَنَّةِ » .

ش: المرسل من أرسله الله جل ذكره بوحي يبلغه ويعمل به ، والمنذر ـ بكسر الذال المعجمة ـ المحذر والمخبر عن الله تعالى بكلام فيه تخويف ، والإنذار إخبار فيه تخويف كما أن التبشير إخبار فيه سرور ، والألسن جمع لسان وهي الجارحة المعلومة ،والأيدي جمع يد ، ونقية نظيفة ، والفروج جمع فرج وهو ما بين الفخذين ، والصفاء هو الخلوص ، والظلامة ـ بضم أوله ـ ما تظلمه المرء من حق . وباقي ألفاظ الحديث بعضها تقدم شرحه وبعضها ظاهر لا يحتاج إلى بيان .

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ أن الله تعالى أوحى إلى نبيه المصطفى

---

(٢٤٠) رواه أبو نعيم والحاكم والديلمي وابن عساكر عن حذيفة .

عليه الصلاة والسلام مخاطباً إياه بقوله : يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين وهذان أشرف أوصاف الأنبياء عليهم السلام ولذلك خاطبه الله بهما ، أنذر وحذر قومك من عذاب الله تعالى إن لم يؤمنوا من أن لا يدخلوا بيتاً ومسجداً من بيوتى ، فإن مساجد الله بيوته ، إلا بقلوب سليمة من الفسوق والكفر والنفاق وجميع سوء الأخلاق لأن من دخل بيت الله كان آمنا ، وألسن صادقة من الكذب والفحش وسائر الآفات ، وأيد نقية – بتشديد الياء – أى نظيفة شريفة غير معتادة السرقة ولا الغصب والبطش بغير حق ، وفروج طاهرة من القاذورات والشهوات ، ولا يدخلوا بيتاً من بيوتى المسجد الحرام أو غيره ولأحد من عبادى عند أحد منهم ظلامة أى حق فإنى ألعنه وأبعده من رحمتى ما دام قائماً بين يدى يصلى حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها وهو صاحب الحق أو وارثه فإذا فعل ذلك المذكور يكون الله سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به إلخ . ذلك كناية عن أن الله يجعل سلطان حبه غالباً عليه حتى لا يرى ولا يسمع إلا ما يحبه الله عوناً له على حماية هذه الجوارح عما لا يرضاه أو هو كناية عن نصرة الله له وتأييده وإعانته فى كل أموره وحماية سمعه وبصره وسائر جوارحه عما لا يرضاه وقد تقدم الكلام على مثل هذا الحديث غير مرة فارجع إلى صفحة ١٧٤ وما بعدها تجد ما يسرك ، ويكون من فعل ذلك وأطاعنى من أوليائى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأصفيائى الذين اصطفيتهم وأخلصتهم من خلقى فصفت منهم السرائر وأخلصوا العمل لى فى السراء والضراء ويكون جارى يوم القيامة وبجوارى مع النبيين والمرسلين والصديقين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، والشهداء الذين شهدوا حقيقة الربوبية فجاهدوا أعداء الله والنفس الأمارة بالسوء والشيطان والهوى فماتوا فى سبيل الله وحبه لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا ومالوا عن الدين السفلى .

والحديث رواه الجماعة كما قال المصنف وزاد المدنى فى كتابه : ورواه البيهقى وفيه إسحق بن أبى يحيى الكعبى هالك يأتى بالمناكير عن الأثبات ، انظر ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للحافظ الناقد الذهبى ، وروى البخارى بعض ألفاظه بلفظ : « إن الله قال من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه فلا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أكون سمعه » الحديث . وقد تقدم شرحه قريباً فارجع إليه . والله أعلم .

٢٤١ — « أَوحَى اللهُ إِلَىَّ كَلِماتٍ دَخَلْنَ فِى أُذنِى وَوَقِرْنَ فِى قَلْبِى أُمِرْتُ أَنْ لَا أَسْتَغْفِرَ لِمَنْ مَاتَ مُشْرِكاً وَمَنْ أَعْطَى فَضْلَ مَالِه فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكَ فَهُوَ شَرٌّ لَهُ وَلَا يَلُومُ اللهُ عَلَى كَفَافٍ »

ش : كلمات جمع كلمة ووقرن سكن وثبتن من الوقار الحلم والرزانة ، والمشرك من جعل لله شريكاً ، والفضل الزيادة ، والكفاف — بفتح الكاف — هو الذى لا يفضل عن الشىء ويكون بقدر الحاجة إليه .

المعنى — والله أعلم — أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبرنا عن الله جل ذكره أوحى إليه بكلمات طيبات دخلن فى أذنه عليه الصلاة والسلام ووقرن وثبتن فى قلبه ووعاهن ، أمر أن لا يستغفر لمن مات من الخلق مشركاً وإن كان أقرب الناس إليه لأن الشرك أكبر ذنب وأعظمه عند الله تعالى فلذلك لو أذنب العبد ذنوباً بلغت عنان السماء ثم تاب ورجع يغفر الله له إلا الشرك فإن الله لا يغفره . قال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به

---

(٢٤١) رواه ابن جرير عن قتادة مرسلا .

ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ ، ومن أعطى فضل ماله وتصدق به على الفقراء والمساكين والمحتاجين فهو خير له لأنه تصدق بما فضل عنده وزاد عن حاجته ومن أمسك وبخل ولم يتصدق بما زاد عن حاجته فهو شر له لأنه بخل بما أعطاه الله ولم يبذله لعباده وخلقه بل منعهم ، وإذا كان عنده ما يكفيه ولا زيادة ولا فضل عنده فالله جل ذكره لا ياومه على ذلك ، والحديث يؤيده قوله تعالى : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾. والآية على معنى النهى وهى متضمنة قطع الموالاة للكفار وتحريم الاستغفار لهم ، والإنفاق وبذل المال ، وورد الترغيب فيه من الكتاب والسنة قال تعالى : ﴿ وأنفقوا فى سبيل الله ﴾ . ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ، وقال تعالى : ﴿ وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه ﴾ . إلى غير ذلك من الآيات ، وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما طلعت شمس قط إلا وبجنبتيها ملكان يناديان اللهم من أنفق فأعقبه خلفاً ومن أمسك فأعقبه تلفاً » . رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم بنحوه وقال صحيح الإسناد ؛ والحديث روى قريباً منه مسلم فى صحيحه والترمذى عن أبى أمامة رضى الله عنه بلفظ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى » . وقد تقدم صفحة ٢٦٨ مع شرحه فارجع إليه ، والله أعلم .

٢٤٢ ـ « مَكْتُوبٌ فِى الإِنْجِيلِ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ وَبِالكَيْلِ الَّذِى تَكِيلُ تَكْتَالُ » .

---

(٢٤٢) رواه الديلمى عن فضالة بن عبيد .

ش : كما تدين تدان الأولى بفتح أوله وكسر الدال ، والثانية بضم التاء أى كما تجازى تجازى .

والمعنى — والله أعلم — أن الإنجيل مكتوب فيه مواعظ وحكم ومنها قوله كما تدين أى تجازى به من الأعمال تدان تجازى به من الغير إن كان العمل حسناً فستجد حسناً وإن كان سيئاً فستجد مثله وكذلك ما كلته للناس فإذا وفيته حقه كال لك الناس ووفوك حقلك كاملا فالجزاء من جنس العمل كما تصنع يصنع بك وعليه قول الشاعر :

فإن كنت قد أبصرت هذا فإنما يصدق قول المرء ما هو فاعله
ففيك إلى الدنيا اعتراض وإنما يكال لدى الميزان ما أنت كايله
وقد خانت الدنيا قروناً تتابعوا كما خان أعلى البيت يوماً أسافله

والحديث ذكره السيوطى فى الجامع الصغير وأسنده إلى الديلمى فى مسند الفردوس ، قال المناوى هناك : ظاهر صنيع المصنف أن الديلمى أسنده فى مسند الفردوس وليس كذلك بل ذكره بغير سند وبيض له ولده ، وروى الإمام أحمد فى الزهد بسند عن مالك بن دينار قال : مكتوب فى التوراة كما تدين تدان ، وكما تزرع تحصد ، انتهى . والله أعلم .

٢٤٣ — «مَكْتُوبٌ فِى التَّوْرَاةِ مَنْ بَلَغَتْ لَهُ ابْنَةُ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُزَوِّجها فَأَصَابَتْ إِثْمًا فَإِثْمُ ذَلِكَ عَلَيْهِ» .

ش : الإثم الذنب ، والمراد به هنا الزنا .

---

(٢٤٣) رواه البيهقى عن عمر وأنس .

والمعنى أن الله جل ذكره يخبرنا أنه مكتوب فى التوراة المنزل على موسى عليه السلام من كانت له ابنة وبلغت اثنتى عشرة سنة وجاءها خاطب يليق بها وطلبها ولم يزوجها أى أبوها أو ولى أمرها وتركها بعد ذلك فأصابت إثما ومعصية الزنا فالإثم على أبيها أو ولى أمرها لأنه تسبب لها بذلك بتأخير زواجها المؤدى إلى فسادها ، وذكر الاثنتى عشرة سنة لأنها مظنة البلوغ المثيرة للشهوة ، وهذا يدل على مشروعية الزواج لمن بلغت اثنتى عشرة سنة ، وقانون الحكومة المصرية الآن حدد الزواج بمن بلغت ست عشرة سنة وبمن بلغ ثمانى عشرة سنة وهو مخالف لظاهر الحديث ولعمل الرسول عليه الصلاة والسلام وعلماء عصرنا هذا أقروا القانون على ذلك فنشأ فساد عظيم ، ولذلك إذا أراد شخص أن يتزوج فتاة لم تبلغ السادسة عشرة سنة ذهب إلى حكيم من حكماء الجسم وطلب تسنينها زيادة عن سنها الحقيقى ليتسنى له نكاحها فيعطيه بطاقة فيها اسم الطبيب واسم الفتاة وأنها بلغت السن القانونى ويأخذ نظير ذلك أجراً بسيطا فارتكبوا الجميع أقبح الصفات المذمومة وهو الكذب لنيل أغراضهم اللهم وفق الراعى والرعية للعمل بالقانون الإلهى الذى لا نقص فيه ولا خلل ، والزواج مطلوب شرعا ومرغوب فيه عقلا إلا أن الفتيات فى عصرنا الحاضر خرجن فى ثوب الخلاعة والتبرج وغيرن خلقهن بما نهى الله عنه وأبدين زينتهن لغير محارمهن وانتهكن محارم الله تعالى فى الأسواق والملاهى والنوادى غير مبالين بأحد من الخلق وكشفن ثوب الحياء وخلعن لباس التقوى تجدهن عاريات يظهرن عوراتهن ما ظهر منها وما بطن تتزوج الشاب لتسوقه إلى مطالبها بعصى من حديد وتحمله ما لا يطيق وتكلفه ما لا يقدر عليه وهى غير راحمة له ولا مشفقة عليه فإن كان مستخدما فى مصالح الحكومة أو فى شركات أجنبية أو وطنية تعرض لاختلاس أموالها بكل ما لديه من حيلة وصرفه عليها إرضاء لها وتطييبا لخاطرها ليحظى بحلاوة لسانها ومجون

كلامها حتى ينكشف أمره ويفتضح حاله ويقدم للمحاكمة فيأخذ نصيبه وقسطه من الشقاء إنا لله وإنا إليه راجعون ، هذا من جانب إرهاق المرأة زوجها وتكليفه ما لا يطيق لتتمتع بالزينة والثوب الشفاف وغشيان المسارح والسينمات والبارات . .

وأما من جهة الرجل فتارة لا يكون أهلا لها ولا كفؤاً فيغير لباسه ويتنمق ويتزين ويدعى أنه من أبناء الوجهاء وأصحاب الأملاك وأنه حائز لشهادات علية تؤهله لأن يكون مستخدما لدى الحكومة بعشرين جنيها وهو مقدم طلبا وعن قريب سيعين وكيل نيابة أو سكرتيراً أو مدرسا بالجامعة أو غير ذلك من المختلقات التى تلفت النظر وتحبب أهل الفتاة والفتاة فى ذلك فيرغبن فيه لإحدى هذه الصفات وهو خلو من جميعها إلا أن عنده من طلاقة اللسان وسحر البيان ورشاقة القد وحسن الملبس ما أنساهم السؤال عنه والبحث عن أصله ونسبه ووظيفته وأصبح يتردد على أهل الفتاة ويغريهم بطلاوة كلامه وزخرفة أقواله حتى يجلب الفتاة إلى صفه ويغويها بشقشقة لسانه ويمنيها الأمانى الكاذبة بغمز عيونه فتطاوعه وتعصى أهلها غير مبالية بغضب والديها وتسرق ما طالت يدها إليه من نقود وحلى وتفر بما اتخذته قرينا لها وزوجا طول حياتها ليصون شرفها ويحافظ على حياتها فما تمضى أيام أو شهور إلا وسقطت فى بيوت العهارة والدعارة لا حول ولا قوة إلا بالله العلم العظيم فتتذكر حينئذ فعلتها الشنعاء فتندم حيث لا ينفع الندم وتستغيث بأهلها والحكومة من شر مخالب الحيوان المفترس الذى انقض عليها بلا رحمة ولا حنان وتحصل القيامة الكبرى والفضيحة المرذولة والزواج المدبر والزوج المزيف ، ولا يخفى على بالك ما تنشره الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية من الفضائح وحوادث الزواج الذى من هذا القبيل بكثرة . نسأل الله السلامة .

وسبب ذلك اختلاط الجنسين والخروج على قواعد الشرع والخلوة

بالأجنبي وعدم نشأة الفتاة على الآداب الشرعية والعبث بالقوانين الوضعية ولا ناصح ولا رادع ولا زاجر ، فإذا أحب أحد شبان هذا العصر المنحط الزواج رأيته يسأل عن فتاة للاقتران ويطلب أوصافا لها كلها معيوبة ومذمومة عند العقلاء ومرذولة ومقبوحة لدى العلماء فالانحطاط حاصل للذكور والإناث والمدارس والمدرسون غير ملتفتين لهذا التدهور الخلقي والأخلاقي فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وانظر إلى الأوصاف التي حبب إليها نبي الرحمة ومنقذ الأمة ومعلم الأمم وأعقل العقلاء وأعرف العلماء وأتقى الأولياء وأصلح المصلحين ألا وهو رسول الله ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام .

روى ابن ماجه في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من أراد أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر » . أي نجائب الصفات ، وروى مسلم والنسائي عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » . وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله » . رواه ابن ماجه ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تنكح المرأة على إحدى خصال لجمالها ومالها وخلقها ودينها فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك » . رواه أحمد بإسناد صحيح ، وروى الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه » .

لقد كان الناس فى زمن الرسول عليه الصلاة والسلام يراعون فى المرأة أربع خصال ويرغبون فيها لأجلها ولم يرد النبي الأمر بمراعاتها ، والحسب شرف الآباء أو حسن الفعال وقوله «تربت يداك» أى لصقت بالتراب ومعناه الحث والتحريض على ذات الدين ، وأين هى الآن ذات الدين فهى كالعنقاء . نسأل الله العافية .

والحديث رواه البيهقى عن عمر رضى الله عنه — يعنى ابن الخطاب — وحديث أنس أورده البيهقى من طريق شيخه الحاكم ، قال عقبة : قال الحاكم هذا وجده فى أصل كتابه يعنى بكر بن محمد بن عبدان الصدفى وهذا الإسناد صحيح والمتن شاذ بمرة ، قال البيهقى : إنما نرويه بالإسناد الأول وهو بهذا الإسناد منكر ، انتهى من فيض القدير ، والله أعلم .

٢٤٤ — مَكْتُوبٌ فِى التَّوْرَاةِ مَنْ سَرَّهُ أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ وَيُزَادَ فِى رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » .

ش : الرحم تقدم الكلام عليه صفحة ٧٢ فارجع إليه ، ولا شك أن صلة الرحم تزيد فى العمر وفى الرزق ، وذكر ما يتعلق بالحديث أشبعنا الكلام عليه فى تعليقنا على مختصر شعب الإيمان فارجع إليه فإنك تجد ما يسرك. والحديث رواه الحاكم فى البر والصلة وقال صحيح وأقره الذهبى ، وقال الحافظ المنذرى : رواه الحاكم والترمذى بإسناد لا بأس به ، ورواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك بلفظ : « من أحب أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه » والله أعلم .

---

(٢٤٤) رواه الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٤٥ - « إِنَّ دَاوُدَ قَالَ: إِلٰهِى مَا لِعِبَادِكَ عَلَيْكَ إِذَا هُمْ زَارُوكَ فِى بَيْتِكَ؟ قَالَ إِنَّ لِكُلِّ زَائِرٍ حقًّا عَلَى المَزُورِ يَا دَاوُدُ إِنَّ لَهُمْ عَلَىَّ أَنْ أُعَافِيَهُمْ فِى الدُّنْيَا وأَغْفِرَ لَهُمْ إِذَا لَقِيتُهُمْ » .

ش : نبي الله داود تقدمت ترجمته صفحة ٣٥٩ والإله هو المعبود بحق والزيارة تقدم الكلام عليها صفحة ١٢٨ ، وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة لا تحتاج إلى بيان .

والمعنى والله أعلم أن نبي الله داود عليه السلام سأل ربه مستفهما ما لعبادك عليك يا إلهى إذا هم زاروك وقصدوا لقاءك فى بيتك - أعنى مكة - للحج والعمرة فأجابه الله جل ذكره بقوله : إن لكل زائر حقاً على المزور وحقهم على يا داود أن أعافيهم فى الدنيا من المصائب والبلايا بأن أبعدها عنهم أو أصبرهم عليها بحيث لا يشعرون بشدتها وزيادة على ذلك فإنى أغفر لهم يوم القيامة ذنوبهم إذا لقيتهم ، وذكرت ما يتعلق بفضل الزيارة من الأحاديث صفحة ١٣٨ من هذا الكتاب فلا حاجة للاعادة ، والحديث رواه الطبرانى عن أبي ذر ، كما قال المصنف وذكره الحافظ الهيثمى فى كتابه مجمع الزوائد وقال عقبة : وفيه محمد بن حمزة الرقى وهو ضعيف ، وقال الذهبي فى الميزان : منكر الحديث ؛ والله أعلم .

---

(٢٤٥) رواه الطبرانى عن أبي ذر .

٢٤٦ - « إِنَّ عَبْدًا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَرَأَى عَبْدَهُ فَوْقَ دَرَجَتِهِ فَقَالَ يَارَبِّ عَبْدِى فَوْقَ دَرَجَتِى قَالَ نَعَمْ جَزَيْتُهُ بِعَمَلِهِ وَجَزَيْتُكَ بِعَمَلِكَ » .

ش : الحديث يدل على أن العبد يجازى بحسب عمله لا حسب نسبه وحسبه، قال الله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ . فكلما ازداد العبد عملا حسناً ازداد قرباً من الله جل ذكره وكثرت حسناته ، فالسيد لا يفضل عبده وخادمه إلا إذا كان عمله الحسن أكثر ، وأحسن إلى خادمه وتقرب إلى مولاه تعالى بالأعمال المقبولة وإلا كان العبد والخادم أفضل من السيد والمخدوم وأرقى عند الله عز وجل منه ، والأحاديث فى هذا الباب كثيرة وقد تقدم شىء منها ؛ والله أعلم .

٢٤٧ - « إِنَّ لِلْكَعْبَةِ لِسَاناً وشَفَتَيْنِ وَقَدِ اشْتَكَتْ فَقَالَتْ يَارَبِّ قَلَّ عُوَّادِى وَزُوَّارِى فَأَوْحَى اللهُ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً خُشَّعاً سُجَّعاً يَحِنُّونَ إِلَيْكِ كَمَا تَحِنُّ الحَمَامَةُ إِلَى بَيْضِهَا .

ش : الكعبة كل بيت على هيئته فى التربيع وبها سميت الكعبة وهى فى الحرم معروفة ، والعواد جمع عائد ، والزوار جمع زائر ، والخشع جمع خاشع ، والخشية خوف يشوبه تعظيم ، والسجع جمع ساجع الناطق بكلام مقفى ، والحنان الرحمة ورقة القلب .

---

(٢٤٦) رواه الطبرانى عن أبى هريرة .

(٢٤٧) رواه الطبرانى عن جابر .

والمعنى – والله أعلم بمراده – أن الله يخبرنا عن لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن للكعبة المعروفة المشهورة بحرم مكة لساناً تنطق به إذا شاء الله نطقها أو لسان حالها ، يقول وشفتين ظاهرتين وقد اشتكت إليه تعالى من قلة عوادها وزائريها فقالت ، بلسان حالها أو مقالها : يا رب قل عوادى وزوارى فاستوحشت إليهم واشتقت إلى رؤيتهم فهل تسمح لى بزيارتهم وزيارتهم لى ليذهب ما بى من حزن واستيحاش فأوحى الله إليها إما مباشرة أو بواسطة الملك أنى خالق بشراً من الناس صفتهم خشع أبصارهم وقلوبهم سجع أصواتهم يحنون إليك ويرغبون فيك كما تحن الحمامة إلى بيضها فلا تفارقه وتذب عنه من حام حوله .

والأحاديث كثيرة فى فضل مكة والكعبة والترغيب فى زيارتهما وقصدهما وقد تقدم بعضها فى هذا الكتاب فارجع إليه .

٢٤٨ – « قَالَ جِبْرِيلُ :يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ يُخَاطِبُنِى يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ يَا جِبْرِيلُ مَالى أَرَى فُلَانَ بنَ فُلَانٍ فِى صُفُوفِ أَهْلِ النَّار فَيَقُولُ يَا رَبِّ إِنا لَمْ نَجِدْ لَهُ حَسَنَةً يعُودُ عَلَيْهِ خَيْرُهَا اليَوْمَ فَيَقُولُ اللهُ إِنِّى أَسْمَعُهُ فِى دَارِ الدُّنْيَا يَقُولُ يَاحَنَّانُ يَا مَنَّانُ فَأْتِهِ فَاسْأَلْهُ فَيَقُول وَهَلْ مِنْ حَنَّانٍ ومَنَّان غَيْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَآخُذُهُ بيَدِهِ مِنْ صُفُوفِ أَهْلِ النَّارِ فَأُدْخِلُهُ فِى صُفُوفِ أَهْلِ الجَنَّةِ » .

---

(٢٤٨) رواه الحكيم عن جابر .

ش : الصفوف جمع صف ، والحنان – بالتشديد – الرحيم بعباده من قولهم فلان يتحنن على فلان أى يترحم ويتعطف عليه ، والمنان الذى يشرف عباده بالامتنان بماله من عظيم الإنعام والإحسان .

المعنى – والله أعلم – أن جبريل عليه السلام يخاطب نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ويخبره أن الله جل ذكره يخاطبه يوم القيامة فيقول له : يا جبريل مالى أرى فلان بن فلان – يعنى شخصاً مخصوصاً – فى صفوف أهل النار مستفهماً متعجباً – وهو أعلم بذلك – فيقول جبريل عليه السلام : يارب إنا لم نجد فى سجله حسنة واحدة يعود عليه خيرها اليوم فينجو من النار فيقول الله تبارك وتعالى : إنى أسمعه يقول فى دار الدنيا يا حنان يا منان . ومن قال ذلك يقصدنى ويطلب رحمتى ومغفرتى وعطفى وأنا أرحم وأرأف بعبادى فاذهب إليه وأته واسأله ما يقصد بلفظه هذا . فيذهب جبريل عليه السلام إلى الرجل المذكور ويسأله عن قصده وما يريده من لفظه . فيقول العبد : وهل من حنان ومنان غير الله عز وجل يعتقنى من النار ويمن على فيأخذه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى من صفوف أهل النار ويدخله فى صفوف أهل الجنة ، والحديث يدل على فضل هذين الاسمين وهما من أسماء الله الحسنى ، والحديث لم أره فى الكتب التى بين أيدينا ، والله أعلم بصحته .

٢٤٩ – « قَالَ موسى يَا ربِّ أَىُّ عِبَادِكَ أَعزُّ عَلَيْكَ؟ قَالَ الَّذِى إِذَا قَدَرَ عَفَا » .

ش : المعنى – والله أعلم – أن نبى الله موسى وكليمه عليه السلام سأل

---

(٢٤٩) رواه الخرائطى عن أبى هريرة ورواه البيهقى عنه بلفظ من أعز عبادك عندك قال من إذا قدر غفر .

ربه يا رب أى عبادك أعز عندك وأقوى وأوجه وأقرب من غيره ؟ قال الله تعالى مجيباً له على سؤاله : من إذا قدر على الشيء ولا مانع هناك يمنعه من التنفيذ عفا وسامح وأوقف التنفيذ ، فالعفو لا يزيد العبد إلا عزاً ورفعة والعافى أجره على الله جل ذكره ، وكان من أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام العفو عمن قدر عليه حتى عن أعدائه المحاربين له حتى كسروا رباعيته وشجوا وجهه يوم أحد فشق ذلك على أصحابه فقالوا : لو دعوت عليهم ، فقال : إنى لم أبعث لعاناً ولكن بعثت داعياً ورحمة . اللهم اغفر لقومى أو اهد قومى فإنهم لا يعلمون . ولو دعا عليهم بالعقاب والعذاب لاستجيب له ، ويروى أن النبى عليه السلام كان فى بعض المغازى نائماً فى ظل شجرة إذ جاءه أحد الشجعان فاستل سيفه وأراد أن يبطش بالرسول عليه السلام فارتعدت فرائصه وسقط السيف من يده . فقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأمسك السيف وقال لعدو الله : كيف ترى نفسك ؟ فقال : كن ممن إذا قدر عفا . فرد السيف وعفا عنه ، وقال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه : إذا قدرت على العدو فاجعل العفو شكر قدرتك ، وقيل ليوسف عليه السلام : بعفوك عن إخوتك عند قدرتك رفع قدرك ، وظفر الإسكندر ببعض الملوك فقال له : ما أصنع بك ؟ قال : ما يجمل بالكرام أن يصنعوه إذا ظفروا فخلى سبيله ورده إلى مملكته ، ولما ظفر أنو شروان ببزر جمهر قال : الحمد لله الذى أظفرنى بك . فقال : كافىء من أعطاك ما تحب بما يحب ، وقيل : المقدرة تذهب الحفيظة ، وقيل عفو العزيز أعز له وعفو الذليل أذل له ، وقال الشاعر :

ما أعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

وقد جاء فى ذلك آيات كثيرة وأحاديث تكاد تكون متواترة فى مدح العفو لا سيما من القادر ، والحديث ذكره السيوطى فى جامعه الصغير من

طريق البيهقى ورمز إلى ضعفه ، وقال المؤلف فى شرحه هناك : ورواه عنه أيضاً الديلمى لكن بيض ولده لسنده ، والله أعلم .

٢٥٠ ـ « قَالَ مُوسَى يَا رَبِّ عَلِّمْنِى شَيْئاً أَذْكُرُكَ وأَدْعُوكَ بِهِ قَالَ يَا مُوسَى قُلْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ قَالَ يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذاَ قَالَ قلْ لَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ قَالَ لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ يَارَبِّ إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِى به قَالَ يَامُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِى وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِى كَفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِى كَفَّةٍ مالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »

ش: المعنى ــ والله أعلم ــ أن نبى الله موسى عليه السلام قال : يا رب علمنى شيئاً أذكرك فى خلواتى وجلواتى وأدعوك به لأنتفع بذلك ويكون ذخراً لى لديك . فأجابه الله تعالى بقوله : يا موسى قل : لا إله إلا الله . قال موسى : يا رب كل عبادك يقول هذا ، قال الله تعالى لموسى قل : لا إله إلا الله . قال موسى لربه عز وجل : لا إله إلا أنت يا رب إنما أريد شيئاً تخصنى به يا رب وكلمة لا إله إلا الله عامة يشترك فيها الخاص والعام التقى وغيره . قال الرب تعالى لموسى يا موسى لو أن السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع فى كفة ميزان ولا إلا إلا الله فى كفة أخرى مالت بهن لا إله إلا الله لعظمها وكبر شأنها لأنها اشتملت على نفى الشرك وتوحيد الرب جل جلاله ، وقد أشبعنا الكلام على ذلك صفحة ٣٢٠ فارجع إليه ، والحديث يدل على

---

(٢٥٠) رواه النسائى وابن حبان والحاكم وأبو نعيم وأبو يعلى والحكيم عن أبى سعيد .

عدم اختصاص بعض العباد بشيء من الخيرات بل الخير عام يتناوله كل واحد على حسب قوته وجده ، والله أعلم .

٢٥١ – « قَالَ مُوسَى يَا رَبِّ وَدِدْتُ أَنِّي أَعْلَمُ مَنْ تُحِبُّ مِنْ عِبَادِكَ فَأُحِبُّهُ قَالَ : إِذَا رَأَيتَ عَبْدِي يُكثِرُ ذِكْرِي فَأَنَا أَذِنْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ وَأَنَا أُحِبُّهُ . وَإِذَا رَأَيْتَ عَبْدِي لَايَذْكُرُنِي فَأَنَا حَجَبْتُهُ عَنْ ذَلكَ وَأَنَا أُبْغِضُهُ » .

ش : الود محبة الشيء وتمنى كونه ويستعمل فى كل واحد من المعنيين على أن التمنى يتضمن معنى الود لأن التمنى هو تشهى حصول ما توده ، والمحبة تقدم تفسيرها غير مرة ، والحجب المنع من الوصول ، والبغض ضد الحب ، والدارقطنى هو الإمام شيخ الإسلام أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى البغدادى الحافظ صاحب السنن والتصانيف العظيمة ، توفى سنة خمس وثمانين وثلاثمائة .

والمعنى – والله أعلم – أن نبى الله موسى عليه السلام قال : يا رب وددت وأحببت وتمنيت أنى أعلم من تحب من عبادك فأحبه وأبجله وأكرمه وأتودد إليه ، فأجابه الرب جل ذكره : إذا رأيت يا موسى عبداً من عبادى يكثر ذكرى فى خلوته وجلوته فى المجالس والنوادى والمجتمعات فاعلم أنى أنا أذنت له فى ذلك وأنا أحبه ، وإذا رأيت عبداً من عبادى لا يذكرنى كذلك فاعلم أنى أنا حجبته ومنعته وحلت بينه وبين ذلك وأنا أبغضه ولم أوفقه لذلك ، وفضل الذكر وما للذاكر من الثواب تقدم الكلام عليه فارجع إليه ، والله أعلم .

---

(٢٥١) رواه الدارقطنى وابن عساكر عن عمر .

٢٥٢ ـ « قَالَ مُوسَى يَا رَبِّ كَيْفَ شَكَرَكَ آدَمُ قَالَ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنِّى فَكَانَ ذَلِكَ شُكْرَهُ » .

المعنى ـ والله أعلم ـ أن نبى الله موسى عليه السلام سأل ربه كيف شكرك آدم عليه السلام لأعلم ذلك وأفعل صيغة الشكر أو طريقه ؟ فأجابه الرب تبارك وتعالى : إن آدم عليه السلام علم أن حمله على الشكر كان منى فكان بمجرد هذه المعرفة شاكراً ، فإذن لا شكر إلا بأن تعترف بأن الكل منه وإليه وليس لغيره سوى مجرد مظهرية لما بين يديه فإن خالطك ريب فى هذا لم تكن عارفاً لا بالنعمة ولا بالمنعم فهذا أصل أصيل إليه المرجع وعليه التعويل قاله الغزالى ، وقال الحكيم الترمذى فى كتابه نوادر الأصول : الشكر معرفتك بأن هذا منه فأداء فرائضه وحفظ الجوارح عن مساخطه والتكلم بالحمد لله إتمام الشكر فإنه اعتراف بأن هذه النعمة منه . انتهى ، وقد تقدمت ترجمته صفحة ٧٤ من هذا الكتاب ؛ والحديث مرسل كما قال المصنف وهو فى عرف المحدثين ما سقط منه الصحابى بأن رفعه التابعى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ؛ واختلف العلماء فى الاحتجاج بالمرسل فذهب مالك وأحمد فى المشهور عنهما وأبو حنيفة وأتباعهم من الفقهاء والأصوليين والمحدثين إلى الاحتجاج به فى الأحكام وغيرها ؛ وذهب أكثر أهل الحديث إلى أن المرسل ضعيف لا يحتج به ودليل كل تجده فى المطولات فلا حاجة للتطويل ، والحسن هذا هو الحسن البصرى إمام التابعين وقد تقدمت ترجمته صفحة ٩١ ، والله أعلم .

---

(٢٥٢) رواه الحكيم عن الحسن مرسلا .

٢٥٣ – « قَالَ مُوسَى لِرَبِّه مَاجَزَاءُ مَنْ عَزَّى الثَّكْلَى قَالَ أُظِلُّهُ فِى ظِلِّى يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّى » .

ش: التعزية هى أن يقول للمصاب : أحسن الله عزاءك ورزقك الصبر الحسن . فيصبره ويخفف آلام المصاب بكلام حسن وتعزى هو تصبر وشعاره أن يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون . والثكلى – بفتح الثاء المثلثة وسكون الكاف – المرأة التى فقدت ولدها . وابن السنى هو الحافظ الإمام الثقة أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحق بن إبراهيم بن أسباط الدينورى مولى جعفر بن أبى طالب الهاشمى صاحب كتاب عمل اليوم والليلة المتوفى سنة أربع وستين وثلاثمائة ، عاش بضعاً وثمانين سنة .

والمعنى – والله أعلم – أن موسى نبى الله وكليمه عليه السلام قال لربه عز وجل مستفهماً : يا رب ما جزاء من عزى الثكلى ؟ قال له الرب تبارك : يا موسى جزاء من عزى الثكلى أن أظله يوم القيامة فى ظلى يوم لا ظل لأحد يظله من الحر وهول ذاك اليوم إلا ظلى . فهو الحامى له والمانع له من التعب والكد . وهذا يدل على عظم ثواب التعزية لأنها تأسية وتسلية لمن يصاب بمن يعز عليه ولا سيما المرأة التى فقد ولدها لأن أحب شىء إلى الإنسان ولده لأنه قطعة من كبده ولا سيما المرأة فإنها قليلة الصبر ضيقة الصدر ناقصة العقل أقل شىء يؤثر عليها ويغيرها ويقلب حالها ، فإذا ذهب إليها أقاربها ومحارمها وصبروها وسلوها وذكروها بقوله تعالى: ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ، وبقوله تعالى: ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكى

---

(٢٥٣) رواه ابن السنى والديلمى عن أبى بكر وعمران بن حصين معاً .

لا تأسوا على ما فاتكم ﴾ . ولذلك كان ثواب من مات له ولد وصبر عظيماً . روى الترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه عن أبى موسى رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم . فيقول : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد » . قال المؤلف رحمه الله فى شرح الجامع الصغير : إذا كان هذا جزاء المعزى ، فما جزاء المصاب ! لكن عظم الجزاء مشروط بعدم الجزع كما يقع من الجهلة من ضرب خد وشق ثوب ونشر شعر وتغيير زى وغير ذلك. أما شدة الحزن العارى عن ذلك فغير مذموم وإن تطاول بدليل قصة يعقوب عليه السلام اهـ . والحديث ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ورمز إلى ضعفه ، وروى عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عزى مصاباً فله مثل أجر صاحبه » ، رواه الترمذى ، وقال حديث غريب ، وقد روى موقوفاً . وروى الترمذى أيضاً عن أبى بردة عن النبى صلى الله عليه وسلم التصبر والتسلية لمن أصيب بما يعز عليه من قولهم عزيته تعزية . قلت له : أحسن الله عزاءك . أى رزقك الصبر الحسن ، والعزاء مثل سلام اسم من ذلك ، وتعزى هو تصبر وشعاره أن يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والثكلى – بفتح الثاء المثلثة وسكون الكاف – من فقدت ولدها .

المعنى – أن نبى الله موسى ورسوله وكليمه عليه السلام سأل ربه عز وجل وجل مستفهماً ومتعلماً ما جزاء من عزى وصبر وسلى الثكلى ؟ أى فاقدة ولدها ومهجة كبدها . وقال لها أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك وجبر مصيبتك أو أخلف عليك أو نحو ذلك من الألفاظ الحسنة المسكنة للهم ، والتعزية مسنونة ومستحبة ومطلوبة ولا تختص بالموت بل تسن لكل من حصل له وجد أى حزن ومشقة لأجل مصيبة ولو بنحو فقد مال أو حيوان غير

آدمى ، وهى لغة التسلية والتصبير لمن أصيب بشىء يعز عليه وشرعاً الأمر بالصبر والحمل عليه بوعد الأجر والتحذير من الوزر بالجزع والدعاء للميت بالمغفرة وللمصاب بجبر المصيبة — قال الله تعالى جواباً لنبيه موسى عليه السلام إن جزاء من عزى الثكلى أن أظله فى ظل عرشى يوم لا ظل إلا ظلى فأقيه من هول ذلك اليوم العظيم يوم يقول كل واحد : نفسى نفسى لا يلتفت إلى غيره مهما قرب منه وعلت منزلته عنده لأن كل إنسان يومئذ مشغول بما هو أهم شىء عنده . نسأل الله تعالى حمايتنا من ذلك بظل عرش الرب تبارك وتعالى .

وقد تقدم الكلام على ظل العرش غير مرة فى هذا الكتاب فارجع إليه ، وهذا الحديث يدل على مشروعية التعزية وقد ورد فى ذلك أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذى عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عزى مصاباً فله مثل أجر صاحبه » . وقال حديث غريب . وقد روى موقوفاً ، وروى الترمذى أيضاً عن أبى بردة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من عزى ثكلى كسى برداً فى الجنة » ، وقال حديث غريب ، وروى ابن ماجه عن عمرو بن حزم عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة » ، وقد نص الحديث على جزاء وأجر المعزى ، وأما المصاب فيختلف جزاؤه بقدر صبره وبشرط عدم جزعه كما يقع من الجهلة من ضرب خد وشق ثوب ونشر شعر وتغيير زى وغير ذلك كما يحصل غالباً فى البلاد المصرية ، أما شدة الحزن العارى عن ذلك فغير مذموم وإن تطاول بدليل قصة يعقوب عليه السلام ، والحديث رمز السيوطى فى جامعه إلى ضعفه ، وقال المدنى فى كتابه بعد أن أورد الحديث : أخرجه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة . والطيبى فى الترغيب . والديلمى عن أبى بكر الصديق وعمران بن حصين معاً ، والله أعلم .

٢٥٤ - « قَالَ مُوسَى : يَارَبِّ أَقَرِيبٌ أَنْتَ فَأُنَاجِيكَ أَمْ بَعِيدٌ فَأُنَادِيكَ فَإِنِّى أَحِسُّ حسن صَوْتِكَ وَلَا أَرَاكَ فَأَيْنَ أَنْتَ فَقَالَ تَعَالَى : أَنَا خَلْفَكَ وأَمَامَكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ يَا مُوسَى أَنَا جَلِيسُ عَبْدِى حِينَ يَذْكُرُنِى وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِى » .

ش : المناجاة المساررة . وأصله أن تخلو به فى نجوة من الأرض وقيل : أصله من النجاة وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه ؛ والنجى هو المناجى المخاطب للانسان والمحدث له يقال : ناجاه يناجيه مناجاة فهو مناج ، وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى - والله أعلم - أن نبى الله وكليمه ونجيه موسى عليه السلام يستفهم ربه عز وجل استفهاماً عارياً عن الشك بل للاطمئنان والاستسكان كقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام إذ قال ﴿رب أرنى كيف تحيي الموتى؟ قال : أولم تؤمن ! قال: بلى ، ولكن ليطمئن قلبي ﴾ . يا رب أقريب أنت منى وسامع لصوتى وعالم بحركاتى فأناجيك وتناجينى . قال الله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ادعونى أستجب لكم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾ أم بعيد أنت عنى فأناديك لتقرب منى وتسمع كلامى فإنى أحس وأشعر بصوتك الحسن ولكنى لا أراك لأنى محجوب عنك فأين أنت يا رب ، لأراك وأشاهدك وأحظى بجلالك وجمالك وبهاء وجهك ؟ فقال تعالى له جواباً

---

(٢٥٤) رواه الديلمى عن ثوبان .

لاستفهامه : أنا خلفك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك ، أى لا يحيط بى مكان ولا يحدنى زمان لأنى خالق كل شىء كنت ولا شىء يا موسى أنا جليس عبدى حين يذكرنى وأنا معه إذا دعانى والتجأ إلى أسمع دعاءه ولو كان فى قاع البحار وأنقذه ولو كان وراء جبل قاف . القريب إلى من كان عمله صالحاً واجتهد فى العبادة وأعان الخلق على قضاء مصالحهم بقدر طاقته والبعيد منى من كان عاصياً وشقياً ويؤذى عبادى ، أسألك اللهم أن تهدينا لما يرضيك حتى نقرب منك ونلذ بسماع صوتك ، والحديث يدل على أن لله صوتاً يحس ويسمع وأن الله تعالى متصف بهذه الصفات المذكورة من خلف وأمام ويمين وشمال ، وأنه يجالس عبده الذاكر ونحن نؤمن بهذه الصفات وننزهها عن الشبه والمثل . قال الله تعالى : ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع العليم ﴾ ، ولا نخوض فى كنهها ونوقع الناس فى لبس وشك بل نفوض علم ذلك إلى الله جل ذكره وأنه منزه عن كل ما تخيله العقل من نقص وقد تقدم الكلام فى هذا الكتاب بما فيه الكفاية .

قال بعض العلماء : ليس هذا النداء والخطاب هو الذى وقع فيه الصعقة ودك الجبل كما بين فى سورة الأعراف بل هذا غيره إذ هذا أول بدء رسالته وذلك إنما كان بعد غرق فرعون حين أعطاه الله التوراة ، وقول الله تعالى : ﴿ أنا جليس عبدى ﴾ الإضافة للتشريف ، والحديث الله أعلم بصحته .

٢٥٥ - « قَالَ مُوسَى : يَا رَبِّ إِنَّكَ تُغْلِقُ عَلَى عَبْدِكَ الْمُؤْمِنِ الدُّنْيَا،فَفَتَحَ لَهُ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَقَالَ هَذَا مَا أَعْدَدْتُ لَهُ قَالَ وَعِزَّتِكَ وَجَلاَلِكَ وَارْتِفَاعِ مَكَانِكَ لَوْ كَانَ أَقْطَعَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ مُنْذُ خُلِقَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ كَانَ هَذَا مَصِيرَهُ لَكَانَ لَمْ يَرَ بَأْسَاً قَطُّ ثُمَّ قَالَ يَارَبِّ إِنَّكَ تُعْطِي الْكَافِرِ الدُّنْيَا،فَفَتَحَ لَهُ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ فَقَالَ هَذَا مَا أَعْدَدْتُ لَهُ فَقَالَ يَارَبِّ وعِزَّتِكَ وَجَلاَلِكَ لَوْ أَعْطَيْتَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلَمْ يَزَلْ فِي ذَلِكَ مَنْذُ يَوْمِ خُلِقَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ كَانَ هَذَا مَصِيرَهُ لَكَانَ لَمْ يَرَ خَيْراً قَطُّ » .

ش : الغلق — بفتح الغين المعجمة واللام — والمغلاق ما يغلق به ، يقال غلق الباب وانغلق واستغلق إذا عسر فتحه ، وباقى ألفاظ الحديث لا يحتاج إلى بيان .

والمعنى — والله أعلم — أن نبى الله موسى عليه السلام نادى ربه وقال : يا رب إنك تغلق وتسد على عبدك المؤمن أبواب الدنيا فى وجهه ولا تفتحها له — مستفهماً عن بيان ما لا يدركه — ففتح الله لموسى عليه السلام باباً من أبواب الجنة التى أعدت لمثل ذلك وقال له : انظر ما أعددت لعبدى المؤمن

---

(٢٥٥) رواه الدارقطنى والديلمى عن أبى سعيد .

أغلقت دونه أبواب الدنيا فنظر موسى إلى ذلك وقال : وعزتك يا رب وجلالك وارتفاع مكانك لو كان عبدك هذا أقطع اليدين والرجلين يسحب على وجهه منذ يوم خلق فى الدنيا إلى أن تقوم الساعة والقيامة وهو على هذه الحالة التعبة التعسة ثم كان هذا مصيره ومآله من النعم العظيمة فى الآخرة لكان لم ير بأساً قط ، ثم قال موسى عليه السلام : يا رب إنك تعطى الكافر الجاحد نعماء الدنيا وتفتح له أبوابها فيتمرغ فيها كما يشاء ويرغب ، ففتح الله لموسى عليه السلام باباً من أبواب النار التى أعدت لأمثاله فقال الله تعالى له : انظر يا موسى هذا ما أعددت له يوم القيامة من العذاب الأليم جزاء وفاقاً . فنظر موسى عليه السلام وقال : يا رب وعزتك وجلالك لو أعطيت هذا العبد الدنيا كلها بحذافيرها وما فيها ولم يزل فى ذلك منذ يوم خلق إلى يوم القيامة ثم كان هذا بعد ذلك مصيره لكان ذلك الكافر لم ير خيراً قط فى دنياه .

ولا شك أن الكافر ولا سيما اليهود لهم السيطرة فى الدنيا فى جميع أنواع التجارات والمعاملات فتجدهم لهم الأملاك الشاسعة والبنوك الهائلة والمعامل والمصانع والشركات الكبيرة والسكك الحديدية كل ذلك لا يغني المؤمن ولا يعلى قدره وإنما هذه كلها فانية ودائرة ولا تبقى ، والمؤمن تراه فى الدنيا فى تأخر وشقاء وقلة من المال والأملاك وإنما له إذا صبر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .وقد تقدم الكلام فى ذلك غير مرة فارجع إليه ، والحديث ذكره الحافظ المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه بألفاظ قريبة من هذا وقال فى آخره : رواه أحمد من طريق ابن لهيعة عن دراج . انتهى ، والله أعلم .

٢٥٦ – « قَالَ دَاوُدُ يَا رَبِّ مَا حَقُّ عِبَادِكَ عَلَيْكَ إِذَا هُمْ زَارُوكَ فَإِنَّ لِكُلِّ زَائِرٍ عَلَى الْمَزُورِ حَقًّا قَالَ يَادَاوُدُ فَإِنَّ لَهُمْ عَلَيَّ أَنْ أُعَافِيَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَغْفِرَ لَهُمْ إِذَا لَقِيتُهُمْ » .

ش : الحديث ذكر قريباً صفحة ٤٠٢ فلا حاجة للاعادة .

٢٥٧ – « قَالَ دَاوُدُ إِلٰهِي مَا جَزَاءُ مَنْ شَيَّعَ مَيِّتاً إِلَى قَبْرِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ قَالَ جَزَاؤُهُ أَنْ تُشَيِّعَهُ مَلَائِكَتِي فَتُصَلِّي عَلَى رُوحِهِ فِي الْأَرْوَاحِ قَالَ اللَّهُمَّ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يُعَزِّي حَزِيناً ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ قَالَ جَزَاؤُهُ أَنْ أُلْبِسَهُ لِبَاسَ التَّقْوَى وَأَسْتُرَهُ بِهِ مِنَ النَّارِ فَأُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ قَالَ اللَّهُمَّ مَا جَزَاءُ مَنْ عَالَ يَتِيماً أَوْ أَرْمَلَةً ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ قَالَ جَزَاؤُهُ أَنْ أُظِلَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي قَالَ اللَّهُمَّ فَمَا جَزَاءُ مَنْ سَالَتْ دُمُوعُهُ عَلَى وَجْنَتَيْهِ مِنْ مَخَافَتِكَ قَالَ جَزَاؤُهُ أَنْ أَقِيَ وَجْهَهُ لَفْحَ جَهَنَّمَ وَأُوقِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْفَزَعَ الْأَكْبَرَ » .

---

(٢٥٦) رواه وابن عساكر عن أبي ذر .

(٢٥٧) رواه ابن عساكر والديلمي عن ابن مسعود .

ش : التشييع الخروج مع الشخص ليودعه ويبلغه منزله والابتغاء الاجتهاد فى الطلب . ومرضاتك رضاك ، وعال تحمل ثقل مؤنته ، واليتم انقطاع الصبى عن أبيه قبل بلوغه . واليتيم الصبى الفاقد أبيه قبل بلوغه ، والأرملة التى مات زوجها والوجنتان تثنية وجنة ما ارتفع من الخدين ، وأقى أحفظ ، لفح النار حرها ووهجها .

المعنى — والله أعلم — أن نبى الله داود عليه السلام سأل ربه مستفهماً وقال : إلهى وخالقى ما جزاء من تبع جنازة ميت ومشى معه إلى قبره لطلب رضاك وثوابك لا لشىء آخر ، قال المولى جل ذكره مجيباً نبيه داود عليه السلام : جزاء من شيع ميتاً ومشى معه وتبع جنازته أن آمر ملائكتى أن تشيعه يوم وفاته وتمشى معه وتوصله إلى قبره فتصلى على روحه فى الأرواح قال نبى الله داود عليه السلام : يا رب اللهم فما جزاء من يعزى ويسلى حزيناً أصابته نكبات الدنيا وذلك ابتغاء وطلب رضاك ؟ قال الرب جل علاه : جزاؤه أن ألبسه لباس التقوى وأستره به من النار فأدخله الجنة نظير ذلك ولا شك أن خير لباسٍ لباسُ التقوى وخير ستر ماستر الشخص من النار ووقاه منها . قال داود عليه السلام لربه جل علاه : اللهم ما جزاء وثواب من عال يتيماً وتحمل مؤنته ونفقته أو أرملة وتعاهدها بما يلزمها وذلك ابتغاء وطلب مرضاتك ورضاك لا لأمر دنيوى أتحصل عليه ؟ قال الرب جل ذكره : جزاؤه أن أظله وأقيه يوم القيامة فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى . قال داود عليه السلام : اللهم فما جزاء من سالت وجرت دموعه على وجنتيه من مخافتك وخوفاً منك ؟ قال الرب تبارك وتعالى : جزاؤه على يوم القيامة أن أقى وأحفظ وجهه لفح وحر ووهج نار جهنم وأؤمنه يوم القيامة الفزع والخوف الأكبر .

وقد وردت أحاديث كثيرة فى ثواب من شيع ميتاً منها ما رواه مسلم

والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « حق المسلم على المسلم ست قيل : وما هى يا رسول الله . قال : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه » . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عودوا المرضى واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة » . رواه أحمد والبزار وابن حبان فى صحيحه ، وقد تقدم الكلام على التعزية آنفاً صفحة ٤١٠ فلا حاجة للاعادة .

وأما ثواب من عال يتيماً أو أرملة فقد روى ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهراً سيفه فى سبيل الله وكنت أنا وهو فى الجنة إخواناً كما أن هاتين أختان» وألصق أصبعيه السبابة والوسطى ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله — وأحسبه قال — وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر » . رواه البخارى ومسلم وابن ماجه إلا أنه قال : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار » ، وأما ثواب وجزاء من بكى من خشية الله حتى سالت دموعه على خدوده فقد روى الحاكم بسنده عن أنس رضى الله عنه وقال : صحيح الإسناد ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذب يوم القيامة » ، والحديث قال المدنى بعد ما أورده : وفيه جسر بن فرقد ضعيف . والله أعلم .

٢٥٨ ـ « قَالَ دَاوُدُ فِيمَا يُخَاطِبُ رَبَّهُ يارِبِّ أَيُّ عِبادِكَ أَحَب إِلَيْكَ أُحِبُّهُ بِحُبكَ قَالَ يَا دَاوُدُ أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ تَقِيُّ الْقَلْبِ نَقِيُّ الْكَفَّيْنِ لَا يَأْتِي إِلَى أَحَد سُوءًا وَلَا يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا يَزُولُ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ مَنْ يُحِبُّنِي وحَبَّبَنِي إِلَى عِبَادِي قَالَ يَا رَبِّ إِنَّكَ لَتَعْلَم أَنِّي أُحِبُّكَ وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّكَ فَكَيْفَ أَحَبِّبُكَ إِلَى عِبَادِكَ فَقَالَ ذَكِّرهُم بِآلَائِي وَبَلَائِي ونَقْمَاتِي يَا دَاوُدُ إِنَّه لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يُعِينُ مَظْلُوماً أَوْ يَمشِي مَعهُ فِي مَظْلَمَتِهِ إِلَّا أَثْبتُّ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ » .

ش : تقى القلب أى حافظه مما يؤذيه ويضره ونقى الكفين نظيفهما والسوء كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ، والنميمة الوشاية ونقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر ، والآلاء النعم والبلاء الاختبار . ونقماتى عقابى .

المعنى ـ والله أعلم ـ أن داود نبى الله عليه السلام يخاطب ربه ويسأله يا رب أى عبادك ذكراً كان أو أنثى أحب إليك وأقرب منك لأحبه بحبك وأتقرب إليه ؟ قال الرب جل ذكره : يا داود أحب عبادى إلى شخص تقى القلب محفوظ من حب غيرى والمشاركة نقى الكفين نظيفهما لا تمد يداه إلى

---

(٢٥٨) رواه البيهقى وابن عساكر عن ابن عباس .

منكر ولا يشير بهما إلى أمر مكروه ، ولا يأتى إلى أحد سوءاً أو أذى أو مكروهاً ، بل يسعى إلى الناس بالخير والعمل النافع ولا يمشى بين الناس بالنميمة ونقل الحديث لإفساد ذات البين وتهييج الناس تزول الجبال من أماكنها ولا يزول عن محبتى فهى راسخة فى قلبه لا تزلزل وزيادة على ذلك فإنه أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى إلى عبادى ولما كان الوصف الأخير صعب الفهم على نبى الله داود أراد أن يستفهم كيف ذلك . قال : يا رب إنك لتعلم أنى أحبك وأحب من يحبك فكيف أحببك إلى عبادك ؟ فقال الرب جل ذكره : ذكر عبادى بآلائى ونعمى وبلائى واختبارى ونقمائى فإن ذلك يرغب عبادى فى ويرهبوا عن محبة غيرى . فإذا ذكر العبد نعمائى عليه واختبارى له ونقمتى له إذا عصانى فإنه يقلع عن المعاصى ولا يلتفت إلى غيرى ويقبل على بكليته . يا داود إنه ليس من عبد ذكراً كان أو أنثى يعين مظلوماً أو يمشى معه فى مظلمته إلا أثبت قدميه يوم القيامة يوم تزول الأقدام من هول ذلك اليوم ، اللهم ثبت أقدامنا ووفقنا لمحبة الله تعالى خالصة وحب رسوله عليه الصلاة والسلام .

والحديث يدل على أن محبة الله تعالى هى متابعة أوامره واجتناب نواهيه ولا ينفع العبد ولا ينقذه يوم الفزع الأكبر من العذاب والأهوال إلا العمل الصالح ، اللهم وفقنا إلى ذلك واختم لنا بالسعادة يا أرحم الراحمين .

٢٥٩ — « قَالَ إِبْلِيسُ يَا رَبِّ كُلُّ خَلْقِكَ قَدْ سَبَّبْتَ رِزْقَهُمْ فَمَا رِزْقِى قَالَ مَا لَمْ يُذْكَرْ ٱسْمِى عَلَيْهِ » .

---

(٢٥٩) رواه أبو الشيخ عن ابن عباس .

ش : إبليس عدو الله وعدو رسله والمؤمنين وكنيته أبو مرة . واختلف العلماء فى أنه من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن ، أم ليس من الملائكة ؟ وفى أنه اسم عربى أم أعجمى . قال النووى فى كتابه تهذيب الأسماء واللغات الذى طبعناه فى إدارتنا ، والصحيح أنه من الملائكة وأنه عجمى . قال الإمام أبو الحسن الواحدى : قال أكثر أهل اللغة والتفسير سمى إبليس لأنه أبلس من رحمة الله تعالى أى أيس والمبلس المكتئب الحزين الآيس قال : وعلى هذا هو عربى مشتق قال : وقال ابن الأنبارى : لا يجوز أن يكون مشتقاً من أبلس لأنه لو كان مشتقاً لصرف كما أن إسحق إذا كان عربياً مأخوذا من أسحقه الله إسحاقاً انصرف ، فلو كان إبليس مشتقاً لصرف كإكليل وبابه فلما لم يصرف دل على أنه عجمى معرفة والعجمى ليس مشتقاً ، وقال ابن جرير إنما لم يصرف وإن كان عربياً لقلة نظيره فى كلام العرب فشبهوه بالأعجمى وهذا الذى قاله ابن جرير يبطل بباب إفعيل فإنه مصروف كله إلا إبليس : قال الواحدى والاختيار أنه ليس بمشتق لإجماع النحويين على أنه منع الصرف للعجمة والمعرفة ، قال واختلفوا فى أنه من الملائكة فروى عن طاوس ومجاهد عن ابن عباس أنه كان من الملائكة وكان اسمه عزازيل فلما عصى الله تعالى لعنه الله وجعله شيطاناً مريدا وسماه إبليس ، وبهذا قال ابن مسعود وابن المسيب . وقتادة وابن جريج . وابن جرير واختاره الزجاج وابن الأنبارى قالوا : وهى مستثنى من جنس المستثنى منه . قالوا : وقول الله تعالى : ﴿ كان من الجن ﴾ ، أى طائفة من الملائكة يقال لهم الجن . وقال الحسن وعبد الرحمن بن زيد وشهر ابن حوشب ما كان من الملائكة قط والاستثناء منقطع والمعنى عندهم أن الملائكة وإبليس أمروا بالسجود فأطاعت الملائكة كلهم وعصى إبليس والصحيح أنه من الملائكة لأنه لم ينقل أن غير الملائكة أمر بالسجود والأصل فى الاستثناء أن يكون من جنس المستثنى منه ، والله أعلم ؛ وأما إنظاره إلى يوم الدين فزيادة فى عقوبته وتكثير معاصيه وغوايته . نسأل الله الكريم اللطف

وخاتمة الخير . انتهى ، والرزق يقال للعطاء الجارى تارة دنيوياً كان أم أخروياً وللنصيب تارة ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة .

والمعنى — والله أعلم — أن إبليس عدو الله وعدو نفسه سأل ربه مستفهماً عن رزقه من أى طريق يكون ليسعى له ويكتسبه بقوله يا رب كل خلقك قد سببت رزقهم فما رزقى ؟ قال الرب تبارك وتعالى جواباً لإبليس اللعين : رزقك كل ما لم يذكر اسم الله عليه وانتزع منه البركة والخير .

وقد نص الحديث على أن طعام إبليس وجنده ورزقهم هو ما لم يذكر اسم الله عليه وكل ما لم يذكر اسم الله عليه فقد خلى من البركة واللذة وهذا أعم من طعام الجن فإن طعام الجن العظام والروث ، فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام فإنها زاد إخوانكم من الجن » . وروى الحافظ أبو عبد الله الحاكم فى دلائل النبوة قال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود ليلة الجن: أولئك جن نصيبين جاءونى فسألونى المتاع — والمتاع الزاد — فمتعتهم بكل عظم حائل أو روثة أو بعرة . قلت : وما يغنى منهم من ذلك ؟ قال : إنهم لا يجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه الذى كان عليه يوم أخذ ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها الذى كان فيها يوم أكلت فلا يستنج أحدكم بعظم أو روث ؛ وشراب إبليس وجنده سيأتى فى الحديث الآتى بعد، والحديث الله أعلم بصحته .

٢٦٠ – « قَالَ إِبْلِيسُ يَارَبِّ أَهْبَطْتَ آدَمَ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ سَيَكُونُ كِتَابٌ وَرُسُلٌ فَمَا كِتَابُهُمْ وَرُسُلُهُمْ قَالَ رُسُلُهُمْ الْمَلائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ مِنْهُمْ وَكُتُبُهُمُ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ والْفُرْقَانُ قَالَ فَمَا كِتَابِى قَالَ كِتَابُكَ الْوَشْمُ وَقِرَاءَتُكَ الشِّعْرُ وَرُسُلكَ الْكَهَنَةُ وَطَعَامُكَ مَا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَشَرَابُكَ كُلُّ مُسْكِرٍ وَصِدْقُكَ الْكَذِبُ وَبَيْتُكَ الْحَمَّامُ وَمَصَايِدُكَ النِّسَاءُ وَمُؤَذِّنُكَ الْمِزْمَارُ وَمَسْجِدُكَ الأَسْوَاقُ » .

ش : آدم عليه السلام وإبليس لعنه الله تقدمت ترجمتهما قبل فلا حاجة للاعادة ، والهبوط النزول ، والوشم – بفتح الواو وسكون الشين المعجمة – أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى بكحل أو نيل فيزرق أثره أو يخضر ، والشعر قول موزون مقفى يدل على معنى ، والكهنة جمع كاهن وهو الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الأسرار ، والمزمار والمزمور سواء هو الآلة التى يزمر بها ، والأسواق جمع سوق موضع فى المدن وغيرها تباع فيه البضائع والأمتعة مؤنث ويذكر ، وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى – والله أعلم – أن إبليس عليه اللعنة قال لربه جل وعلا : يا رب أهبطت آدم أبا البشر من الجنة إلى الأرض وقد علمت أنه سيكون فيها

---

(٢٦٠) رواه الطبرانى عن ابن عباس .

كتاب فيه قانون يتعبدونك به ويتقربون لك بأحكامه . ورسل فيها توحى إليهم بأمرك فيعلمون عبادك ويرشدونهم إلى صلاحهم وما ينفعهم فى دنياهم وآخرتهم ويبينون لهم قوانين الكتاب وجزئياته ليعملوا به ويهتدوا بهديه فيكونوا على الصراط المستقيم فما كتبهم ورسلهم ؟ قال الرب عز وجل لإبليس الطريد : رسلهم بينى وبينهم الملائكة والنبيون منهم . قال الله تعالى : ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ ، وكتبهم المنزلة على رسلهم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان لكل منها رسول . قال إبليس اللعين : فما كتابى ؟ قال : كتابك الوشم الذى هو مملوء من الظلمة والضلال ، وقراءتك التى تقرؤها الشعر ؛ ولذلك قال الله تعالى فى حق الشعراء : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ ، ورسلك الكهنة الذين يخبرون بالأخبار الماضية الخفية بضرب من الظن لأن أخبار الكهان مبنية على الظن الذى يخطئ ويصيب ، وكذلك العراف يخبر بالأخبار المستقبلة على نحو ذلك ، ولما كان العراف والكهان مبنية أخبارهما على الظن الذى يخطىء ويصيب قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على أبى القاسم » ؛ وطعامك كل ما لم يذكر اسم الله عليه ونزعت منه البركة واللذة ، وقد تقدم الكلام عليه قبل ، وشرابك كل مسكر حرام وهو ما غيب العقل وأذهب الرشد ، وصدقك الكذب لأنه أخبث الخبائث كما جاء فى الحديث ، وبيتك الحمام لأنه أخبث مكان ، وقد جاء النهى بدخوله للرجال إلا بمئزر والنساء مطلقاً عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام » . رواه النسائى

والترمذى وحسنه والحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم ، ومصائدك النساء اللاتى تصيد بهن وتوقع الناس بهن وتجعلهن شركاء لك لأن النساء أعظم فتنة فى الناس وما يصيد بهن فلا يصاد بغيرهن من أدوات الصيد ، اللهم احمنا من النساء واحم الأمة منهن ، ومؤذنك المزمار لأنه يجلب كل شر ، ومسجدك الأسواق لأنها دار الغفلة والسهو ولذلك يطلب ذكر الله فى الأسواق ، والحديث الله أعلم بصحته .

٢٦١ – « قَالَ إِبْلِيسُ لِرَبِّهِ بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِى بَنِى آدَمَ مَا دَامَتِ الْأَرْوَاحُ فِيهِمْ فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ بِعِزَّتِى وَجَلَالِى لَا أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِى » .

ش : لا أبرح لا أزال أفعل كذا ، وأغوى أضل وأفسد ، وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى – والله أعلم – أن إبليس عدو الله وعدو رسله عليهم السلام قال لربه عز وجل مقسماً بعزته وجلاله تأكيداً لأفعاله وإفساده غافلا عن قضاء ربه أنه لا يبرح ولا يزال مداوماً على غواية بنى آدم وإضلالهم وأمرهم بالكفر والعصيان ما داموا أحياء وما دامت الأرواح فى أبدانهم أى لا ينقطع طرفة عين عن إيصال الشر إليهم بكل أنواعه ووجوهه . روى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى سعيد أن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم . فقال الرب عز وجل : وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى ، وفى حديث الترمذى وابن

---

(٢٦١) أخرجه أبو نعيم عن أبى سعيد .

ماجه : « إن الله يقبل التوبة ما لم يغرغر » ، وتوبة العبد مقبولة ما لم يحضره الموت ، فإذا حضره لم تنفعه التوبة . قال تعالى : ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ﴾ . فقال الرب تبارك وتعالى لإبليس عليه اللعنة مقسماً الرب بعزته وجلاله أنه لا يبرح ولا يزال يغفر لعباده بنى آدم ما استغفروه ، فعلى العبد إذا أذنب ذنباً أن يعقبه بالاستغفار والتوبة والإنابة إليه تعالى ، وفى حديث ابن ماجه : « يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يا ابن آدم إنك لو لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » . والحديث صحيح يستشهد له بأحاديث أخر ولكن سنده الله أعلم به .

٢٦٢ – « قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ هَلْ يُصَلِّى رَبُّكُ فَقَالَ مُوسَى اتَّقُوا اللهَ يَابنى إِسْرَائِيلَ فَقَالَ اللهُ يَا مُوسَى مَاذَا قَالَ لَكَ قَوْمُكَ ؟ قَالَ : يَارَبِّ مَا قَدْ عَلِمْتَ قَالُوا : هَلْ يُصَلِّى رَبكَ قَال : فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ صَلاَتِى عَلَى عِبَادِى أَنْ تَسْبِقَ رَحْمَتِى غَضَبِى لَوْلاَ ذَلِكَ أَهْلَكْتُهُمْ » .

ش : تقدم الكلام عن بنى إسرائيل صفحة ٣٨٤ فارجع إليه والرحمة والغضب ذكرا غير مرة ، وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى — والله أعلم — إن بنى إسرائيل قوم موسى عليه السلام سألوا

---

(٢٦٢) أخرجه ابن عساكر عن أنس .

نبيهم موسى عليه السلام : هل يصلى ربك وخالقك الذى تدعو الناس لدينه وعبادته كما نصلى ؟ فأجابهم موسى عليه السلام على طريقة النصح والمحافظة لرعاية آداب السؤال والمكالمة بقوله : اتقوا الله يا قومى ولا تكونوا من المعتدين والمتجاوزين فى السؤال . فقال الرب تبارك وتعالى لنبيه موسى عليه السلام : يا موسى ماذا قال لك قومك ؟ — والله سبحانه وتعالى أعلم بذلك يتلطف بقومه — قال موسى عليه السلام : يا رب ما قد علمت وفسر هـذا بقوله : قالوا هل يصلى ربك وخالقك ؟ قال الرب تعالى لموسى عليه السلام : فأخبرهم أن صلاتى على عبادى أن تسبق رحمتى وتغلب على آثار غضبى ولولا أن تغلب آثار رحمتى غضبى لأهلكتهم لأنه ليس هناك من يمنعنى من الانتقام لغضبى وهذا دليل على سعة رحمة الله جل ذكره بعباده . قال ابن عربى : لما نفخ الروح فى آدم عطس فقال : الحمد لله . فقال الله : يرحمك الله يا آدم فسبقت رحمته غضبه ، ولهذا قدم الرحمة على الغضب فى الفاتحة فسبقت الرحمة الغضب فى أول افتتاح الوجود فسبقت الرحمة إلى آدم قبل العقوبة على أكل الشجرة ؛ والحديث الله أعلم بصحته .

٢٦٣ — « قَالَتِ المَلَائِكَةُ يَارَبِّ ذَلِكَ عَبْدٌ يُرِيد أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئة وَهوَ أَبْصَرُ بِهِ قَالَ ٱرْقُبوهُ فإِن عَمِلَهَا فَاكْتبوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتبوهَا حَسَنَةً إِنَّما تَرَكَهَا مِنْ جرَّائى » .

ش : رقبه انتظره والشىء حرسه ، وجرائى بفتح أوله وتشديد ثانيه

(٢٦٣) رواه أحمد ومسلم عن أبى هريرة .

وبالمد والقصر لغتان معناه من أجلى . وباقى ألفاظ الحديث تقدم بعضها وبعضها ظاهر .

٢٦٤ – « قَالَتِ ٱلْجَنَّةُ يَارَبِّ زَيَّنْتَنِى فَأَحْسَنْتَ أَرْكَانِى فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهَا قَدْ حَشَوْتُ أَرْكَانَكِ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَالسُّعُودِ مِنَ الأَنْصَارِ وَعِزَّتِى وَجَلَالِى لَا يَدْخُلُكِ مُرَاءٍ وَلَا بَخِيلٌ » .

ش : الأركان جمع ركن الجانب ، والأنصار الصحابة الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم ، والمرائى والبخيل تقدم تفسيرهما .

٢٦٥ – « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جَرْحٌ فَجَزِعَ فَأَخَذَ سِكِينًا فَجَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ قَالَ تَعَالَى بَادَرَنِى عَبْدِى بِنَفْسِهِ فَحَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » أخرجه الشيخان عن جندب بن عبد الله .

ش : الجزع ضد الصبر ، وحز قطع ، ورقأ سكن ، وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

---

(٢٦٤) رواه موسى المدينى عن ابن مربع الأزدى عن أبيه . وقال غريب .

(٢٦٥) أخرجه الشيخان عن جندب بن عبد الله .

٢٦٦ – « كَانَ رَجُلَانِ فى بَنِى اسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَانِ وكان أَحَدُهُمَا مُذْنِبٌ وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ فى العبادة وكانَ لا يَزَالُ المُجْتَهِدُ يَرَى الآخرَ عَلَى الذَّنْب فَيَقُولُ أَقْصِر فَوَجَدَهُ يَوْماً على ذَنْبٍ فقَالَ لَهُ أَقْصِر فقَالَ خَلِّنِى وَرَبِّى أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقيباً ؟ فَقَالَ واللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ فَقُبِضَ رُوحُهمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ العَالمينَ فَقَالَ لِهَذَا المُجْتَهِدِ : أَكُنْتَ بِى عالماً أَو كُنْتَ على مَا فِى يَدَيَّ قَادِراً ، وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ . اذهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِى . وقَال للآخَرِ اذْهبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ » .

ش : يقال آخاه صار له أخاً وصديقاً ، والرقيب الحافظ والمنتظر .

٢٦٧ – « لَما نُفِخَ فِى آدَمَ الرُّوحُ مارَتْ وطَارَتْ فَصَارَت فِى رَأْسِهِ فَعَطَسَ فقَالَ : الْحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمينَ . فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : يَرْحَمُكَ اللهُ » .

ش : فى النهاية لما نفخ فى آدم الروح مارت فى رأسه فعطس أى دار وتردد .

---

(٢٦٦) أخرجه أحمد وأبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه .
(٢٦٧) أخرجه ابن حبان والحاكم والضياء عن أنس رضى الله عنه .

٢٦٨ — « لمَّا أُصِيبَ إِخْوانُكُمْ بأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِى طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِى إلى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِى ظِلِّ العَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مأْكَلِهِم وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا : مَنْ يُبَلِّغُ إخْوانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِى الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِى الجِهَاد وَلَا يَنْكُلُوا عن الحرْب فقَالَ اللهُ تَعَالَى أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ » .

ش : أحد — بضمتين — جبل بالمدينة ، ولا ينكلوا أى يجبنوا .

٢٦٩ — « لَمَّا خَلَقَ اللهُ العَقْلَ قالَ لَهُ أَقْبِلْ فأَقْبَلَ ثُمَّ قالَ لهُ أَدبِرْ فأَدْبرَ قالَ ما خَلَقْتُ خَلْقًا أَحَبَّ إلَىَّ مِنْكَ بِكَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِى » .

ش : العقل لغة الإمساك كعقل البعير بالعقال : واصطلاحاً يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ، ويقال للعلم الذى يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل وإلى الأولى أشار هذا الحديث وإلى الثانى أشار بقوله عليه الصلاة والسلام : « ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى » ،

---

(٢٦٨) أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم والبيهقى وابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما .

(٢٦٩) رواه عبد الله بن أحمد عن الحسن مرسلا والطبرانى عن أبى أمامة وأبى هريرة،

وهذا العقل هو المعنى بقوله تعالى : ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ ، وكل موضع ذم الله الكفار بعدم العقل فإشارة إلى الثانى دون الأول ، وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى الأول ، والحديث مرسل كما قال المؤلف ، والله أعلم .

٢٧٠ – « يُؤْتَى يَوْمَ القيامةِ بِصُحُفٍ مُخَتَّمَةٍ فَتُنْصَبُ بَيْنَ يَدِي الله تَعَالى فَيَقولُ اللهُ : أَلْقُوا هَذِهِ فَتَقُولُ المَلَائِكَةُ وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْراً فَيَقُولُ اللهُ إِنَّ هَذَا كان لِغَيْرِ وَجْهِي وَإِنِّى لا أَقْبَلُ إِلَّا ما ابتُغِيَ بِهِ وَجْهِي » .

ش : الصحف جمع صحيفة الكتاب ومختمة غير مفتوحة .

٢٧١ – « يُنَادِي المُنَادِي مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ إِنَّ اللهَ تَعَالى يَقُولُ مَا كَانَ لى قِبَلَكُمْ فَقَدْ وَهَبْتُه لكُمْ وَبَقِيَتِ التَّبِعَاتُ فَتَواهبُوا وادْخُلُوا الجَنَّة بِرَحْمَتِي » .

ش : بطنان العرش وسطه ، والتبعات جمع تبعة على وزن كلمة ما تطلبه من ظلامة ونحوها .

٢٧٢ – « يُنَادِي الْمُنَادِي يا أَهْلَ التَّوْحِيدِ لِيَعْفُوا بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ وَعَلَيَّ الثَّوَابُ » .

---

(٢٧٠) رواه البزار والطبرانى قال المنذرى بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح .

(٢٧١) رواه إبراهيم المقرى فى التبصرة عن أنس .

(٢٧٢) رواه الطبرانى عن أم هانىء .

فهرس الكتاب

البيــــان	صفحة

البيـــــان	صفحة
شرح حديث أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمى	٧٢
» » أنا الله خلقت العباد بعلمى	٧٤
» » أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الشر وقدرته	٧٦
» » أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملك وملك الملوك	٨٠
» » أنا العزيز من أراد عز الدارين فليطع العزيز	٨٣
» » أنا أغنى الشركاء عن الشرك	٨٥
» » أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه	٨٨
» » أنا أكرم وأعظم عفواً من أن أستر على مسلم	٨٩
» » أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معى إله	٩١
» » أنا خير شريك فمن أشرك معى شريكاً فهو للشريك	٩٧
» » أنا عند ظن عبدى بى	٩٨
» » أنا عند ظن عبدي بى	٩٩
» » أنا مع عبدى إذا هو ذكرنى	١٠٧
» » أنتقم ممن أبغض بمن أبغض	١٠٨
» » انطلقوا يا ملائكتى إلى عبدى فصبوا عليه البلاء صباً	١٠٩
» » أنفق أنفق عليك	١١١
» » أيما عبد من عبادى يخرج مجاهداً فى سبيلى	١١٢
» » أيما مؤمن عطس ثلاث عطسات	١١٣
» » سبقت رحمتى غضبى	١١٤
» » الرحم شجنة منى فمن وصلها وصلته	١١٥
» » الحسنة بعشر أمثالها أو أزيد	١١٥
» » الصوم جنة من النار	١١٧

البيـــــان	صفحة

البيـــــان	صفحة
وعزتى ووحدانيتى وارتفاع مكانى	٢٤٢
ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقى	٢٤٣
لا إله إلا الله كلامى وأنا هو	٢٤٤
لاإله إلا الله حصنى	٢٤٤
لا أتقبل إلا ما ابتغى به وجهى	٢٤٧
لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين	٢٤٨
لا يأتى ابن آدم النذر بشىء لم أكن قدرته	٢٥٠
لا يشرب عبد مسلم شربة من خمر إلا سقيته	٢٥٥
لا ينبغى لعبدى أن يقول أنا خير من يونس	٢٥٦
يا ابن آدم إنى عرضت الأمانة على السموات والأرض	٢٦٠
يا ابن آدم أفرغ من كنزك عندى ولا حرق ولا غرق	٢٦٩
يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأملأ يديك رزقاً	٢٧٧
يا جبريل إنى خلقت ألف ألف أمة	٢٧٩
يا دنيا اخدمى من خدمنى واستخدمى من خدمك	٢٨١
يا عبادى أعطيتكم فضلا وسألتكم قرضاً	٢٨٦
يا عيسى إنى باعث من بعدك أمة	٢٨٩
يا محمد إن أمتك لا يزالون يقولون ما كذا	٢٩٩
يا محمد من آمن بى ولم يؤمن بالقدر	٣٠١
يا موسى إنه لم يلقنى عبدى فى حاضر القيامة	٣٠٣
يا موسى لن ترانى	٣٠٦
يا موسى إنه لن يتصنع إلى المتصنعون بمثل الزهد	٣١٥

البيـــــان	صفحة
يا موسى لو أن السموات وما فيها والأرض وما فيها	٣٠٢
يؤتى بحسنات العبد وسيئاته يوم القيامة	٣٢٣
يؤذيني ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر	٣٢٦
يقول الله للملائكة الموكلين بأرزاق بنى آدم	٣٢٩
انظر إلى تفسير بعض العصريين المشتمل على إنكار الحقائق	٣٣١
يقول الله يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرنى يوماً	٣٣٤
« « للولدان ادخلوا الجنة	٣٣٦
« « يا آدم قم فجهز من ذريتك تسعمائة	٣٣٧
« « كل يوم للجنة طيبى لأهلك	٣٣٩
« « للعلماء إنى لم أجعل علمى وحلمى فيكم إلا وأنا	٣٣٩
« « يوم القيامة أين جيرانى	٣٤٢
« « انظروا إلى زوار بيتى	٣٤٥
« « انظروا إلى زواربيتى	٣٤٧
« « سيعلم أهل الجمع اليوم من أهل الكرم	٣٤٨
أوحى الله إلى آدم يا آدم أن حج هذا البيت	٣٥١
« « « إن من عبادى من لو سألنى الجنة بحذافيرها	٣٥٨
« « « « أن ذكرهم بأيام الله	٣٦٢
« « « « لولا من يشهد الله لسلطت جنهم	٣٦٣
« « « « ارض بكسرة خبز من شعير	٣٦٥
« « « داود إن العبد ليأتى بالحسنة كمثل جيفة	٣٦٨
« « « « وعزتى ما من عبد يعتصم بى دون خلقى	٣٧٣

□□□□□□

ايداع رقم ٨٩٥١ / ٨٧ دولى رقم ٢ — ٣٦ — ٩٧٧/١٦٠٠

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة ـ الفجالة
جمهورية مصر العربية تلفون ٩٠٤٣٤٣ — ٩٠٥٢٩٦